د. جمال نصار حسين

إعادة الاعتبار للظواهر الخارقة

خطوة صوفية على طريق الارتقاء الى حضارة جديدة



د. جمال نصار حسين

إعادة الاعتبار للظواهر الخارقة

خطوة صوفية على طريق الارتقاء الى حضارة جديدة

تاريخ تصوف

٦

٤

١٣

كلمة الناشر

يذهب جمال نصار حسين في كتابه هذا إلى أن العلم المعاصر متحيّز وذلك بسببٍ من تركيزه على دراسة ظواهر الوجود المألوفة وتغاضيه عن الظواهر الخارقة للمألوف لا لشيء إلا لأنها تستعصي على التفسير من قبل منظومته المعرفية التي يفسّر بها الظواهر المألوفة. ولأن الظواهر الخارقة للعادة والمألوف تحدث بالفعل، فان هذا الكتاب يدعو الى تأسيس علم جديد، وفلسفة جديدة، يستوعبان ظواهر الوجود قاطبة خارقها ومألوفها. وهذا ليس بالأمر الهيّن: فهو يهم كل إنسان في كل مجتمع وذلك لأن من شأنه أن يغيّر من قناعاتنا ومما اعتدنا على التسليم بأنه يمثل الحقيقة المطلقة، وبالتالي فانه يغيّر نظرتنا إلى الحياة بأكملها.

إن هذه الدعوة إلى إعادة الاعتبار للظواهر الخارقة إنما تمثل خطوة على طريق الارتقاء إلى حضارة جديدة. وبسببٍ من تركيز الكتاب على ظواهر الشفاء الخارق التي يستعرضها الدراويش، وذلك لما تتميز به عن غيرها من الظواهر الخارقة للعادة من إمكانية استعراضها في كل زمان وفي أي مكان، كانت هذه الخطوة صوفية.


ISBN 978-9957-565-07-7
9 789957 565077



P.O. Box 927651 Amman 11190 Jordan
Tel +962 6 5606 263 - Fax + 962 6 5606 362
E-mail: wardbooksjo@yahoo.com

إعادة الاعتبار للظواهر الخارقة

خطوة صوفية على طريق الارتقاء الى حضارة جديدة

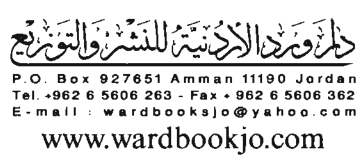
● إعادة الاعتبار للظواهر الخارقة - خطوة صوفية على طريق الارتقاء الى حضارة جديدة

● د. جمال نصار حسين / مؤلف من العراق

● الطبعة الأولى: 2013

● حقوق النشر والتوزيع محفوظة:





P.O. Box 927651 Amman 11190 Jordan
Tel. +962 6 5606 263 - Fax + 962 6 5606 362
E-mail : wardbooksjo@yahoo.com
www.wardbookjo.com

● الإشراف الفني: **محمد الشرقاوي**

● رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية: 2012/9/3578

● (ردمك) ISBN 978-9957-565-07-7

تجدون كتبنا على الموقع التالي
www.wardbookjo.com

د. جمال نصار حسين

إعادة الاعتبار للظواهر الخارقة

خطوة صوفية على طريق الارتقاء الى حضارة جديدة



محتويات الكتاب

القسم الثاني

بِسْمِ اللهِ الرحْمنِ الرحِيم

اللهُم صَل عَلى سَيدِنا مُحَمدِ الوَصْفِ وَالْوَحْيِ وَالْرسالَةِ وَالْحِكْمَةِ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلمْ تَسْلِيماً

المقدمة

يمثّل هذا الكتاب اتجاهاً في التفكير العلمي جديداً على ساحتنا العربية، وإن كان هذا الاتجاه غير جديد في الغرب؛ حيث تميزت السنوات الأخيرة من القرن المنصرم بتبلور الأفكار الرئيسة المُشكِّلة لهذا الاتجاه الرائد، وذلك بقيام مجموعة من العلماء، ومن بينهم عدد كبير من حملة جائزة نوبل، بصياغة مفردات هذا الاتجاه الفكري المميِّز لمدرسةٍ في التفكير المنهجي العلمي أبت على نفسها أن يكون موقفها من المسيرة العلمية المعاصرة موقف المشارك السلبي والمردِّد الببغائي دونما نقدٍ بنّاء أو تمحيصٍ هادف. لقد آلت هذه المدرسة الجديدة من علماء الغرب على نفسها أن يكون دورها في رفد الحضارة المعاصرة مقتصراً على المشاركة من قبيل ما هو مميِّز للغالبية من علماء المؤسسة العلمية الرسمية، لذا فقد اتخذت هذه المدرسة منحىً أبستمولوجياً جديداً يتميز بموقف انتقادي رصين من النتاج العلمي وذلك بغية الحيلولة دون تكرار الأخطاء التي أدت في الماضي إلى جعل مسيرة التقدُّم العلمي تجنح إلى وهادٍ جعلت من العلم أسيرَ ميتافيزيقا كبَّلته بكثيرٍ من القيود التي حالت دون تمكُّنه من الانطلاق حراً على طريق الاستكشاف والاختراع. وقد تميَّزت سنوات العقد الأخير من القرن المنصرم بانضمام أعداد لا بأس بها من خيرة علماء الغرب إلى هذا الاتجاه الفكري الجديد، خصوصاً بعد ما تبين للجميع مقدار العجز الكامن في صلب البنيان المعرفي للمنظومة النظرية للفيزياء المعاصرة. كما وعزَّز من ضرورة القيام بهكذا مراجعة تمحيصية بناءة للمسيرة العلمية المعاصرة التلكؤُ الشديد الذي تميَّزت به الأبحاث النظرية في مجال علم أسباب الأمراض Etiology

ومباحث البايولوجيا التطورية بالقياس إلى النجاحات الباهرة التي حققها علم الطب التجريبي بفروعه ومباحثه المختلفة وما لم تفتأ مختبرات بحوث البايولوجيا التطورية تخرج به علينا بين الحين والآخر من نتائج أعجزت النظريةَ الطبيةَ السائدة وقعدت بها عن اللحاق بركب هذا الإنجاز المختبري الثر.

ولأنني أقوم بتدريس مادة الفيزياء النظرية، وعلى مدى الأعوام الخمسة عشر الماضية، ولأنني أعلم جيداً مدى الركود المعرفي .

Stagnation Knowledge الذي تعاني منه الفيزياء النظرية قياساً بالانفجار المعلوماتي المميِّز للفيزياء التجريبية، ولأنني على درايةٍ ومعرفةٍ كبيرتين بما يحدث في سوح أبحاث البايولوجيا التطورية، نظرياً وتجريبياً، فقد عقدت العزم على ضرورة التفرُّغ لإنجاز كتاب ينقل الى القارئ العربي العام، والخاص على حدٍّ سواء، جانباً مهماً من جوانب هذا الصراع الخفي الذي يحرص العلم النظري المعاصر، بمباحثه المختلفة، على إبقائه خلف الكواليس بعيداً عن أسماع وأنظار العامة وذلك حرصاً من سدنته شديداً على أن تبقى صورة واحدهم لدى العامة منزَّهة عن أية نقيصة قد تجعل منه يواجه الاتهام بأنه هو أيضاً بشر ليس إلا!!

إن هذا الكتاب يمثل خلاصة وافية لعدد كبير من الأبحاث الحقلية (الميدانية) والمختبرية التي تسنى لي الإشراف عليها والمشاركة الفاعلة فيها والاطلاع عن كثب على مفرداتها فيما له صلة بالظاهرة الإنسانية بفعالياتها المألوفة وغير المألوفة، كما أنه جاء ثمرةً للكثير من المطالعات والمناقشات في أدبيات البايولوجيا التطورية ومع أساتذتها الثِّقاة. ولقد وجدتُ أن من واجبي أن أعرض لأحدث ما يصطرع على ساحة العلوم في الغرب من تيارات ومدارس، خصوصاً وأن هذا الاصطراع العقائدي أخذ في الآونة الأخيرة يمس أموراً ذات صلة بعقيدتنا الإيمانية التي لن نستطيع إطلاقاً أن نتهرب من الإقرار بعائديتها إلينا كما لا نستطيع التخلُّص من السمات والعلامات المميِّزة والفارقة لوجوهنا والتي تجعل منا في نظر الغرب عرباً مسلمين شرق أوسطيين!! إنني أرى أن الوقت قد حان، ونحن في مطلع قرنٍ جديد وألفيةٍ جديدة لضرورة الاعتراف بأننا عربٌ

شئنا أم أبينا وأن عروبتنا يفهمها الغرب لا كما نفهمها نحن مجرد قومية تميزنا عن باقي الشعوب والقبائل! فالغرب يرى في عروبتنا إسلاماً وإن كنا نخجل في كثير من الأحيان من الإقرار به! والغرب، بعدُ، يرى في عروبتنا قرآناً وإن كنا نتهرب في أحيان كثيرة من الالتزام بما ورد فيه من منهاج وضوابط. لذا كان عليَّ أن أضع كل هذه المتناقضات في بودقة واحدة وأن أقوم بمحاولة لصهرها بغية الوصول إلى حلٍّ وسط يأخذ بنا إلى بر الأمان فيرضى عنا كلٌّ من كان له حظٌّ من عقلٍ سليم وفكرٍ منهجي قويم.

فاذا كان العلم النظري المعاصر، بشهادة الخيرة من أساطينه الحُجج الثِّقاة، عاجزاً عن أن يعلل للظاهرة الإنسانية تعليلاً يطال مفرداتها المألوفة وغير المألوفة على حدٍّ سواء؛ تعليلاً يجعل من هذه المفردات مفهومةً كما هي مفهومةٌ مفردات ظواهر الوجود الأخرى، وإذا كان العلم النظري المعاصر لا يستطيع اللحاق بالنتائج التي تمخضت عنها البحوث التجريبية-الاختبارية المعاصرة في تلك السوح ذات الصلة بهذه الظاهرة الفريدة الفذة، فلماذا الخجل من الإقرار بهذه الجملة من الحقائق وما ينجم عنها بداهةً وبالضرورة؟! إن الأبحاث التجريبية-الاختبارية المعاصرة في الظاهرة الإنسانية قد جعلت من الواجب أن نرفد عجزَ مباحث العلم النظري المعاصر عن استيعابها تأويلاً وتفسيراً ضمن بُنيته المعرفية بعجزِ الفيزياء النظرية المعاصرة عن التعليل الصائب والاستيعاب السليم لتلك المفردات من الظاهرة الإنسانية التي تشكِّل خرقاً فاضحاً للأُسس التي استقامت عليها البُنى الارتكازية للنظريات الفيزيائية. وهذا كله يقودنا لامحالة إلى وجوب الإقرار بعجز العلم النظري المعاصر عن أن يكون بمقدوره استيعاب الظاهرة الإنسانية كما استوعب بنجاح غيرها من ظواهر الوجود. وهنا ينبغي علينا أن لا نقف موقف المتفرج من هذه الأزمة المعرفية الخفية التي تعصف بالأسس النظرية للعلم المعاصر وذلك طالما كان الغرب ذاته هو من يبادر إلينا، نحن أهل الشرق، ليسأل إن كان بحوزتنا ما هو قادر على تقديم المساعدة والمعونة! فعلى مدى ما يقرب من ربع قرن من الزمان كنت على الدوام أواجَه بهكذا استفسارات

وتساؤلات. وكان من يواجهني بها أفرادٌ من علية المجتمع العلمي في الغرب: أساتذة جامعات، باحثون في مراكز أبحاث مرموقة، فلاسفة ومفكرون... إلى آخره. وليس هناك من داع للعجب، فربع قرن من معايشة أهل الغرب جعلتني أعرفهم كما ليس بمستطاع من لم يعايشهم هذا العُمُر كله أن يعرفهم. فعالِمهم وإن كان حاملاً لجائزة نوبل في الفيزياء مثلاً يبقى ذلك اللاهوتي الذي وإن كان يكتفي بمجرد حضور كنيسة الأحد تعبيراً منه عن التزامه العقائدي فإنه يبقى مع ذلك موقناً في قرارة نفسه بأن هذا الكون أسير لاهوته، هو بالذات لا غيره، بظواهره كلها جميعاً بطريقة ما! وهذا شيءٌ عجبيب، إذ كيف يُعقل من عالم يُفترض فيه أن يكون موضوعياً نزيهاً محايداً أن تكون هذه هي نظرته للوجود؟! إن واقع الحال في الغرب يُنبئ بأن العلم النظري ما زال يدور في ذات الدوامة التي كان يدور فيها إبان القرون الوسطى وذلك على قدْر تعلُّق الأمر بالعلاقة ما بين البُنى الأيديولوجية المميزة لميتافيزيقاه وبين المعتقد اللاهوتي المميز للعلماء الذين صاغوا نظرياته! لذا لم يكن أمامي من سبيل غير أن أطّرح جانباً لباس الخوف والوجل والخجل وأن أُبادر إلى كتابة "خطوة صوفية على طريق الارتقاء الى حضارة جديدة" وذلك رداً مني على عجز العلم النظري المعاصر عن تفسير الظاهرة الإنسانية ومحاولةً من جانبي لتقديم يد العون لهذا العلم وذلك بتبيان ما بإمكان عروبتنا، المؤمنة بالضرورة، أن تقوم به من خدمة في هذا المجال! فأي ضير في الجمع بين حقائق القرآن العظيم، وهي حقائق تشهد لها الوقائعُ الملاحَظة بعين سليمة، وبين التجاريب المُجراة وفقاً لمنهج تجريبي اختباري رصين؟ إن هذا الكتاب يُمثِّل محاولةً من جانبي لإيضاح ما بوسع عروبتنا المؤمنة، ممثلةً بهذا القرآن المجيد، أن تقوم به خدمةً للحضارة المعاصرة خصوصاً بعدما عجزت هذه الحضارة عن تفسير ما يحدث في الظاهرة الإنسانية من فعاليات مألوفة وخارقة على حدٍّ سواء! وهنا أود أن أُبيِّن أنني قد اتَّبعتُ في الإعداد لهذا الكتاب منهجاً هو أقرب ما يكون إلى المنهج الغربي المميِّز للبحث المعرفي الرصين ملاحظةً واستقراءً، تجريباً واختباراً.

لقد عنَّ لي أن أكتب هذا الكتاب بُغية توضيح جملة من الحقائق ذات الصلة بموضوع المنهج غير الصائب الذي اتَّبعته الباراسايكولوجيا في تعاملها مع الظواهر الخارقة بصورة عامة وتلك التي تمتاز بها مجتمعاتنا العربية بصورة خاصة. وأردت أن أخلص بهذا الى حقيقة مفادها أن هذا الخلل لا يمكن تجاوزه وتلافي تأثيراته الكارثية إلا بعودة البحث الباراسايكولوجي الى جادة الصواب عبر تخلّيه عن اعتماد الأدلجة النظرية مصفاةً ينتقي بوساطة منها ما تشاء له موديلاته النظرية أن يختار من الطيف الواسع من الظواهر الخارقة محجماً في الوقت عينه عن البحث في مضمار شريط واسع آخر من هذا الطيف بدعوى أن ظواهره الخارقة تستعصي على التفسير الذي تؤدي اليه هذه النظريات حتماً. والحل بالتالي لن يكون متأتياً الأخذ به ما لم تشرع الباراسايكولوجيا المعاصرة في الاعتماد بشكل مطلق على التجريب والاختبار وعلى إيلاء كامل الطيف الباراسايكولوجي ما يستحقه من عناية واهتمام دونما انتقاء أو إقصاء لأي من ظواهره الخارقة. وإني لأظن أنني قد وُفِّقتُ في هذا الكتاب الى الوقوع على ما أعتقده منهجاً بديلاً يستطيع به "شرقنا" أن يُعين "غربهم" في الارتقاء بالباراسايكولوجيا الى مستوىً معرفي جديد يتجاوز إشكاليات ماضيها وحاضرها وصولاً الى مستقبل جديد، هذه المرة، بعيد كل البُعد عن التنطُّع بتفوق عرق ما ودونية عرق آخر. فالحل لا يملكه محتكر يظن أنه وبسبب من لون بشرته أو ما بخوزته من متاع يستطيع أن يفرض بهما الوصاية المطلقة على المعرفة والحقيقة.

يستهدف هذا الكتاب التعرُّض المُنصِف للباراسايكولوجيا الغربية من غير تعريض مُجحِف يتجاوز حدود التعامل المعرفي الصائب مع المادة المستهدَفة. واذا كان ما يجمع بين فصول هذا الكتاب جميعاً هو هجومها الشديد على الكثير من مفردات ومناهج البحث الباراسايكولوجي الغربي فان ما يوحّدها أيضاً هو دعوتها الى تناول النتائج التي تمخّض عنها ذلك البحث تناولاً حكيماً حصيفاً لا يرضى بالتقليد الأعمى فتكون نتائج الغير هي نتائجنا نحن أيضاً ولا يقنع بالرفض المطلق للرأي الآخر طالما كان هذا الآخر قد أقام على دعواه الحجة

وجاء بالبيّنة ليبرهن بها على صدقه في مسعاه بحثاً عن الحقيقة. ان مضمون هذا الكتاب هو ليس دعوة للجمود على ما لدينا والإنغلاق في وجه الآخر؛ فالآخر هو انسان أيضاً يصيب ويخطيء وهو، بعدُ، ليس ملاكاً معصوماً عن الزلل وما هو بشيطان ليس يُرتجى منه أمل. فالرفض المسبق لحضارة الآخر لمجرّد كونها حضارته هو لا حضارتنا نحن لا يعادله حمقٌ وسذاجة الاّ القبول المطلق بهذه الحضارة لأنها حضارته هو لا حضارتنا نحن!

والقاريء لهذا الكتاب سوف لن يصعب عليه استجلاء حقيقة ما يرفضه، وبكل عناد علمي مؤسّس على حجة دامغة ودليل قاطع، من نتائج الآخر وما يقبله بل ويدعو الى الإستقتال في الحصول عليه من هذا الآخر.

اِن سد الباب في وجه الآخر هو ليس من العلمية الحقّة في شيء كما أن فتحه على مصراعيه في وجهه هو ليس من الحكمة في شيء. فالتعامل الصائب مع نِتاج الآخر يكمن في تصحيح النظر اليه حتى لا نتوهمه عملاقاً اسطورياً نخشاه فنسارع الى تقديم قرابين الخضوع التام عند قدميه والإستسلام المطلق له بين يديه وحتى لا نتخيّله قزماً خرافياً فنتمادى في تجاهله وغض البصر عن كل ما قد يفيد وينفع مما عنده.

اِن هذا الكتاب يبيّن بكل وضوح وجلاء اَن استيراد الباراسايكولوجيا الغربية هكذا ومن دون سياسة حكيمة وعادلة اِنما يقود الى التنكّر لكل تراثنا الروحي الخالد الذي يحق لنا أن نفاخر به اذا ما فاخر غيرنا بما لديه من تقنية خارقة. فالباراسايكولوجيا الغربية المعاصرة، بحالها البائس اليوم، القائم على أساس غير سوي من روح الإنتقائية المتحيّزة لظواهر تقوم بالإنكباب على دراستها على حساب انشغالها عن ظواهر اخرى تستحق، وفق مبدأ المعاملة بالمثل على أقل تقدير، ان يتم تناولها هي أيضاً بالدرس والبحث، والمستقر على شفا جُرُفٍ هارٍ من الولوغ في تضخيم ما هو بشري في الظاهرة الإنسانية الخارقة حد الإنكار المسبق لأي احتمال بأن يكون هناك ما يتجاوز ما هو بشري فيها على قدر تعلّق الأمر بالطاقة المسؤولة عن حدوث هذه الظاهرة؛ أقول: اِن الباراسايكولوجيا

الغربية اليوم مدعوّة لمراجعة تصحيحية شاملة تعود بها الى تفحّص الأُسُس المعرفية التي استقام عليها بناؤها الأعوج وذلك لتفادي الإستمرار فيما سيؤدّي لامحالة في نهاية الأمر بهذا البنيان المتصدّع المتهاوي الى الإنهيار والدمار. فما يستحق الإبقاء عليه من التراث الباراسايكولوجي الغربي هو ذلك النزر اليسير من التجارب المختبرية الموثّقة والتي تناولت بالبحث التجريبي الرصين بعضاً من مفردات الظاهرة الإنسانية الخارقة وكذلك ما تم توثيقه، وفق معايير التدوين العلمي المنصف، وهو قليل، من ظواهر خارقة في أماكن حدوثها.

اِن أفضل ما ينبغي أخذه عن العلم الغربي هو تقنيّته المعاصرة، التي يستحيل بدونها اِحراز أي تقدّم في التعامل المعرفي الصائب مع ظواهر الكون ومع ما هو سوي أو خارق في الظاهرة الإنسانية، ومنهجيته البحثية الصائبة المستندة الى التجريب والاختبار. وبذلك يتجلى بكل وضوح أن ما يجب الأخذ به من منهج بحثي في دراسة هذه الظواهر كلها جميعاً هو المذهب التجريبي الإختباري الصارم الذي لا يسمح للنظرية بأن تقوده طالما كانت الغاية من وراء صياغتها محاولة قولبة الظاهرة قيد البحث أو التجربة قيد الدرس ضمن قالب تفسيري يجنح الى النمذجة المتجاوزة لكل ما يميّز الظاهرة أو التجربة وذلك بغية التوصّل قسراً وتعسُّفاً الى تنظير ميتافيزيقي لا علاقة له بما هو واقع!

اِن الدراسات الباراسايكولوجية في وطننا العربي، على ندرتها وقلّتها، قد نشأت على تقليد المنهج الباراسايكولوجي الغربي في التعامل مع بعض ما هو خارق في الظاهرة الإنسانية، وهي لذلك لم تقنع باستيراد مفرداته وطرق تعامله اللاعلمي مع الخوارق بل أقامت بنيانها الهش على غرار بنيانه الأكثر هشاشة فجعلت من ظواهره التي انشغل بدراستها ظواهرها التي تشاغلت بها عن ظواهرنا المميّزة لبيئتنا العربية المؤمنة فأولتها ظهرها وتنكّرت لها؛ بل وبلغ من اِجحافها في التعامل اللااخلاقي معها حد رميها بنعوت لم يجسر حتى أهل الغرب على رميها بها فنعتتها بأنها دجل وسحر وشعوذة وشعبذة وخرافات وجهالات وغير ذلك من أوصاف كان يجدر بها أن تتروّى قبل أن تطلقها فتزل

منها القدم الى درك هذه السفاسف والمجادلات والمماحكات اللفظية العقيمة التي لا طائل من ورائها. لقد بات ممّا يميّز كثيراً ممّن يحسبون أنهم مثقّفون في وطننا العربي هذا التحامل غير المُبرَّر والتهجُّم غير المُسوَّغ له على هذه الخوارق المجيدة المميزة للبيئة العربية المؤمنة التي قدَرها أن يلازمها الإيمان ملازمة العروبة لها مادامت اللغة العربية هي حبل الوصل ما بينها وبين الإيمان. لقد فات على مثقفي الباراسايكولوجيا عندنا أن فعاليات الشفاء الخارق للإضرار المتعمد إحداثه في الجسم التي يقوم بها دراويش بعض الطرق الصوفية هي ظواهر خارقة لا تستثني علماً من علوم عصرنا هذا من دون أن تخرقه لفرط مفارقتها لما هو بشري في الظاهرة الإنسانية الخارقة ولتحقّق انتمائها لما يتجاوز كل ما هو بشري. اِن التناول الصحيح لظواهر الشفاء الخارق للجروح عند الدراويش يجب أن يتم من بعد الأخذ بالإعتبار حقيقة كونها فعاليات تتميّز بحسٍ اخلاقي عالٍ وذلك خلاف ما هو ملاحظ على فعاليات مشابهة لها في الظاهر يقوم بها آخرون في أصقاع عديدة من عالمنا اليوم. فالملاحظ على هذه الفعاليات التي يستعرضها غير الدراويش انها أقرب ما تكون الى استعراضات السيرك والكرنفالات والمهرجانات الفولكلورية بينما يلاحظ الباحث المنصف أن فعاليات الدراويش ترتبط ارتباطاً عضويا حقيقياً بروح عقيدة الطريقة (التصوّف) والتي تمثّل للدرويش حياته كلّها. فهو لا يقوم بهذه الفعاليات اِلاّ ليبرهن على وجود قوة خارقة ما كان له أن ينجح في شفاء جروحه التي يحدثها عن عمد في جسمه أو جسم غيره من الدراويش لولا تدخّلها الخارق وقيامها هي، لا غيرها، بهذه الجراحة الدقيقة فائقة الذكاء والتي تكون نتيجتها الشفاء الفوري العاجل من دون مضاعفات ولا عقابيل. اِن النظر الى هذه الفعاليات يجب أن يتناولها في سياقها العام الذي لا ترد الا من خلاله وهذا السياق هو ما يصطلح عليه أهل الطريقة (المتصوّفة) بأنه الإرشاد الى رب العباد. فهم يقومون بهذه الخوارق للبرهنة على وجود الله سبحانه وتعالى في عصر يتباهى علمه المادي بانكاره للوجود الإلهي ويتفاخر بأنه العصر الذي شهد فجره موت الإله. خسأوا وخاب فألهم.

اِن الباراسايكولوجيا الغربية هي مثال على العلم النظري لهذا العصر الغربي الذي لا يرضى اِلاّ بأن يصف نفسه بأنه علم اِلحادي. ونحن لا نستطيع أن نأخذ عنه هذه الإلحادية التي تأبى ان تفارقه مادام هو على تكبّره الأرعن وغروره الأهوج اللذين خيّلا له أنه بحق السيد المطلق لهذا العالم! إننا نستطيع أن نبني باراسايكولوجيا خاصة بنا تكون أنموذجاً ناجحاً للغير يهرب اليه من بعد إياسه وقنوطه من انموذجه الشائه الأخرق الذي لا يعدو أن يكون فرانكنشتاين آخر لا مكان له اِلاّ على رفوف روايات الخيال العلمي!

وعليه، فان هذا الكتاب يدعو الى اِقامة باراسايكولوجيا عربية مؤمنة لتغدو المثل المحتذى به من قِبل باقي العلوم في عالم اليوم الذي يفاخر بأنه عالم بلا اِله!

2006/ 9/ 12

ملاحظة :

بامكان من يرغب من القراء الكرام بالتواصل مع المؤلف التراسل معه على عنوان البريد الألكتروني jmlhussein@yahoo.com

هل نستطيع القول إن ما بين أيدينا من حضارة، ممثَّلةً بوجهها الغربي عموماً والأمريكي خصوصاً، أو أية حضارة مستقبلية متطوِّرةً عنها وناشئةً مترقِّيةً من داخل منظومتها المعرفية والايديولوجية، هي الحضارة الكاملة الفاضلة التي لا ينبغي التفكير بوجود حضارة أخرى منافسة بديلة بوسعها أن تنشأ وتتطور وتترقى خارج منظومتها؟ واذا كان الأمر ليس كذلك، وذلك بسببٍ من الركود المعرفي، متجلياً في عدم تمكُّن مباحث العلم النظري المعاصر من الإفلات من تكرار واجترار ذات المقولات النظرية بصياغات إن هي تناشزت شكلاً فقد تماهت مضموناً، والانحطاط الآيديولوجي، كما يُجلِّيه واضحاً للعيان إيثارُ هذه الحضارة الدفع بالتي هي أسوأ من عدوانٍ وحربٍ وحصارٍ وتجويع وإرهاب دولة، وغياب العاصم القِيَمي، كما يُجلِّيه واضحاً للعيانِ إنسياقُ انسان هذه الحضارة وراء العاجل وإن كان فيه هلاكه، فكيف السبيل بالتالي الى حضارة جديدة تتجاوز ما تتميز به الحضارة القائمة، أو أي حضارة قادمة أخرى ناشئة عنها ومن داخل نظامها، من نقائص ونواقض تجلَّت واضحةً لعيان العامة قبل الخاصة؟ واذا كانت الحضارة القائمة، الغربية الأمريكية لامحالة، هي نتاج سلسلة متصلة الحلقات من ثوراتٍ تضرب بجذورها عميقاً في الزمان امتداداً الى زمن أول ثورة قام بها الانسان على بيئته قبل آلاف السنين، فهل نجاوز الصواب اذا ما قلنا إن السبيل الى حضارة جديدة بديلة، غير غربية وغير أمريكية بالضرورة، يكون بقيام انسان الحضارة القائمة بالثورة على نفسه؟ وهل يمكن لهذه الثورة إلا أن تكون ثورةً روحية لامحالة، وبكل ما تعنيه هذه الكلمة من اضطرار للنفس على ما تكره وحملها على التخلي عن كثير جداً من صفاتها الدنيئة وقسرها على التحلي بكثيرٍ آخر من الصفات القمينة بإنجاح السعي للارتقاء الى مصافٍ تتعالى على ما يشهد له واقعُ هذا الانسان من تناشز جلي بين حضارته المادية المتفوقة وفقره

الروحي المدقع؟ أسئلة كثيرة بإمكاننا أن نسترسل فنُلحقها بهذه التي تقدمت آنفاً، والاجابات عليها تتكفل بإيجادها رحلةٌ في الزمان الى الماضي البعيد تتبعاً لنشوء وتطور وارتقاء الجنس البشري ومروراً عاجلاً ببعض من أهم الثورات التي أثمرت تجليات حضاريةً ما كان للحضارة الغربية-الأمريكية المعاصرة أن تكون خاتمتها ووريثتها لولا اتصالها بعضاً ببعض. إن هكذا تتبُّع كفيل بجعلنا نتيقن من أن العلاقة جدلية، بالضرورة، بين الثورة والحضارة. وهذا صحيح على الدوام، سواء كان الزمان ليس ببعيد عن العصر الحجري أو كان زماناً مستقبلياً لم نشهد حلوله بعد. إن هذه العلاقة الجدلية بين الثورة على الواقع والحضارة قادرة على تقديم كل ما من شأنه أن يبرهن على أن الحضارة التي بين أيدينا في الغرب الأوروبي-الأمريكي لا يمكن أن تكون حضارة آخر الزمان (حضارة نهاية التاريخ) مادامت هكذا حضارة هي، بحكم التعريف، حضارة تمام مكارم الأخلاق قبل أن تكون حضارة سلاح. فهل تقدَّم انسان الحضارة المعاصرة حقاً مبتعداً عن أسلافه من سكان الكهوف؟ واذا كان التقدم مقياسه ما تسنى للانسان الحصول عليه من تقنيات وأدوات، فهل بوسعنا أن نقتصر على هذه وتلك ليُصار الى الحكم على حضارتنا المعاصرة بأنها أكثر رقياً حضارياً من "حضارة أهل الكهوف"؟ والآن لابد من القيام بهذه الرحلة الى البدايات ليتبين لنا عند انتهائنا منها أن الحضارة البديلة، اذا ما أردناها حضارةً فاضلةً كاملة، لابد وأن تكون ثمرة ثورة تسبقها وتؤدي بالضرورة اليها. وهذه الثورة، هذه المرة، سوف تكون ثورةً روحية كما تقدم آنفاً وهي، لهذا السبب بالذات، لن تكون غربيةً بالمعنى الذي يحدد هوية إيديولوجيتها الثورية وتراثها الثوري مادام الغرب مادياً والشرق روحياً كما شهد الشهود وتواترت الشواهد. فإنسان الحضارة المعاصرة، إلا ما رحم ربي، عاشقٌ لذاته مؤلِّهٌ لهواه عابدٌ لأناه عاجزٌ عن الالتفات بعيداً عن دائرة الوجود التي توهَّم أنه مركزها فجعل كل مفردات هذا الوجود تدور وتحلِّق في فلكه. وهو، لهذا السبب بالذات، يحتاج الشرقَ مدداً روحياً كفيلاً بجعله يعود عن هذا الغي ليشرع، من ثم، بالالتفات الى الواقع كما هو ويبحث عن الحقيقة

حيث هي. اذاً هي ثورةٌ روحية قادمة من الشرق مجالها ومضمارها حضارة الغرب القائمة بين أيدينا وثمرتها، هذه المرة، حضارة بديلة جديدة تستبقي خير ما في هذه الحضارة وتطّرح شر ما فيها، بالضرورة، وتتضمن، بكل تأكيد، ما بوسع الروح أن تطلقه من إبداعات. وهذا التلاقح الحضاري بين خير ما في الشرق وخير ما في الغرب لهو النتيجة الأهم لهكذا ثورة روحية على الغرب المادي.

لا تحتاج الثورة القرآنية على حضارتنا الحالية ما تحتاج إليه أية ثورة من الثورات التقليدية في حربها على "النظام" الذي تبغي ان تُحِل "نظامها" محله! فالقرآن العظيم ثورةٌ على الإنسان قبل ان يكون ثورة على اي من "أنظمته" السياسية والاجتماعية. لذا فليس من القرآن في شيء ان يُبادر مَن يحمله بكف اليد، لا بكف القلب، الى الثورة على الواقع فرضاً لأيديولوجية لم تأخذ من القرآن العظيم الا ما توهمته بغير حق انه يدعوها لذلك! فالقرآن العظيم لا يدعو لفرض الدين بقوة اليد بل بقوة ما تضمنه نصه الإلهي من علم وحكمة بمقدور الداعي الى الله ان يفيد منهما في صياغة خطاب دَعَوي كله حكمةٌ وموعظةٌ حسَنة ليس لهما الا ان يكونا له عونٌ في جداله للناس بالتي هي أحسن. وهذا هو لُب الايديولوجيا القرآنية القائمة على اساسٍ من الدعوة للفرار الى الله لا لفرْض وصاية دينية على الآخر تُلزِمه بوجوبٍ مشاركة الجماعة تأليهها الأحمق لِذاتها! فالمُلاحَظ على الغالبية العظمى من الدعوات التي تلهج السنتها بالقرآن العظيم، دون ان يغادر اللسان منها الى القلب، انها دعوات لا تلتزم الايديولوجيا القرآنية وذلك لفرْط تعلقها بايديولوجيات بديلة ابتدعتها عقولُ قادتها من بعد اطلاع عاجل على النص القرآني المقدس خُيل اليها معه انها قد اصبحت قادرة على الخروجٍ بتأويل لهذا النص الإلهي هو الحق الذي لابد من قتل كل من يعارضه! ان اياً من هذه الايديولوجيات لا تمت بصلة وصْل حقيقي للايديولوجيا القرآنية وذلك مادامت لا تلتزم بالنص القرآني التزاماً حرفياً يحول بينها وبينه اصرارُها على السماع لصوت "العقل الثوري"؛ هذا العقل الذي لا يرى في القرآن العظيم الا نظاماً سياسياً ينبغي إحلاله محل الانظمة السياسية القائمة! على اي حال يكفي هذه الايديولوجيات اللاقرآنية ضلالاً انها قد ناصبت الايديولوجيا القرآنية العَداء بإعراضها عن الدعوة الى الله كما حث

عليها النص القرآني المقدس. ولكن كيف لها ان تدعو الى الله باللسان وقلبُها مشغولٌ بما ينشغل به الثوار السياسيون في كل زمان ومكان! ان الثورة القرآنية ثورة على الإنسان، أي إنسان دون استثناء تُمليه الضروراتُ السياسية، قبل ان تكون ثورة على هذا النظام السياسي أو ذاك! فالقرآن العظيم يخاطب الفرد قبل الجماعة وهو يُعنى به حتى وهو يخاطب الجماعة. ان الفرد هو محور الاهتمام الإلهي بالجماعة وذلك على العكس مما يتوهم انصار تسخير الجماعة لتقديس فردٍ منها على حساب التعبد لله مادام هذا التعبد يتعارض وتأليه هذا الفرد! لقد ضلت هذه الايديولوجيات السبيل لأنها لم تؤمن بهذا القرآن الا كما آمنت الاقوام الخالية بما بين ايديها من كتابٍ لله ايماناً لا تريد له ان يتوطن القلب المشغول بغير الله على الدوام. ان الايديولوجيا القرآنية براءٌ من كل ايديولوجيا لا ترى القرآن العظيم الا كتاب سياسة واجتماع لا كتاباً الهياً لا علاقة له بغير الدعوة للفرار الجماعي الى الله قبل مجيء يوم تُبدل فيه الارض غير الارض والسمواتُ.

ولعل أقوى دليل على ضلال هذه الايديولوجيات اللاقرآنية هو سوءُ تعاملها مع الغرب فرداً وجماعة وحضارة. فهذه الايديولوجيات لم ترَ الغرب الا كما هو حقيق عليها ان تراه بعينها العاجزة عن النظر اليه كمشروع دائم للارشاد. وهذا ما حدا بها لأن تُبادل الغرب الكراهية والاحقاد المتأججة بنارٍ النفوس وهواها الاهوج! فلو انها بادرت الى الغرب دعوةً للفرد فيه والجماعة للفرار الى الله لَما كان حال العالَم اليوم غير ذي الحال؟! ولكنها، وكما تبين لنا، ايديولوجيات لا علاقة لها بالقرآن العظيم حتى يكون لها ان تدعو غيرها اليه! ان هذه "الايديولوجيا الدينية اللاقرآنية" هي استمرار على ذات النهج غير السوي الذي شقه افراد هذه الامة بعصيانهم لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوم ان خطب فيهم واودعهم مقولته الخالدة "اللهم هل بلغت اللهم فاشهد". فهذا العصيان قد تجلى في نكوصهم عن الدعوة الى الله لا الى سواه وبإصرارهم على تأليه أنفسهم مادام ذلك لا يُطالبهم بالتعبد لله! ان عجْز الايديولوجيات الدينية اللاقرآنية عن التعامل الصائب مع الغرب قد سبقه ومهد له عجْزٌ مماثل عن

التعامل الصائب مع النفس عجزاً تجلى في هذا الإمعان في غي الخوض في ظلُمات العبودية لها ولهواها الأخرق. فلو انها استقامت كما أُمرت اَما كان بمقدورها ان تُلزِم الغرب بالانصياع لنور الله وهو يتجلى على الطريق الإلهي اليه؛ هذا الطريق الذي كان يتوجب عليها ان تَغُذ السير عليه حتى يكون لها ان تأمر فتُطاع؟! ان الغرب فرد قبل ان يكون جماعة، فلماذا لا تعي هذه الايديولوجيات ذلك؟! ولكن كيف لها ان تعي ذلك وهي خائضة حتى الاذنين في مستنقع التصارُع السياسي على هذه الدنيا؟! ان السبيل الوحيد امام هذه الايديولوجيات الضالة للنجاة من عذاب الله في الدنيا والآخرة يكمن في عودتها الفورية الى القرآن العظيم التزاماً صادقاً بنصه الإلهي المقدس وعملاً دؤوباً على مدار الساعة لتعويض ما فاتها من خير كانت ستناله لو انها لم تنشغل عن الله بهواها تعبداً صادقاً للنفس وفراراً مخلصاً من الله! وهذا السبيل هو فرصتها الاخيرة للامساك بدفة العالم السائر، معها وبسببها، الى هاوية الجحيم. فهل تُراها عاقدة العزم على الاخلاص لله فتبادر الى تصحيح المسار والفرار من فورها الى الله ام انها قد استحلت الطَواف حوالي اوثان النفس وهواها جرياً على ما لم تألف سواه منهجاً في التعبير عن اصرارها على الابتعاد عن الله؟! ان الثورة القرآنية لا تحتاج ايديولوجيات استوردت نظام تعاملها مع الآخر من الآخر حتى يكون لهذه الايديولوجيات دور في الحضارة الجديدة القادمة عما قريب بإذن الله.
فالايديولوجيا القرآنية مكتفية بنص القرآن العظيم؛ هذا النص الإلهي المقدس الذي لم ترْعه هذه الايديولوجيات الدينية اللاقرآنية حق رعايته واتخذته ظِهْرياً بهذا الانجراف المقيت وراء أبواق الدنيا إعراضاً عن السير على الطريق الإلهي اليه دعوةً للناس الى الله لا الى سواه. ان الحضارة الجديدة قرآنيةٌ لامحالة وهي حضارة كلها ثورةٌ على النفس دون قيد أو شرط ومن غير استثناءات تُمليها عليها هذه الجهة أو تلك انسياقاً وراء الالتزام بغير الاستقامة كما امر الله بها. وهذه الثورة القرآنية على النفس لا حاجة لها بمَن لا يملك الا سلاح الثوار في يده وقلبه خالٍ من الايمان بالله أو الرغبة الصادقة في الحصول على هذا الايمان على

اسوأ تقدير! لذا فان الايديولوجيا القرآنية لن تكون ايديولوجيا لأية ثورة إنسانية على أي نظام سياسي في مشارق الارض ومغاربها. فالايديولوجيا القرآنية هي ايديولوجيا الثورة الإلهية على النفسِ الإنسانية في كل زمان ومكان، وهي ابداً لن تكون يوماً اداةً بيد مَن اغفل الله قلبه عن ذكره وإن كان لسانه لا يلهج بغير آي الذكر الحكيم! لذا فان الغرب والشرق على حد سواء في التعرض لهذه الثورة القرآنية القادمة عما قريب لامحالة باذن الله. فالثورة الالهية، بايديولوجيتها القرآنية المتجاوزة للزمان والمكان والعِرْق والحضارة والنظام السياسي، ثورة على الإنسان اينما كان وفي كل زمان. وهي، بعدُ، ثورة بيضاء بمعنى الكلمة فلا قيام لها على اساسٍ من الدم والنار كما هو دأب ما بين ايدينا من ثوار لا يعرفون غير لغة القتل والتصفيات الجسدية! ان القرآن العظيم ابعد ما يكون عن هكذا ثورات واصحابها مادام كتاباً الهياً لاشك في صادق نسبته لله عائديةً وانتماءً ومرجعية. والآن اما وقد تبين لنا ما تعنيه الثورة القرآنية على الإنسان، فان الوقت قد حان للتعرض لبعض تفاصيل الحضارة الجديدة؛ هذه الحضارة التي ستتكفل الثورة القرآنية بالتأسيس لها لا على انقاض حضارتنا الحالية كما يتوهم اعداؤها السياسيون ولكن على انقاض النفس الإنسانية الحالية لا قتلاً لها كما يتمنى هؤلاء واولئك من اعداء الله ولكن احياءً لها من بعد موتها هذا الذي لا نريد الاقرار به على الرغم من نتن رائحته التي زكمت انوفنا وأدمت عيوننا! ان الحضارة الحالية ليست كلها شر كما يتوهم الحمقى من اعداء الله! فالحضارة المعاصرة مزيج من شر وخير لا سبيل للتفريق والتمييز بينهما الا بالسير على الطريق الإلهي الى الله يداً بيد القرآن العظيم رائد الثورة الإلهية على النفس الإنسانية في كل زمان ومكان. ان القرآن العظيم هو المعيار الوحيد لتمييز ما هو نافع مما هو ليس بنافع من هذه الحضارة. لذا فان الايديولوجيا القرآنية هي الوسيلة الوحيدة التي بوسعها ان تُمكن من يروم اختبار ما بين ايدينا من حضارة وذلك بغية نبذ واطراح كل ما ليس بقادر على ان يكون له دورٌ في الحضارة الجديدة. الا ان هذا الاطراح لا يعني ان ننبذ الوسائل التي

اتاحت لنا الحصول على ما لا نفع حقيقياً من ورائه! ولنأخذ مثالاً على ذلك العلم النظري ومؤسساته القائمة وأفراده العاملين فيها ليل نهار على صياغة تفسير عقلي للواقع العلمي.

فاذا كان العلم النظري المعاصر عاجزاً عن التوصل لصياغة وصفٍ علمي لحقيقة ما يحدث في الظواهر التي يدرسها، واذا كانت محاولاته العاجزة هذه لا قيام لها الا على اساسٍ راسخٍ من ميتافيزيقا لا علاقة لها بهذا الواقع أو بأي واقع آخر منظور ام مستترٍ عن الأنظار، فان هذا كله لا ينبغي ان يجعل من الحضارة الجديدة تستبعد العلماء النظريين خارج مشروعها الحضاري وذلك لأن هؤلاء العلماء بمقدورهم القيام بما لا يستطيعه غيرهم. ان منظري العلم المعاصر سوف يكون بامكانهم الافادة من الايديولوجيا القرآنية في صياغة نماذج نظرية جديدة بمقدورها ان تُقدم تفسيرات صائبة لما يحدث في هذا الوجود. لذا فان الثورة القرآنية على الحضارة المعاصرة لن تعمل على إخراج علمائها النظريين الا من ظلمات النماذج النظرية للعلم المعاصر الى نور التفسير الصائب لأحداث الواقع؛ هذا التفسير الذي لا قدرة للعلم الإنساني على التوصل اليه الا باعتماده القرآن العظيم اساساً لمنظومته الفكرية. وهكذا نرى ان بالامكان تلخيص ما تعنيه الثورة القرآنية على العلم النظري المعاصر بالحقيقة التالية: ان القرآن العظيم لا يطالب العلماء النظريين الا بنبذ نماذجهم النظرية الحالية مقابل تزويدهم بكل ما من شأنه ان يُعينهم على الخروج بنماذج نظرية بديلة يكون بوسعها التصدي لظواهر الوجود تأويلاً وتفسيراً ليس لهؤلاء العلماء ان يتوصلوا اليهما انطلاقاً من خط شروع لا يُقر بالإعجاز المعرفي لهذا القرآن. فالعلماء النظريون وحدهم مَن يملك الأدوات الفكرية التي بمستطاعها ان تنجز صياغة النماذج النظرية الكفيلة بالتعامل التفسيري مع ظواهر الوجود. وهم اذا ما عجزوا عن ان يكون تعاملهم التفسيري مع هذه الظواهر تعاملاً صائباً، وذلك بسببٍ من الانطلاقة المعرفية الخاطئة التي تحتم عليهم القيام بها جراء إعراضهم عن القرآن العظيم وانشغالهم بالخوض في متاهات الخَبال الإنساني

المُنظم، فان هذا لا يُحتم وجوب ان لا يكون بمقدورهم على الاطلاق ان يُحسنوا التعامل التفسيري مع ظواهر الوجود وذلك اذا ما هم التزموا هذا القرآن منهاجاً وحيداً للعبور الى حقيقة ما يحدث في الوجود. اذاً فالثورة القرآنية لن تُقوض اركان الحضارة الحالية باطراحها للعلم النظري الحالي خارج السُوح المعرفية للحضارة الجديدة! فكل ما في الأمر انها سوف تعمل على تصحيح اتجاه سير منظري هذا العلم وذلك حتى يكون بمقدورهم اتخاذ وجهة جديدة لا تقودهم الا الى الحق.

ولكن ماذا بشأن العلم التجريبي - الاختباري، هل سيناله من شرار الثورة القرآنية على حضارتنا الحالية شيء؟

ان الناظر الى واقع حال البحوث التجريبية-الاختبارية المعاصرة لا يستطيع ان يتغافل ويتغاضى عما ألحقه العلمُ النظري المعاصر بهذه البحوث من إصابات حتمت عليها وجوب التقوقع داخل المتاهات النظرية التي قام هذا "العلم" بنسجها من وحي خيالاته وخَبالاته. فالعلم التجريبي-الاختباري المعاصر يرزح تحت نَيّر هذه القيود الميتافيزيقية التي تحول دون ان ينطلق الى امام مستكشفاً هذا الواقع كما يتجلى لنا ظواهراً وتجارباً واختبارات تريد النظريةُ ان تكون الوصية عليها كلها جميعاً حتى لا ينشغل هذا العلم بما ليس له الا ان يتعارض ومفردات منظومتها المعرفية. لذا فان ثورةً على هذا الظلم الفادح الذي اوقعه العلم النظري المعاصر بساحة العلم التجريبي-الاختباري المعاصر قد اصبحت ضرورةً قصوى مادام هذا الواقع غنياً بظواهر وأحداث تعجز المنظومةُ النظرية للعلم المعاصر عن استيعابها داخل قوالبها التفسيرية الضيقة وطالما كانت هذه المنظومة حجر عثرة يعيق انطلاق المنظومة التجريبية-الاختبارية للعلم المعاصر على طريق استكشاف الوجود كما يتجلى للعقل الإنساني. وهذه "الثورة الضرورة" ليس لها من قيام الا على اساسٍ من الانضواء تحت راية الإعجاز المعرفي للقرآن العظيم؛ هذا الإعجاز الذي وحده بمقدوره ان يُوجه اقسى الضربات للعلم النظري المعاصر. فالايديولوجيا القرآنية وحدها مَن يملك

ان يجابه هذا العلم بكل ما من شأنه ان يُقسر منظومته النظرية على إشهار افلاسها المعرفي وهي تُواجَه بالإعجاز المعرفي للقرآن العظيم. لقد قام العلم النظري المعاصر بفرض وصاية مطلقة على ظواهر الوجود حتى ما عادَ بوسع احد ان يطالب العلم التجريبي-الاختباري بالاهتمام بظاهرة ما طالما كانت هذه الظاهرة تُناقض ادعاءات المنظومة النظرية للعلم المعاصر. لذا فان الثورة القرآنية على هذا العلم سوف تتكفل بتحرير الواقع من براثن هذه المنظومة ليُصبح بامكان العلم التجريبي-الاختباري الانطلاق على طريق الاهتمام المعرفي بظواهر هذا الواقع دون استثناء أو انتقاء تُمليه نظريةٌ ما! كما ان هذا التحرير لكامل "التراب الواقعي" من سيطرة المنظومة النظرية للعلم المعاصر سوف يؤمن للعلم التجريبي-الاختباري التحرر من تخبطه الاهوج وراء هذه المنظومة الخرقاء في سعيها المحموم للبرهنة على صواب ما جاءت به من خَبالات وخرْص واوهام! فالعلم التجريبي-الاختباري اليوم عاجزٌ عن ان ينشغل بكثير من وقائع الوجود لفرْط تقيده بالبحث عن موجودات المنظومة النظرية للعلم المعاصر؛ هذه الموجودات الميتافيزيقية التي جاءت بها هذه المنظومة من عندياتها لا من هذا الواقع أو من غيره من العوالم المختفية تحت الرُكام! ان تحرر العلم التجريبي-الاختباري المعاصر من سيطرة المنظومة النظرية للعلم الذي بين ايدينا اليوم سوف يجعل منه ينطلق بأقصى سرعة على الطريق الصحيح؛ هذا الطريق الذي حجبته عنه هذه المنظومة بإصرارها على جعله لا ينظر الى الوجود الا من خلال موجوداتها الميتافيزيقية. وهذا التحرر رهنٌ بانصياع العلم التجريبي-الاختباري لأوامر الايديولوجيا القرآنية طالما كانت هي ايديولوجيا الثورة على المنظومة النظرية التي طالما اذلت هذا العلم وحالت دون ان يمارس صلاحياته على ارض هذا الواقع. ان الايديولوجيا القرآنية وحدها مَن بوسعه ان يجعل من التقنية المعاصرة تنطلق صوب آفاق جديدة ليس لها ان تبلغها الا باخلاصها السير على ضوء ما تكشفه لها من عيوب منهجية في العلم النظري المعاصر وما تقوم بتوجيه الانظار اليه من ظواهر طالما عانت من ظلم هذا "العلم".

فالتقنية المعاصرة اسيرة العلم التجريبي-الاختباري المعاصر والذي هو بدوره اسير العلم النظري المعاصر. لذا فان الانطلاق بالتقنية كما نعرفها اليوم الى آفاق المستقبل لن يكون الا بتحريرها من أسرها الذي تحتم عليها ان تعاني منه جراء فرض الوصاية عليها من قِبَل المنظومة النظرية للعلم المعاصر. ان الثورة القرآنية على العلم المعاصر كفيلةٌ بتحرير العلم التجريبي-الاختباري الذي بين ايدينا من سيطرة منظومته النظرية؛ هذه المنظومة التي سوف يتحتم عليها ان تواجه ايديولوجيا هذه الثورة وان تنتصر عليها اذا ما هي ارادت الاحتفاظ بسلطتها المُدعاة على تقنية العصر ومباحثه الاختبارية-التجريبية! ولكن انى لها ذلك وهي لما تصل بخيالها الجامح الا الى قبض الريح والاكتفاء بالسراب دون الحقيقة؟! ان الايديولوجيا القرآنية ثورةٌ معرفية على العصر بمعارفه وعلومه وتقنياته مادامت هذه كلها جميعاً قد ارتضت لنفسها ان تخضع لسطوة العلم النظري المعاصر. وهذه "الايديولوجيا الالهية" هي حبل الانقاذ الذي ان تشبثت به حضارتُنا الحالية كان لها ان تنجو الى اعظم حضارة بمستطاع الإنسان إبداعها وان اَعرضت عنه كان في ذلك هلاكها المحتوم مادامت الايام حُبلى بكل ما هو كفيلٌ بتقويض أركان الحضارة التي بين ايدينا على رؤوس أهليها لفرْط إصرارها على الايغال في الابتعاد عن الله بأقصى سرعة وبكل وسيلة يُتيحها لها العلم المعاصر بمنظومته النظرية الملحدة! لنتصور سويةً ما ستكون عليه الحضارة الجديدة القائمة على اساسٍ راسخ من الايديولوجيا الالهية: ايديولوجيا القرآن العظيم. فهي حضارة علمُها النظريُّ علمٌ جديد بكل ما تعنيه الكلمة مادام هذا العلم لا علاقة له بالعلم النظري كما نعرفه اليوم. وهذا "العلم النظري الجديد" مستندٌ بكل قوة الى الايديولوجيا الجديدة، ايديولوجيا القرآن العظيم، طالما كانت الايديولوجيا الوحيدة التي بمقدورها التصدي بنجاح لجميع المشاكل المعرفية التي لم يتمكن العلم النظري الحالي من التوصل لحلول لها تُميط اللثام عن الغموض الذي يأبى ان يفارقها. وهذا العلم النظري الجديد، بعدُ، هو علمٌ يتطلب مشاركة العلماء النظريين لحضارتنا

المعاصرة وذلك من بعد ان يقوموا بنبْذ وهجْر النماذج النظرية التي أدمنوا تأليهها والطواف حولها بكل خضوع وخشوع. فالعلم النظري الجديد لا قيام له الا على اكتاف هؤلاء العلماء الذين وحدهم يملكون مفتاح التعامل النظري مع احداث الوجود. الا ان ما يجب ان يكون واضحاً ها هنا هو استحالة تمكن العلم النظري الجديد من استعمال هذا المفتاح وبما يؤمن له ان يكون بمقدوره صياغة نماذج نظرية صائبة ما لم يقم بالانطلاق من خط شروع مستند للايديولوجيا الإلهية كما جاء بها القرآنُ العظيم محتواةً في صريح آياته البيناًت. والحضارة الجديدة، أيضاً، حضارةٌ تقنيتهُا مُستقاة من التقنية المعاصرة؛ هذه التقنية التي سوف تكفل لها الايديولوجيا القرآنية تحررها بالكامل من سيطرة المنظومة النظرية للعلم المعاصر ليتسنى لها العودة الى ما حجبته عنها هذه المنظومة من وقائع وظواهر وأحداث وليتحقق لها الانطلاق بعيداً عن خَبالات وخيالات لا وجود لها خارج عقول منظريها! ان الحضارة الجديدة، بايديولوجيتها القرآنية وتقنيتها القائمة على اساس من تقنية الحضارة المعاصرة، ليس للمرء ان يصفها الا بأنها "عنقاءُ آخر الزماًن" وذلك طالما كانت حضارة متجددة لا تهرم ولا تشيخ. فهي بحق حضارة الشباب الدائم والحياة الابدية مادامت هي حضارة الآخرة في هذه الحياة الدنيا وطالما كانت آخر حضارة سوف تشهدها الارض قبل إشراق يوم الحساب. وكيف لا تكون حضارة الشباب الدائم والحياة الابدية وهي حضارة ايديولوجيتها قرآنيةٌ وإنسانها مُجِد في سيره على الطريق الإلهي الى الله؛ هذا الطريق الذي لا طريق آخر سواه بمستطاعه ان يصل بمَن يغذ السير عليه منضبطاً بضوابطه الإلهية الى الجنة حيث لا موت ولا شيخوخة بل حياة ابد الدهر وشباب الى الابد؟! ان عنقائية الحضارة الجديدة حق لاريب فيه طالما كان القرآن العظيم جوهر ايديولوجيتها الالهية. لذا فان الساعين وراء هذه العنقاء الخالدة لن يجدوها سراباً، اذا ما هم اخلصوا السعي طلباً لها، بل حقيقةً قائمة قادمة عما قريب بإذن الله. فهل نكون من هؤلاء المحظوظين دنيا وآخرة ام تُرانا لا يحلو لنا الا السير وراء الاوهام والاباطيل مادامت لا تطالبنا بغير العبودية لغير الله؟!

أبستمولوجيا الخوارق

قد يبدو مصطلح "أبستمولوجيا الخوارق" لأول وهلة غريباً بعض الشيء! إذ تستدعي كلمة "الأبستمولوجيا" إلى الذهن كل ما له علاقة بذلك المبحث من نظرية المعرفة ذي الصلة بتقصي وسائط المعرفة والادراك وامكانية الوصول إلى الحقيقة بشأن ما يحدث في هذا الوجود وماهية المعارف المستحصلة بوسائل التنظير والتجريب على اختلاف مقارباتها. كما أن كلمة "الخوارق" تستدعي إلى الذهن كل ما هو ذو صلة بما يتجاوز المعرفة الحالية من نظريات سائدة صيغت لتفسر الكم الأكبر مما يحدث حولنا من ظواهر وتجارب. إلا أن التفحص الدقيق لكلتي الكلمتين مفض بنا لا محالة إلى استبيان حقيقة مؤداها أن هذين المصطلحين، "الأبستمولوجيا" و"الخوارق"، إذا ما هما تشاركا لنحت مصطلح آخر جديد هو "أبستمولوجيا الخوارق" فان ذلك أمر مسوغ له ومشروع معرفياً طالما كانت الخوارق ظواهر تحدث كما تحدث غيرها من ظواهر الوجود التي تم الاصطلاح على الاشارة اليها بأنها ظواهر غير خارقة. إذ ما الذي يميز الظواهر الخارقة عن غيرها من ظواهر الوجود غير الخارقة ان لم يكن هذا الذي تمتاز به الخوارق هو استعصاؤها على ما تأتى لنا الوصول إليه من أنساق تفسيرية قولبنا داخلاً منها ظواهر الوجود الأخرى غير الخارقة؟ وهنا مربط الفرس، فليس هناك من تناقض حقيقي بين المصطلحين، "الأبستمولوجيا" و"الخوارق"، مادامت الأبستمولوجيا هي وسيلتنا المعرفية لمقاربة الخوارق بغية استكناه طبيعتها المميزة لها والتي تجعل منها ظواهر تند عما تحقق لنا الوقوع عليه من ضابط رابط يجمع بين ظواهر الوجود الأخرى. إن الوقت قد حان لإيلاء الخوارق ما تستحقه من اهتمام معرفي من لدُنا، لعل أول مفرداته إرجاعها إلى حومة نظرية المعرفة ليتبدى لنا ما بمستطاع هذه النظرية أن ترفد به المشروع العلمي الساعي إلى دراستها بحثاً فيما يميزها واستقصاءً لمدياتها

وتدبراً في الآفاق التي بوسعنا أن نبلغها إذا ما نحن وفقنا للإلمام بمعارف جديدة هي وسيلتنا الوحيدة لجعل الخوارق في متناول يد التنظير الصائب المستند إلى منظومة معرفية، مؤمنة لا محالة، وذلك بالانطلاق من خط شروع فكري جديد يتجاوز خطوط الشروع السائدة. إن خطوط الشروع هذه ينبغي أن يُستخلص منها كل ما هو جدير بالإبقاء عليه واطراح ما هو جدير بأن يكون بائداً غير فاعل ولا مؤثراً مادامت الأيام قد برهنت لنا وبما لا يقبل الشك أننا لم نصل انطلاقاً من هكذا منطلقات إلا إلى التوغل عميقاً داخل ظلمات الجهالة وغيبيات التنظير غير الصائب.

ان الناظر إلى الوجود بقلبٍ غير أعمى لن يستطيع رؤية ظواهره كما يراها اصحاء البصر ممن لا قدرة لديهم على النظر بغير عين الرأس. فالنظر العادي عاجز عن التوقف عند الظواهر والتدبر فيها دون القيام بالتهامها بفكي هذا العقل الذي يستسهل "عقلنة" ما تراه العينان على مجرد "التفكر" في المرئي بعيداً عن إفساد محتواه ومضمونه بشوائب لا تنتمي اليه! كما ان العين الإنسانية دأبها النظر إلى وقائع الوجود متوسلةً بضوء هذا العقل الذي سبق له وأن أوهمها بأنه وسيلتها الوحيدة للإبصار السليم في عالم لا يكفي نورُه الفيزيائي لجعل اشيائه مرئية! لذا لم يكن بوسع الإنسان استعمال عينه في النظر إلى أحداث الوجود دونما تدخلٍ سافرٍ من عقله، فلكأنه يرى الاشياء بعقله لا بعينه! والعقل هنا فعالية للدماغ الإنساني تتجاوز الوظيفة الفسيولوجية لمادته البايولوجية. فهو لا يكتفي بدوره في عملية الإبصار، كمفردة من مفردات المنظومة البصرية البشرية، بل يتجاوزه إلى دور لا علاقة له بالرؤية من قريب أو بعيد وذلك لتعلقه بتأويل عقلي للمرئي يتجاوز مفرداته كما تبصرها العينان! لذا لم يكن للإنسان إلا أن يُعمل عقله في النظر إلى أحداث الوجود بعينه التي لن يعود بمقدورها ان تراها خالصةً من "أحكامه السابقة للرؤية". وهذا هو السبب في عجْز الإنسان عن تصديق ما يراه بعينيه مادام عقله غير قادر على تصديق المرئي لفرْط تناقضه مع هذه الاحكام العقلية السابقة للرؤية. ومن هنا نستطيع ان نتلمس السبب في

انكار الإنسان لوجود "الظواهر الخارقة للعادة"؛ هذه الظواهر التي أصدر عقله حكماً قاطعاً باستحالة وجودها مادامت تخرق منظومته الفكرية التي تعجز عن عقلنة وتأويل ما يحدث فيها من خرْق بين لمفرداتها المعرفية. فحتى لو نجحت "ظاهرة خارقة" ما في استيقاف نظر الإنسان فان عقله سرعان ما سيبادر إلى اطراحها جانباً خارج مدى رؤية العين التي سبق لها وان ابصرت هذه الظاهرة تحدث اماماً من ناظريها! فلأن نسبة حدوث "الظواهر الخارقة للعادة" واطئة للغاية مقارنةً بالظواهر غير الخارقة، والتي تحدث كل حين وعلى الدوام، قام العقل البشري ببناء منظومته الفكرية مستعيناً بظواهر الوجود شائعة الحدوث مستبعداً بذلك تلك الظواهر التي تمتاز بأنها ذات حدوث نادر التكرار. لذا لم يكن بمقدور هذا العقل النظر إلى ظواهر نادرة الحدوث بعين تراها كما ترى ظواهر الوجود التي يتكرر حدوثها على الدوام. ولقد فاقم في عجْز العقل عن رؤية "الظواهر الخارقة للعادة" انها ظواهر تستفز أحكامه التي أطلقها من بعد ترسخ اعتقاده بأوحدية الظواهر التي شيد من مادتها صرح بنيانه المعرفي. فلأنها الظواهر الاكثر حدوثاً على الإطلاق لم يكن امام هذا العقل إلا أن يُعمم احكامه القاضية باستحالة وجود ما يناقضها وذلك بوجود ظواهر تتناقض وهذه الظواهر شائعة الحدوث. فلو ان هذه الظواهر لم تنفرد بمعامل تكرارية مرتفع بالمقارنة بما يناقضها من ظواهر لا يتكرر حدوثها دائماً لما كان بمستطاع العقل البشري التذرع بمناقضتها هذه وذلك للتدليل على استحالة حدوثها! فعندها كان العقل سيخرج لا محالة بنتيجة مفادها ان الظاهرة ونقيضها في الحدوث سواء. إن الحكم العقلي باستحالة حدوث ظاهرة ما نقيضة لظاهرة أخرى لا يستند لغير ندرة حدوث الظاهرة النقيضة مقارنةً بشيوع حدوث الظاهرة المُناقَضة!

فلو ان ظاهرةً خارقةً كظاهرة السير على النار لم تكن نادرة الحدوث، مقارنةً بظواهر الاحتراق بالنار والتي تتصف بتكراريتها العالية للغاية، لما تم اعتبارها ظاهرةً خارقة ولما تسنى للعقل البشري التوصل إلى تعميم مؤداه ان النار محرقة لا محالة. إن حدوث ظاهرة ما بنسبة واطئة هو السبب وراء نظرة العقل لها على

انها ظاهرة مستحيلة وذلك طالما كان حدوثها يتناقض مع حكم اطلقه هذا العقل بشأن ظاهرة أخرى تحدث على الدوام باستحالة حدوث نقيضها. والآن اما وقد تبين لنا ان "استحالة" حدوث ظاهرة ما هي رهنٌ بمعامل تكرار حدوثها فان حدوث الظواهر الخارقة للعادة لم يَعُد بالأمر المستحيل!

لقد بالغ الإنسان في ثقته المطلقة بقدرة عقله على التوصل إلى أحكام صائبة تُتيح له الاطمئنان إلى صواب نظرته للوجود. ولقد وقع الإنسان في وهم قاتل خُيل إليه معه أن عقله هذا عاجز عن قول ما ليس بصواب وانه قادرٌ بعقله هذا على اصدار ما شاء من الاحكام التي تقضي باستحالة حدوث أية ظاهرة تتناقض مع ظاهرة أخرى جعل منه حدوثُها المتكرر عاجزاً عن تخيل نقيضها. والا فكيف نُفسر هذا الاصرار الجماعي على التمسك بالثوابت العقلية التي تقضي بعدم جواز التفكير بوجود ظواهر تناقض الظواهر المألوفة؟! ولماذا يطالبنا المشككون بوجود الظواهر المناقضة لما نألفه من ظواهر الوجود بوجوب العودة لهذه الثوابت المرجعية التي توهموا بأنها ذات وجود حقيقي اِن لم يكن خارج عقل الإنسان فداخله لا محالة؟! إن عقل الإنسان عاجز عن التيقن المطلق من صواب هكذا ثوابت وذلك عن طريق الاستعانة برصيده من الظواهر المألوفة التي يكفي للتشكيك في قدرتها على تشكيل البنيان المعرفي لهذه الثوابت المرجعية انها ظواهر لا تتمتع بحدوث متفرد وذلك على قدر تعلق الأمر بحدوث ما يناقضها من ظواهر غير مألوفة وان كان حدوث هذه الاخيرة لا يتمتع بمعامل تكرارٍ عالٍ للغاية. لقد اتضح لنا إذا ان ليس هنالك من استحالة موضوعية تُجوز لنا الاطمئنان إلى احكام منطقية، سابقة للملاحظة أو التجربة، تقضي بعدم جواز التفكير بوجود ظواهر غير مألوفة تتناقض والظواهر شائعة الحدوث في هذا الوجود.

والآن وبعد ان تبين لنا ان لا منطق بمقدوره الحكم باستحالة حدوث ظاهرة تُناقض ظاهرة أخرى "اعتدنا" على النظر اليها على انها الظاهرة-القانون في هذا الوجود، فهل لنا ان نخرج من حومة الجدل هذه إلى أرض الواقع لنتعرف على ما تقوله أحداثُ هذا الواقع بخصوص ما يحدث فيه من ظواهر. فهل هناك

حقاً ظواهر غير مألوفة تُناقض المألوف الذي استقر عليه حال الوجود كما يعيه الإنسان بعقله العاجز عن إبصار ما يُناقض منظومته المعرفية الا بشق الانفس؟! إن الاجابة على هذا السؤال لن تكون سهلة كما يتمنى المؤمنون بوجود الظواهر غير المألوفة والمنكرون لها على حد سواء! إن "الظواهر الخارقة للعادة" تستدعي من الباحث فيها أن يكون اولاً وقبل كل شيء متجرداً، قدر الامكان، من أية احكام مسبقة قد تعيقه عن النظر الصائب والحكم السليم. وهذا التجرد ليس هو الآخر بالأمر اليسير! فالعقل البشري، وكما لاحظنا، مُغرم بالنظر إلى الوجود لا ليرى ما فيه ولكن ليرى ذاته فيه! لذا لم يكن بوسع الإنسان ان يفيد من أداته المعرفية هذه في رؤية ما يحدث حوله بعين لا تستبعد من مدى رؤيتها ما يرفضه هذا العقل لتناقضه مع ثوابته المرجعية؛ هذه الثوابت التي توهم لها وجوداً خارج مادته الدماغية. إن إجماع البشر، في معظم الازمان وأغلب الاماكن، على النظر إلى "الظواهر الخارقة للعادة" بعين لا تراها الا وفقاً للمنظومة الفكرية السائدة، في مكان وزمان مُعينين، جعل من هذه الظواهر تفقد قدرتها على ايصال الرسالة التي خُلِقت لتُبلغها للإنسان على هذا الكوكب.

ان هذا المقال يوجه دعوة للفكر البشري للكف عن النظر إلى ظواهر الوجود قاطبةً بعين ثوابته المرجعية التي طالما أعمته عن رؤية الحقيقة لفرط هَوَسها المَرَضي بالنظر إلى ذاتها! فلكأن الوجود، بكل ما فيه من موجودات وكائنات، مرآة عملاقة ما خُلِقت الا لينظر فيها الإنسان فلا يرى الا نفسه. فهل ينتبه الإنسان من غفلته هذه ليعود إلى الوجود من بعد تحطيمه لهذه المرآة الشريرة التي اشغلته عن النظر إلى غير ذاته ليتسنى له بذلك رؤية الآخر بدل رؤية نفسه؟! إن الدعوة للتدبر في الوجود بعين لا تراه مجرد مرآة هي دعوة للتحرر من أسر كثير من الثوابت المرجعية التي أعمتنا عن رؤية الحق. وهي، بعدُ، "دعوة للعودة إلى الوجود" من بعد طول ابتعاد عنه. لقد تُهنا عن الوجود في متاهات حتمها علينا دوامُ نظرنا في المرآة التي أوهمتنا انها الوجود بعينه!

فهل من"عودة إلى الوجود"من بعد هذا الاغتراب الطويل الذي ما عادَ علينا الا بما جعل منا نرزح تحت نير عبوديتنا لانفسنا ونحن ننظر إلى الوجود فلا نرى سواها؟! إن الدعوة لاعادة الاعتبار للظواهر غير المألوفة، وذلك بالنظر اليها بغير عين الثوابت المرجعية وأحكامها السابقة للملاحظة والتجربة، هي دعوة "لاعادة صياغة هذه الثوابت" وذلك من بعد النظر إلى ظواهر الوجود بعينٍ جديدة تراها دون تمييز عرقي يُصنفها إلى "أغلبية" و"أقلية" وفقاً لشيوعٍ حدوثها أو ندرته. إن "اعادة صياغة الثوابت المرجعية للعقل الإنساني" هي السبيل الوحيد للعودة إلى الوجود من بعد التيه والشتات في ظلُمات النفس وعشق الذات! فالدعوة للتدبر في هذه الظواهر هي دعوة "لتأسيس منظومة معرفية جديدة"لا تعجز عن النظر إلى أية ظاهرة لهذا السبب أو ذاك من الاسباب ذات الصلة بالثوابت المرجعية للعقل الإنساني. إن عودةً كهذه إلى الظواهر الخارقة للعادة سوف تكفل للفكر البشري ولوج عالم جديد لم يسبق لنا وان تعرفنا إليه من قبل. وهذا العالم لا يكتسب جِدته لفرْط عجائبية وغرائبية هذه الظواهر فحسب بل هو جديد بمعنى الكلمة لأنه الوجود وقد عُدنا إليه بعقل جديد لا قدرة له على النظر إلى غير وقائعه وأحداثه وظواهره. إن حضارةً جديدة تنتظر هكذا عقل حُرٍ من كل ثوابت لا علاقة لها بالوجود كما خُلِق لنتعرف إليه ونعرفه! اَفلم يأنِ للإنسان ان يعود إلى الوجود؟ اَفلا يكفيه غُربة عن هذا العالم الذي خُلِق لينظر إليه فيراه على ما هو عليه في واقع الامر؛ عالماً آخر ليس عالم ذاته ونفسها المريضة؟! الا يجدر بالإنسان ان يتحرر من ربقة عبوديته لهذه النفس التي لا تريده لسواها؟! إن هذا المقال إذ يدعو إلى الاستعانة بالظواهر الخارقة للعادة، من بعد رؤيتها بعين سليمة، "لإعادة بناء المنظومة العقلية للفكر البشري" فانه لا يطالب بما هو مُعجِز. فهكذا "اِعادة بناء" لا تتطلب غير نبذ ما بين ايدينا من ثوابت مرجعية ثبت لدينا عجزها عن رفدنا بما هو صائب إذ أقنعتنا بعدم وجود ظواهر غير مألوفة بامكانها ان تخرق المنظومة المعرفية التي سبق لها وان قامت بتشييدها على اركان استبعادها لكل

ما يُناقض ظواهر الوجود شائعة الحدوث. والآن حان الوقت لنتدبر في "نظرة عين العقل" إلى الظواهر الخارقة للعادة وذلك كما بامكاننا الوقوع على أمثلة حية عليها بقيامنا بقراءة واقع اهتمام الفكر البشري بهذه الظواهر من خلال مرورنا بصورة عاجلة بثلاث مراحل لهذا الفكر اختيرت لا على التعيين زماناً أو مكاناً أو تعاقُباً. لنبدأ بنظرة الاقوام البائدة لهذه الظواهر والتي كانت في زمانهم خليطاً من ظواهر شتى امتزج فيه الحق بالباطل بسببٍ من ظهور السحر ونزول تقنيات الاتصال بالقوى غير المنظورة وارسال الانبياء مؤيدين بمعجزات خرق الله لهم بها حجاب العادة والمألوف. وهنا لن نتوسع ونستفيض في الحديث الا عن أمر واحد غريب للغاية! فبينما انكر الاقوام المُبادون ما جاء به الانبياء المُرسَلون عن الله الذي أيدهم ببرهان آياتٍ بيناتٍ ليس بوسع العقل إلا أن يسجد صاغراً للقوة التي أحدثتها، نجد ان هؤلاء المنكرين انفسهم قد اتبعوا كهنتهم وسحرتهم الذين جاؤوهم بسحر عجيب وظواهر غير مألوفة بالغة الغرابة. فلِمَ كُذب الانبياء ولِمَ لم يُكذب السحرة والكهنة؟ لقد طالب الرسُلُ أقوامهم بالعودة إلى الله والخضوع له عبادةً وتقوى بينما لم يطالب الكهنةُ أقوامهم بغير قليل من المال والاحترام! فهل لنا بعدُ ان نعجب لإنكار هؤلاء وجود العجائب والغرائب مادامت هذه وسيلةً يستعين بها الرسول لالزامهم بوجوب التذكر والتدبر ومن ثم الرجوع إلى الله؟ فالسحرة لم يطالبوهم بعبادة مرهقة وتقوى خالصة كما فعل الانبياء المُرسَلون فلِمَ إذا ينكرون عجائب الكهنة وسحرهم؟ لقد كان حظ الانبياء من اقوامهم السخرية منهم وإنكار ما أيدهم الله به من خوارق للعادات بينما كان حظ السحرة مكانة متميزة وتصديقاً لما جاؤوا به من كذب وبهتان. فهل لنا إلا أن نعجب لهذا الإنسان وعقله الذي فُتن به عن ان يتدبر في ما يراه من الوجود بعين لا تراه كما يهوى ولكن على ما هو في واقع الأمر عليه؟!

والآن، لنتدبر مثالاً معاصراً على سوء تعامل إنسان حضارتنا الحالية مع الظواهر الخارقة للعادة. فالملاحظ على إنسان هذه الحضارة انه يتعامل مع ظواهر الوجود غير المألوفة بازدواجٍ سافرٍ يتجلى بكل وضوح في تذبذبه في الحكم

على حدوثها بين إنكار له وايمان به وذلك وفقاً للكيفية التي تُعرض بها هذه الظواهر اماماً من ناظريه. فهو يُصدق بوجودها إذا ما كان تصديقه هذا لا يتطلب منه غير ما تقتضيه دواعي الإثارة والتشويق في افلام الرعب والخيال العلمي وذلك طالما كان في هذا امتاعٌ له وتسلية يُغادر بهما واقعه الرتيب الذي يعجز عن رفده بغير ما هو مُضجِر ومُمل! اما ان كان تصديقه بوجود الظواهر الخارقة للعادة يستدعي منه اِعادة نظر في موقفه اللاأُبالي من أحداث الوجود وطريقته المُثلى في الحياة العابثة فيه، فان إنسان هذه الحضارة لن يجد أمامه من مهرب من هكذا مواجهة اضطُر اليها سوى بتكذيب مَن اورد له أحاديث هذه الظواهر واِن كان الناقل هو من الشهود الثِقاة الذين نادراً ما يجود بهم الزمان! فالظواهر الخارقة للعادة موجودة مادامت لا تغادر سياق الاثارة والتشويق إلى سياق آخر يُذكر الإنسان فينا بما كان الانبياء المُرسَلون يُسمِعون أقوامهم من حق انزله اللّه مُؤيداً بتلك العجائب التي خرق لهم بها ستار الثوابت المرجعية للعقل البشري؛ ذلك الستار الزائف الذي توهم ناسجوه انه الرداء الذي لا قدرة للوجود على نزعه. إن الإنسان فينا هو ذاته إنسان الحضارات المُبادة وان تسلح بمخالب نووية وانياب ليزرية! فهو يظن، كما ظن اسلافه في القرون الخالية، ان الوجود عارياً من الثياب التي اَلبسها له عقلُه البشري لا وجود له. والا فكيف نفسر إذا ما سنراه في المرحلة الثالثة والتي اخترناها من داخل حومة ميدان "الباراسايكولوجيا"؛ هذا العلم الذي استُحدث ليقوم بمهام رصد ودراسة الظواهر الخارقة للعادة وذلك بتفسيرها، بدايةً وقبل كل شيء من بعد النظر اليها بعين العقل البشري وثوابته المرجعية التي قام الإنسان بصياغتها من مادة واقعه المتكون بصورة اساسية من ظواهر الوجود شائعة الحدوث فحسب؟ فلقد قام "علم الباراسايكولوجيا" بالبحث في مضمار الظواهر غير المألوفة منطلقاً من خط شروع أَملته عليه ظروفُ نشأته بين ربوع الافكار التي افرزتها المنظومةُ المعرفية للعلم النظري السائد. ولقد أوجبت عليه افكارُ هذه المنظومة النظرية ضرورة النظر إلى ظواهر الوجود نادرة الحدوث بمنظار انتقائي سمح له باقتطاع

جانب بسيط من جوانب عالَم الظواهر الخارقة للعادة. ولم يكن مسموحاً له بالتالي اجتزاء ما يشاء من ظواهر حتى وان كانت تتميز بأنها ظواهر خارقة لما اَلفه العقل البشري. كما ان وجوب انصياعه للبُنية النظرية للعلم المعاصر حتم عليه النظر إلى القليل جداً من الظواهر التي قام بدراستها بعين لم تستطع ان ترى فيها الا برهاناً على صواب النموذج التفسيري الذي طُرح على انه الوصف الحقيقي الوحيد لما يحدث في هذه الظواهر. لذا لم يكن لـ "الباراسايكولوجيا" إلا أن تتوهم الإنسان مصدراً وحيداً للطاقة الفيزيائية التي يتطلبها حدوث الظواهر الخارقة للعادة التي قامت بدراستها. ولقد جعل هذا الوهم منها عاجزةً عن ان تتناول بالبحث أية ظاهرة تتناقض وذلك التفسير العاجز بدوره عن التعليل المُقنع لما يحدث في القليل من الظواهر التي استُقدِم ليفسرها. لذا وجدت "الباراسايكولوجيا" نفسها في مأزق معرفي لم يسبق لعلم نظري وان عانى منه على امتداد مسار الفكر الإنساني. فـ "الباراسايكولوجيا" لم تقُم بدراسة كل ما بالإمكان الوقوع عليه من ظواهر خارقة، وهي لم تستطع ان تقنعنا بتفسيرها المُبتسر للقليل جداً من الظواهر غير المألوفة التي قامت بدراستها. ناهيك عن انها أرادت ان تفرض وصاية مطلقة على الظواهر الخارقة للعادة عموماً وذلك باستبعادها لغيرها من العلوم والمعارف التي بالإمكان الافادة منها في التقرب معرفياً من هذه الظواهر. لذا لم يكن امام الباحث عن حقيقة ما يحدث في الظواهر غير المألوفة غير ان يزاور عن هذه "الباراسايكولوجيا" كحل لمشكلة هذه الظواهر وان يحاول ان يمد لها يد العون لتفيق من غرورها الذي زين لها فشلها نجاحاً وركودها المعرفي تطوراً وارتقاءً! إن المطابقة ما بين الظواهر الخارقة للعادة كمشكلة تبحث عن حل و"الباراسايكولوجيا" كحل لهذه المشكلة لا تستند إلى أساس سليم سواءً كان بتلمس واقع هذه الظواهر كما بالإمكان الوقوع عليه ملاحظةً وتجريباً أو بتحسس حال هذا "العلم" كما يُجليه التمعنُ في بُنيته المعرفية. لذلك توجب على الباحث عن حقيقة ما يحدث في "الظواهر الخارقة للعادة" التوقف عن النظر إلى "الباراسايكولوجيا" على انها جودو Godot

الذي طال انتظاره ليقوم بالانتصار لهذه الظواهر المنبوذة وذلك بانصافها تقبلاً وتفسيراً!

ان التعمق في دراسة عالم الظواهر الخارقة للعادة حري بأن يحدو بنا إلى التفكير بضرورة التنازل عن مصطلح الباراسايكولوجيا، حتى وان تم تحويره إلى "باراسايكولوجيا جديدة" أو "باراسايكولوجيا عربية مؤمنة" أو "باراسايكولوجيا خبراتية"، وذلك لقصور هذا المصطلح عن استيعاب ما يحدث في الظاهرة الخارقة عموماً. وهذا هو السبب الرئيس الذي يجب أن يدفع بنا إلى ضرورة القيام بنحت مصطلح جديد هو "علم خوارق العادات أو البارانورمالوجيا" ليكون العلم الذي يقوم بدراسة الظواهر غير المألوفة في هذا الوجود.

والآن، لنحاول سويةً استعراض اهم ملامح هذا العلم الجديد الذي هو بحق وسيلة الإنسان الوحيدة للولوج إلى عالم جديد بظواهره غير المألوفة وظواهره المألوفة من بعد القيام بالنظر اليها من زاوية جديدة مخالفة لزاوية نظر العلم النظري المعاصر بمنظومته المعرفية القائمة على التفسير الإلحادي لظواهر الوجود.

ان اول ما يتوجب على هذا العلم الجديد ان يتقيد به هو ضرورة الابتعاد عن كل ما من شأنه ان يجعل منه نسخة أخرى للباراسايكولوجيا بصيغتها الحالية. فلابد وأن يقوم هذا العلم بوضع ضوابط منهجية جديدة تحول دون وقوعه في ذات الاخطاء التي جعلت من باراسايكولوجيا أواخر هذا القرن علماً زائفاً Pseudo Science بعيداً كل البعد عن كل علم من علوم العصر! لقد كان على السايكولوجيا (علم النفس) ان تُنجب الباراسايكولوجيا لتقوم بدراسة الظواهر غير المألوفة وذلك على قدر تعلق الأمر بالجوانب السايكولوجية لهذه الظواهر اِن وجدت. ولكن السايكولوجيا، وللاسف الشديد، لم تكن هي الأم التي قامت بإنجاب الباراسايكولوجيا وذلك على الرغم من تشدق هذه الأخيرة بأنها الإبنة البارة بوالدتها السايكولوجيا! فالباراسايكولوجيا تحاول إلصاق نفسها قسراً وعنوةً بعلم النفس، وذلك عن طريق قيامها بتفسير الظواهر الخارقة

للعادة، التي شغلت نفسها بها، وفقاً لما تقول به النظرياتُ السايكولوجية. وهي بذلك تظن، واهمةً ولاشك، انها قد نجحت في محاولاتها لاثبات بُنوتها وصلتها بعلم النفس. لكن الباراسايكولوجيا كانت قد ولدت من رَحَم آخر الا وهو رحم الدراسة المختبرية التي كان يقوم بها باحث مختص بعلم بايولوجيا النبات هو (جوزيف راين) في مضمار بعض القابليات البشرية الخارقة. لم يكن اختيار راين مُوفقاً لمصطلح الباراسايكولوجيا ليصف به "العلم الجديد" الذي أراد له ان يقوم بدراسة قابليات خارقة تتجلى في ظواهر الادراك بغير وساطة الحواس المألوفة وظواهر "التحريك النفسي للاشياء". لقد كان على راين ان يقوم باشتقاق مصطلح لا علاقة له بعلم النفس وذلك لتكون "للعلم الجديد" القدرة على السير في الأرض الجديدة Terra Nova بحرية واستقلالية تبعدانه عن اية محاولة لفرض الوصاية على ظواهره الجديدة من قِبل نظريات السايكولوجيا التي أصبحت، بموجب التسمية الباراسايكولوجية لهذا العلم الجديد، أماً له على الرغم من عدم حملها به! ولكن لمَ اختار راين تسمية الباراسايكولوجيا ليصف بها علمه الجديد؟ لقد توهم راين بظنه ان علم النفس هو العلم المختص بدراسة القدرات البشرية ادراكية كانت أم تحريكية! لذا كان عليه ان يعزو ما رآه في ظواهر الادراك بغير وساطة الحواس الخمس وظواهر "التحريك النفسي للاشياء" إلى وجود قدرات غير تقليدية للنفس البشرية تستدعي بالضرورة ايجاد فرع جديد لعلم النفس يُعنى بدراسة هذه القدرات غير السايكولوجية! ولكن مَن قال بأن علم النفس(السايكولوجيا) هو حقاً علم دراسة القدرات البشرية التقليدية حتى تكون الباراسايكولوجيا هي علم دراسة القدرات البشرية غير التقليدية؟! إن دراسة ادراك الاشياء وتحريكها، ليست قصراً على علم النفس حتى يكون "ما وراء علم النفس" هو العلم المختص بدراسة "ما وراء القدرات التقليدية" على الادراك والتحريك! فالطب، بعلومه المتعددة، والفيزياء وعلم النفس شركاء كلهم جميعاً في دراسة هذه الظواهر وذلك من دون أن تكون هنالك وصاية تُفرَض عليها من قِبل أي من هذه العلوم. إلا أن

راين لم يدرك هذا عندما قام بنحت مصطلح الباراسايكولوجيا في محاولة فاشلة منه لتعريف العلم الذي ينبغي تأسيسه ليقوم بدراسة ظواهر الادراك غير التقليدي والتحريك غير المألوف للاشياء. إذا لم تكن تسمية الباراسايكولوجيا لتدل على المُسمى الذي برز للوجود بدراسة راين لهذه الظواهر الخارقة للعادة! فلقد اكتشف راين جانباً من واقع غير مألوف سبق لآخرين الوقوع على جوانب أخرى منه، إلا أنه لم يُحسن صياغة المصطلح الذي يَصلُح لوصف العلم الجديد الواجب تأسيسه لدراسة هذا الواقع غير المألوف. كانت هذه إذا خلاصة موجزة لظروف نشأة الباراسايكولوجيا كتسمية خاطئة اُريد لها ان تكون الاسم الدال على هذا العلم الجديد! لقد أخطأ راين، الذي تبعه في هذا الخطأ آخرون كثيرون يتعذر حصرهم، حين ظن بعلم النفس الجديد الذي أراد أن يكون من رواده القدرة على الاحاطة المعرفية المطلقة بالظواهر الخارقة للعادة التي كانت محور دراسته المختبرية. فعلم النفس عاجز عن فرض وصايته المعرفية المطلقة على أية ظاهرة من ظواهر السلوك البشري حتى يكون لعلم النفس الجديد (الباراسايكولوجيا) هكذا وصاية مطلقة على ما هو خارق للمألوف من هذه الظواهر! إلا أن الباراسايكولوجيين نهجوا في دراستهم للظواهر الخارقة التي اهتموا بها نهجاً أملته عليهم هذه الاعتقادات الباطلة والتي سولت لهم إبعاد كل العلوم الأخرى عن الميدان لا لشيء الا لأنهم هم اهل الدراية والمعرفة بكل ما له علاقة بهذه الظواهر وذلك من دون إسناد شرعي لهكذا وصاية انتحلوها ظلماً وعدواناً. إلا أن الباراسايكولوجيين، وفي غمرة فرحهم بعلمهم الزائف الجديد، فاتهم ان يدركوا انهم ما اتبعوا الا الضلالة حين اتخذوا لانفسهم هذه الصنعة التي لا علاقة لها بالعلم من قريب أو بعيد! فما يقومون به من دراسة لا علاقة لها بالباراسايكولوجيا اولاً وقبل أي شيء. فالعلم الذي نشأ على انه باراسايكولوجيا لا علاقة له بالباراسايكولوجيا كتسمية تفيد الدلالة على علم يبحث في الظواهر غير المألوفة من زاوية نظر سايكولوجية! اننا في حقيقة الأمر وواقعه لم نحظَ حتى يومنا هذا بعلم تنطبق عليه تسمية الباراسايكولوجيا بهذا المعنى المحدد

الفحوى والدلالة! فما بين ايدينا من علم يدعي انه باراسايكولوجيا ما هو الا تخبط لتيارات فكرية شتى في ظلمات بعضها فوق بعض! ولكننا مرغمون على اعتبار هذه التيارات علم باراسايكولوجيا وذلك لشيوع الخطأ وتواتره حتى اصبح هو الصواب المُلزِم بوجوب الاخذ به على انه الحق الذي ليس وراءه الا الباطل. اننا ننتظر ولادة الباراسايكولوجيا لتحل محل هذا الخليط العجيب من الافكار والذي أشاع في الاجواء انه الباراسايكولوجيا! ولكن ما هي هذه الباراسايكولوجيا المنتظرة التي آن اوان ولادتها وذلك بقيامنا بتحديد السمات المميزة للعلم الجديد الذي نريد له أن يكون علماً، حقيقياً هذه المرة، يدرس الظواهر الخارقة للعادة دون استثناء أو استبعاد لأية ظاهرة ودون إبعاد وإقصاء لأي علم بمقدوره ان يقول الحق في حق هذه الظواهر؟ إن الباراسايكولوجيا التي ننتظر لها ولادةً عاجلةً هي تلك التي ظن وتوهم راين ومن تبعه من الباراسايكولوجيين انهم قد استحدثوها وهم ما قاموا الا باستحداث مبحث فكري جديد، بكل تأكيد، إلا أنه غير باراسايكولوجي دون أي شك! فالباراسايكولوجيا هذه يجب أن تكون بحق "علم نفس الظواهر الخارقة للعادة" وليس شيئاً آخر على الاطلاق! فما بين ايدينا من باراسايكولوجيا مُدَعاة تريد ان تكون شيئاً آخر لا مجرد علم نفس يدرس الظواهر الخارقة للعادة مستعيناً بحقائقه السايكولوجية. إن الباراسايكولوجيا التي ننتظر هي المُسمى الذي لم يقم راين بصناعته وتأسيسه كما قام بصياغة وتأثيل الاسم الذي أراد له ان يدل على العلم الذي يجب أن يُعنى بدراسة تجاربه غير المألوفة! إن ما درسه راين كان شيئاً آخر ولم يكن باراسايكولوجيا. لقد ظلت تسمية الباراسايكولوجيا تبحث عن مُسمى وذلك منذ ان نحتها راين وتوهم انها هي الاسم الذي يدل على علمه الجديد! والآن إذا كنا ما نزال في انتظار ولادة الباراسايكولوجيا، كعلم نفس يدرس الظواهر الخارقة للعادة وليس كعلم زائف كحال الباراسايكولوجيا المعاصرة اليوم، فماذا نفعل بالتراث الفكري الذي صنعته اجيال الباراسايكولوجيين وهم يظنون بأنهم يدرسون الظاهرة الخارقة دراسة باراسايكولوجية؟! هل نأخذ به على انه حق اُخطأت تسميته أم ننبذه كُلاً

وجزءاً بلا تمحيص؟! إن الدعوة موجهة أيضاً لهذه الباراسايكولوجيا المُدعاة لتكون هي أيضاً طرفاً، وليس أكثر، من الاطراف المعرفية التي تقوم بدراسة الظواهر الخارقة للعادة ولكن من بعد ان تكف عن محاولة اقناعنا بأنها صاحبة الوصاية المطلقة على هذه الظواهر! إن الأمر يستدعي إذا ان تتخلى عن اسمها كباراسايكولوجيا مادامت لا تقنع بأن تكون مجرد علم نفس الظواهر الخارقة للعادة وذلك ليعود الحق إلى صاحبه الشرعي. فالباراسايكولوجيا الحقيقية هي صاحبة الحق الشرعي في هذا الاسم وذلك مادامت هي علم نفس الظواهر الخارقة للعادة. والظواهر الخارقة للعادة هي صاحبة الحق الشرعي في أن يكون لها علم يدرسها بما تستحقه وليس بما يمليه عليها من حقوق له يتوجب عليها العمل بموجبها! اننا بانتظار باراسايكولوجيا جديدة لتكون هذه المرة بحق هي الباراسايكولوجيا الحقيقية لا الزائفة. والآن، ومن بعد فراغنا من امر هذه التَرِكة الثقيلة التي أرهقتنا بمُسمياتها وتسمياتها وقديمها وجديدها، وبعد ان ادركنا ان الباراسايكولوجيا، كإسم يدل على مسمى هو علم نفس الظواهر الخارقة للعادة، لا وجود له حتى يومنا هذا، فان علمَي "الباراسايكولوجيا المعاصرة" و"البارانورمالوجيا" كليهما مدعوان للمشاركة في تأسيس العلم الجديد مع باقي العلوم ذات الصلة بدراسة هذه الظواهر.

لقد اضطرتنا الظواهر الخارقة للعادة إلى التفكير بضرورة استحداث علم جديد يستوعبها كلها جميعاً دونما انحياز لفئة وذلك على حساب الانشغال عن فئة اخرى. ولقد أخذنا ندرك ضرورة الا يكون هذا العلم باراسايكولوجيا بالمعنى الحرفي لهذا المصطلح. كما اننا تلمسنا ضرورة قيام جمهرة من العلوم بتناول هذه الظواهر بالدراسة المنهجية والبحث العلمي كل حسب تخصصه وذلك من دون أن يقوم أي من هذه العلوم بفرض وصايته المطلقة عليها كما فعلت "الباراسايكولوجيا" منذ نشأتها وحتى يومنا هذا. والآن، إذا كانت هذه الباراسايكولوجيا المدعاة بعيدة عن ان تكون اسماً على مُسمى كما سبق وان رأينا قبل قليل، واذا كنا بانتظار ولادة الباراسايكولوجيا كفرع لعلم النفس

مختص بدراسة الظواهر الخارقة للعادة دراسة سايكولوجية ليس الا، فهل لنا ان نستنتج اننا أيضاً بانتظار ولادات أخرى لعلوم أخرى غير علم النفس؟ فاذا كان على الطب ان يبادر إلى دراسة الظواهر الخارقة للعادة وذلك على قدر تعلقها بالمنظومة البايولوجية للإنسان فان هذا يستدعي وجوب تأسيس فرع جديد لعلم الطب يتوجب علينا اولاً وقبل كل شيء المبادرة إلى تسميته تسمية مناظرة لتسمية الباراسايكولوجيا. فاذا كانت هذه لا أكثر من "علم نفس الظواهر الخارقة للعادة" فان الفرع الطبي الجديد، والذي هو "علم طب الظواهر الخارقة للعادة"، يجب أن يُصار إلى تسميته باراطب أو Paramedicine. وهكذا تتوالى التسميات الأخرى لفروع العلوم الاخرى. فعلم اجتماع الظواهر الخارقة للعادة والذي يقوم بدراستها وفقاً لما بإمكان علم الاجتماع ان يرفدنا به عن طريق تناولها بمنظار منظومته المعرفية التخصصية هو الباراسوسيولوجيا Parasociology. وعلم فيزياء الظواهر الخارقة للعادة والذي يقوم بدراسة هذه الظواهر وفقاً للطاقة المستهلكة في عملية حدوثها هو البارافيزياء أو Paraphysics. وعلم انثروبولوجيا الظواهر الخارقة للعادة والذي يبحث فيها من زاوية علم الإنسان هو البارانثروبولوجيا أو Paranthropology. إن هذه الفروع الجديدة من العلوم المختلفة التي ينبغي علينا اِشراكها في دراسة الظواهر الخارقة للعادة سوف تستدعي بالضرورة ان يُصار إلى تسمية العلم الناشيء من جراء عملية اجتماعها وتشاركها هذه. إن العلم الجديد الناشيء عن اشتراك فروع العلوم التي تم ذكرها، والتي لم يتم، في دراسة هذه الظواهر هو "علم الظواهر الخارقة للعادة". وأنسب تسمية لهذا العلم الجديد، المتكون من هذا العدد الكبير من الفروع العلمية الجديدة، هي الباراعلم أو Parascience. إذا نحن الآن بانتظار ولادة هذا العلم الجديد بفروعه الجديدة التي ينبغي على كل علم يملك ان يقول شيئاً بشأن الظواهر الخارقة للعادة الاسراع إلى استحداث ما يُمكنه من المشاركة في دراستها. فنحن ننتظر ولادة الباراسايكولوجيا والباراسوسيولوجيا والبارانثروبولوجيا والباراطب والبارافيـزياء وحتى البارافـينوميـنولـوجـيـا

Paraphenomenology علم ظواهر الظواهر الخارقة للعادة! والآن ومن بعد فراغنا من هذا الواجب الذي تُمليه علينا ضرورةُ تحديد المصطلحات التي يتوجب على العلم الجديد استقدام مسمياتها لتكون لها مادةً وفحوى، فان الواجب يُحتم علينا ضرورة القيام بمراجعة المصطلح المستخدم للدلالة على الظواهر التي يدرسها هذا العلم الجديد هي ذاتها!! فالظواهر الخارقة اوصلتنا إلى هذا الادراك لقصور المعرفة الإنسانية الحالية عن تناولها بالتفسير والتأويل المقنعَين. وهي الآن، من بعد نجاحها هذا في ايصالنا لهذه المرحلة الحاسمة في مسار تطور وارتقاء الفكر البشري، يتوجب عليها ان تتخلى عن دورها الذي قامت بتأديته بكل اتقان وذلك بقيامنا بالتخلي عنها مصطلحاً وليس مسمى تدل عليه! فمصطلح الظواهر الخارقة هو الآخر لا يملك ما يجعل منه متفقاً مع واقع هذه الظواهر وحقيقة ما يحدث فيها. فهذه الظواهر لا تخرق الطبيعة كما تُلزمنا بالقول بذلك التسميةُ الانكليزية Supernatural phenomena؛ هذه التسمية التي كانت الاصل الذي تفرع بالترجمة إلى مصطلح الظواهر الخارقة للطبيعة. فما يحدث في هذه الظواهر لا يمكن النظر إليه على انه يُمثل خرقاً للطبيعة وذلك كما توهم واضعو المصطلح والمتواضعون على استخدامه بهذه الدلالة الملحدة الكافرة! فما يحدث في هذه الظواهر يمثل خرقاً بيناً لما ألفناه واعتدنا عليه؛ أي لمنظومتنا المعرفية فحسب! لذا فلا صحة للقول بما يتوجب علينا القول به إذا ما نحن واظبنا على استعمالنا الخاطيء لمصطلح الظواهر الخارقة؛ هذا المصطلح الذي ينبغي علينا التوقف عن استعماله من بعد نجاحنا في الافادة منه، على قصوره والنقص المتبدي عليه، في توصلنا إلى ضرورة قيامنا باستحداث علم جديد يتناول ما يحدث في هذه الظواهر بالدراسة الجادة والبحث الرصين. إن خير معين لنا في حيرتنا حيال هذه الظواهر هو فكرنا العربي المؤمن الذي لم يرَ فيما يحدث فيها ما يوجب التردد في تسميتها على ما هي عليه حقاً؛ أي خوارق للعادات. فخير تسمية لهكذا ظواهر تخرق المألوف الذي اعتدنا عليه واصطلحنا على اعتباره مادة منظومتنا المعرفية الإنسانية هي "خوارق العادات". فالعلم

الجديد الذي ينبغي عليه دراسة ما يحدث في خوارق العادات هو "علم خوارق العادات" وأنسب ترجمة لهذا المصطلح العربي المؤمن هو Paranormalogy البارانورمالوجيا.

ان البارانورمالوجيا Paranormalogy هي العلم الذي بالإمكان وصفه بالانكليزية على انه The science of the paranormal. وعليه، فان الباراسايكولوجيا سيكون بالإمكان وصفها على انها علم نفس خوارق العادات Psychology of the paranormal وهكذا تتوالى تسميات بقية فروع للعلم الجديد Parascience ليصبح بمقدورنا تعريف البارافيزياء - Par physics على انها فيزياء خوارق العادات physics of the paranormal االباراسوسيولوجيا Parasociology على انها علم اجتماع خوارق العادات - s ciology of the paranormal والباراطب على انه علم طب خوارق العادات medicine of the paranormal والبارفينومينولوجيا على انها علم ظواهر خوارق العادات phenomenology of the paranormal. والآن، هل من منافع أخرى بإمكان هذا العلم الجديد ان يعدنا بها ان نحن بادرنا إلى تأسيسه وفق الضوابط المنهجية التي يقتضيها علمٌ جديدٌ بظواهر غير مألوفة؟ لِنَقُم بتلخيص ما أفادنا به هذا العلم ونحن بعدُ في طور الدعوة لتأسيسه! لقد لفت علم خوارق العادات البارانورمالوجيا Paranormalogy انظارنا إلى وجوب قيامنا بمراجعة منهجية للبُنى المعرفية التي تتشكل منها الثوابت المرجعية للفكر البشري وذلك ليتسنى لنا اعادة النظر في موقعنا من الوجود وما فيه من موجودات من بينها هذا الإنسان! فهذا العلم الجديد هو ليس مجرد دراسة جديدة لظواهر لم يسبق وان قامت بدراستها منظومةٌ معرفية خالصة من الدوغمائيات التي تُمليها على الفكر الإنساني بشريتُه ورغبتُه في إسباغ بشريته هذه على كل ما في الوجود. كما انه لا يكتفي بمجرد الدعوة لتأسيس بُنيته المعرفية باشتراك لفيف من العلوم التخصصية التي يدعو لتأسيس فروع لها تختص بدراسة خوارق العادات كل حسب اختصاصه المعلوماتي وبُنيته المعرفية. فهو ليس

مجرد دعوة لتأسيس البارانورمالوجيا والباراسايكولوجيا والباراسوسيولوجيا والبارانثروبولوجيا والبارافيزياء والباراطب و... إلى آخره من العلوم الجديدة. فعلم خوارق العادات Paranormalogy هو، اولاً وقبل أي شيء، علم ايماني بمستطاعه تقديم البرهان الحاسم الذي يملك ان يقطع بوجود الله وجوداً فوق كل شك أو تشكيك وذلك بدراسته للظواهر غير المألوفة التي ترافق السير على الطريق إلى الله؛ هذه الظواهر التي تعجز معارفُنا عن تفسيرها وفقاً لمنظوماتها النظرية الملحدة وذلك لفرْط خرْقها للاسس التي استندت اليها هذه المنظومات المعرفية في دراستها للظواهر المألوفة في هذا الوجود. كما ان علم خوارق العادات (البارانورمالوجيا) يمثل دراسة للظاهرة الإلهية في مجال جديد لتجليها واضحةً دونما ريب أو لبس. فالظاهرة الإلهية، المتجلية في الوجود بظواهره شائعة الحدوث، لا تملك ان تُلزِم المتشكك بوجود الله سبحانه وتعالى بالقول بأن الله موجود لا محالة. بينما يتوجب على هذا المتشكك الايمانُ بوجود الله وذلك إذا ما جُوبه بالظاهرة الإلهية متجليةً في خوارق العادات وذلك لأن القول بوجود الله هو وحده الذي يملك ان يحطم الغموض المطبق الذي يكتنف هذه الظواهر غير المألوفة فائقة الخارقية والتي بالإمكان على الدوام إحداثها وتوليدها شريطة التزام الإنسان بالسير على الطريق الإلهي إلى الله وفقاً لضوابطه المنهجية.

نحو تفسيرٍ مؤمن للظواهر الخارقة

يظن كثير من الناس ان قيام العلم بتفسير ما يحدث في هذا الوجود كفيلٌ بجعلنا نُعرِض عن الايمان بوجود اله خالقٍ لهذا الوجود وذلك مادام هذا التفسير العلمي يستبعد بالضرورة أي تدخلٍ إلهي في إحداث ما يَحدث فيه! لذا نجد ان كثيرين قد اُخِذوا بروعة التفسير العلمي إلى حد الافتتان به عن ادراك ما يعتور هذا النهج غير السوي في التفكير من أخطاء منطقية، بل وحتى ابستمولوجية، تطال صيرورته وتكونه. فتوفر تفسيرٍ ما لظاهرة معينة لا يُلزمنا بضرورة الأخذ به على انه الوصفُ الحقيقي لما يحدث فيها! إن ما يجب أن يكون واضحاً بهذا الخصوص هو ان الظاهرة قيدَ الوصف شيءٌ وأياً من التفسيرات التي بامكاننا القيام بصياغتها، وصفاً لما يحدث فيها، شيءٌ آخر. فليس بالضرورة أن يكون تفسيرٌ معينٌ لما يحدث في ظاهرةٍ ما هو الوصف الحقيقي لهذه الظاهرة! لذا فان توفر التفسير العلمي لظاهرة ما ليس بمقدوره ان يُلزمنا بوجوب الاخذ به على انه تفسيرُها الممكن الوحيد. فوجود هكذا تفسير علمي لا يُحتم عدم تواجد تفسيرات أخرى مُنافِسة مُتناقضة فيما بينها! إن أي تفسير نختاره على وجه التحديد لا يستطيع ان يجعل منا مُلزَمين بضرورة استبعاد غيره من التفسيرات التي تُقاسمه امكانية أن يكون أي منها هو التفسير الحقيقي. فاذا كان التفسير العلمي لظواهر الوجود يتناقض كلياً مع التفسير الواجب الأخذ به على انه الوصف الحقيقي لما يحدث فيها جراء كونها نتاج الفعل الإلهي، الذي يستعصي على الإنسان ان يدركه لفرط لطافته وتخفيه، فان هذا التناقض حقيقةٌ لا ينبغي انكارها! كما ينبغي علينا ان ندرك ان لا سبيل على الإطلاق للقيام بأي عمل بُغية التوفيق بين هذين التفسيرين المتناقضين وذلك طالما كان واحدهما ليس له من قيام الا باستبعاد الآخر! فأية محاولة للتوفيق بين التفسير العلمي لظواهر الوجود والتفسير الحقيقي لها محكومٌ عليها بأنها لن تنجح إلا في خلق تفسيرٍ

هجين لا ينتمي لأي من هذين التفسيرين المتناقضين جملةً وتفصيلاً! إلا أن هذا لا يعني أن يكون "العلم" في وادٍ والايمان في وادٍ وإن كان ظاهر الأمر قد اختلط علينا وذلك بسببٍ من عدم اتضاح التعريف الصائب "للعلم". فـ "العلم" الذي لا يمكن أن تقوم له قائمة الا باستبعاد الايمان بالله بالتمام والكلية، وذلك لتناقض منظومته المعرفية مع ما يقضي به هذا الايمان من إقرار بدور إلهي يسع أحداث الوجود كلها تحكماً وهيمنة، هو العلم النظري القائم على أساس من التعالي على هذه الاحداث تفسيراً لها يتطلب لامحالة استقدام ما لا يمكن العثور عليه فيها! وهذا "العلم"، وان كان يدعي الوصاية المطلقة على احداث وظواهر الوجود بقوله انه لا يصف الا الوجه الحقيقي والوحيد لهذا الوجود، هو في حقيقته ليس بأكثر من جانبٍ واحدٍ من جوانب "العلم" الذي تسنى للعقل البشري التوصل اليه. فالعلم النظري، الذي يريدنا ان نؤمن به ايماناً غيبياً لا ينبغي ان يداخله شك، ما هو الا جزء من العلم البشري بالوجود وليس، كما يوهمنا، العلم كله! فالعلم التجريبي واحد من أعظم مباحث العلم البشري وذلك لأنه السبب في هذه الحضارة التقنية العملاقة التي نعيشها اليوم. والعلم التجريبي هذا لا علاقة له بالعلم النظري ومزاعمه؛ فهو لا يشاركه غروره وتكبره اللذين خُيل إليه معهما انه قادر على منافسة الايمان بالله! فالعلم النظري يتوهم ان بوسعه القيام بتفسير ما يحدث في هذا الوجود تفسيراً يتعارض والقول بوجود إلهٍ يتناقض الايمانُ بوجوده مع مُسلمات هذا "العلم" والأُسس الميتافيزيقية التي لا قيام له الا بها! بينما يكتفي العلم التجريبي بوصف ما يحدث كما يحدث دون أن يتعالى على الظاهرة قيد الوصف تفسيراً لها وتعليلاً لما يحدث فيها يتطلبان ضرورة تضمينها مفرداتٍ لا تنتمي اليها. فهذا هو دأب العلم النظري القائم بالضرورة على أساس مُتعالٍ من التفسير والتأويل الميتافيزيقيين لامحالة! لذا فان العلم التجريبي ليس له ان يتناقض والاسس المعرفية لأي تفسير سليم البنيان المنطقي والابستمولوجي. فهو لا قدرة له على أن يتعارض مع تفسير العلم النظري السائد حالياً لظواهر الوجود مادام هذا التفسير مستوفياً للشروط الواجب توفرها في

أي تفسير يدعي تمكنه من هذه الظواهر تعليلاً لها وتأويلاً. كذلك فانه ليس بمقدوره التعارض مع الايمان بوجود اله هو الفاعل الحقيقي في هذا الوجود طالما كان هذا الايمان تفسيراً مستوفياً لهذه الشروط ذاتها. لذا فان بامكاننا القول بأن العلم التجريبي هو ذلك الجانب من "العلم" الذي بمقدورنا ان نفيد منه في ترسيخ ايماننا بالله وفي صياغة تفسير مؤمن لما يحدث في الوجود من ظواهر وأحداث بالإمكان على الدوام القيام بهكذا قراءة مؤمنة لها. فالقراءة المؤمنة هذه، للوجود بظواهره وأحداثه، ممكنة وذلك لأننا واثقون من أن هناك الهاً هو الفاعل الحقيقي في هذا الوجود وثوقنا من أن ظواهره وأحداثه حقائقٌ بمستطاع العلم التجريبي القيام بدراستها وفقاً لتفسيرٍ مؤمن لها توجبه هذه القراءةُ المؤمنة. إن علماً بشرياً صائباً بالوجود ينتظر هكذا محاولة مشروعة للقيام بتفسير أحداثه وظواهره انطلاقاً من الايمان بوجود الله واستعانةً بالعلم التجريبي الذي لم تسنح للبشرية ان تسمع الا ذلك التفسير له الذي قام بتقديمه لها العلمُ النظري على انه التفسيرُ الوحيد!

فالعلم النظري المعاصر إذا ما كان عدواً للايمان بوجود الله فهو لا يُمثل كل جوانب العلم البشري بالوجود وذلك على الرغم من حرصه المستميت على ادعاء هكذا وصاية مطلقة على كل ما له علاقة بـ "العلم". وهنا لابد لي من إعادة التشديد من جديد على أن أية محاولة للتوفيق بين "العلم" والايمان بالله يجب أن تضع نصب عينيها القيام بتحديد المقصود بهذا "العلم" الذي تسعى لتسييره صوب الايمان. فاذا كان العلم النظري هو المقصود بـ "العلم" هذا فعليها ان تعي ان الفشل بانتظارها لامحالة! فالعلم النظري لا يملك إلا أن يكون عدواً للدين طالما كان هذا "العلم" قائماً على أساس مادتُه مفرداتٌ ميتافيزيقية تتنافى بالضرورة واستقدام كل ما له علاقة بإله هو الفاعل الحقيقي للأحداث في هذا الوجود وذلك على قدر تعلق الأمر بالطاقة المسؤولة عن حدوث ما يحدث. فمادام العلم النظري غير قادر على أن تقوم له قائمة الا بالاستناد إلى ما يتجاوز هذا الواقع، وكل واقع آخر مُحتمل الوقوع، فهو عدو للايمان بوجود الله لامحالة! فعلى

العلم النظري المعاصر ان لا يغادر الواقع وذلك حتى لا يكون عدواً للايمان!! ولكن هذا كفيل بوأد هذا "العلم" في مهده وذلك طالما استحال عليه الاقتصار على مفردات الواقع من أحداث وظواهر. فالعلم النظري إذا ما اقتصر على ظواهر الوجود دونما استقدام لمفردات لا تنتمي لهذا الوجود فسوف لن يغدو علماً نظرياً بل علماً تجريبياً بحتاً وذلك طالما كان العلم التجريبي هو علم بالوجود على ما يبدو عليه وليس علماً افتراضياً، كالعلم النظري، يفترض وجود ما ليس له وجود لتفسير ما هو موجود! عندها، وعندها فقط، يفقد "العلم" عداءه للايمان بوجود الله. أي أن على العلم النظري ان يتنازل عن هويته ويقتل نفسه وذلك قبل أن يكون بمقدوره السير يداً بيد مع الايمان! فهل تراه يفعل ذلك؟! إذا وبعد ان تبينت لنا استحالة تخلي "العلم" عن عدائه للايمان بوجود الله مادام علماً نظرياً، وبعد ان أدركنا عقم كل محاولة للتوفيق بين هذا "العلم" والايمان فهل ينبغي علينا ان نخرج بنتيجة مفادها ان لا أمل هناك على الإطلاق بإقامة صلة وصل بين "العلم" والايمان؟ إن اطراحنا العلم النظري جانباً كفيلٌ بأن يجعل من العلم التجريبي يطرح نفسه بديلاً له في فرض الوصاية المطلقة على "العلم"! فاذا أصبح "العلم" تجريبياً فسوف يغدو بالإمكان الشروع في هكذا محاولة للتوفيق بين "العلم" بوجهه التجريبي الجديد هذا والايمان. فالعلم التجريبي لا قدرة له على التعارض مع الايمان بوجود الله وذلك طالما كان "علماً" محايداً لا قيام له الا بالاستناد إلى ظواهر وأحداث الوجود دونما استقدام لما لا ينتمي لها من مفردات متجاوزة للواقع. فاذا أصبح "العلم" تجريبياً غير قائم على ميتافيزيقا متجاوزة للواقع فلن يكون عندئذ بمقدوره استبعاد الايمان بوجود الله. فمادام "العلم" نظرياً فهو يستبعد الايمان لامحالة وذلك لتناقض القول بوجود إله هو الفاعل الحقيقي في هذا الوجود مع القول بوجود مفردات ميتافيزيقية يتكفل استدعاؤها بتأويل أحداثه وظواهره تأويلاً إلحادياً بالضرورة! وهنا لابد من الاشارة إلى خطأ شائع في قولنا بأن الغرب قد اتخذ له من المادة إلهاً. وفي الحقيقة فان الغرب لم يتخذ له إلهاً واحداً بل آلهة كثيرة وذلك لأنه آمن

بـ "العلم" بوجهه الإلحادي الذي يمثله العلمُ النظري؛ هذا "العلم" الذي تبين لنا انه "علم" لا يمكن أن يكون الا عدواً للايمان بوجود الله. فهذا "العلم" قائمٌ على تفسير الوجود بموديلات نظرية اتخذها الغرب له آلهة معاصرة يؤمن بها ايماناً يفوق ايمان كثير من الناس بالله الواحد الاحد اخلاصاً ويقيناً صادقاً! اما المادة فهي بريئة من هكذا جرم وذلك طالما كان العلم النظري يتجاوزها في تأويله لظواهرها مستقدماً ما لا علاقة له بها من مفردات لا وجود حقيقياً لها. إن آلهة العصر في الغرب المعاصر اليوم هي هذه الموديلات النظرية التي قام العلمُ النظري بصياغتها ودعا العالم لعبادتها. لقد طرح العلم النظري نفسه ليكون ديناً معاصراً بديلاً للايمان بالله. واذا كان الايمان بالله قائماً على التسليم بوجود اِله واحد فقط فان الدين المعاصر لحضارتنا اليوم قائم على الايمان بوجود آلهة متعددة هي تلك التي لابد من التسليم بوجودها طالما آمنا بالعلم النظري المعاصر الذي يُلزِم مَن آمن به بوجوب اتخاذ موديلاته التفسيرية آلهةً تقوم بتأويل ما يحدث في الوجود! إذا فالدين الذي يدعو إليه العلم النظري المعاصر يتطلب ايماناً بآلهة متعددة وليس اِلهاً واحداً! فهذا الدين العلمي المعاصر هو دين اِلحادي atheistic أولاً وذلك لأنه لا قيام له الا بانكار وجود الله الفاعل الحقيقي في هذا الوجود وهو بعدُ دينٌ متعدد الآلهة polytheistic وذلك بسببٍ من منظومته المعرفية القائمة على تفسير ظواهر الوجود وفقاً لآلهة موديلاته النظرية! فيا له من دين ضرار يريد ان يناجز الدين الحق؛ دين التوحيد monotheism القائم على الايمان بوجود اِله واحد فقط هو الله؟! والعجيب ان هذا الدين الجديد يعيب على دين الايمان بالله انه دينٌ قائم على أساس ميتافيزيقي وذلك طالما كان يقتضي التسليم بوجود كيان يتجاوز هذا الواقع ولا ينتمي إليه وينسى انه هو ذاته دينٌ ميتافيزيقي قلباً وقالباً لا قيام له الا بالاستناد إلى مفردات متجاوزة للواقع متعالية عليه! والآن، إذا كان العلم النظري منظومة ميتافيزيقية تتناقض والقول بوجود الله فان هذا لا يجب أن يجعل منا نُعادي "العلم" وظواهره ومفرداته الواقعية التي لا علاقة انتماء حقيقي لها بالعلم

النظري. فالعلم التجريبي، مثلاً، هو منظومة معرفية محايدة بإمكانها ان تُسخر لخدمة المشروع التوفيقي الهادف إلى اقامة علم بشري جديد؛ هو العلم بالوجود على ما يبدو عليه. كما ان ظواهر الوجود التي قام العلم النظري بدراستها هي ظواهر محايدة neutral لا قدرة لها، بمفردها، على أن تصطف إلى جانب هذا "العلم" في حربه على الايمان بوجود الله. وطالما كانت هذه الظواهر محايدةً لا تملك بمفردها ان تكون مع الايمان أو ضده فان الواجب يقضي بضرورة قيامنا بتسخيرها وتسييرها لتكون في صف الايمان وذلك بالعمل على استيعابها داخلاً من منظومة معرفية جديدة تقوم على التسليم بوجود الله. ولكن إذا كانت الظواهر التي قام العلم النظري بدراستها، والتي تمثل معظم ظواهر هذا الوجود، هي ظواهر محايدة لا تملك بمفردها ان تنتصر للعلم النظري أو لدين الايمان بوجود الله فهل بإمكاننا ان نُعمم الحيادية هذه لتكون هي حال الجزء المتبقي من ظواهر الوجود؛ ذلك الجزء الذي تمثله ظواهرُ الوجود نادرة الحدوث والتي اصطُلح على تسميتها بـ "الظواهر الخارقة"؟ إن الأمر الملاحظ على هذه الظواهر النادرة ان بالإمكان تصنيفها إلى قلة من ظواهر محايدة وكثرة تخرج على هذا الحياد لصالح القول بوجود الله. فمعظم "الظواهر الخارقة" لا تملك إلا أن تكون داعيةً للايمان بوجود الله وذلك لاستحالة توفر أي تفسير آخر بمستطاعه تأويلها والتعليل لها انطلاقاً من عدم وجود الله. لقد قام العلم النظري المعاصر بتفسير "الظواهر غير الخارقة" تفسيراً الحادياً مشركاً يتضمن وجوب الاقرار بآلهته المتعددة. واَتبَع تفسيره الوَثَني heathen هذا بتفسير آخر أراد به تأويل وعقلنة "الظواهر الخارقة"؛ هذه الظواهر التي طالما عانت من ظلمه لها واستبعاده لما يحدث فيها خارج مدى رؤيته لما يحدث في الوجود من ظواهر وأحداث اقتصر عليها في اقامة بُنيانه المعرفي النظري! فالعلم النظري لم يشرع بالتفكير في دراسة الظواهر النادرة الا مؤخراً ومن بعد كثيرٍ من المناورات التي قام بها وهو يحاول الافلات من مجابهة ما تفرضه عليه من تحديات معرفية. فبسببٍ من نشأة العلم النظري بعيداً عن واقع ظواهر الوجود

نادرة الحدوث فلقد تحتم عليه تبعاً لذلك ان يُجابِه خرقها لمنظومته المعرفية التي اكتملت من مادة واقع "الظواهر غير الخارقة" فحسب. لذا فان العلم النظري لا وجود فعلياً له على أرض "الظواهر الخارقة" حتى يومنا هذا. وهو الآن يحاول جاهداً ايجاد موطيء قدم له على هذه الأرض وذلك عن طريق قيامه بدراسة ما يحدث فيها من خرق بين لمنظومته المعرفية. وهكذا أخذ العلم النظري بدراسة "الظواهر الخارقة" وشرع في القيام بمحاولة، لم تتكلل بالنجاح حتى يومنا هذا، لضم هذه الظواهر إلى تلك التي يقوم عادةً بدراستها. ولكنه لم ينجح في بسط نفوذه التفسيري على "الظواهر الخارقة" على الرغم من قيامه بمحاولةٍ فاشلةٍ لتفسيرها وذلك باستقدام موديل بشري استُبعد بموجبه عالَمُ الغيب بأكمله! فتم استبعاد الملائكة والروح والجن والشياطين ومعجزات الانبياء وكرامات الصالحين من بعد ان قام هذا "العلم" باستبعاد الفاعل الحقيقي في هذا الوجود: الله سبحانه وتعالى! إن العلم النظري المعاصر يصر إذا على ضرورة قيامه بقراءةٍ ملحدةٍ مُشركةٍ لظواهر الوجود قاطبةً وذلك وفقاً لما تُمليه عليه ميتافيزيقيةُ دينهِ الإلحادي متعددِ الآلهة. فهو لا يكتفي بالنظر إلى "الظواهر غير الخارقة" في هذا الوجود على انها ظواهرٌ لا يمكن تفسيرها الا بالاستناد إلى منظومته الإلحادية الرافضة لوجود الله بل ينظر أيضاً إلى "الظواهر الخارقة" بعينٍ لا تستطيع ان تراها الا بظلام القول بعدم وجود أية كائنات غير بشرية أجمعت الكتب الإلهية كلها على وجودها، بل وتواجدها معنا، في هذه الحياة الدنيا وفي الآخرة! إن العلم النظري المعاصر إذ يقوم بهكذا قراءة ملحدة لظواهر لا يمكن النظر اليها الا بعين مؤمنة، هذا إذا ما أُريد لها ان تحظى بتفسيرٍ هو الوصف الحقيقي الوحيد لما يحدث فيها، فانه يُقيم بهذا الحجة على نفسه بأنه كيان ميتافيزيقي لا حياة له الا بمدادٍ من كينونات لا تنتمي لهذا الواقع أو أي واقع آخر. فهو بإصراره على انكار وجود تلك الكائنات غير البشرية، التي تحيا عادةً في عوالم غيبية دونما تداخل مع عالمنا الواقعي هذا، فانه يتقصد ان يغُضَ الطَرْف عن تلك "الظواهر الخارقة" التي لا تحدث الا بتدخلٍ خارقٍ للعادة تقوم

به هذه الكائنات وذلك عند توفر ظروف خاصة لا يستطيع العلم النظري التذرع بخصوصيتها هذه ليُبرر استبعاده لاحتمالية تواجدها معنا "هنا" و"الآن"! فاذا فاتنا استذكار ما تعلمناه من كتاب الله العزيز بخصوص الدور الذي تقوم بتأديته في حياتنا، في صمت تام وسكون مطلق، كائناتٌ غير بشرية كثيرة، كالروح والملائكة والشياطين والجن وجنود لله لا يعلمها الا هو، فكيف نستطيع ان نتجنب تذكر تلك "الظواهر الخارقة" التي لا تحدث الا بتدخل مباشر من قِبَل هكذا كائنات غيبية؟! إن الغالبية العظمى من "الظواهر الخارقة" هي ظواهر لا يمكن التوصل إلى وصف ما يحدث فيها حقيقةً الا باستقدام "الدور الواقعي" الذي تُشارك به هذه الكائنات غير البشرية في حدوثها. فالطاقة الفيزيائية المُتسببة في حدوث هذه الظواهر هي طاقة كبيرة للغاية ولذلك فهي لا يمكن على الإطلاق ان تكون بشرية المصدر. فهل نكذب هذه الظواهر الحقيقية ونضع جانباً ما تعلمناه من كتاب الله العزيز بخصوص هذه الكائنات الغيبية وذلك حتى نقول مع العلم النظري المُعاصر بعدم وجودها؟! وهل سيكتفي هذا "العلم" المُكابِر بذلك أم تُراه يهرَع ليقدم لنا ما يُمليه عليه دينُه الميتافيزيقي من تفسير غيبي بديل قوامه الايمان بوجود كينونات ميتافيزيقية يستعيض بها عن كائنات عالَم الغيب؟! إذا فالدعوة لتبني تفسير مؤمن "للظواهر الخارقة" يجابه هذا التفسير الميتافيزيقي الذي هجم به علينا العلمُ النظري المعاصر هي دعوة لمواجهة معرفية مع منظومته المعرفية وهي تعمل على عقلنة هذه الظواهر بالاستعانة برصيد هذا "العلم" الذي تسنى له صنعه وهو يعمل على عقلنة "الظواهر غير الخارقة". فلقد تم للعلم النظري التوصل إلى صياغة منظومة معرفية استطاع بوساطتها القيام بقراءة ما يحدث في هذا الوجود من "ظواهر غير خارقة" قراءة ملحدة تستبعد وجود الله استبعاداً كلياً. وهو الآن يعمل جاهداً على الافادة من منظومته الملحدة هذه في صياغة قراءة "للظواهر الخارقة" يُجهز بواسطتها على البقية الباقية من الغيبيات التي سوف يتوجب على كل مَن آمن به انكار وجودها لامحالة! لذا فالشروع بصياغة قراءة مؤمنة "للظواهر الخارقة" يعني خوض منازلة

معرفية حاسمة مع العلم النظري المعاصر بكامل مفرداته وليس فقط مع جانب منه اختُص بعقلنة هذه الظواهر. فهذا العلم قد اعد نفسه بالكامل وتسلح بكل ما لديه من رصيد معرفيٍ للإجهاز على ما تبقى من ظواهر هذا الوجود وذلك ليتسنى له القيام بتفسيرها وفقاً لنظرته الملحدة. إن التوصل إلى تفسير مؤمن لـ "الظواهر الخارقة" كفيلٌ بتوجيه ضربة قاصمة للبنيان المعرفي الإلحادي للعلم النظري المُعاصر بالكامل. فسقوط العلم النظري صريعاً وهو يفسر "الظواهر الخارقة" هو سقوط له بالكامل! وسوف يتحتم علينا ان نقوم من بعد تحقق سقطته المعرفية هذه بجره، والى الابد، خارج البنيان المعرفي البشري! إن الانتصار على العدو في المنازلة يتطلب تشخيص نقطة ضعفه وذلك ليتسنى من ثم الافادة منها والهجوم عليه عن طريقها. ونقطة ضعف العلم النظري المعاصر هي ذلك الجانب منه الذي فُوضت إليه مهمة القيام بإعداد قراءة ملحدة "للظواهر الخارقة"! فهذا الجانب الضعيف للغاية قد اُوكِلت إليه هذه المهمة الجسيمة وهو لما يُعَد اعداداً معرفياً رصيناً يكفل له النجاح فيها. وكيف له ان ينجح في تفسير هذه الظواهر وهو يستعين لتحقيق ذلك بمنظومة معرفية لم تأخذ في حسبانها وجود هذه الظواهر وذلك عندما قامت باستبعادها من سُوح الملاحظة والبحث وهي تعمل على صياغة بُنيانها النظري؟! فهذا الجانب إذا هو نقطة ضعف العلم النظري المعاصر وهو المكان الذي يكفل لمن يُحسن الهجوم عليه منه تحقيق الانتصار الساحق. إن "عودة" العلم النظري المعاصر إلى "الظواهر الخارقة" وذلك للقيام بتفسيرها وفقاً لمنظومته المعرفية هي بداية السقوط المعرفي لهذا "العلم" المتكبر. فهي "عودة إلى الماضي" ولكن بعد فوات الاوان! فلن يكون بمقدور عطارو هذا "العلم" ومهما اوتوا من حذق وبراعة ان يُصلحوا ما أفسده الزمن وذلك طالما كان هذا "العلم" ذاته هو كل ما بوسعهم الاستعانة به! فهذا "العلم" لن يكون بمستطاعه على الإطلاق القيام بتفسير "الظواهر الخارقة" وذلك مادامت منظومته المعرفية لم تَقُم ومنذ البداية على أساس من تقبل هذه الظواهر وكما سبق لها وان فعلت مع "الظواهر غير

الخارقة". فكيف يأمل هذا "العلم" بقرب توصله لهكذا تفسير وهو يستعين بهذه المنظومة المعرفية التي يتوجب عليها، إذا ما هي أصرت على القيام بهذا التفسير، ان تقوم بإعادة بناء نفسها من جديد وذلك بأن تقوم بدايةً بتدمير بُنيتها المعرفية قبل الشروع ببناء بُنية جديدة تتقبل ظواهر الوجود قاطبةً بلا استثناء!! فهل يُضحي هذا العلم الظني الضنين ببُنيانه المعرفي مقابل حصوله على تفسير للظواهر التي سبق له وان قام باستبعادها؟! إذا فالمواجهة المعرفية مع العلم النظري في ساحة "الظواهر الخارقة" تكفل لنا منازلته ومهاجمته من نقطة ضعفه هذه. كما ان هجومنا عليه لن يستدعي منا غير ان نقوم بتسليط الاضواء ساطعةً على هذه الظواهر وان نعمل على مطالبته بأن يقوم بتفسيرها وفقاً لمنظومته المعرفية الملحدة وذلك ليواجه هذا المأزق المعرفي الخطير: فاما ان يتنازل عن القيام بهكذا تفسير، وهو في هذه الحالة سيضطر إلى الاقرار بعجزه المعرفي، واما ان يقوم بتدمير بُنيانه المعرفي وذلك ليتسنى له اعادته من بعد اعادة الاعتبار لهذه الظواهر التي استبعدها من قبل! لذا فان دعوتنا لتفسيرٍ مؤمنٍ لـ "الظواهر الخارقة" هي دعوة لمواجهة العلم النظري المعاصر في عقر داره ومن نقطة ضعفه وهي صَولة معرفية جهادية محسومة النتيجة لصالحنا بإذن الله. فنظرةٌ عاجلة لهذا "العلم" المتكبر وهو يحاول مستميتاً القيام بتفسير هذه الظواهر كفيلةٌ بجعلنا نُسارع إلى اضطراره لمواجهة محسومة النتيجة سلفاً لصالحنا بإذن الله. ولنأخذ مثالاً واحداً، فالعلم النظري المعاصر قد أقحم نفسه في متاهات ميتافيزيقية شائكة وذلك بمحاولته اليائسة تفسير ما يحدث في ظواهر كـ "ظواهر التدخل الطاقي غير البشري"؛ تلك الظواهر التي لا تفسير لها الا بوصف ما يحدث فيها حقيقةً. فلقد قام العلم النظري باصطناع وتوهم كينونات خرافية داخل البُنية البايولوجية للدماغ البشري في محاولةٍ يائسة منه لتفسير هذه الظواهر وبما لا يتناقض ومنطلقاته المعرفية التي تُلزمه بوجوب اَلا يكون لغير الإنسان دور في حدوثها. لذا فان الاصطدام المعرفي مع العلم النظري على ارض هذه الظواهر لا يتطلب أكثر من فضح هوَسه المَرضي بالميتافيزيقا

مادامت لا تستعصي على رغباته المجنونة بصنع إنسان افتراضي يظن به المقدرة على تفسير ما ليس بالإمكان تفسيره الا بجعل الإنسان يتخذ حجمه الطبيعي في عالم تُساكن الإنسان فيه كائناتٌ غير بشرية تتعذر عليه الاحاطة بها ادراكاً ومعرفةً! إن مطالبة العلم النظري بوجوب قيامه بتفسير هذه الظواهر سوف تضطره لامحالة إلى طلب العون من منظومته الميتافيزيقية، وذلك هو عين ما نبغي! فقيامه بتضمين تفسيره قيدَ الصياغة تلك الكينونات الافتراضية التي أمدته بها منظومتُه الميتافيزيقية سوف يجعل منه يقع في المحظور وذلك بتنازله عن ضوابطه المعرفية التي اَلزم نفسه بها منذ بداية انطلاقته التفسيرية لظواهر الوجود. إن تنازل العلم النظري عن هذه الضوابط سوف يُحتم عليه ضرورة ان يقوم بتدمير بُنيته المعرفية بالكامل. وهكذا سوف يسقط العلم النظري صريع تكبره واِصراره على النظر إلى الوجود بعين الإلحاد. وهنا قد يسأل البعض عن السبب في عدم الدعوة إلى تبني تفسير مؤمن يسع ظواهر الوجود قاطبةً دون تمييز بين ظواهر واخرى. ولماذا هذا الاقتصار على "الظواهر الخارقة"؟ هل ندع العلم النظري سعيداً بتفسيره الملحد لـ "الظواهر غير الخارقة"، والتي تُمثل معظم ظواهر هذا الوجود، ونقنع بهذه الدعوة لتفسير مؤمن "لظواهره الخارقة" فقط؟ هنا لابد لي من التطرق إلى امر آن اوانه. فظواهر الوجود نوعان؛ ظواهر شائعة متكررة الحدوث هي "ظواهره غير الخارقة" وظواهر نادرة الحدوث هي "ظواهره الخارقة". وقد قام العلم النظري بدراسة ظواهر الوجود شائعة الحدوث وذلك لتكرار حدوثها؛ ذلك التكرار الذي لولاه لما كان هناك علم على الاطلاق. اما الظواهر نادرة الحدوث، والتي اصطُلح على تسميتها بـ "الظواهر الخارقة"، فلقد تم تجاهلها واستبعادها خارج دائرة اهتمام هذا "العلم" وذلك بسببٍ من تكراريتها المتدنية للغاية. أقام العلم بُنيانه المعرفي إذاً على أساس من ظواهر الوجود متكررة الحدوث وتواضع على اعتبار تلك الظواهر التي استعصت عليه تفسيراً وتأويلاً وفقاً لمنظومته المعرفية ظواهراً خارقة؛ أي خارقة للنسيج المعرفي الذي اَلبسه الوجود وأصبح عاجزاً عن ان يراه عارياً منه! إلا أن هذه

ليست هي كل الحكاية. فظواهر الوجود ذات التكرارية المرتفعة هي الوجود الذي تواضعنا عليه وعلى المعيشة فيه وهو مجال تجلي الباطن الإلهي الذي كتب الله على نفسه ان لا يكون هناك من سبيل لمعرفته على الاطلاق. لذا كان الفشل مصير أية محاولة معرفية لسبر غور هذا الباطن المُغيب عن ادراك الخَلق. فكل جهد فكري يروم اقامة البرهان على وجود الله انطلاقاً من ظواهر الوجود شائعة التكرار مُقدر له الاخفاق وذلك طالما كان معظم ما يحدث في هذا الوجود هو مجال تجلي الباطن الإلهي المستتر عن الأبصار؛ كل الأبصار. ولكن الله سبحانه وتعالى لم يتجل للوجود بباطنه فقط. فقد تجلى الله سبحانه وتعالى بظاهره في ظواهر، كالمعجزات والكرامات، هي مجال تجلي الظاهر الإلهي. ولقد مكن الله العقل المتدبر في هذه الظواهر من التوصل إليه بوساطتها. لذا فان الدعوة لتفسير مؤمن لـ "الظواهر الخارقة" قد انطلقت من ادراك استحالة الوصول إلى معرفة يقينية بوجود الله عن غير طريق التدبر في هذه الظواهر التي هي مجال تجلي الظاهر الإلهي؛ هذا الظاهر الذي لا سبيل لستر اشراقه ولو كره الكافرون. فلقد جعل الله بينه وبين ان تدركه الابصارُ حجاباً لا سبيل لخرقه وحتم، هذا الحجاب، ان لا يكون بالإمكان اقامة البرهان على الوجود الإلهي في مجال تجلي الباطن الإلهي؛ هذا الباطن الذي وسع معظم الوجود كما اعتاده الإنسان. كما انه جعل من تجليه ظاهراً في بعض ظواهر الوجود الطريق لاقامة البرهان على وجوده. لذا فان القيام بتفسير معظم "الظواهر الخارقة" انطلاقاً من كون الفاعل الحقيقي في هذا الوجود هو الله سبحانه وتعالى سوف لن يصطدم بحجاب الباطن الإلهي الذي اَعجز العقلَ المتدبر في مجال تجليه عن أن يكون بمقدوره اثبات وجوده سبحانه وتعالى. فاذا كان الله سبحانه وتعالى قد كتب على نفسه التلطف في معظم ظواهر الوجود فانه لم يجعل من كثير من كائنات عالم الغيب ذات وجود لطيف على الدوام فلا يكون بمقدور الإنسان ادراك وجودها. فالإنسان بمستطاعه اقامة البرهان على وجود كثير من هذه الكائنات وذلك عن طريق دراسة تفاعلها مع بعض مفردات هذا الوجود؛ تفاعلاً يتجلى فيه وجودُها. إن

مواجهة العلم النظري بتلك الظواهر التي تتجلى فيها هذه الكائنات سوف يجعل منه يتخبط في فوضى ميتافيزيقية بالغة التعقيد وذلك بسبب من عدم قدرته على تفسير ما يحدث في هكذا ظواهر! لذا فان الهجوم على العلم النظري بظواهر لا تحدث الا بتجلي هذه الكائنات سوف يعجل في وصوله إلى نهايته. وهذه إذا دعوة لعدم الإعراض عن أي من هكذا ظواهر بمقدورها الإجهاز على هذا "العلم" المتكبر. فهذا "العلم" إلحادي لامحالة والانتصار عليه يستدعي حشد كل الطاقات واستنفار جميع الظواهر التي بوسعها تدميره لعجزه عن استيعابها بمنظومته الميتافيزيقية الملحدة. فلندع جانباً احكامنا المتعجلة ولنترو قبل ان نقوم باستبعاد تلك الظواهر التي وحدها بمقدورها الايقاع بـ "العلم" الملحد هذا. إن الدعوة لتبني تفسير مؤمن لـ "الظواهر الخارقة" هي خطوة على درب تبني تفسير مؤمن لجميع ظواهر هذا الوجود؛ "خارقة" كانت أم "غير خارقة". فسقوط العلم النظري المعاصر هو هدفنا مادام هذا العلم إلحادياً بالضرورة. وسقوطه في ساحة "الظواهر الخارقة" يعني لامحالة خروجه والى الابد خارج ساحة ظواهر الوجود كلها جميعاً.

نظرة العلم النظري المعاصر إلى الظواهر الخارقة

في البدء، وقبل أن يتشعب بنا الحديث عن نظرة العلم النظري المعاصر إلى الظواهر الخارقة، لابد لنا من أن نقوم بتحديدٍ علمي دقيق لما نعنيه بمصطلح "الظواهر الخارقة". فلقد صاحب ظهور هذا المصطلح ومنذ البداية نشوءُ اعتقاد خاطئ مفادُه أن الظواهر الخارقة هي ظواهر غيبية لا تنتمي لهذا الواقع اللاغيبي الذي يريدنا العلم النظري المعاصر أن نؤمن معه أنه واقعٌ واقع تحت سيطرته التأويلية وذلك على قدْر تعلق الأمر بقدرة نظرياته على الإحاطة المعرفية بمجريات وأحداث هذا الواقع تفسيراً وتعليلاً يطالان أسباب وكيفية حدوثها. أي أن الموقف الذي يأمرنا العلم النظري المعاصر بوجوب اتِّخاذه حيال ظاهرة ما، غيبية كانت أم واقعية، بالإمكان تلخيصه كما يلي:

كل ظاهرة ليس بمستطاع النظريات، التي تشكِّل بُنية العلم النظري المعاصر ومادته، القيام بتأويلها والتعليل لها لا يمكن أن تكون ظاهرة حقيقية؛ أي ظاهرة بمقدور هذه النظريات استيعابها وتقبلها وقبولها وقولبتها تأويلاً وتعليلاً وتفسيراً! يا له من تحديد ظالم ماكر خبيث! يريدنا العلم النظري المُعاصر إذا أن نؤمن إيماناً لا يُداخلهُ أي شك بأن الحقيقة هي هذا الواقع وأن لا وجوداً حقيقياً لما هو ليس بواقعي! فمادامت هذه الظواهر تأبى إلا أن تخرق النسيج النظري الجميل الذي صنعته يدُ العلم المعاصر خَرقاً أوجبه فرطُ استعصائها عليه، فهماً وعقلنةً تفسيراً وتأويلاً، فهي لا يمكن أن تكون حقيقية بحال؛ وبعبارةٍ أخرى فهي لا يمكن أن تكون موجودة! لذا فلقد قام العلم النظري المعاصر بإقصاء هذه الظواهر بعيداً عن سُوح الملاحظة والتجريب مادامت هي قد تجرأت وتجاسرت على خرق منظومته المعرفية التي يريد لها أن تكون البديل العصري للايمان بعالَم الغيب. وهكذا أصبحت هذه الظواهر يُنظر اليها شزراً على أنها محضُ أكاذيب وادعاءات باطلة. فالعلم النظري المعاصر إذا لم يكتفِ بفرضه علينا منظومته التفسيرية-التعليلية التي أراد بها تأويل ما قام باجتزائه واقتطاعه من

ظواهر خُيل إليه أنها كل ما هنالك من ظواهر في هذا الوجود ولكنه فرض علينا أيضاً هذه النزعة الانتقائية التي سوغت له الحكم القاطع الجازم بعدم وجود أية ظاهرة بإمكانها أن تخرق نسيجه العنكبوتي الذي شيد به بيته المتداعي. إن عداء العلم النظري المعاصر للايمان الغيبي جعل منه يتخذ هذا الموقف اللاعلمي من الظواهر قاطبةً؛ مألوفة كانت أم خارقة.

فما الداعي للايمان بعالَم الغيب إذا كان بمقدور هذا العلم القيام بتأويل الظواهر المألوفة تأويلاً لا يدع هناك حاجة للقول بوجوده؟! وما الداعي بعدُ للقول بوجود غيب جاءت الرسلُ تدعو إليه ببرهان المعجزات والخوارق مادام ليس هناك من ظواهر خارقة؟! وهكذا نرى أن العلم النظري المعاصر لا يكتفي بمجرد اتخاذ موقف علمي بريء حيال الظواهر مألوفة كانت أم خارقة ولكنه يجنح متجاسراً إلى التصادم بما يتجاوز الحدود التي يتوجب عليه التقيد بالبقاء محصوراً داخلاً منها؛ هذا إذا ما هو أراد أن يكون بحق علماً صادق الانتماء لمنظومته المعرفية والابستمولوجية. والآن لنعد إلى الظواهر الخارقة ولنحاول إلقاء بعض الضوء عليها علّنا أن ننجح في خرق ستار الغموض الذي يُغلّفها ويحجبها بعيداً عن مألوفاتنا وما تواضعنا وتعارفنا عليه. ولكن بادئ ذي بدء عليَّ أن أُبيِّن الحقيقة التالية: فالظواهر الخارقة لا تخرق العلم النظري المعاصر كما لا تخرقه الظواهر الفيزيائية مثلاً! فالظواهر الفيزيائية التي يظن هذا العلم أنه قد وسعها تأويلاً وتفسيراً وأحاط بها فهماً وتعليلاً هي أيضاً ظواهر خارقة لنسيج هذا العلم وذلك على قدْر تعلُّق الأمر بعجز العلم النظري المعاصر عن تقديم الإحاطة المعرفية الصائبة بهذه الظواهر. فالنماذج النظرية المعاصرة التي يتوهَّم واضعوها بأنها قد أحاطت بكل الظواهر الفيزيائية في هذا الوجود فهماً وتفسيراً ما هي الا موديلات ميتافيزيقية تتجاوز حدود الحس والتجريب وذلك طالما كان استخدام هذه الموديلات يتطلب لامحالة استقدام مفردات غيبية لا يمكن على الإطلاق التأكُّد من حقانية انتمائها للظاهرة الفيزيائية قيد البحث والدرس. لنتذكر مثلاً مفردات غيبية كالقوة والموجة والمجال والطاقة

والتي لا يمكن على الإطلاق التثبُّت من شيء يقيني حيالها إلا ما كان ذا صِلة بتأثيراتٍ لهذه المفردات اللاواقعية بالإمكان الوقوع عليها بصورةٍ لاغيبية وذلك عن طريق الملاحظة والتجريب. إذاً فالظواهر الفيزيائية، كمثالٍ حي على الظواهر المألوفة التي يفاخر العلم النظري المعاصر بكونها ظواهره التي أوسعها بحثاً وتفسيراً، هي أيضاً ظواهر خارقة! فما الجديد بشأن تلك الظواهر الخارقة التي قام هذا العلم النظري ذاته بإبعادها خارج نطاق الملاحظة والبحث والتجريب لا لشيء إلا لأنها ظواهر غير مألوفة؟ إن أهم ما يميز الظواهر الخارقة هو ليس كونها تخرق المألوف الذي تواضعنا عليه وذلك طالما كان هذا المألوف المتواضَع عليه هو ذاته لا يقل خارقية عن أية ظاهرة خارقة! فهل أن خروج الشجرة العملاقة من البذرة الضئيلة بأقل خارقية من "تحريك الأشياء عن بُعد"؟! أم هل أن ظاهرة الإبصار تقل خارقية عن "التخاطر"؟! إن كل الظواهر التي يتكون منها هذا الوجود هي ظواهر خارقة لنسيج المنظومة المعرفية الإنسانية وذلك طالما لم يكن بوسع العقل البشري الإحاطة المعرفية بها وعلى وجه يسعُها تأويلاً صائباً يتناول السيرة الحقيقية لمسار حدوثها كنتائج لتدخل إلهي غيبي لطيفٍ خفي ليس بالإمكان إدراك ما يتجاوز تجلياته الواقعية التي بمستطاع هذا العقلِ التفاهم معرفياً معها. إذاً ما الذي تتميز به الظواهر الخارقة التي أخذنا نُدرك ها الآن انها تلك التي اصطُلح على اعتبارها كذلك؟ إن نظرة متفحصة لظواهر الوجود كفيلة بالاجابة الصائبة على هذا التساؤل المهم. فالملاحَظ على ما يُسمى بالظواهر الخارقة أنها ظواهر نادرة الحدوث قليلة التواتر والتكرار. إن هذا هو أهم ما بالإمكان ملاحظته بخصوص هذه الظواهر التي لا تقل حقيقية عن غيرها من الظواهر ذات معامل التكرار المرتفع. فالظواهر الخارقة هي ظواهرٌ لا تحدث كل يوم ولكل شخص وهي لهذا اكتسبت ما جعل منها تفوز بمناصبة العلم النظري هذا العداء السافر لها. فقلَّة تكرار حدوث هذه الظواهر وعدم تواتر هذا الحدوث وتحلُّقها من حوالي أشخاص معيَّنين وتحدُّدها بالحدوث في أماكن دون غيرها جعل منها تُعامَل على أنها ظواهر غير حقيقية حتى تستأثر

باهتمام وجهد العلماء النظريين. فلو كانت هذه الظواهر شائعة الحدوث متكررة لفرضت نفسها على العلم النظري المعاصر ولأضحت ظواهراً كغيرها من الظواهر ذات التكرار العالي والتي انكب هذا العلم على دراستها وقولبتها داخلاً من متاهاته الميتافيزيقية! فلو لم تكن الظواهر الخارقة نادرة الحدوث، ولو لم تكن ظواهراً لا تحدث إلا لقلة من البشر وتحت ظروف وشروط خاصة، لما تجاسر العلم النظري المعاصر على إهمالها وإبعادها وإلحاقها بالخرافات والأساطير! والآن، ما السبب في تميُّز الظواهر الخارقة بهذه الندرة في الحدوث وبمعامل التكرارية الواطئ هذا؟ لقد تم التطرُّق قبل قليل لموقف العلم النظري المعاصر الرافض جملةً وتفصيلاً لأي حديث جدّي يتناول الظواهر الخارقة. ولقد عرفنا أن السبب في ذلك يعود لعدم تمكُّن هذه الظواهر من فرض نفسها بقوة على الواقع العلمي الذي يعجز منظروه عن رؤية ما يتناقض وبديهياته الميتافيزيقية التي تم افتراضها دونما دليل تجريبي أو مسوّغ منطقي. ولكن، ماذا بشأن نظرة دارسي هذه الظواهر من علماء خرجوا على الإجماع العلمي المعاصر القاضي بوجوب تجاهل وجود الظواهر الخارقة؟ كيف ينظر هؤلاء العلماء إلى الظواهر الخارقة؟ إن أهم ما يميِّز نظرة العلماء المؤمنين بوجود الظواهر الخارقة لهذه الظواهر هو أنها فعاليات بشرية الطاقة تحدث لبعض الناس تحت ظروف خاصة. وهم لذلك يؤمنون بأن الإنسان هو مصدر الطاقة لهذه الظواهر التي هي ظواهر بشرية لا علاقة لها إلا بهذا الإنسان الذي ينظرون إليه فيرونه كائناً مجهولاً ليس هو بذاك الذي يعرفه العلم المعاصر. إن نظرة هؤلاء الباراسايكولوجيين إلى تلك الظواهر التي تحدث في البيئة الغربية والتي تتصف بكونها ظواهر خارقة جعلت منهم محدودين بمداها الضيق والذي حدَّد اتساعه ما هو متوفر من ظواهر خارقة في تلك البيئة. فالبيئة الغربية تفتقر إلى الايمان المنهجي بالغيب؛ ذلك الايمان الذي تتميَّز به البيئة العربية. وهي لذلك بيئة فقيرة بالظواهر الخارقة؛ هذه الظواهر التي يتوجَّب علينا الآن أن نشرع بالنظر اليها على أنها ظواهر غيبية يرافق معظمُها السير الملتزم على الطريق إلى الله.

فالظواهر الخارقة في الغرب ظواهر نادرة للغاية وذلك على العكس من الظواهر الخارقة المتوفرة بغزارة في البيئة العربية التي تتميز بأنها بيئة مؤمنة. لذا فإن النظر إلى هذه الظواهر المتوفرة في البيئة العربية يجب الا يتم بعين غربية اعتادت على فقر البيئة الغربية وظواهرها الخارقة القليلة! أي أن النظر إلى الظواهر الخارقة التي تحدث في البيئة العربية على أنها ظواهر بشرية الطاقة لا يمكن أن يكون منطلقاً من موقف علمي رصين أصلاً. فاذا كانت ندرة الظواهر الخارقة في الغرب تسوّغ للنظر الابتدائي إليها على أنها ظواهر بشرية الطاقة فإن غزارة حدوث الظواهر الخارقة في البيئة العربية المؤمنة كفيلة بإحداث صدع خطير في البنيان المعرفي لموقف العلم النظري المعاصر من الظواهر الخارقة. إن التوقف عن النظر إلى الظواهر الخارقة على أنها بشرية الطاقة كفيل بجعلنا ندرك السبب في تميُّز هذه الظواهر بندرة الحدوث وبمعامل تكرار واطئ إجمالاً وذلك طالما كان العنصر البشري واحداً من مفردات كثيرة ذات صلة بحدوث الظاهرة الخارقة وليس العنصر الوحيد كما يدَّعي الباراسايكولوجيون في الغرب. والآن لنتناول هذا الموضوع بشيء من التفصيل. إن عدم الإقرار ببشرية الطاقة المسؤولة عن حدوث كثيرٍ من الظواهر الخارقة يستدعي بداهة إقراراً بوجوب التفكير بلابشرية هذه الطاقة. والآن، إذا كانت هذه الطاقة لابشرية فهل يكفي هذا الإقرار للتعليل الصائب لسبب تميُّز الظواهر الخارقة بهذه الندرة في الحدوث والتي جعلت معامل تكرارها واطئاً إلى هذه الدرجة؟ إن تكامل النظرة إلى الظاهرة الخارقة بمفرداتها البشرية واللابشرية يتطلَّب استدعاء الفهم الصائب لما هو بشري في الظاهرة الخارقة وهذا ما لم تستطع الباراسايكولوجيا المعاصرة القيام به بإلحاحها على بشرية الظاهرة الخارقة مادةً وطاقة! فظواهر خارقة كثيرة يكون السبب في تميُّزها بمعامل التكرار الواطئ هذا، والذي يجعل منها تبعاً لذلك نادرة الحدوث، هو تفرُّد بشري يمتاز به البعض من بني آدم على أبناء جلدتهم. وهذا التفرد مردُّه حيازتهم لقابليات مادية غير تقليدية تؤهِّل واحدهم للتفاعل إيجاباً مع الطاقة غير

البشرية المسؤولة عن حدوث الظاهرة الخارقة المعنية. فلاتكرارية هذه الظواهر الخارقة تعود إذاً لسبب بشري. إلا أن هناك كثيراً من الظواهر الخارقة التي يكون السبب في ندرة حدوثها عائداً للابشرية الطاقة المسؤولة عن حدوثها. إلا أننا يجب أن نتبين هنا فرقاً مهماً للغاية بين الطاقات اللابشرية المُشخصَنة وغير المُشخصَنة. فالطاقات اللابشرية غير المُشخصَنة (أي تلك التي لا تمتلك شخصية وإرادة مستقلة ووجوداً ذا هوية فردية) لا تملك أن يكون لها ما يجعل منها قادرة على التسبُّب في لاتكرارية الظواهر الخارقة التي تكون هذه الطاقات هي السبب الطاقي في حدوثها. وتعود اللاتكرارية هنا إذاً لتذبذب وندرة القابلية المادية التي تجعل من الفرد المتميِّز بها بمستطاعه التفاعل مع هذه الطاقة وبما يكفل للظاهرة الخارقة أن تحدث بوجوده على مقربة من هذه الطاقة غير البشرية. أما الطاقات اللابشرية المُشخصَنة (أي تلك التي تتميز بهوية فردية وإرادة مستقلة ذات شخصية) فهي السبب في لاتكرارية تلك الظواهر الخارقة التي لا تحدث إلا بوجود هذه الطاقات سواء كان هناك أفراد متميزون بقابليات مادية خارقة أم لا. وهذه الظواهر هي التي تمتاز بها بيئتنا العربية المؤمنة وذلك لأن هذه الطاقات عادةً ما ترافق السائر على الطريق إلى الله. وهنا لابد من الإشارة إلى أن التفاعل مع هذه الطاقات اللابشرية ذات الشخصية يكون إما بالتقرب منها وذلك ببذل الجهد الفردي الذاتي أو بأن تقوم هي ذاتها بالاقتراب من الفرد دونما بذلٍ لأي مجهود ذاتي من قِبله. وهكذا فان نظرة العلم النظري المعاصر للظواهر الخارقة لابد وأن يُصار إلى تصحيحها وذلك من بعد الأخذ بعين الاعتبار هذا التميُّز الذي به تفرَّدت البيئةُ العربية المؤمنة بظواهرها الخارقة الملازمة للسير على الطريق إلى الله. لقد أخذ العلم النظري المعاصر بالاهتمام بهذه الظواهر الخارقة وذلك من بعد أن تبيَّن له أن فيها ما يتناقض ومسلَّماته التي افترضها هكذا ومن دون برهان. إن الحل الوحيد لإنقاذ العلم النظري المعاصر من نظرته الحسيرة يكمن في الاستمرار بتسليط الضوء الساطع على هذه الظواهر الخارقة التي أنعم الله بها على هذه البيئة العربية المؤمنة بالضرورة.

العلمُ أم الايمان؟!..
دعوةٌ لتأسيسِ علمٍ جديد

ونحن في مستهل الالف الميلادي الثالث، هل من حاجة إلى علم جديد؟ وهل هذه حاجة مُلحة ضرورية أم انها مجرد ترف لا ضرورة تستدعيه؟ وما هي مفردات وخصائص هذا العلم الجديد؟ إن الدعوة لتأسيس علم جديد لتنطلق من اقرار كل مَن كان له قلب وأَلقى وهو شهيد بأن العلم النظري المعاصر علمٌ الحادي يجاهر ويُفاخر بأنه علمٌ لا يؤمن بوجود الله مادام هو لا يرى ما يجعل منه مُلزَماً بالقول بوجوده في ظل هذا الصمت الإلهي المطلق. فمادام العلم النظري المعاصر لم ينطلق من خط شروعٍ مؤمن بالله صادق الايمان فهو علمٌ لا ينبغي لنا ان نلتزمه علمَ الحضارة الجديدة؛ هذه الحضارة التي سترث حضارتنا الحالية عما قريب بإذن الله. لذلك فان القيام بكل ما يتطلبه هذا التأسيس للعلم الجديد على دعامة من الايمان القرآني بالله، قولاً صادقاً وفعلاً من دون رياء، هو واجبٌ منوط بكل مَن يأنس من عقله القدرة على اضافة ما من شأنه ان يُحقق هذه الغاية مادام عقله هذا عاجزاً عن مشاركة المجتمع العلمي المعاصر لاأُباليته حيال الظاهرة الإلهية؛ هذه الظاهرة التي لم تُدرَس كما ينبغي وتم استبعادها خارج مدى الرؤية المعرفية لا لشيء الا لأنها اكثر ظواهر الوجود غموضاً وبالتالي استعصاءً على المنظومة النظرية للعلم المعاصر وأعظمها خرْقاً لبُنيته المعرفية كما لا تخرقها ظاهرةٌ خارقة أخرى غيرها. إن اولى واجبات العلم الجديد إذا هي تبيان هذا الظُلم الذي اوقعه الإنسان بنفسه عندما اعرض عن الله وهو يحيا في هذا "العصر العلمي"؛ هذا العصر الذي ابداً لن يعجز عن العثور على ما يُمكنه من التيقن من أن الله حقٌ اذا، واذا فقط، ما هو سار على الطريق الإلهي إلى الله؛ هذا الطريق الذي لن يستطيع ان يعثر على أي دليل خارجه بوسعه ان يستعين به برهنةً على وجود الله أو تدليلاً على انتفاء أي وجود له على وجه

اليقين. فاثبات وجود الله رهنٌ لا محالة بالسير على الطريق الإلهي اليه. والعلم الجديد من بعد فراغه من اثبات هذه الحقيقة، تبياناً لها لكل مَن يروم التثبت منها، سوف يكون مُلزَماً بتقديم قراءةٍ جديدة لكتاب الوجود في ضوء انطلاقه من خط الشروع المؤمن بالله هذا.

وهذه القراءة الجديدة هي قراءة مؤمنة بالله لا محالة وذلك مادام العلم الجديد مؤمناً بالله لا محالة. فالوجود كما اعتدنا ان ننظر إليه بعين العلم النظري المعاصر وجودٌ خالٍ من الله. وهذا الخُلُو المزعوم من قِبل مُنظري المنظومة النظرية للعلم المعاصر حقيقة لا ريب فيها طالما كان الوجود عاجزاً عن تقديم أي برهان بوسعه ان يؤيد مزاعم القائلين بوجود الله! إلا أن هذا العجز ليس كامناً في صُلب الوجود كما يتوهم علماؤنا! فالوجود عاجزٌ عن النطق لا لشئ الا لاننا لا نملك وسيلة لإنطاقه تجعل منه مُلزَماً بالتخلي عن الصمت إذا ما نحن بادرناه بسؤالنا "هل بوسعك ان تقول لنا اِنْ كان الله موجوداً أم لا؟" وهذا العجز غير الذاتي حقيقة تتجلى بكل وضوح بقيامنا بتعلم الكيفية التي تتيح لنا النجاح في انطاق الوجود وجعْله ينطق فيقول الحق بقوله ان الله موجود. فالسير على الطريق الإلهي إلى الله كفيلٌ بجعْل الملتزم بضوابطه، كما فصلتها شريعةُ الله طريقةً مُثلى لعبادته، قادراً على إنطاق الوجود وجعْله يتخلى عن صمته المُعتاد ليقول قول الحق بـ أن الله حقاً موجود. لذا فالعلم الجديد لن يعدم وسيلة لإنطاق الوجود وجعْله يقول ما نتشوق لسماعه وذلك لأنه علمٌ مؤمنٌ بالله. إن العلم المؤمن بالله قادرٌ على التعامل المعرفي الصائب مع الوجود وبما يتكفل بجعْله الأداة لتمكين المسك بها من الوجود اِنطاقاً له بكل الحق الذي حُمل به يوم ان خلقه الله به. لذا فان هذا العلم لن يكون عاجزاً، عجْز ما بين ايدينا من علم، عن اِسقاط النقاب الوهمي عن حقائق الوجود. وأُولى هذه الحقائق واعظمها هي ان الله موجود. فالعلمُ الجديد قادرٌ على جعْل الوجود يتجلى اماماً من ناظريه، لا كما اعتدنا ان نراه خالياً من كل معنى، ولكن محملاً بكل المعاني الكفيلة بجعْلنا نتيقن من أن الله موجودٌ بحق وان كل ما وصلنا عنه هو حق لا

ريب فيه مادام هذا الذي وصلنا منه هو الذي مكننا من التوصل إليه استيقاناً من وجوده تعالى جَده وجلت قدرته. اما "العلم" الذي بين ايدينا اليوم فهو علمٌ عاجز عن فَض "أغلاق الوجود" وذلك لفرْط ابتعاده عن الطريق الوحيد للنجاح في ذلك بقيامه على انكار وجود الله ظناً منه وتوهما بأن ما بين يديه من المعارف لا قدرة لها الا على قول الحق!! فلو سار "العلم" الذي بين ايدينا على الطريق الإلهي إلى الله لوجد الوجود عاجزاً عن الصمت، ناطقاً بالحق، صارخاً بأعلى صوته "الله موجودٌ، الله حقٌ، الله حي"!

والآن أما وقد تبين لنا السبيل إلى النجاح في التعامل مع الوجود، بنجاحنا في تبيان وثيق ارتباط السير على الطريق الإلهي إلى الله بتخلي الوجود عن صمته المألوف، فان الاوان قد آن لنشرع في النظر إلى الوجود لا بعين "العلم المُعتاد" ولكن بعين العلم الجديد؛ هذا العلم المؤمن بالله حق الايمان. فكيف سنرى الوجود ناظرين إليه بهذه العين المؤمنة بالله؟ هل سنراه وجوداً خالياً من آثار رحمة الله كما هو الوجود الذي يريدنا "العلم" ان نتوهم معه انه موجود؟! أم اننا سنراه وجوداً عاجزاً عن اخفاء هذه الآثار التي ابداً لن يكون بمقدورنا ان نراها بعينٍ تنظر اليها من خلال نظارات العلم النظري المعاصر؟! فاذا كان هذا العلم لا يرى الوجود كما هو في حقيقة الامر، لعجْزه عن ان ينظر إليه بنور الله، فهو عاجز أيضاً عن ان يراه خالياً من تلك "الموجودات" التي اسكنها فيه ومكنها منه ظناً منه انها "موجوداته" المتحكمة فيه المسيرة له المُهيمنة عليه، وكيف لا وهذه "الموجودات" قد جاء الوجودَ بها علمُنا هذا لا من الوجود، بطبيعة الحال، ولكن من عندياته هو؟! فمادامت هذه "الموجودات" قد اكتُشفت "في الوجود" بعين هذا "العلم" فهي الحق الذي لا يجادل فيه الا احمق أو جاهل! إن العلم النظري المعاصر لا قدرة له على التعامل المعرفي مع الوجود الا بوساطة هذه "الموجودات" التي اضافها إليه ولم يقم باكتشافها فيه كما ارادنا ان نُصدق معه! لذا فنحن إذ ننظر إلى الوجود بعين العلم المعاصر فاننا لا نرى الوجود الحقيقي ولا حتى الواقعي بل نرى وجوداً خيالياً جاءنا به هذا "العلم" خَبالاً في

خرَص! إن المنظومة النظرية للعلم المعاصر عاجزةٌ، تمام العجْز، عن ان تنظر إلى الوجود الا بوساطةٍ من هذه "الموجودات" التي لا وجود لها في حقيقة الامر! لذا فاننا مُلزَمون بضرورة الكف عن التوسط بهذه "الموجودات" في نظرنا إلى الوجود مادام توسطُنا بها لن يعود علينا الا برؤية الوهم على انه حقيقة! والآن ماذا يتوجب علينا القيام به ليتسنى لنا النجاح في التعامل المعرفي الصائب مع الوجود وبما يتكفل بجعْلنا نراه على ما هو عليه واقعاً اِن عجزنا عن رؤيته على ما هو عليه حقيقةً؟ إن استعانتنا بالعلم الجديد سوف تكفل لنا ذلك وذلك لأن هذا العلم المؤمن بالله علمٌ واقعي لا ينطلق من خط الشروع الذي انطلق منه العلمُ التقليدي فحتم عليه وجوب استقدامه "موجودات" غير واقعية، وغير حقيقية في الوقت ذاته، ولأنه، قبل هذا، علمٌ حقيقي لتحقق انتسابه لعالَم الحقيقة بتحقق ايمانه بالله. فالعلم الجديد علمٌ واقعي حقيقي وذلك لأنه علمٌ بالواقع على ما هو عليه واقعاً لا تُداخله شوائبٌ لا تنتمي إليه ولأنه علمٌ متصل بالحقيقة كما له ان يحظى منها بما هو حقيقٌ عليها ان تتجلى له لتحقق انتسابه اليها. إن واقعية العلم الجديد قد كفلها له انطلاقُه من ارض الواقع تجريبياً واختباراً وملاحظةً اقتصر عليها، وعليها فقط، في تشييده لمنظومته المعلوماتية من مادة الظواهر والتجارب والاختبارات دون استعانة بما يعجز الواقعُ عن الشهادة له بتحقق انتمائه وانتسابه اليه. فالعلمُ الجديدُ واقعيٌ لا محالة مادام عاجزاً عن ان يكون، كالعلم الذي بين ايدينا اليوم، ذا وجهين منافقاً! فمادام هذا العلم الجديد مؤمناً بالله فهو غير قادر على أن ينطلق من خط الشروع الكافر بالله؛ هذا الخط الذي انطلق منه "علمُنا" المعاصر في رحلته المعرفية التي ستؤول به في النهاية إلى الجحيم! لذا فالعلم الجديد إذ لا يستعين بمفردات غير واقعية، كان سيقوم العلم النظري بفرْضها عليه وجوباً لو انه شاركه تأليهها والايمان الغيبي بها، فانه علمٌ لانظري وذلك لعدم قيامه على أساس من منظومةٍ نظرية تستقدم ما لا وجود له ليتسنى لها التعليل لما يحدث في عالم الموجودات الواقعية! فالعلم الجديد واقعي لأن ايمانه بالله يُحتم عليه وجوب عدم الايمان بسواه؛ هذا الايمان

الذي كان يتوجب عليه ان يتحلى به إذا ما هو شارك العلمَ النظري المعاصر خَبالاته وخيالاته! إن واقعية العلم الجديد قد كفلها له ايمانُه بالله، هذا الايمان الذي حتم عليه ضرورة الانقطاع إلى الله عن كل ما هو سواه. وهذه الواقعية التي يتميز بها العلمُ الجديد تُطالبه على الدوام بأن يبقى علماً تجريبياً-اختبارياً وذلك بأن لا ينساق وراء سراب النظرية كما يفعل العلم المعاصر اليوم! فالعلم المؤمن بالله علم تجريبي-اختباري لا طاقة له على أن يكون خلاف ذلك فيتخلى عن ايمانه بالله لِتوجب ايمانه بسواه إذا ما هو استعان على الاحداث والوقائع بالنظرية الملحدة للعلم المعاصر! والعلم الجديد علمٌ حقيقي مادام قد تحقق له الانتماء لعالَم الحقيقة بايمانه بالله. فهذا الانتماء سوف يكفل له التزود من معين الحقيقة فلا ينطق بعدها الا بالحق وإن استحال عليه ان ينظر بغير عين الإنسان إلى الواقع وظواهره مادام علمُه بالواقع على ما هو عليه حقيقةً قد تم له بالله من بعد تحقق ايمانه القرآني به. لذا فالعلم الجديد لن يكون يوماً قديماً بتقادم الازمان وتغيرها! فالعلمُ الجديد متجددةٌ معارفُه بتجدد الاحداث الواقعية التي حصر اهتمامه المعرفي بها فلا يغادرها إلى عالَم وهمي تتكفل النظريةُ بجره اليه! والعلم الجديد جديدٌ حقاً بتحقق انتسابه لعالَم الحقيقة؛ هذا العالَم الذي ابداً لن يكون الا متجدداً على الدوام. إذاً فلا جديد بعد العلم الجديد مادام هذا العلم علماً واقعياً متجددةٌ ظواهرُه حقيقياً صادقَ الصلة بعالِم الحقيقة.

لا يمكن القيام بتقويم مسيرة الباراسايكولوجيا الغربية، منذ النشوء وحتى يومنا هذا، من دون استذكار مسيرة الفيزياء المعاصرة بشقّيها النظري والتجريبي وذلك لأن اِقامة علاقة تناظرية بين منهج البحث الفيزيائي ومنهج البحث الباراسايكولوجي تسوِّغها حقيقة كون الفيزياء تُعنى بدراسة الظواهر الطبيعية المألوفة للمادة والباراسايكولوجيا تُعنى بدراسة ظواهرها فوق الطبيعية. اِن أكبر خطأ وقعت فيه الفيزياء، على مر عصورها، كان محاولاتها أن تكون منظومة تفسيرية لظواهر المادة وتفاعلاتها سواء كانت هذه الظواهر حرة طليقة في الطبيعة أم مقيدة داخلاً من مختبرات البحث. وهكذا فقد ابتعدت الفيزياء عن أن تكون علماً تجريبياً يكتفي بدراسة الظواهر دراسة مختبرية وفق ضوابط المنهجية التجريبية وذلك من دون أن تحاول الولوغ في تفسير هذه الظواهر باختراع كيانات وهمية نظرية وقع في ظن مخترعيها أن لا سبيل هناك للتعامل معرفياً مع الظواهر قيد الدرس اِلا باللجوء اليها. اِن هذه الكيانات النظرية المتوهَّمة لا يمكن على الإطلاق اِقامة البرهان الكافي على حقانية وجودها الموضوعي. اِن اكتشاف الطبيعة هو الهدف الصحيح للبحث الفيزيائي وليس اختراع طبيعةٍ بديلة لا وجود لها اِلاّ في مخيِّلة مخترعيها!

لقد تغافل البحث الباراسايكولوجي في الغرب عن هذه الحقيقة المنهجية فوقع في نفس الشرك القاتل الذي مازالت البحوث الفيزيائية النظرية في الغرب تتخبّط في متاهاته. فلقد قام البحث الباراسايكولوجي الغربي على أساس منهجي غير سوي؛ اِذ لم يحصر مجال عمله داخلاً من حدود الظواهر الحرّة الطليقة أو الظواهر المقيّدة (المختبريّة). اِن هذه الإنطلاقة المنهجيّة الخاطئة تقوم على افتراض مؤدّاه أن العقل البشري قادر على الإحاطة التفسيريّة بهذه الظواهر. اِن هذا الإفتراض غير مسوَّغ له من الناحية الأبستمولوجيّة وذلك

اِذا ما تم الإعتماد عليه في التأسيس المنهجي للبحث العلمي. لقد كان بإمكان البحث الباراسايكولوجي الغربي أن ينحو منحى تجريبيّاً صرفاً فيكون آنذاك النجاح المطلق حليفه كما هو الحال مع علم الفيزياء التجريبيّة الذي هو أساس التقدّم الحضاري المعاصر والسبب المباشر والرئيس وراء وصول الإنسان الى فرض سيطرته على الكثير من الظواهر الحرّة والمقيّدة كما تبيّن ذلك، وبكل وضوح، الإنجازاتُ التكنولوجيّة الهائلة التي تُميّز عالم اليوم. ولكن البحث الباراسايكولوجي في الغرب نهج على المنهاج الذي شرعته الفيزياء النظرية فأخذ عنها حرصها المستميت على اختراع الكيانات الوهمية النظرية فخرج علينا باختراعات نظريّة من مثل المجال الكلي والطاقة الحيويّة والبعد الخامس والإشعاع النفسي ظنّاً وتوهّماً بأن هذه المصطلحات، المستعارة غالبيتها من الفيزياء النظريّة، بمقدورها أن تفسّر الظواهر الباراسايكولوجية! اِن الأزمة المنهجيّة للبحث الباراسايكولجي المعاصر في الغرب هي السبب وراء تخبّطه الأهوج في متاهات التفسيرات المتناقضة فيما بينها والنماذج النظريّة المتصارعة على الكم البسيط من الظواهر الباراسايكولوجيّة التي حصر هذا البحث نفسه داخلاً من حدودها الضيّقة.

اِن ما قدّمته الباراسايكولوجيا الغربيّة بعد عشرات السنين من نشأتها هو هذا الكم الهائل من الكيانات الوهمية النظرية التي انشغلت بها عن الإلتفات المنهجي الصائب الى ضرورة مراجعة انطلاقتها الخاطئة؛ تلك الإنطلاقة التي أدّت بها الى اِهمال البحث التجريبي الى الدرجة التي جعلت من الباراسايكولوجيا فلسفةً ميتافيزيقيةً فاشلة بدلاً من أن تكون علماً تجريبيّاً قائماً على أساس منهجي قويم يعتمد على الإنغماس الكامل والإنشغال التام بالدراسة العلميّة الموضوعيّة للظواهر الحرّة والمقيّدة من دون تمييز أو انحياز أو انتقاء والإكتفاء بهذا عن أن تقع في هوّة التنظيرات الوهميّة كما هو حالها البائس اليوم. لقد ظهرت الباراسايكولوجيا لدراسة ظواهر خاصة تستعرض فعاليات خارقة بإمكان قلّة من البشر القيام بها. ولم يجعل الروّاد المؤسّسون، ومن تبعهم،

الباراسايكولوجيا فرعاً من فروع الفيزياء وذلك لأنهم تحسّسوا الخطأ الكبير الذي يقود اليه الإسراع بتصنيف الظواهر الباراسايكولوجيّة على أنها ظواهر فيزيائيّة ذات خصوصيّة معيّنة، وهم بتريّثهم هذا قد سلكوا نهجاً علميّاً سليماً ترك باب البحث مفتوحاً أمام كل من يريد أن يساهم في الكشف عن حقيقة الظواهر الباراسايكولوجيّة. الاّ أن الباراسايكولوجيا، من خلال جهود بعض منظِّريها، كانت قد بدأت بالتأثّر بالفيزياء النظريّة بشكل تدريجي، وتصاعدت شدّة هذا التأثّر حتى أصبحت معالمه اليوم واضحة يمكن ملاحظتها من خلال أيّة دراسة تقارن بين الخطوط العريضة، والتفاصيل الدقيقة، للباراسايكولوجيا والفيزياء النظريّة.

فكما جعلت الفيزياء النظريّة من تفسير الظواهر الفيزيائيّة هدفاً لها قامت الباراسايكولوجيا باتّخاذ تفسير الظواهر التي تُعنى بدراستها هدفاً رئيسيّاً من أهدافها. ولم يقتصر تأثّر الباراسايكولوجيا بالفيزياء النظريّة على اقتباسها لهدفها التفسيري منها وإنّما تجاوزه الى بناء نظريّاتها التفسيريّة على نفس نسق النظريّات الفيزيائيّة مستوردةً معظم أفكارها ومستندةً بشكل أساسي على مصطلحاتها النظريّة مثل المجال والطاقة والموجة وغيرها. وبسلوكهم لهذا النهج، مقلّدين الفيزيائيين النظريين، فقد تغاضى منظِّرو الباراسايكولوجيا عن حقيقة كون الفيزياء النظريّة لم تثبت لحد الآن أي نجاح حقيقي لها وان نظريّاتها ليست أكثر من فرضيّات استنتاجيّة مليئة بالتناقضات والفجوات العلميّة وهي عاجزة عن مجابهة التحدّيات المتلاحقة والمتجدِّدة التي تواجهها بها الفيزياء التجريبيّة كل يوم بل كل ساعة! إن هذا يحتّم على هذه النظريّات ان يكون وجودها وجوداً مرحليّاً إذ تختفي بعد حين من ظهورها وتندثر لتحل محلّها نظريّات بديلة تحاول تجنّب عيوب سابقاتها بعيوبٍ اخرى غيرها! وهكذا انتقلت عيوب النظريّات الفيزيائيّة الى مثيلاتها الباراسايكولوجيّة.

إن الاتجاه بالباراسايكولوجيا نحو الاستعانة بأفكار الفيزياء النظرية لا يؤدي الى تشبّع النظريات الباراسايكولوجية بأخطاء النظريات الفيزيائية

فحسب وانما يشكّل خطورة أكبر اذ أنّه بمثابة منهج يدمر الأساس الذي قامت عليه الباراسايكولوجيا كعلم ذي كيان مستقل ومنفصل عن باقي العلوم بسبب من الطبيعة الخاصة للظواهر التي يدرسها. ان قيام هذا الإتّجاه بتدمير الأساس المتمثّل بفصل الظواهر الباراسايكولوجية عن الظواهر الفيزيائية سيجعل من الباراسايكولوجيا فرعاً من فروع الفيزياء ينظر الى الظواهر الباراسايكولوجية على أنّها ليست سوى ظواهر فيزيائية بشرية ينحصر تواجدها في أفراد قلائل! وبهذا ينحصر البحث في الظواهر الباراسايكولوجية داخلاً من حدود امكانية ومرونة تطبيق النظريات الفيزيائية على الكائن البشري فيصل أتباع هذا المنهج بالباراسايكولوجيا الى نفس النتيجة التي وصل اليها أصحاب العقول الضيقة من علماء الباراسايكولوجيا اذ افترضوا، دون برهان، أن الظواهر الخارقة للعادة هي ظواهر بشرية مائة بالمائة!

لقد قام أتباع المذهب البشري في تفسير الظواهر الباراسايكولوجية ببناء نظرياتهم على أساسٍ من استغلال حقيقة كون الدماغ هو مركز انبعاث وقيادة مختلف الفعاليات الحيوية في الإنسان فاتفقوا على اعتبار الظواهر الباراسايكولوجية فعاليات دماغية واختلفوا من خلال نظرياتهم المتباينة في شرح الكيفية التي يقوم بها الدماغ باحداث هذه الظواهر وتفاصيل تحكمه فيها. ان الدماغ البشري كيان معقد فسلجياً وتشريحياً وذو امكانيات هائلة مما يُرجِّح، من الناحية المنطقية، احتمالية أن يكون لهذا الدماغ القدرة على الإتيان ببعض الفعاليات التي تصنف على أنها خارقة عند مقارنتها بالفعاليات الدماغية المعروفة. الا أن هذا الترجيح المنطقي يجب أن لا يُعامل معاملة الحقائق من قبل أن تتم البرهنة على واقعيته، فان أمكن برهان ذلك فيجب توخّي الدقة في تحديد الفعاليات المقصودة وعدم تعميم ذلك على بقية الظواهر الباراسايكولوجية! ان المذهب البشري في تفسير الظواهر الباراسايكولوجيّة الداعي الى أنسنة جميع الظواهر الباراسايكولوجيّة هو منهج خاطيء لأنه وليد الإفتراض الخاطيء بامكانية النظر لكل تفاصيل الظاهرة الباراسايكولوجية من منظار الفيزياء النظرية.

وهنا يجب التشديد على أن بعض أتباع المذهب البشري في تفسير الظواهر الباراسايكولوجيّة قد قام بأنسنة الباراسايكولوجيا منطلقاً من الإيمان الدوغمائي بفلسفات تعاملت مع موجودات العالم تعاملاً بعيداً عن العقيدة التجريبيّة التي يجب أن ينضبط بقواعدها الصارمة البحث العلمي الرصين حتى لا يضل في متاهات التنظير والتفسير فينشغل عن الوجود الواقعي بوجود مُختلَق لا ينتمي الاّ الى عالم الخيال. اِن المذهب البشري في تفسير الظواهر الباراسايكولوجيّة يمثّل اِحياءً لمنهجٍ فلسفي شائه عاش مئات السنين من قبل أن يكتشف الإنسان فشله فيهجره. وهذا المنهج يعتبر الإنسان مركزاً للكون تدور من حوله كل الظواهر والأحداث كما ويعزو اليه دوراً رئيسيًّ في تفسير كل ما حدث ويحدث حوله أو بعيداً عنه. لذا فان الإتّجاه السائد حاليّاً لتفسير الظواهر الباراسايكولوجية على أساسٍ بشري يمثّل نزولاً على سلّم التقدم الفكري للإنسانية الى المستوى الذي كان عليه قبل أكثر من مائتي سنة، وبالنتيجة فاِن هذا الاتجاه خاطيء جملةً وتفصيلاً.

اِن في دروس التأريخ من العبر ما تكون في استذكارها فائدة جمة في الحاضر والمستقبل. ومن هذا المنطلق فاِن النظرة السريعة التالية لتأريخ علم الأمراض سوف يكون بامكانها الإسهام بصورة فاعلة في تقويم المعالجات الفكرية المعاصرة للظواهر الباراسايكولوجية، وذلك لأن هنالك تشابهاً أساسياً ومهماً بين الباثولوجيا (علم الأمراض) والباراسايكولوجيا، اِذ يدرس الأول الظواهر البشرية المَرضية والتي تمثّل تدنياً في مستوى الفعاليات البشرية وتحديداً غير سَوي للإمكانيات الجسدية للإنسان فيما يبحث الثاني الظواهر البشرية الخارقة والتي تمثّل سمواً في مستوى الفعاليات البشرية وانطلاقاً لإمكانيات الإنسان نحو آفاق جديدة تتجاوز واقعه المحدود بمحدودية حواسّه وقدراته.

لقد كان علم الأمراض، ومنذ القرن الخامس قبل الميلاد، يعتمد في تفسيره لأسباب حدوث الأمراض على نظرية عرفت بنظرية "الأمزجة". وكانت الإصابة بالأمراض تُعزى لحدوث اختلاف في توازن هذه الأمزجة المفترض وجودها في

جسم الإنسان. وبقيت هذه النظريّة سائدة حتى القرن السابع عشر حيث نُبذت تدريجياً من قبل علماء الأمراض مع انسياقهم المتزايد باتجاه المنهج التجريبي وتخلّيهم عن المناهج النظرية واسلوب اِطلاق الأحكام بالإعتماد على تأملات فلسفيّة ميتافيزيقية بحتة. فطُرحت لأَول مرة أفكار تجريبية، تمَّت البرهنة على صحَّتها فيما بعد، اعتبرت الأمراض وليدة عدم قيام بعض أعضاء الجسم بأداء وظائفها بصورة سليمة. ثم تقدَّم علم الأمراض خطوة كبيرة الى الأمام باكتشاف المكروبات وتأثيراتها كأسباب مباشرة في حدوث الكثير من الأمراض. وهكذا أصبح واضحاً اَن سبب حدوث مرض معيَّن هو اما علة داخلية تتمثَّل في عدم قيام عضو من أعضاء الجسم بأداء وظيفته بصورة صحيحة، أو علَّة خارجية تتمثَّل في وصول مكروبات ضارة الى بعض مناطق الجسم. لقد كان باِمكان الباراسايكولوجيين، من خلال تجنُّبهم الوقوع في فخ أمزجة الفيزياء النظرية والاستفادة من الخبرات التي تقدِّمها دراسة بعض العلوم، مثل علم الأمراض، الوصول الى تحديد دقيق لطبيعة الظواهر الباراسايكولوجية. فبدءاً كان يمكنهم افتراض احتمالية أن تكون كل ظاهرة باراسايكولوجية هي اما بشرية أي داخلية عضوية المنشأ في جسم الإنسان أو غير بشرية أي خارجية المنشأ تحدث نتيجة تدخّل كائنات غير بشرية لامحسوسة. ومن طبيعة الظواهر الباراسايكولوجية ومواصفاتها والإمكانيّات الخارقة التي تتجلّى فيها يمكن الاستنتاج ان مثل هذه الكائنات يجب أن تكون ذات خصائص متفوقة تتجاوز كل امكانيات التحسُّس لمختلف الأجهزة المُخترعة بشرياً حتى يومنا هذا. وهذه نتيجة منطقيّة جداً اذا أخذنا بنظر الإعتبار أن المكروبات، هذه الكائنات الدقيقة والتي لا يمكن على الإطلاق مقارنة صفاتها بالصفات المتوقَّعة للكائنات المسبِّبة للظواهر الباراسايكولوجية، لم يتم اكتشاف وجودها الاّ في القرن السابع عشر وذلك بعد أن وصلت تقنيّة صناعة المجاهر مرحلة متقدِّمة نسبياً، بل وأن بعض هذه المكروبات بقي بعيداً عن الاكتشاف فلم يكتشف الى أن تم اختراع المجهر الألكتروني.

اذاً فلكي نحدِّد ما اذا كانت ظاهرةٌ باراسايكولوجية معيَّنة هي فعالية بشرية أم غير بشرية، فليس أمام الإنسان، بسبب عدم تمكّنه لحد الآن من الكشف عن تدخّل كائنات غير بشرية، الاّ العمل باتّجاه واحد وهو القيام بدراسة عضوية، فسلجية وتشريحية، للإنسان الذي بإمكانه القيام بفعاليات باراسايكولوجية، فاذا لم يكن ممكناً تشخيص سبب عضوي يُعينه على استعراض هذه الفعاليات فلن يتبقّى بعدها الاّ الاعتراف بأن طاقة هذه الفعاليات هي غير بشرية المنشأ. وفي مثل هذه الدراسة يجب التمييز بين ما هو نتيجة وما هو سبب. فعلى سبيل المثال، ان اكتشاف وجود تأثيرات مغناطيسية معينة لجسم إنسان ذي قابليات باراسايكولوجية معينة يجب ألاّ يقود الى الإستنتاج المتسرِّع بأن القابليات الباراسايكولوجية لهذا الإنسان هي بشرية، وان هذا المجال المغناطيسي هو السبب وراء حدوثها. اذ يجب التمسُّك بنفس النهج السابق والبرهنة على أن هنالك سبباً عضوياً في جسم صاحب هذه القابليات يقف وراء ظهور هذه التأثيرات المغناطيسية. فاذا لم يتحقَّق ذلك فسيكون هذا التأثير المغناطيسي نفسه هو نتيجة، مثلما تكون القابليات الباراسايكولوجية التي يمتلكها صاحب هذا التأثير هي نتيجة أيضاً، ويكون السبب وراء هذه القابليات الخارقة والتأثير المغناطيسي غير بشري. والحقيقة ان هذا المنهج الاختباري في التحليل والاستنتاج لابد وأن يقود الى ان معظم الفعاليات الباراسايكولوجية، ان لم تكن كلها، هي ظواهر غير بشرية لأن أصحابها لا تختلف أعضاء أجسامهم فسلجياً ولا تشريحياً عن البشر الإعتياديين الذين لا يستطيعون القيام بهذه الفعاليات. وقد يجادل البعض في مصدر الافتراض أساساً بوجود كائنات غير بشرية تتسبب في حدوث الظواهر الباراسايكولوجية رغم أن هذه الكائنات هي غير قابلة للإكتشاف بواسطة الأجهزة التي قد عرفها الأنسان حتى يومنا هذا. والجواب على هذا التشكيك هو أن هذه الكائنات، غير المحسوسة وذات القابلية على التشكُّل بأشكال مختلفة، تكشف عن نفسها في ظواهر خارقة معيّنة بصورة واضحة كأن تتَّخذ أشكالاً مرئية أو تُصدر أصواتاً مسموعة ومفهومة. اذاً فالوقائع التجريبية تؤيِّد وجود

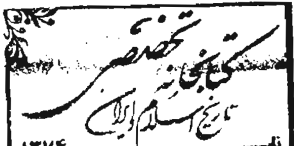
هذه الكائنات وتدخُّلها المباشر في الظواهر الباراسايكولوجية. إن الإطّلاع على بعض من هذه الظواهر كفيل بكشف الهوّة بين هذه الظواهر كوقائع تجريبية وبين المناهج النظريّة التي يسلكها معظم الباراسايكولوجيين في التعامل معها؛ هذه المناهج التي يزعم هؤلاء بأنها تكشف النقاب عن حقيقة كون الظواهر الخارقة للعادة تضطرنا للتنازل عن مفهومنا التقليدي للسببية؛ هذا المفهوم الذي تم لنا تشييده على اركان النظرة المألوفة للزمان والمكان. فمادام ليس هنالك، كما يتوهّمون، من أساسٍ مطلق للقول بوجود السببية فان مطالبتنا بضرورة توفُّر الطاقة كشرط اساسٍ لحدوث الظاهرة الخارقة للعادة لا موجب لها مادامت هذه الظاهرة هي تجلٍّ لفعالية نفسية لا خضوع لها على الاطلاق لمبدأ السببية؛ هذا المبدأ الذي يتوهّمونه قانوناً لا يسري على النفس البشرية!

لذلك فلا موجب، كما يتوهَّمون، لاشتراط توفُّر الطاقة كيما يكون للظواهر الخارقة للعادة حظٌّ في الحدوث على ارض هذا الواقع! لقد حاول باحثو الباراسايكولوجيا النظرية بهذا الالتفاف الخائب، مناورةً بكلمات جوفاء لا معنى لها على الاطلاق، ان يُجرِّدوا الظاهرة الخارقة للعادة من عصب حياتها الذي لا حدوث لها دون سابق تواجده. فالظاهرة الخارقة للعادة ما خرجت على الإجماع الا بهذا الخضوع منها لطاقة غير منظورة بالعين وغير محسوسة بالاجهزة الكاشفة detecting devices. لذلك فان نفي ضرورة تواجد هكذا طاقة لولاها لما تسنّى للظاهرة الخارقة للعادة ان تحدث ما هو الا ضربٌ من الدفاع الاخرق عن المنظومة المعرفية السائدة لئلا تضطرها هذه الظاهرة الى الافصاح عن الضعف الكامن في صُلب بُنيتها النظرية؛ هذه البُنية القائمة على اساسٍ واهٍ من افتراض ما لا وجود له للتعليل لما يحدث في ظواهر الوجود! ان اهم ما تتفرّد به الظواهر الخارقة للعادة هو انتماؤها لواقعَين وبما يجعل منها تنبت وتُزهِر على أرض هذا الواقع بجذور تضرب عميقاً في أرض واقع آخر يتكفّل بتزويدها بما تحتاجه من طاقة حتى تحدث. الا ان ميتافيزيقا الباراسايكولوجيا، كما تُعبِّر عنها بكل حماقة النظريات الباراسايكولوجية، لم ترَ في الظاهرة الخارقة للعادة

ما يُطالبها بضرورة مراجعة منطلقاتها النظرية بل وعلى العكس فانها ما رأت في هذه الظاهرة الا ما توهمته دليلاً يؤيد صواب ما ذهبت إليه من أن مبدأ السببية لا سلطة له على النفس الانسانية! اذاً فحتى يستقيم بنيان الميتافيزيقا الباراسايكولوجية فاننا مطالَبون بوجوب التخلي عن واحدٍ من أعظم دعائم الوجود ألا وهو قانون السببية؛ هذا القانون الذي لا نجد في هذا الوجود حادثةً واحدة لها أن تُعيننا على إنكار مطلق هيمنته وتغلغله في نسيج أحداثه! إذاً فهذه الميتافيزيقا لا تُزوِّدنا بتفسيرات خاطئة للظواهر الخارقة للعادة فحسب ولكنها تدعونا، وبكل صفاقة وصلف، للتخلّي عن واحد من أكثر مبادئ هذا الوجود أساسيةً وشاملَ تأثيرا! إلا أن منظِّري الباراسايكولوجيا لما لم يروا في هذا كله ما من شأنه أن يزلزل أركان المعرفة البشرية راحوا يُمعنون في تقويض أركان هذا الواقع وهم يحاولون تفسير ما يتجلّى في بعض الظواهر الخارقة للعادة من تناقض والأسس الميتافيزيقية التي شيَّدت عليها المنظومةُ العقلية للفكر البشري بُنيانها وهي تنظر الى الوجود بعين لا تريد أن تستوعب ضمن مدى رؤيتها إلا ما لا يُعارض هذه الأسس السابقة للرؤية بزعمها! فالبعض من الظواهر الخارقة للعادة، كظواهر التزامن والنبوءات المستقبلية وظواهر الإخبار بأنباء ما مضى أو غاب عن الأبصار، يتجلّى فيها ما يبدو أنه يتعارض وما اعتدنا على الأخذ به على أنه النظام الذي ينتظم الوجود ويُنظِّم مسار حدوث وقائعه وأحداثه تعاقباً في الزمان أو سبقاً يُمليهما المفهوم التقليدي للزمان والمكان. فكيف تصدّى أتباع الميتافيزيقا الباراسايكولوجية لهذا الخرْق البيّن المتجلّي في هذه الظواهر للمفهوم السائد عن الزمان والمكان؟ لقد أصرَّ هؤلاء الميتافيزيقيون الجُدُد على ضرورة التخلّي عن هذا المفهوم، الذي تؤيّده الوقائعُ والظواهر غير الخارقة للعادة ولا تستبعده الظواهر الخارقة للعادة كما توهّموا، مقابل الأخذ بمفهوم جديد لا يقرُّ للزمان والمكان بما درجنا على وصفهما به مادام ينظر لهما على أنهما ليسا بأكثر من مفهومَين مطاطيين بإمكاننا التعامل معهما بكل بساطة وفقاً لما يتطلّبه الظرف! فمادامت هذه الظواهر لا يبدو عليها أنها تتقيّد بضوابط الزمان

والمكان، كما نألفها، فهي إذاً ضوابط موقوتة ومحدودة بزمان ومكان معينين ليسا بالضرورة الزمان كله والمكان بأكمله! أما تفسير ما يحدث في ظواهر كهذه يتجلّى فيها خرْق للزمان والمكان، كمفهومَين تقليديَّين، فهو لا يتطلب غير القول، من بعد تمام التخلّي عن هذين المفهومَين، بوجود مستودع داخل الدماغ الإنساني، وبالتحديد في منطقة اللاوعي منه، يحوي تاريخ الخلْق كل الخلْق!! وإلا فكيف نفسِّر ظهور هذا الفيض من المعلومات التي تزخر بها هذه الظواهر ذات الصلة بأزمان وأماكن تتعالى على زمان ومكان حدوث الظاهرة منها؟! وهكذا تتوالى العجائب ويتلاحق ظهور الغرائب مع هذه "الميتافيزيقا العلمية" التي جاءتنا بها الباراسايكولوجيا المعاصرة! فبدلاً من القيام بإزالة الغموض عن الظواهر الخارقة للعادة بتفسيرها وفقاً لمفردات المنظومة المعرفية البشرية وبما لا يستدعي استقدام ما ليس بمحتوى في هذه المنظومة، نجد هذه الميتافيزيقا قد قامت بخلْق "ظواهر خارقة للعادة"! اضافتها الى ما بين ايدينا من ظواهر! لكأننا لم نكتفِ بالغموض المصاحب للظواهر الخارقة للعادة التي استعنّا بالباراسايكولوجيا وميتافيزيقاها لتفسيرها حتى ترفدنا بهذه "الظواهر الجديدة"! فبالله عليك، ما الذي تفهمه من انتفاء السببية داخل النفس الانسانية؟! وماذا يُفهم من كون الزمان والمكان غير ما درجنا على اعتباره بخصوصهما؟! وما الذي تعنيه هذه الباراسايكولوجيا بهذا المستودع الموجود داخل اللاوعي الإنساني؟! وكيف تأتّى له ان يستقر داخلاً من المادة الدماغية لعقل الانسان وهو يحوي تاريخ كل مفردة من موجودات هذا الوجود ماضياً وحاضراً ومستقبلاً؟! وهل يكفي هذا الدماغ حقاً لاستيعاب كل هذا العلم بالوجود ومفرداته؟! ام تُرانا ينبغي علينا التخلُّص من "المفهوم التقليدي للمادة" هو الآخر مادمنا قد سبق لنا وان تخلّصنا من مفاهيم تقليدية اخرى من مثل: مبدأ السببية وقانون حفظ الطاقة والزمان والمكان؟! هل بقي من شيء بعدُ؟! وهل هذا الذي اضطرتنا اليه ميتافيزيقا الباراسايكولوجيا هو حقاً الوصف الحقيقي للوجود؟! ام تُراه ليس بأكثر من "وجود افتراضي" لا يختلف عما لانهاية له من نماذج نظرية للوجود ليس واحداً

منها الوجود الحقيقي؟! اذاً فنحن مطالَبون بالتخلّي عن الوجود كما نعرفه بدلالة وشهادة هذا الواقع، مؤيَّداً بعدد لا حصر له من الاختبارات والتجاريب والوقائع والبراهين، مقابل الايمان الغيبي بوجودٍ باراسايكولوجي تفرضه علينا هذه الميتافيزيقا التي كلها خَبال وخرَص! والآن ومن بعد هذا الاستعراض العاجل لأهم ما جاءتنا به ميتافيزيقا واحدٍ من اساطين العلم النظري المعاصر، والآن ومن بعد هذا الاستعراض العاجل لأهم ما جاءتنا به ميتافيزيقا واحدٍ من اساطين العلم النظري المعاصر، هل لنا من عودةٍ إلى "الميتافيزيقا القرآنية" مادامت لا تطالبنا بالتخلي عما بين ايدينا من حقائق تشهد لها وقائعُ الواقع بأنها كذلك؟ أم تُرانا لا يحلو لنا تغن الا بليلى ميتافيزيقا الالحاد بالله مادامت لا تطالبنا بغير العبودية للإنسان وعظمته الزائفة؟! اما آن لنا ان نعود إلى هذا القرآن؟ كفانا هجْراً له فلقد استبدلنا الأدنى بالذي هو خير ونحن نظن اننا نُحسن صنعاً وإنْ نُهلك الا انفسنا وما نشعر ولا ندري ونحن في غمرة فرحنا بهذا العلم النظري وميتافزيقاه العاجزة عن ان تجد لها دليلاً واحداً على صواب ما ذهبت إليه من غُلو في تأليه الإنسان! إن "الميتافيزيقا القرآنية" قائمة على أساس تجريبي-اختباري متين وذلك على خلاف كل ميتافيزيقا انتجها عقل الإنسان وهو يحاول إسباغ الوهيته الزائفة على ما حواليه! فالدين الالهي ما هو الا ميتافيزيقا تجريبية لا تعجز عن ان تجد لها من البراهين والادلة في هذا الواقع ما هو كفيلٌ بتبيان حقيقة كونها لا تُشابه اية منظومة ميتافيزيقية أخرى مادامت كل ميتافيزيقا أخرى سواها هي محض خرافات واباطيل! إن الميتافيزيقا التجريبية، مُمثلةً بالدين الالهي كما يُعبر عنه القرآن العظيم، بوسع كل مَن أراد الآخرة وسعى لها سعيها سيراً صادقاً على الطريق الالهي إلى الله ان يستيقن من انها حقاً لا تطالب الا بالحق مادام هذا الطريق محفوفاً بكل ما من شأنه ان يجعل منها تتجلى عجائباً وغرائباً وخوارقَ عاداتٍ ليس لها من دلالة وشهادة الا بأن هذه الميتافيزيقا ليست كغيرها ميتافيزيقا. فهذا الطريق كفيل بتبيان تفرد الميتافيزيقا الالهية بكل ما من شأنه ان يجعل منها بحق منظومة معرفية لا تنطق



بغير الحق المؤيد ببرهان الاختبار والتجريب. إن الميتافيزيقا الصائبة هي تلك التي بالإمكان وصفها بأنها ميتافيزيقا تجريبية-اختبارية لا تكتفي بسرْد ما لا قدرة للواقع على الشهادة له بأنه حقاً ذو وجود واقعي انتماءً لواقعٍ آخرٍ ما كان له أن يكون له وجود لولا انتماءه هذا. فهل نعي هذا التفرد الذي حبًا الله به قرآنه العظيم إذ جعله كتاب ميتافيزيقا تجريبية لا قدرة للواقع الا على أن يشهد لها بأنها الحق الالهي مادام واقعاً تحت متناول يد السائر بقلبه على الطريق الالهي إلى الله بضوابط هذا القرآن كما بينتها آياته القرآنية الكريمة منهاجاً وحيداً للعلاقة الواجب نشوؤها بين العبد وخالقه؟!

دعوة لتأسيس باراسايكولوجيا عربية مؤمنة

قد يظن البعض ان الدعوة لتأسيس باراسايكولوجيا عربية مؤمنة هي محض ترف فكري لا طائل من ورائه. فما الداعي لنبذ ما بين أيدينا من باراسايكولوجيا؟ ولماذا هذا الاصرار على النظر اليها بعين لا تراها الا غربية ملحدة؟ وهل هي حقاً كذلك؟ أم ان هذه الدعوة هي ليست بأكثر من رد فعل انفعالي لا علاقة له بالمعرفة من قريب أو بعيد؟ إن هذه الاسئلة مشروعة بكل تأكيد وذلك طالما كان واقع الاهتمام بالباراسايكولوجيا هنا في بيئتنا العربية لا يتجاوز استيراد ما تطرحه السوق الغربية للاستهلاك العالمي من نتائج جاهزة ليس لنا ان نستقدمها الا للاستخدام المباشر دونما فحص أو تدقيق! فواقع الحال كفيل بأن يبرهن لنا على اننا لم نقم بإجراء أية فحوصات معرفية على السلع الباراسايكولوجية التي قمنا باستيرادها من الغرب ظناً منا انها مجرد مفردات صائبة لعلم جديد يتوجب علينا مشاركة الغرب هَوَسه به واتخاذه صرعة العصر وذلك حتى لا يُقال عنا بأننا متخلفون! والا فكيف فاتنا ان نعي خطورة استقدام الباراسايكولوجيا هكذا ومن دون القيام بعرضها على منظومتنا الفكرية وذلك ليتسنى لنا التأكد من خلوها من أية فايروسات عقائدية بمقدورها التسلل إلى نظامنا المعرفي وتدميره بالتالي اِن نحن لم نعمل على الحيلولة دون ولوجها نظامنا هذا؟! لقد خُيل الينا ان قيامنا بعرض السلع الباراسايكولوجية في اسواقنا الفكرية لن ينجم عنه أي ضرر وذلك طالما كان هذا العرض مماثلاً لعرض غيرها من السلع الاستهلاكية المعاصرة! كما اننا لم ندرك ان المُطابَقة ما بين الباراسايكولوجيا والظواهر التي تقوم هذه بدراستها هي عين ما قمنا به وذلك عندما أخذنا نروج للباراسايكولوجيا على انها ذلك "العلم" الذي له الوصاية المطلقة على "الظواهر الخارقة"! لقد اُخذنا بهذه المطابقة الزائفة إلى حد اننا لم نعي جسامة الخطأ المعرفي الذي أوقعتنا فيه! فـ "الظواهر الخارقة" شيء والباراسايكولوجيا شيء

آخر. وليس من العدل ولا الانصاف ان يُصار إلى فرض وصاية على هذه الظواهر من قِبل باراسايكولوجيا بعيدة كل البُعد عن الاتصاف بكل ما من شأنه ان يُميز العلم الحق! كما اننا لم نجد في ما تم توريده الينا على انه "العلم" الوحيد الذي له الحق المطلق بدراسة "الظواهر الخارقة" ما يجعل منا مُلزَمين بالنظر إليه بعينٍ لا تراه الا، وكما اراد لنا القائمون على تصديره، علماً كباقي العلوم التي أوصلت الغرب إلى تفوقه الحضاري هذا. فالقائمون على الترويج لهذا العلم الباراسايكولوجي لا يرونه يختلف في شيء عن علم الفيزياء أو الطب مثلاً! فهو علم صائب يقول الحق ولا يهدي إلا إلى سواء السبيل! ولكن هل هو حقاً كذلك؟! هذا ما لم يكلف هؤلاء انفسهم عناء البحث المطول فيه بُغية استكشافه وتفحصه على وجهٍ يتيح لنا التيقن من أن هذا العلم هو حقاً كذلك: علمٌ بالوقائع على ما بامكاننا ان نعرفه على وجه اليقين عنها ليس الا. وهكذا تم ترسيخ أقدام الباراسايكولوجيا على أرضنا وذلك من قبل ان نتبين مدى تطابقها مع الخصائص التكوينية لنظامنا المعرفي القائم على الايمان بوجود الله سبحانه وتعالى. فمادامت الباراسايكولوجيا لا تُعنى الا بـ"ظواهر خارقة" من قبيل "توارد الافكار" و"الاستشعار الخارق عن بُعد" و"التحريك النفسي للأشياء عن بُعد" و"الادراك المُسبَق" فلا تعارُض بينها وبين الايمان بالله! ولكن هل استجلَينا هذا الأمر وبما يتناسب مع خطورة التفسير الذي تريد الباراسايكولوجيا ان تجعلنا نأخذ به على انه الوصفُ الحقيقي لما يحدث في هذه الظواهر وأية "ظواهر خارقة" اخرى؟! فلو اننا أمعنا النظر وتروينا قبل الانسياق مع الموجة والصرعة لَتبين لنا ان ما ترمي إليه هذه الباراسايكولوجيا جدُ خطير وذلك لأنها تريد بتفسيرها "الظواهر الخارقة" ان لا تجعل لما هو غير بشري أي دور في حدوث ما يحدث فيها. ولعلنا ان نتساءل ببراءة: وما الضير في ذلك طالما كان هذا الأمر قائماً على أساس متين من الحجج والبراهين؟ لقد فاتنا ان ندرك ان أخذَنا بالتفسير الذي تخيلته الباراسايكولوجيا وصفاً حقيقياً وحيداً لما يحدث في "الظواهر الخارقة" سوف يجعل منا نشاركها دون وعي منا انكارها لوجود عالم

الغيب؛ هذا العالم الذي لا ايمان بدون التسليم المطلق بوجوده! فإرجاع الطاقة المسؤولة عن حدوث هذه الظواهر إلى مصدر بشري يُلزمنا بانكار وجود تلك الكائنات غير البشرية التي أمرنا القرآنُ العظيم بالايمان بوجودها بل وبتواجدها معنا هنا والآن وفي الحياة الآخرة! وفي غمرة انشغالنا بالصرعة الجديدة فاتنا ان نتذكر أيضاً ان الباراسايكولوجيا نظامٌ معرفي متكامل لابد لمستخدمه من الاخذ به بالكامل دون اجتِزاء أو تبعيض. لذا فان الانسياق وراء هذا النظام المعرفي يُلزمنا بوجوب اتخاذ عين الموقف الذي اتخذه حيال تلك الظواهر التي لا يجب أن ننظر اليها الا بمنظار الايمان بالله وبما يُمليه علينا من ايمان بكائنات غيبية هي السبب الطاقي في حدوثها. وهكذا ننساق مع الباراسايكولوجيا إلى الالحاد الذي جاءت تدعو إليه شأنها في ذلك شأن باقي مباحث العلم النظري المعاصر الذي تشاركه فرضه الوصاية المطلقة على ظواهر الوجود قاطبة. لذا فان رفضَنا للباراسايكولوجيا جملةً وتفصيلاً هو السبيل الوحيد للبقاء في صف الايمان بوجود الله؛ هذا الصف الذي سوف نخرج لامحالة عليه حتى وان لم نأخذ الا بتفسيرها لتلك "الظواهر الخارقة" التي "لا يبدو" لنا منها ما يتوجب علينا ان نُرجعه إلى وجود غيبي لكائنات ترفضها هذه الباراسايكولوجيا الملحدة بالضرورة. فمَن الذي يضمن لنا اِن اَخذَنا بتفسيرها للظواهر ذات الصلة بقابليات الإنسان الخارقة لن يوقعنا في المحظور وذلك لصعوبة تبين الحدود الفاصلة بين ما هو بشري وما هو غير بشري حتى في هذه الظواهر؟! فالباراسايكولوجيا كل لا يتجزأ فاما ان يتم أخذُها بالكامل واما ان يتم رفضُها بالكامل. فهي تمهد للقول بعدم وجود ما هو غير بشري في "الظاهرة الخارقة" عموماً بقولها اِن الظواهر التي تقوم بدراستها تتعلق بقدرات بشرية خارقة! وهكذا فسوف يتدرج بنا الأمر حتى تقوم باستدراجنا إلى وجوب القول بعدم وجود ما هو غير بشري في هذا الوجود! وهنا لابد من التشديد على أن الرفض الكامل للباراسايكولوجيا لا يُلزمنا برفضٍ مطلق للظواهر التي تقوم بدراستها! فهذه مطابقة زائفة روجت لها هذه الباراسايكولوجيا وذلك اسوةً بالعلم النظري

المعاصر الذي يروج لوهم زائف آخر يريدنا ان نشاركه الوقوع فيه فنؤمن معه بأنه وظواهر الوجود التي يقوم بدراستها سواء! إن قيامنا نحن بدراسة "الظواهر الخارقة" هو عين ما يتوجب علينا من بعد رفضنا للباراسايكولوجيا بالكامل. وهذا ما تعنيه "الدعوة لتأسيس باراسايكولوجيا عربية مؤمنة". فهي ليست دعوة عنصرية دينية كما قد يتوهمها البعض وذلك بسببٍ من كونها عربية مؤمنة! فلأنها غير غربية التفكير كان لابد لها ان تكون عربية ولأنها لا تشارك العلم النظري المعاصر الحاده وإنكاره لوجود الله سبحانه وتعالى فهي مؤمنة بالضرورة. ولأنها مؤمنة كان حقيقاً على هذه الباراسايكولوجيا ان لا تخجل من الانطلاق المعرفي من خط شروع يستند إلى القرآن العظيم الذي هو بحق مبعث فخار كل عالم صادق الانتماء للعلم بالوجود على ما تعرف به الينا وليس على ما نتخيله بشأنه! لذا كان على الباراسايكولوجيا العربية، بسببٍ من عقلنا العربي هذا الذي أجبرنا الغربُ على أن ننظر إليه على انه كذلك، ان تكون مؤمنة بوجود كائنات غير بشرية من قبيل الملائكة والروح والجن والشياطين وجنود لله لا يعلمهم الا هو وكائنات أخرى تعج بها السموات والأرض. إن تحديد الخصائص التكوينية لهذه الباراسايكولوجيا الجديدة لن يكون الا بالرجوع إلى مرتكزاتها المعرفية المستندة إلى الايمان بوجود الله سبحانه وتعالى والتسليم دون قيد أو شرط بكتابه العزيز والاقتصار في التعامل المعرفي مع "الظواهر الخارقة" في هذا الوجود على ما بالإمكان التيقن منه بشأنها بحثاً تجريبياً خالصاً من أية تنظيرات تتعارض والإقرار بما ألزمت هذه الباراسايكولوجيا نفسها به من ايمان بكون الله سبحانه وتعالى هو الفاعل الحقيقي في هذا الوجود وإن تعذر علينا إدراكُ ذلك، على وجه اليقين، ادراكاً يتجاوز الايمان بالغيب. إن إدراكنا لمأساة الباراسايكولوجيا الغربية الملحدة كفيلٌ بجعلنا نهرع من فورنا إلى تأسيس باراسايكولوجيا عربية مؤمنة نعدها للهجوم المعرفي على مَن سبق له ومرر الينا الحاده ففات علينا إدراكه! إن الفكر العربي المؤمن بامكانه ان يبرهن على أن قيامه برفض الباراسايكولوجيا الغربية لم يكن بسببٍ من استعلائها المتكبر على

المنظومات الفكرية للآخرين؛ خصوصاً ماداموا عرباً مسلمين! فالبنيان المعرفي لهذه الباراسايكولوجيا يمتاز بهشاشته الابستمولوجية وباهتراء نسيجه المعلوماتي. فنحن لا نحتاج ان نكون فلاسفة علم محترفين وذلك ليتسنى لنا الوقوع على تلك العيوب المعرفية التي جعلت من الباراسايكولوجيا علماً نظرياً يوشك على الاحتضار! فلقد سبق وان تبين لنا كيف اندفعت الباراسايكولوجيا وراء رغبة مجنونة في تفسير "الظواهر الخارقة" وفقاً لنموذج نظري قائم على إرجاع كل ما يحدث في هذه الظواهر إلى طاقة بشرية حتم عليها القولُ بها اصطناع كينونات خرافية داخل الدماغ الإنساني وذلك لتعلل بواسطةٍ منها لكيفية توليد هذه الطاقة. ولقد ادى بها هذا الاصرار على الاستعانة بهذه الكينونات النظرية الزائفة إلى مواجهة معرفية مع ما هو ثابت تشريحياً وفسيولوجياً من معلومات لا سبيل لدحضها على الإطلاق بخصوص البُنية البايولوجية للدماغ. وكانت النتيجة، وكما هو متوقع، فشلاً ذريعاً حاق بالبارسايكولوجيا بمنظومتها المعرفية القائمة على أساس ميتافيزيقي لا علاقة له بالوجود الحقيقي! كما ان السياسة التي انتهجتها الباراسايكولوجيا في الدراسة التجريبية "للظواهر الخارقة" كانت لا تقل تخبطاً عن تلك التي وجهت مباحثها النظرية. فلقد قامت الباراسايكولوجيا باقصاء كم كبيرٍ من هذه الظواهر بعيداً عن المختبر لا لشيء الا لتعارُض التفسير الذي سوفٍ تكون مُلزَمة بالاخذ به، إذا ما هي ارادت القيام بتفسيرها، مع النماذج النظرية لمنظومتها المعرفية التي لم تكن على الإطلاق لتخالف عن امرها ونهيها! ولقد أدى الاستبعاد غير المُبرر لهذه الظواهر إلى جعل الباراسايكولوجيا التجريبية تراوح في مكانها دون أي أمل بإحراز تقدم ملموس يتناسب والجهود الكبيرة والاموال الطائلة التي تم تبذيرها في تجارب فاشلة لم يكن لها يوماً ان تفي بما سبق وان وعدت به النظريات الباراسايكولوجية من امكانية التوصل إلى تقنيةٍ يتم بموجبها التعامل مع القابليات الخارقة على أساس يُتيح لكل البشر القيام بتعلمها وتعليمها! وبعد هذا الاستعراض العاجل لأهم العيوب التي بإمكان الفكر المحايد تشخيصها،

وبكل يُسر، في البنيان المعرفي للباراسايكولوجيا فان قيام الفكر العربي المؤمن برفضها رفضاً قاطعاً سوف يغدو أمراً لابد منه. فمادامت الباراسايكولوجيا ساقطة معرفياً فلماذا التأني بشأنها من بعدما تبين عجزها عن ان تكون علماً نافعاً؟! إلا أن الأمر مع هذه الباراسايكولوجيا لم ينتهِ بعد وذلك لأن سقوطها معرفياً شيء وتعارضها مع منظومتنا الفكرية، العربية المؤمنة، شيء آخر! فبامكان أي فكر سليم ان يحذو حذونا ليحالفه النجاح في البرهان على عَجْز الباراسايكولوجيا عن ان تكون شيئاً آخر غير منظومة ميتافيزيقية لا علاقة لها بما يحدث حقيقةً في عالَم "الظواهر الخارقة". فهذا امر لا يستدعي أن يكون هذا الفكر عربياً مؤمناً بالضرورة. اما مُناجزة الباراسايكولوجيا بسيف الايمان بالله فهذا ما ليس بإمكان أية منظومة فكرية القيام به ما لم تكن عربيةً مؤمنة بالضرورة! فاذا كانت الباراسايكولوجيا عاجزةً عن التخلي عن الحادها الا بتنازلها عن هويتها ووجودها فان رفضَنا لها يجب أن يكون بسببٍ من الحادها هذا وذلك قبل أن يكون بسببٍ من ميتافيزيقيتها وفساد منظومتها الفكرية. فالمواجهة بين فكرنا العربي المؤمن وهذه الباراسايكولوجيا الغربية الملحدة هي مواجهة بين الايمان والالحاد وعلى أرض هذا الواقع وذلك قبل ان تكون مواجهة ابستمولوجية بالإمكان خوضها في أي مكان!! إن الخطاب الباراسايكولوجي حربٌ على الايمان بالله قبل أن يكون معركة ضد التفكير السليم والابستمولوجيا! لذلك علينا ان نعي خطورة هذا الخِطاب وان لا يكون كل حظه منا مجرد الاكتفاء برفضه رفضاً معرفياً تحتمه العيوبُ التي قمنا بإيجازٍ عاجل لأهمها! فإخلاصنا لعقيدتنا يحتم علينا ان ننتصر لله على مَن ينكرون وجوده سبحانه وتعالى ويقاتلون في سبيل ذلك متسلحين بهذه الباراسايكولوجيا الموشكة على الاحتضار! إن الهجوم المقابل على هذه الباراسايكولوجيا الملحدة يجب أن يتم من بعد ادراكنا انها ليست منظومة معرفية فاسدة فحسب ولكنها، وقبل ذلك، منظومة الِحاد تستهدف ايماننا بالله سبحانه وتعالى وبكل ما يوجبه علينا ايمانُنا من ضرورة التسليم بكائنات غيبية تُريدنا هذه الباراسايكولوجيا ان ننكر وجودها

ونؤمن بدل ذلك بكينوناتها الخرافية التي استوردتها من عالَم ميتافيزيقي لا وجود له اطلاقاً! إن فكرنا العربي المؤمن لا قيام له الا بالايماًن بعالم الغيب وكائناته وهو فكرٌ يؤمن بوجود المعجزات وخوارق العادات والكرامات و"الظواهر الخارقة" التي ترافق السير على الطريق إلى الله. لذا فان الباراسايكولوجيا لا يمكن إلا أن تُناصب فكرنا هذا العداء السافر. وهذا ما يُحتم علينا وجوب اتخاذها عدواً نقاتله حتى يُسلم. وهكذا نرى ان تأسيس باراسايكولوجيا خاصة بنا ليس ترفاً فكرياً بل ضرورة لابد منها لمواجهة الباراسايكولوجيا الغربية الملحدة التي أبداً لن تكتفي بمجرد إبداء وجهات نظر بريئة حيال "ظواهر خارقة" لا تصادُم بينها وبين الايمان بوجود الله، وذلك كما يروج فينا ازلامُها! فهذه الباراسايكولوجيا أبداً لن تقنع بمجرد هذا النزر اليسير من اهتمامنا وهي أبداً لن تكف عن محاولة الامتداد إلى ما يتجاوز "الظواهر الخارقة" البريئة إلى تلك الظواهر التي ترتبط بالايمان في فكرنا المؤمن. فلكي نواجه التأويلات الباراسايكولوجية الملحدة لهذه الظواهر يتوجب علينا تأسيس باراسايكولوجيا خاصة بنا تقوم بتوفير تأويلاتٍ مؤمنةٍ مضادة لا تكتفي بمجرد الدفاع المشروع عن النفس بل تُبادر إلى الهجومٍ على الباراسايكولوجيا في عقر دارها. فقد نُعذَر لعدم قيامنا بصياغة باراسايكولوجيا بمستطاعها القيام بقراءة مؤمنة لتلك "الظواهر الخارقة" التي انشغل بها باحثو الباراسايكولوجيا الغربية وذلك بحجة عدم تعارُض القراءة الغربية لهذه الظواهر مع فكرنا المؤمن. ولكن مَن يعذرنا لتقاعُسنا عن توفير قراءة بمقدورها التصدي للتأويل الإلحادي الذي تُقدمه هذه الباراسايكولوجيا على انه القراءة الوحيدة التي بالإمكان التفكير فيها بخصوص تلك "الظواهر الخارقة" التي هي قوام منظومتنا الفكرية المؤمنة؟!

هل نحن حقاً بحاجة الى أبستمولوجيا جديدة أم أن بوسعنا الاكتفاء بما بين أيدينا من أبستمولوجيا فلا ضرورةَ بالتالي للبحث عن بديلٍ لها؟ سؤال مشروع، ومشروعيته هذه قد اكتسبها بسبب من عجزٍ كامن في صُلب المنظومة المعرفية للأبستمولوجيا المعاصرة؛ هذا العجز الذي تجلى أيما تجلٍّ في عدم تمكُّنها من الخروج من حالة الركود المعرفي التي أوصلتها اليه وأوقعتها في مستنقعه محاولاتُ جُل فلاسفة العلم المعاصرين جعلها تضاهي، مبنىً ومحتوى، بعضاً من أكثر نظريات الرياضيات الحديثة تعقيداً وانجرافاً عن الملموس والمحسوس وانغماساً في فضاءات التنظير الافتراضي. فلقد ابتعدت الابستمولوجيا المعاصرة عن "الواقع الفلسفي" لتنزوي بعيداً عن الخوض في مجاهله ولتنشغل عنه بإقامة موديلات افتراضية استغنت بها عن هذا الواقع، الذي كانت انطلاقتها أول مرة تستهدفه، إلا أنها، وبسبب من سوء تعامل جُل فلاسفة العلم المعاصرين معها، ضلّت طريقها عنه وحادت عن مسارها وانحدرت الى متاهات الافتراض والنمذجة المتعالية على المحسوس والملموس مكبَّلةً بقيود لا فكاك لها منها. يظن العلم النظري المعاصر، والذي كان له الفضل في ايصال الابستمولوجيا المعاصرة الى حالها البائس اليوم، أن منظومته المعرفية قادرة على التعامل مع وقائع الوجود كما ليس بمقدور أي علم آخر تسنى للانسان، على امتداد الزمان، نظمُه والاحاطة به والوقوع عليه! فالوجود، كما يراه هذا العلم، واقعٌ لا محالة تحت متناول يديه وهو، لذلك، لن يكون عاجزاً، على الاطلاق، عن التوغُّل داخل هذا الوجود تعمُّقاً يطال مفرداته المختفية بعيداً عن أنظار الانسان وأجهزته المختبرية! وهذا التعمُّق العلمي، النظري بالضرورة، يتوهّمه العلمُ المعاصر تغلغلاً في بواطن الوجود يتيح له الوقوع على مُكوناته الأولية؛ هذه المكونات التي ليس بوسع هذا العلم أن يتيقَّن من وجودها الحق داخل مادة الوجود حتى ولو استعان بكل ما بين

يديه من تقنيات جبارة! لذا فالعلم النظري المعاصر اذ يقول بوجود مُكوِّناتٍ لهذا الوجود لا قدرة لأحد سواه على التعامل المعرفي الصائب معها فانه لا يُبرهن على صحة هذا القول بجعْل السامع لقوله هذا مُلزَماً بالأخذ به على أنه الحق الذي لا ريب فيه وذلك طالما لم يكن بمقدور العلم التجريبي-الاختباري تزويده بكل ما يحتاجه لتقديم البرهان الكافي هذا! فالعلم التجريبي-الاختباري عاجزٌ عن رفْد العلم النظري المعاصر بما يُمكِّنه من البرهنة على صواب ما تقول به منظومتُه المعرفية بخصوص وقائع وأحداث هذا الوجود. إلا أن العلم النظري المعاصر لم يأخذ بنظر الاعتبار هذا العجْز، الكامن في صُلب البُنية المعلوماتية للعلم التجريبي-الاختباري، عن تقديم ما يؤيد ادعاءاته بل راح يروِّج فينا لخرافة مفادها أن هذا الوجود واضح كل الوضوح لناظريه بوقائعه وأحداثه، التي بوسع الانسان وأجهزته الحديثة الإحاطة بها، وبمكوّناته التي لا قدرة لغير منظومته المعرفية على النظر إليها بعين التأويل والتفسير. لذا فلا حقيقة خلاف ما يقول به هذا العلم ولا واقع إلا الذي نجح هذا العلم في استيعابه وقولبته داخلاً من القوالب الجاهزة لمنظومته هذه! فالواقع هذا واقعٌ في قبضة العلم النظري المعاصر الذي استطاع بعين نظرياته أن يُبصر جوانبه المستخفية عن أعين الانسان وأجهزته!! إن "الواقع العلمي" هو "الواقع الحقيقي" كما يتوهّم ويظن هذا العلمُ النظري الذي بين أيدينا ونحن في مستهل الالف الميلادي الثالث! ولكن كيف السبيل الى تجاوز هذا المأزق المعرفي الذي تسبب به البعضُ من فلاسفة العلم المعاصرين ومثلُهم من المشتغلين بجانب من مباحث العلم النظري المعاصر؟ إن مسيرة نشوء وتطور واستفحال هذا المأزق المعرفي قد ابتدأت منذ اللحظة التي قرر فيها من سبق بيان صفتهم من فلاسفة علم وعلماء نظريين الاقتصار على جانب يسير فقط من طيف ظواهر الوجود مستبعدين بذلك قسماً كبيراً من هذا الطيف بحجة أنه لا يمكن إخضاعه لمبضع التجربة ودورق الاختبار! وكان أن ولد ما أصبح يُعرف لاحقاً بـ "الظواهر الخارقة": هذه الظواهر المسكينة التي لم يكن لها ذنب الا أنها استعصت على القوالب النظرية الجاهزة التي توهمها العلم

النظري المعاصر واسعةً سعةَ الوجود بقضِّه وقضيضه! لذا فليس من سبيل لإخراج الابستمولوجيا المعاصرة المحاصَرة داخلاً من تلافيف هذا المأزق المعرفي العسير إلا بصياغة "ابستمولوجيا رديفة" تعمل على التأسيس لأبستمولوجيا جديدة وذلك بأن تأخذ بنظر الاعتبار ما تم استبعاده وإقصاؤه من ظواهر الوجود، للسبب المذكور آنفاً، وليُصار من ثم الى إدماج هذا المُبعد والمستثنى وتوليفه داخل منظومة تنتظم الوجود بكامل ظواهره. وهذه الابستمولوجيا الرديفة التي ستُمهّد لظهور أبستمولوجيا جديدة بديلة بوسعنا أن نصفها بأنها الابستمولوجيا التي سيتم صياغتها بتدبر ما تم إقصاؤه ونفيه من ظواهر الوجود. ولأنها كذلك، فليس من غير المناسب أن نطلق عليها تسمية "أبستمولوجيا الخوارق". وقد يبدو مصطلح "أبستمولوجيا الخوارق" لأول وهلة غريباً بعض الشيء! اذ تستدعي كلمة "الأبستمولوجيا" الى الذهن كل ما له علاقة بذلك المبحث من نظرية المعرفة ذي الصلة بتقصي وسائط المعرفة والادراك وامكانية الوصول الى الحقيقة بشأن ما يحدث في هذا الوجود وماهية المعارف المستحصلة بوسائل التنظير والتجريب على اختلاف مقارباتها المعرفية. كما أن كلمة "الخوارق" تستدعي الى الذهن كل ما هو ذو صلة بما يتجاوز المعرفة الحالية من نظريات سائدة صيغت لتفسر الكم الأكبر مما يحدث حولنا من ظواهر وتجارب. الا أن التفحص الدقيق لكلتي الكلمتين مفضٍ بنا لا محالة الى استبيان حقيقة مؤداها أن هذين المصطلحين، "الأبستمولوجياً" و"الخوارق"، اذا ما هما تشاركا لنحت مصطلح آخر جديد هو "أبستمولوجيا الخوارق" فان ذلك أمر مسوّغ له ومشروع معرفياً طالما كانت الخوارق ظواهر تحدث كما تحدث غيرها من ظواهر الوجود التي تم الاصطلاح على الاشارة اليها بأنها ظواهر غير خارقة. اذ ما الذي يميز الظواهر الخارقة عن غيرها من ظواهر الوجود غير الخارقة ان لم يكن هذا الذي تمتاز به الخوارق هو استعصاؤها على ما تأتّى لنا الوصول اليه من أنساق تفسيرية قولبنا داخلاً منها ظواهر الوجود الأخرى غير الخارقة؟ وهنا مربط الفرس، فليس هناك من تناقض حقيقي بين المصطلحين،

"الأبستمولوجيا" و"الخوارق"، مادامت الأبستمولوجيا هي وسيلتنا المعرفية لمقاربة الخوارق بغية استكناه طبيعتها المميزة لها والتي تجعل منها ظواهر تند عما تحقق لنا الوقوع عليه من ضابط رابط يجمع بين ظواهر الوجود الأخرى. ان الوقت قد حان لإيلاء الخوارق ما تستحقه من اهتمام معرفي من لدُنّا، لعل أول مفرداته إرجاعها الى حومة نظرية المعرفة ليتبدى لنا ما بمستطاع هذه النظرية أن ترفد به المشروع العلمي الساعي الى دراستها بحثاً فيما يميزها واستقصاءً لمدياتها وتدبراً في الآفاق التي بوسعنا أن نبلغها اذا ما نحن وفِّقنا للإلمام بمعارف جديدة هي وسيلتنا الوحيدة لجعل الخوارق في متناول يد التنظير الصائب المستند الى منظومة معرفية جديدة وذلك بالانطلاق من خط شروع فكري جديد يتجاوز خطوط الشروع السائدة. ان خطوط الشروع هذه ينبغي أن يُستخلص منها كل ما هو جدير بالإبقاء عليه واطّراح كل ما هو جدير بأن يكون بائداً، لانتفاء الحاجة اليه، مادامت الأيام قد برهنت لنا وبما لا يقبل الشك أننا لم نصل انطلاقاً من هكذا منطلقات إلا الى التوغل عميقاً داخل ظلمات الجهالة وغيبيات التنظير غير الصائب الذي جاءنا به العلم النظري متجلياً بأكثر صوره ايغالاً في الابتعاد عن الواقع وعن الحقيقة كما تقودنا اليها نظرياتُه المعاصرة التي يريدنا واضعوها أن نصدق معهم ما يتوهمون بخصوص قدرتها على الاحاطة المعرفية الكاملة بكامل مفردات هذا الوجود! إلا أن عجْز العلم النظري عن تفسير ما يحدث في الظواهر الخارقة كفيلٌ برد هذه المزاعم ودحْض ما تقول به من هيمنة معرفية مطلقة على الوجود بظواهره كلها جميعاً! فلو صح هذا الذي يقول به العلم النظري، أما كان يجدر بمنظومته المعرفية ألا تُعْرِض عن هذه الظواهر لعجْزها عن تفسير ما يحدث فيها بدلالة المفردات المُكوِّنة لهذه المنظومة؟! إن عدم قدرة العلم النظري المعاصر على استيعاب الظواهر الخارقة لبُنيته المعرفية داخلاً من قوالبها، تفسيراً وتأويلاً يُتيحان له إدراج هذه الظواهر مع باقي ظواهر الوجود، لَهو الدليل القاطع بأنه علمٌ يدَّعي ما لا يملك حقاً إذ يقول بأنه العلم الوحيد الذي بوسعه أن يصف ما يحدث في الوجود كما يحدث

حقيقةً! وهذا العجْز المعرفي بيّن واضحٌ لناظرَي كل مَن لم ينشغل بالادعاءات عن مطالبة مُدَّعيها بتقديم البيِّنات التي ليس لها إلا أن تؤيده فيما يدّعي. والآن، هل هناك من علم نظري جديد ليس له أن يُشاطر العلم النظري الذي بين أيدينا الولاء للباطل على حساب مجافاة الحق والانشغال بالأوهام على حساب الفرار من الحقيقة؟ وهل لهذا العلم النظري، الجديد لا محالة، أن يكون إلا عدواً لكل الآلهة التي استقدمها العلمُ النظري المعاصر من خيالاته متوهماً أنها آلهة الوجود؟! ان السبيل الوحيد لاستكناه السمات المميِّزة لهذا العلم النظري الجديد يكمن في وضع نظرية معرفة جديدة تؤسس لهذا العلم على أساس معرفي جديد يتجاوز السلبيات التي تميَّزت بها مسيرةُ العلم النظري منذ بداياته وحتى الآن. ونظرية المعرفة الجديدة هذه، من جديد، يتوجب عليها أن تراجع إخفاقات العلم النظري المعاصر مراجعةً يتكفل بها جانبُها الأبستمولوجي وبالشكل الذي يُفضي بنا الى تجنب الوقوع والانحدار الى تلك المزالق التي لا قيامَ للعلم الجديد إلا بتجنُّبها. وهكذا يتبين لنا أن لا قيام لنظرية المعرفة الجديدة هذه إلا في ظل علم جديد يتفوق على العلم النظري المعاصر، منهجاً ومحتوى، ويكون تفوّقه هذا دافعاً وحافزاً ليُصار الى صياغتها وفق ما يقتضيه من ضوابط فلسفية جديدة سوف تتكفل بأن تنأى به عن أن يكون مصيره يوماً ما مصيرَ العلم النظري السائد. إن السبيل الى وضع نظرية معرفة جديدة سوف يبيِّنه العلمُ الجديد هذا وذلك بأن يوضِّح ما يتوجب عليها أخذه من ركام نظرية المعرفة السائدة وبالتالي ما ينبغي عليها التخلي عنه منها. لذا، فكل حديث بخصوص العلم الجديد مفض بنا لا محالة الى تلمُّس الأسس الواجب وضعها ليستقيم عليها من ثم البناءُ المعرفي لنظرية المعرفة الجديدة. وهذا يصح وينسحب بالضرورة على فلسفة هذا العلم الجديد؛ هذه الفلسفة، الجديدة لامحالة، والتي لن يكون بوسعنا أن نستبين ملامحها الفكرية وضوابطها المعرفية إلا من بعد قيامنا بكل ما من شأنه أن يُجلِّي طبيعة ومحددات وآفاق العلم الجديد. إن فلسفة العلم الجديدة سوف لن يُعجزها أن تستبقي من فلسفة العلم المعاصرة ما يمكِّنها من الإفادة الحكيمة

مما هو صائب ويستحق التضمين والتوليف في البُنيان المعرفي الجديد لنظريتها الأبستمولوجية متخلية في الوقت عينه عن كل ما يعوق ارتقاءها وخلوصها الى واقع معرفي جديد يتفجَّر أجوبةً وحلولاً من بعد هذا العقم المعرفي السقيم الذي ميَّز الأبستمولوجيا المعاصرة وهي تلف وتدور حول ذات المضمون وإن تباينت وتعددت أنماطُ مبناه وبُنيته الخارجية. إن الإصرار على العلم الجديد، استقصاءً لمدياته وتحديداً لمنهجه وتقيُّداً بمحدداته، لهو قمينٌ بجعل فلسفة العلم المعاصرة يُكتب لها عُمُر جديد فتنجو من موت محقَّق ينتظرها وهي في رمقها الأخير تنازع وتُحتضَر. إن هذه الفلسفة المحاصَرة داخلاً من أسوار التنظير الافتراضي قد شارفت على الفناء وهي في طريقها المحتوم اليه ما لم تبادر الى القيام بانتفاضة أخيرة تثور بها على واقعها وتستعين على ذلك بما بوسع العلم الجديد أن يمدها به من مقوِّمات النجاة والحياة؛ هذه المقومات التي لا سبيل أمامها للحصول عليها إلا بقَبولها أن تستظل بنور هذا العلم القادر وحده على الانطلاق بها خارج هذه الأسوار وبعيداً عن أية محدِّدات خانقة لابد من كسر طوقها قبل الانعتاق الكامل والتحرر التام. فاذا كان العلم النظري الذي بين أيدي علماء حضارتنا الحالية قد توهَّم "الواقعَ العلمي"، الذي نسجه من وحي خَباله، ظاناً أنه "الواقع الحقيقي" فهل للعلم الجديد من كلمة يقولها بهذا الخصوص وذلك طالما كان هذا العلم جديداً فلا صلةَ وصْلٍ تربطه بـ "الماضي العلمي" إلا ما كان من هذا الماضي مشهوداً له من قِبل العلم التجريبي-الاختباري بأنه حقٌ لا ريب في انتمائه لجُملة الحقائق التي لم ينسجها الانسان من وهم خياله؟ واذا كان ما بين ايدينا اليوم من علم لا يمكن ان نوفيه حقّه فنصفه الا بأنه علمٌ واقعيٌ خيالي فان العلم الجديد لابد وان يكون، بالضرورة، علماً واقعياً حقيقياً! فالعلمُ المعاصر مزيجٌ من علم واقعي، هو هذا العلم التجريبي الذي هو السبب في تميُّز حضارتنا بهذا التفوُّق التقني الذي جعل منها أكثر الحضارات الانسانية تعقيداً، وعلم خيالي، هو هذا العلم النظري الذي ما عادَ علينا الا بكل ما من شأنه ان يُقيِّد حركَتنا على ارض الواقع بقيود النظريات والنماذج التفسيرية! فالعلم النظري المعاصر عاجزٌ

عن استيعاب الكثير جداً من الظواهر الخارقة لمنظومته المعرفية، وهو لا يرى في عجْزه هذا ما يُحتِّم عليه وجوب العودة عن غيِّه بالرجوع الى الواقع تدبُّراً لظواهره كلها جميعاً دون استثناء او تمييز. ان كل ما يراه هذا "العلم"، اذ ينظر الى هذه الظواهر وهي تستعصي عليه تفسيراً لها بمنظومته النظرية، لن يجعل منه يتنازل عن اصراره على التعامل مع الواقع كما تُحتِّم عليه هذه المنظومةُ من وجوب الإعراض عن اية ظاهرة ليست لها المقدرة على استيعابها داخلاً من قوالبها الضيقة! لذلك كان على العلم النظري ان يقف حجر عثرة في وجه التقدُّم العلمي على ارض الواقع مادام هذا "العلم" عاجزاً عن ترك الواقع يقود الباحث عن الحقيقة الى حيث تقع ظواهره الخارقة للمنظومة النظرية للعلم هذا! لذلك فان على العلم الجديد ان يكون واقعياً بكل ما تعنيه هذه الكلمة، هذا اذا ما هو اراد حقاً ان يكون علماً صادقَ الوصف لما يحدث من وقائع وظواهر في هذا الواقع! ان واقعية العلم الجديد تُلزمه بوجوب العودة الى ارض الواقع من بعد تمام تحرُّره من كل القيود التي يرزح تحت نَيرها العلمُ المعاصر اليوم! وهذه "العودة الى الواقع" هي عودة لابد منها طالما كان العلم، اولاً وقبل كل شيء، علماً بالوقائع لا تُقيِّده عنها اوهامٌ لا تنتمي للواقع! لذا فان العودة الى الواقع لن تتم الا بالرجوع عن كل ما من شأنه ان يُحتِّم علينا وجوب الإعراض عن اية ظاهرة او حدث او واقعة تحدث على ارض الواقع لا لشيء الا لتناقضها والأسس المعرفية التي اقام عليها العلمُ النظري بنيانه التفسيري بعيداً عن الواقع واحداثه! وهذه العودة الى الواقع هي عودةٌ الى كل الظواهر الخارقة مادامت هذه الظواهر احداثاً تُشارك غيرها من الظواهر غير الخارقة تكوين هذا الواقع. لذا فان العلم الجديد علم لا يخجل من الانشغال بالظواهر الخارقة كما لا يخجل من انشغاله بغيرها من ظواهر لا تخرق العادة والمألوف كما تخرقهما هذه الظواهر! فالعلم الجديد هو علم الظواهر الخارقة وهو ايضاً علم الظواهر غير الخارقة وذلك مادام هو علمٌ واقعيٌ يُعنى بـ "الظواهر الواقعية" كلها جميعاً وطالما كانت هذه الظواهر هي مادة هذا الواقع وحجارته! والآن اذا كانت واقعية العلم الجديد تُحتِّم عليه هذه

"العودة الى الظواهر المنسية" فكيف يكون هذا العلم واقعياً فحسب اذا ما كانت هذه الظواهر بالضرورة متجاوزة للواقع، على الرغم من انتمائها اليه، وذلك لتحقُّق انتمائها لواقع آخر ليس لواقعنا، الذي لا نعرف غيره، من وسيلةٍ للتعرُّف اليه الا بما يتعرَّف به اليه هذا الواقعُ الآخر والذي دُرِجَ على تسميته بعالَم الحقيقة المفارِقة؟ فالظواهر الخارقة او الغامضة او النادرة او الاستثنائية او غير المألوفة هي ظواهر تنتمي لواقعين أو لعالَمين؛ فهي تنتمي لهذا الواقع مادامت ارض الواقع هي الارض التي تشهد وقوعها وحدوثها وظهورها، وهي ايضاً لا تنتمي اليه مادام هذا الواقع عاجزاً عن استيعابها بالكامل كما يستوعب غيرها من الظواهر التي تتميّز بواقعيتها المفرطة؛ هذه الواقعية التي تتجلى في انتفاء الحاجة لاستقدام ما يتجاوز هذا الواقع وذلك ليتسنى لنا فقه ما يحدث فيها! ان هذا اللاانتماء المطلق للواقع، بالانتماء لواقعين في الوقت نفسه، هو الميزة التي تفرَّدت بها الظواهرُ النادرة عن غيرها من ظواهر الواقع المنتمية اليه بالكامل. لنعُد الآن الى الظواهر الخارقة للمألوف الذي اعتدنا ان نراه الواقعَ كل الواقع فلا نُصدِّق معه بوجود واقع آخر يتوجّب افتراض وجوده تعليلاً لحدوث ما يحدث من خرْقٍ له تقوم به هذه الظواهرُ الغامضة كل حين وآخر! لقد تعرَّفنا الى هذه الظواهر بوجهها الثنائي التكوين؛ هذا الوجه الذي تحتّم عليها ان تتفرد به دون غيرها من ظواهر الواقع شائعة الحدوث وذلك بسببٍ من انتمائها الثنائي آنف الذكر الى واقعين لا واقعاً واحداً فحسب، كما هو الحال مع الظواهر غير الخارقة. ان العلم الجديد واقعيٌّ كما تبيّن لنا قبل قليل وهذا ما يُحتِّم عليه وجوب الانشغال بظواهر الواقع كلها جميعاً دون استثناء او استبعاد. وهذا الانشغال بالواقع، على ما هو عليه واقعاً لا حقيقة، كفيلٌ بجعْل العلم الجديد "علماً حقيقياً" بالمعنى الذي اسبغته عليه صلتُه بعالَم الحقيقة؛ هذا العالَم الذي لابد من افتراض وجوده طالما لم يكن بمستطاع العالَم كما نعرفه (الواقع هذا) ان يُعلِّل لما يحدث في الظواهر الغامضة من خرْقٍ بيِّن لمألوفاتنا ومعارفنا عنه. فحتى يكون بمقدور العلم الجديد، الواقعي بالضرورة، ان يتعامل مع هذه الظواهر الواقعية-الحقيقية (ثنائية الواقع) بما

يتناسب وانتمائها لواقعين، يتحتّم القولُ بهما لتحقُّق يقيننا بانتفاء اي وجود لها ما لم تكن ذات صلة بهذا الواقع المنظور وبواقع آخر غير منظور على الرغم من واقعيته، فان هذا العلم لابد وان يلجأ لعالَم الحقيقة؛ هذا العالَم الذي لا قدرة لغيره على التعليل الصائب لما يحدث في هذه الظواهر الثنائية (ثنائية الانتماء لواقعين، ثنائية الواقع). وهذا ما يجعل من العلم الجديد علماً حقيقياً مادام لهذه الظواهر التي يدرسها صلة بالحقيقة كما ليس بالامكان استبيانها على ما هي عليه حقيقةً دون ولوغ في الاسباب؛ هذه الاسباب التي ابداً لن يكون بمقدوره ان يتجاوز الحدود المعرفية التي خُلِقت بها هي وظواهر الواقع (احادية الانتماء اليه) على حد سواء! اذاً فالعلم الجديد واقعيٌّ لفرْط انشغاله بهذا الواقع بأحداثه و"ظواهره الواقعية". وهو، لفرْط واقعيته هذه، قد اصبح مُلزَماً بدراسة ظواهر لا تنتمي لهذا الواقع انتماءَ "ظواهره الواقعية" اليه. وهذا ما جعل منه بالتالي عاجزاً عن الاستمرار في دراستها، على ما هي عليه واقعاً بانتمائها لواقعين مختلفين في الوقت ذاته، دون اللجوء لعالَم الحقيقة؛ هذا العالم الذي هو هذا الواقع الآخر كما لا نعرفه ولن نعرفه! ان واقعية العلم الجديد تكفل له النجاح في دراسة الظواهر الواقعية (اُحادية الواقع بعبارة اكثر دقة وتحديداً!) دون ان يلجأ لعالَم الحقيقة، مادام هذا العالَم لم يتدخّل بصورة مباشرة في احداث هذا الواقع بظواهره فاقدة الانتماء لغيره واقعاً، وطالما لم يكن بوسعه ان يتطاول على ما لعالَم الحقيقة من سلطة خفية لطيفة على ظواهره، ما كان لهذه الظواهر ان تحدث لولا سابق هيمنتها المطلقة عليها، ليكون له ان يعرف شيئاً "حقيقياً" يخص هذا التواجد لانهائي الغموض والإلغاز. الا ان العلم الجديد سوف يكون مُلزَماً باللجوء لعالَم الحقيقة استنجاداً به وذلك ليُعينه على فهم ما يحدث، واقعاً لا حقيقةً، في الظواهر ثنائية الانتماء لواقعين، أحدهما منظور والآخر غير منظور، فلا قدرة لغير عالَم الحقيقة على معرفة ما يجري فيها واقعاً وحقيقة. إن ظواهر الواقع، اُحادية الانتماء اليه، هي ظواهر العلم التجريبي-الاختباري كما نعرفها مادةً للعلوم التقليدية التي بين ايدينا. وهذا ما يجعل من العلم

الجديد ملزماً بأن يكون نسخة اخرى من العلم التجريبي-الاختباري مادام ذلك يُمكِّنه من فهم "واقع" ما يحدث في الظواهر الواقعية؛ هذه الظواهر التي هي مجال عمل العلم التجريبي-الاختباري كما نعرفها حتى هذه اللحظة. الا ان العلم الجديد مُلزَمٌ ايضاً بوجوب ان يكون علماً "حقيقياً" بالمعنى الذي يستدعيه وجوبُ التجائه لَمن يملك حقاً ان يقول الحق بشأن ما يحدث "واقعاً لا حقيقةً" في الظواهر ثنائية الواقع.

والآن لنعُد الى هذا الواقع من بعد ما تسنّى لنا الوقوع على ما للعلم الجديد من جديدٍ يقوله بخصوص الهوية الحقيقية لهذا الواقع والوجه الحقيقي له. فثنائية انتماء الظواهر الخارقة للعادة لواقعين قد تأتى لهذه الظواهر أن تتفرّد بها وذلك بسببٍ من تشارُك هذين الواقعين في إحداثها. وهذان الواقعان أحدهما هو واقعها الذي هو مفردة من مفردات واقعنا هذا والآخر هو واقع آخر غير منظور. وهذا الواقع الآخر هو المسؤول عن حدوث هذه الظواهر وذلك على قدْر تعلُّق الامر بالطاقة الفيزيائية التي يتطلّبها حدوثُها هذا. إن انتماء الظواهر الخارقة لواقعَين في الوقت نفسه هو السبب في الغموض الذي يميزها عن ظواهر الواقع. وهذا الانتماء المزدوج لواقعين في نفس الوقت يجعل من واقعنا المألوف عاجزاً عن التعليل لما يحدث في هذه الظواهر من خرْقٍ للمنظومة النظرية لعلمنا المعاصر؛ هذه المنظومة التي لا قدرة لها على التعامل المعرفي مع أية ظاهرة من ظواهر الوجود إلا استناداً لما تُمليه عليها نظرياتُها الواقعية-الخيالية! فنظريات العلم الذي بين أيدينا واقعية لدورانها حول معظم ظواهر هذا الواقع المنظور فحسب، وهذه النظريات هي بعدُ خيالية لعجْزها عن أن يكون لها وجودٌ دون وساطةٍ من "موجودات" خيالية لا وجود لها إلا في ذهن العلماء النظريين! لذا فإن على العلم الجديد أن يُقرَّ بهذه الثنائية المُميِّزة للظواهر الخارقة، انتماءً لواقعين مختلفين في الوقت ذاته، اذا ما هو أراد أن تكون له القدرة على التعامل المعرفي الصائب معها كما لا يستطيع ذلك العلمُ النظري المعاصر.

والآن، ماذا بخصوص هذا الواقع الآخر المتشارك مع الواقع المُعتاد في إحداث الظواهر الخارقة للمألوف الذي اعتدناه؟ ان ما جعل منا مُلزَمين بوجوب القول بثنائية انتماء هذه الظواهر لواقعين مختلفين في ذات الوقت هو، مرة أخرى، هذا العجْز الذي لواقعنا عن التسبُّب في حدوثها وذلك على قدْر تعلُّق الأمر بالطاقة الفيزيائية المسؤولة عن هذا الحدوث. فمادام الواقع الذي نعيش لا قدرة له على التعليل الفيزيائي لحدوث الظواهر الخارقة للمعتاد الذي ألِفناه فان المنطق لَيُحتِّم ضرورة وجود واقع آخر غير هذا الواقع هو المسؤول عن هذا الحدوث مادام العلمُ النظري عاجزاً عن جعْلنا نُصدِّق معه بانتفاء وجود هذه الظواهر عجْزَه عن جعلنا نُشاركه الظن الواهم بأن نظرياته قادرةٌ، في حال قُلنا بوجود ظواهر خارقة كهذه، على تفسير ما يحدث فيها والتعليل الصائب لكيفية حدوثها!

والآن هل للعلم الجديد أن يكون أكثر واقعية فيُحدِّد لنا جوانب الوجود التي يكفيه منها أن يكون واقعياً (مقتصراً على الواقع المنظور) وجوانبه التي لن يحيط هذا العلم بها ما لم يكن "حقيقياً" (متصلاً بعالَم الحقيقة)؟ إن معظم الظواهر التي يدرسها العلم التجريبي-الاختباري لا تتطلّب أكثر من الانشغال بها ملاحظةً واختباراً وتجريباً فحسب. فظواهر علم الفيزياء والكيمياء والجيولوجيا والبايولوجيا غير الإنسانية، والكثير جداً من ظواهر العلوم الاخرى، هي ظواهر أحادية "الانتماء الواقعي" وذلك طالما كان هذا الانتماء معنياً بهذا العالَم بواقعَيه المنظور منهما وغير المنظور. فهذه الظواهر لا تنتمي لواقع آخر في ذات الوقت الذي تنتمي فيه الى هذا الواقع المنظور الذي هو مجال دراسة العلم التجريبي-الاختباري. أما الظواهر التي تنتمي لواقعَين في ذات الوقت فهي تلك التي بالامكان ملاحظة تحلُّقها حوالَي الانسان! فهذا الانسان كائنٌ عجيب جداً، اذ لا ينتمي صادقَ الانتماء للواقع الذي يعيشه وذلك بشهادة عجْز هذا الواقع عن التعليل لغوامض مفردات الظاهرة الانسانية وعجْز هذا الانسان عن التكيُّف مع واقعه كما تتكيَّف باقي الكائنات البايولوجية معه. اذاً

فالعلم الجديد يكفيه أن يكون واقعياً اذا ما كانت الظواهر التي يروم دراستها أحادية الانتماء الواقعي فلا تنتمي لواقع آخر غير هذا الواقع المنظور. وهذا يعني أن العلم الجديد يكفيه أن يكون علماً اختبارياً-تجريبياً طالما كانت ظواهره لا تنتمي لغير هذا الواقع المنظور. اما اذا ما انتفت أحادية الانتماء هذه لتحقُّق انتماء الظاهرة قيد الدرس لهذا الواقع في ذات الوقت الذي تنتمي فيه لواقع آخر غير منظور فان العلم الجديد لن يكفيه ان يكون علم اختبار وتجريب فحسب وذلك لأن هذين لن يكفلا له أن يحيط علماً بالواقع الآخر الذي لا قدرة لهما على التعامل العلمي معه بمفردات أحادية الانتماء الواقعي هي كامل مفردات منظومته المعلوماتية التي تسنّى له نظْمُها من مادة الواقع المعتاد. فحتى يكون للعلم الجديد القدرة على الاحاطة المعرفية الصائبة بما يحدث في الظواهر ثنائية الانتماء لواقعين في الوقت نفسه فان ذلك يتطلّب ضرورة أن يأخذ بعين الاعتبار ما للواقع الآخر من تميُّز وتفرُّد ليس له أن يتغاضى عنهما ماداما صفتين مُلازمتين لهذا الواقع! إن الظاهرة الانسانية لم يكن لها أن تتميّز عن الظواهر البايولوجية عموماً لولا ثنائية انتمائها لواقعين مختلفين وذلك بخلاف غيرها من الظواهر البايولوجية أحادية الانتماء الواقعي. فماضي الانسان لم يتشكّل من مفردات واقعية منظورة فحسب وإلا لكان هذا الواقع الذي بين أيدينا قادراً على التعليل الصائب للظاهرة الانسانية كما نعرفها! والظواهر الغامضة التي تحدث بتواجد الانسان لا يمكن أن تكون إلا ثنائية الانتماء الواقعي وذلك لعجْز هذا الواقع المعتاد عن التعليل لغموضها الذي يأبى أن يفارقها فتحدث بدونه. لذا فالعلم الجديد هو العلم الوحيد الذي بوسعه أن يستوعب الظاهرة الانسانية وما يتواجد بجانبها من ظواهر أخرى تُشاركها الانتماء لواقعين في الوقت نفسه. والعلم الجديد، بعدُ، قادر بانتمائه هو الآخر لواقعين معرفيَّين مُختلفين، صادقَ الانتماء، على التعامل المعرفي الصائب مع أية ظاهرة لا تنتمي كل الانتماء لهذا الواقع المعتاد. إن فكَّي العلم الجديد لهما أن يجعلا منه علماً بالظواهر جميعها ما كان منها أحادي الانتماء الواقعي وثنائيه. وهذا العلم هو بحق العلم الصائب

الوحيد الذي بوسع الانسان أن يستعين به على ظواهر الوجود، كلها جميعاً دون استثناء أو تمييز، إحاطةً معرفية ما شاء له اللّه أن يحيط بها علماً. وهذا العلم الجديد يستدعي، من بين ما يستدعيه، وجوبَ أن يُصار الى صياغة نظرية معرفة جديدة يتكفل جانبُها الابستمولوجي بالتعامل مع المستجدات التي تمخَّض عنها تأسيسُ هذا العلم الجديد. اذاً، فالعلم الجديد، وبنظرية معرفة جديدة مواكبة له، قادرٌ على مد يد العون لكثير من مباحث العلم المعاصر، النظرية منها والتجريبية، وانتشال فلسفة هذا العلم من ركودها قبل أن يبلغ بها سوءُ الحال ما يجعل منها تستحق الدفن في مقابر التاريخ من بعدما أدى بها هذا الركود الى حالة موت سريري لا شفاء لها منها. إن نظرية المعرفة الجديدة هذه قادرة على تحديد الكثير من سمات المرحلتين الراهنة والقادمة من مسيرة العلم المعاصر. وسوف يتكفل جانبُها الابستمولوجي بتبيان ملامح الوجه الجديد الذي يتوجب على فلسفة العلم الجديد أن تتمظهر به من بعد أن تنزع عن وجه العلم المعاصر كل الأقنعة التي حجبت عنه المقدرة على النظر الصائب الى ظواهر الوجود ليراها، هذه المرة، دونما تأثير من حجاب، وبغض النظر عن السبب الذي اضطُر لوضعه لأجله، واقعيةً لانتمائها لهذا الواقع، أو واقعيةً-حقيقية اذا ما استلزم الأمرُ لفهمها وجوبَ اللجوء الى واقع آخر ثان يتعالى على هذا الواقع ويتسلَّط عليه طاقةً وقوة. فالواقع غنيٌّ بظواهر بمقدورها ان تجعل من حضارتنا الحالية الحضارة الانسانية الاعظم اذا ما نحن بادرنا الى التخلّي عن قيودنا التي كبَّلنا بها العلمُ النظري المعاصر ليكون بمقدورنا من ثمَّ ان ننشغل بهذه الظواهر كما تستحق من عظيم اهتمام وكبير تفرُّغ! ان العلم النظري المعاصر لن يقودنا بعيداً عن الواقع، فنهجر هذه الظواهر النادرة الثمينة لمجرد عجْزه عن التهامها بفكّي نظرياته ونماذجه التفسيرية فحسب، ولكنه يدفع بنا ايضاً الى خَبالٍ مطبق بجعلنا نشاركه خيالاته وأوهامه التي خُيِّل اليه معها انه قادرٌ على وصف حقيقة ما يحدث على أرض الواقع من احداث وظواهر ووقائع! ان ما تقدم تفصيله وبيانه يوضح أن فلسفة العلم الجديدة، بقيامها على أساسٍ

من العلم الجديد، سوف لن تكون الثمرة الوحيدة لهكذا إقلاع بعيداً عن ظُلُمات العلم النظري المعاصر انعتاقاً من أسر موديلاته التفسيرية وانفكاكاً من قيوده التنظيرية.

فالطريق الى فلسفة العلم الجديدة هو ذاته الطريق الى حضارة جديدة واعدة هي بانتظارنا اذا ما نحن بادرنا الى تحجيم دور العلم النظري في الحضارة السائدة حالياً وقمنا بالانطلاق بعيداً عنه محلّقين صوب آفاق معرفية جديدة سوف يتكفل العلمُ الجديد بمدِّها أمام أعيننا وذلك ليتسنّى لنا العودة من ثم الى أرض الواقع الغني بظواهره النادرة التي سوف تفتح لنا أبواب الارتقاء الى هذه الحضارة الجديدة.

في البدء يتوجب علينا تحديد ما يعنيه مصطلح "الظواهر الخارقة"؛ هذا المصطلح الذي ينبغي التوقُّف عنده طويلاً وذلك قبل الخوض في طبيعة هذه الظواهر وما يميِّزها عن الظواهر غير الخارقة. والمعنى الذي سوف نلاحقه سويةً هو ذاك الذي اكتسبه هذا المصطلح نتيجة تكرار وروده في سياق الحديث عن الظواهر التي لم يستطع العلم القيام بتفسيرها وفقاً لمنظوماته المعرفية التي تأتّى له الاستناد إليها في تأويله لتلك الظواهر التي تُصنف عادةً على أنها ظواهر غير خارقة. أي أن كل ما يتوجَّب علينا القيام به، وصولاً لتحديد ابتدائي لما يعنيه هذا المصطلح، لن يكون غير استذكار كل ما بامكاننا تذكره من ظواهر صُنِّفت على أنها ظواهر خارقة! لنتذكر مثلاً: ظواهر الإدراك المعلوماتي الخارق والتي هي طيف واسع من الظواهر الخارقة ذات الصلة بقابلية البعض من بني آدم على التقاط معلومات ليس بالإمكان الوقوع عليها بوساطةٍ من الحواس الخمس؛ هذه الحواس التي هي وسائط الادراك المعلوماتي المعتاد. فالبعض من أفراد جنسنا البشري يتمتع بقابلية خارقة على التقاط أفكار، أو حتى مشاعر وأحاسيس، الآخرين سواء كانوا على مقربة منه أم بعيداً مئات الأميال عنه. وبعضنا الآخر لديه القابلية على التقاط معلومات تخص آخرين لا يعرفهم أو تتعلق بأشياء وأماكن لم يسبق له رؤيتها. كما أن هنالك أفراداً تجتاحهم أحياناً رؤىً مستقبلية، تتفاوت في جلائها ووضوحها، تحمل إليهم أنباءً ومعلومات تأتي الأيام لتؤكِّد صحتها وصوابها. ولنتذكر مثلاً: ظواهر التأثير الفيزيائي الخارق؛ تلك الظواهر الخارقة التي تتجلى فيها قابلية البعض على إِحداث تأثيرات فيزيائية في الوسط المحيط بهم وذلك من دون الاستعانة بالقوة المعتادة للجسم البشري. فبعض البشر بمقدورهم إِحداث تغييرات في الأشياء المحيطة بهم دونما بذلٍ لأي مجهود حركي. فترى واحدهم بمستطاعه لَي الملاعق من دون أن يتطلب ذلك منه القيام

بثنيها بواسطة يده. وترى أخرى بمقدورها فصل صفار البيض عن بياضه وهي بعيدة عنه بمسافة تعجز معها عن التدخل اليدوي حتى إذا ما هي أرادت ذلك. وتعرف آخرين يمتازون بالقابلية الخارقة على إلحاق الأذى بالآخرين وذلك إذا ما تسبَّب هؤلاء في إيلامهم بجمالهم أو نجاحهم أو ثرائهم! فكلنا يعاني من الحسد وما يُعرف بالعين الشريرة. ولعلنا أن لا ننسى ظواهراً خارقة أخرى خرج بها علينا ممارسو تقنيات اليوغا والتأمل بأنواعهما ومدارسهما المختلفة. فهؤلاء بمقدورهم القيام بفعاليات عجائبية تتجلى في السيطرة الإرادية على كثيرٍ من الفعاليات الفسيولوجية التي لا قِبل لمعظم البشر بالسيطرة عليها؛ فتراهم يتحكَّمون بنبض قلوبهم وسرعة تنفسهم وتعرقهم. كما أن هنالك ظواهراً خارقة اقترن ذكرها على الدوام بالرعب وأفلامه كظواهر البيوت المسكونة وما يُسمى بتحضير الارواح والظهورات الغرائبية لكائنات غير بشرية.

وقبل أن نختتم جولتنا الاستطلاعية هذه في رحاب المعنى الاصطلاحي للظواهر الخارقة أرى من الضروري لفت الانتباه إلى ظواهر خارقة قد لا تكون شائعة كالتي تم ذكرها آنفاً الا أنها ظواهر تمتاز بمعامل خارقية عالٍ للغاية مُقارنةً بغيرها من الظواهر الخارقة. وهذه الظواهر هي تلك التي اصطُلِح على تسميتها بـ "فعاليات الشفاء الخارق للجروح المتعمد اِحداثها في الجسم" والتي يتجلى فيها واضحاً خرقٌ بينٌ لكل ما نعرفه عن المنظومة البايولوجية للإنسان. فالقائمون بهذه الفعاليات الخارقة تُشفى جروحهم التي أحدثوها عن عَمد في أجسامهم بصورة غير مفهومة إطلاقاً من قِبَل معارفنا الطبية المعاصرة.

والآن، أما وقد تم لنا استعراض طائفة كبيرة من "الظواهر الخارقة"، لابد لنا من وقفة ابستمولوجية وذلك قبل الاسترسال في الحديث عن هذه الظواهر. فلقد عرفنا، باستعراضنا لهذه الظواهر، المعنى الاصطلاحي للظواهر الخارقة وذلك كما يُجلِّيه لنا الاستخدامُ اللغوي لهذا المصطلح في الإشارة لهذا النمط من الظواهر تمييزاً لها عن تلك الظواهر التي يُنظر اليها على أنها ظواهر غير خارقة. ولكن باتضاح ما نعنيه، اصطلاحاً وتواضعاً، بهذا المصطلح وباستعراضنا

للظواهر التي يُشير إليها هذا المصطلح، يبرز أماماً من ناظرينا سؤال هام للغاية تُمليه علينا الضرورة الابستمولوجية التي سبق لها وأن أوقفتنا قبل قليل. فهل هذه الظواهر خارقة حقاً كما يُلزمنا بالقول بذلك استخدامُنا لهذا المصطلح المتواضَع عليه؟ وما الذي تعنيه هذه الخارقية؟ هل هي حقاً صفة هذه الظواهر التي تُميِّزها فتجعل منها متعاليةً على قوانين الطبيعة وبما يُجوِّز لنا اعتبارها ظواهراً خارقة للطبيعة supernatural؟ وهل يعني ذلك أن هنالك ظواهراً طبيعية وأخرى غير طبيعية؟ هنا لابد لنا من تذكُّر الحقيقة الغائبة التالية: فالإنسان بعقله، البشري لامحالة، يجنح على الدوام إلى مطابقة ما يعرفه عن الوجود بالوجود! فهو لعلى يقين تام من أن الوجود لا يمكن أن يكون شيئاً آخر مغايراً لما يعرفه عنه! لذا فكل ما يخرق النسيج المعرفي الذي صنعه هذا العقل لابد وأن يكون غير طبيعي وبعبارة أخرى خارقاً للطبيعة مادامت هذه ليست سوى ما يعرفه عنها! فالظواهر الخارقة إذاً، وكما يراها الإنسان، هي ظواهر خارقة للطبيعة وليست، وكما ينبغي الإقرار به، ظواهراً خارقة لمنظومته المعرفية! والآن، هل يتوجب علينا الاستمرار في النظر إلى هذه الظواهر على أنها ظواهر خارقة وبالمعنى هذا الذي أسبغه عليها، دون وجه حق، عقلُنا البشري بمعرفته المحدودة؟ أم هل ينبغي علينا أن ننظر إليها فنراها ظواهراً طبيعية ولكنها، وفي الوقت عينه، ظواهر خارقة للمنظومة المعرفية الإنسانية؟ نترك الإجابة على هذا السؤال حتى يجيء وقتها بعد قليل إن شاء الله.

ولكن ماذا عن تلك الظواهر التي تُصنَّف عادة على أنها ظواهر طبيعية؟ هل هي حقاً ظواهر غير خارقة؟ إن هذه الظواهر هي المادة الخام التي شكَّلت بُنية المعرفة الإنسانية وهي لذلك لا يمكن أن تكون ظواهراً خارقة للنسيج المعرفي الذي قام بصنعه العقلُ البشري منذ بداية تفاعله مع الوجود. إلا أن عدم الإقرار بقدرة هذا العقل على الإحاطة المعرفية الصائبة بظواهر الوجود، تعليلاً وتفسيراً يطالان تحديد المسار الحقيقي لأحداثه كما تُجلِّيها ظواهرُه، يستدعي الشك وعدم الثقة بما أجمعنا عليه دونما برهان وذلك عندما أقمنا بنياننا المعرفي على

أساس من كون ما نعرفه عن الوجود هو الوجود عينه! أي أن رفضنا الانسياق وراء هذه الإجماع غير المؤسَّس على حجة مُلزِمة يُلزمنا بداهةً بوجوب النظر إلى ظواهر هذا الوجود على أنها ظواهر "خارقة" للمنظومة المعرفية البشرية وذلك مادامت معرفتنا بهذه الظواهر لا تتأتى الا بوساطةٍ من عقلنا الإنساني الذي يعجز عن النظر اليها خالصةً من أوهامه الميتافيزيقيةِ المتجاوزة لما يقع عليه من الظواهر هذه. فالمعرفة البشرية بظواهر الوجود مشوبة بشوائب لا تنتمي لهذا الوجود. وهذا ما نلاحظه جلياً واضحاً في الفيزياء النظرية مثلاً حيث لا تستطيع المعرفة البشرية بفيزياء ظواهر الوجود التطور والارتقاء بعيداً عن البدايات التي تفرضها وتُشكِّلها الملاحظة والتجربة إلا من بعد استقدام مفردات متجاوزة للواقع يجري توظيفها مع معطيات هذا الواقع في بناء منظومة ميتافيزيقية تُفسِّر ظواهره بتعاليها عليه. فكل جهد تفسيري لظاهرة ما يتعالى عليها مادام يتطلَّب تضمينه مفردات لا تنتمي لهذه الظاهرة. وهكذا نجد أنفسنا وجهاً لوجه أمام الحقيقة التالية: إن ظواهر الوجود كلها جميعاً هي ظواهر خارقة وذلك لأن المعرفة البشرية بهذه الظواهر تتجاوز مفرداتها وتتعالى عليها لامحالة. إذاً فاستخدام مصطلح "الظواهر الخارقة" يتطلب إشارةً لهذه الحقيقة وذلك إذا ما نحن واظبنا على استعماله بعيداً عن حدوده الاصطلاحية التي تواضعنا عليها منذ استقرارنا على الإشارة إلى الظواهر التي استذكرناها سويةً قبل قليل بهذا المصطلح. وعليه، فان استخدامنا مصطلح "الظواهر الخارقة" لا يعني قبولنا لما يتجاوز حدود المعنى الاصطلاحي الذي تم لنا تحديده بأنه ذاك الذي نشأ جراء شيوع استخدام هذا المصطلح في الإشارة لهذا النمط من ظواهر الوجود.

وبعد هذه الوقفة الأبستمولوجية القصيرة التي خرجنا بعدها ونحن على دراية بكون الظواهر الخارقة هي مجمل ظواهر هذا الوجود سواء توافقت مع منظوماتنا المعرفية أم تخالفت لابد لنا من الخوض في طبيعة تلك الظواهر التي استعرضناها آنفاً والتي سبق لي وأن أشرت إليها بما اصطُلح عليه من أنها ظواهر خارقة.

ما الذي يميِّز هذه الظواهر عن غيرها من ظواهر الوجود فيجعل منها تحظى بتصنيف خاص بعيداً عن التصنيف الذي يضم معظم الظواهر في هذا الوجود؟ صحيح أن ما يوحِّد بينها جميعاً هو أنها قد فازت باستبعاد العلم لها وتجاهله شبه التام لوجودها إلا أن القاسم المشترك لهذه الظواهر كلها هو أنها ظواهر نادرة الحدوث مشروطة الوقوع بشروط خاصة وهذا ما يجعل منها تُعامل على أنها ظواهر خارقة وذلك بالمعنى الاصطلاحي الذي تم التواضع عليه من قِبَل بني آدم. فلو لم تكن هذه الظواهر نادرة الحدوث لما استقطبت تجاهل العلم لها ولأضحت ظواهراً تُشارك باقي ظواهر الوجود دورها في صنع معرفتنا الميتافيزقية بهذا الوجود! إذاً فقلة شيوع هذه الظواهر هو الذي جعل منها تُصنَّف على أنها ظواهر خارقة. فلقد أدى تميُّز هذه الظواهر بندرة الحدوث إلى جعل العلم يتجافى عنها مبتعداً عن الخوض في تفاصيلها بأدواته الاستكشافية التي أوسعت غيرها من ظواهر الوجود بحثاً وتحليلاً. فنجم عن هذا الإقصاء المتعمَّد لهذه الظواهر النادرة Rare Phenomena بعيداً عن سُوح البحث والتنظير أن تم للعلم إنجاز منظوماته المعرفية وذلك من دون أن يأخذ بالحسبان وجود هذه الظواهر، مما جعل منها بالنتيجة ظواهراً خارقة؛ بمعنى أنها أصبحت ظواهراً تخرق نسيج هذه المنظومات التي لم يتم إنجازها إلا بتفاعل العقل البشري مع الظواهر شائعة الحدوث في هذا الوجود! إذاً فكيف لا تكون الظواهر المُستبعَدة ظواهراً خارقة؟! وكيف نرجو أن لا تخرق هذه الظواهر البُنية المعرفية للعلم إذا كان هذا العلم قد شكَّل بُنيته من مادة الظواهر شائعة الحدوث؟! إن خرق هذه الظواهر النادرة للنسيج المعرفي البشري لم يكن بسببٍ من "لاطبيعيتها" و"خارقيتها"! فهذا الخرق أوجبه سلوكُ العقل البشري حيالها وذلك بقيامه بتجاهلها ورفضها واستبعادها. فندرة هذه الظواهر سوَّغت للعلم قيامَه بنسج منظوماته المعرفية واضعاً نصب عينه ظواهر الوجود شائعة الحدوث فحسب. لذا فليس هناك من اِلزام حقيقي بضرورة النظر إلى الظواهر النادرة على أنها ظواهر غير طبيعية وذلك من بعدما تبيَّن لنا أن خرق المعرفة البشرية بالوجود

لا يعني خرقاً للطبيعة التي يقوم عليها هذا الوجود وأن ما هو غير طبيعي لا يعدو أن يكون ما هو غير متَّفق مع هذه المعرفة البشرية بالطبيعة! ولكن ماذا لو أن العلم لم يقم بتجاهل الظواهر النادرة؟ ماذا لو أنه لم يقم باستبعادها وقام عوضاً عن ذلك بدراستها باهتمام جدي مماثل للاهتمام الذي أولاه للظواهر شائعة الحدوث؟ هل كان سيحدث شيء ما عظيم جراء هذا الاهتمام؟ هنا نجد أنفسنا ملزَمين بإبداء الرأي بخصوص العلم البشري بظواهر الوجود شائعة الحدوث. فالعلم المعاصر هو علم بهذه الظواهر غير النادرة وهو علم ذو وجهين: نظري وتجريبي. والعلم النظري المعاصر يُقسِر الناظر إليه على أن يراه فلسفة ميتافيزيقية تتجاوز المعطيات الواقعية، ملاحظةً وتجربةً، وذلك لفرط إصراره وإلحاحه على ما يتجاوز الواقع من مفردات ضمَّنها بُنيتَه المعرفية التي لا قيام لها إلا بهذه المفردات غير الحقيقية. أما العلم التجريبي المعاصر فهو بحق مفخرة الحضارة الحالية لا لأنه جاء بأعظم ثورة تقنية في التاريخ فحسب ولكن لأنه أيضاً يُمثِّل جهداً بشرياً أميناً على هذا الواقع الذي أقام من مادته كامل بُنيته المعرفية العملاقة وذلك من دون اللجوء إلى ما لا ينتمي لهذا الواقع كما هو الحال مع العلم النظري المُعاصر. والآن ماذا لو أن هذا العلم، بوجهَيه النظري والتجريبي، لم يقم باستبعاد الظواهر النادرة؟ إننا واثقون الآن من أن الجواب هو الآتي: كان العلم النظري سيقوم باستيعاب هذه الظواهر النادرة لتدخل مع الظواهر شائعة الحدوث في عملية تشكيل بُنيته المعرفية وذلك من بعد قولبتها داخلاً من تلك الأنساق الميتافيزيقية التي لا حياة له إلا بها. ولم تكن هكذا عملية لتنشأ عنها معرفة بشرية صائبة بطبيعة هذا الوجود وبظواهره الشائعة والنادرة على حد سواء مادام العلم النظري عاجزاً عن تقبُّل أية مادة واقعية خالصةً من شوائب التنظير والتفسير؛ هذه الشوائب التي لا وجود لها خارج أسوار العقل البشري! أما العلم التجريبي فكان سينكب على دراسة الظواهر النادرة بنفس الهمَّة التي بها يدرس ظواهر الوجود شائعة الحدوث. وكان هذا سيؤدي لامحالة إلى تغيير جذري في حياتنا على هذه الأرض؛ تغيير يطال كافة مفردات الوجود

الإنساني حتى ما كان منها على صلة بجسم الإنسان! ولكن على أي حال لنقنع بما في اليد ولننظر إلى واقع الأمر الآن ونحن على أعتاب الألف الميلادي الثالث. ما هو حال الظواهر نادرة الحدوث اليوم وذلك على قدر تعلق الأمر بالجهد المعرفي المبذول لدراستها وفهم طبيعتها؟

سوف لن أتابع نشأة الاهتمام العلمي المنهجي بدراسة الظواهر النادرة ولكني سأقتصر على التدبُّر في النتائج التي تمخَّض عنها هذا الاهتمام وذلك من بعد مضي أكثر من مائة عام على تلك النشأة. ولكن عليَّ أن أُبين في البداية أن لا وجه لمقارنة هذا الاهتمام بأي اهتمام آخر أبداه العلم بأية طائفة من ظواهر الوجود شائعة الحدوث. فأن نقول بأن العلم قد اهتم لدراسة الظواهر النادرة لا ينبغي أن يُفهم منه أنه قام بدراستها بجهد مناظر للجهد الذي يبذله في دراسة الظواهر الشائعة. فاهتمام العلم بالظواهر الفيزيائية مثلاً نشأ عنه علم الفيزياء؛ هذا العلم الذي لا قيام للحضارة الحالية إلا به وذلك على قدر تعلق الأمر بجانبه التجريبي وما نجم عنه من تطبيقات تقنية بالغة التعقيد. لذلك لا يمكن القول بأن العلم قد اهتم لدراسة الظواهر النادرة اهتمامه لدراسة الظواهر الشائعة وذلك مادام ما تمخَّض من نتائج معرفية جراء هذا الاهتمام لم ينجم عنها شيء ذو بال. إن قيام العلم بدراسة الظواهر النادرة لم يتم بتوجُّه جهده المؤسساتي صوب الاهتمام الجدي بهذه الظواهر كما سبق له وأن فعل وذلك عندما قام بدراسة ظواهر الوجود شائعة الحدوث ولكنه كان توجُّهاً فردياً في أغلب الأحيان. ولقد كان هذا التوجُّه عارياً من كل دعم أكاديمي في الغالب الأعم. أي أن عدم تمخُّض البحث في ميدان الظواهر النادرة عن شيء يذكر، مقارنةً بما نجم عن البحث في مجال الظواهر شائعة الحدوث، كان في جانب منه يعود إلى انعدام الاهتمام الأكاديمي بهذه الظواهر. كما أنه كان يرجع في جانب آخر منه إلى اقتصار ذلك الاهتمام على تأملات نظرية اتخذت طابعاً تفسيرياً متجاوزاً لواقع هذه الظواهر وعلى الانشغال المَرَضي بظواهر نادرة دون أخرى انشغالاً عادَ على هذا الاهتمام بأفدح الخسائر. وهذا ما يجب عليَّ تفصيله بعض

الشيء. فالناظر إلى حصيلة الدراسات التي تم إجراؤها في مجال الظواهر النادرة طيلة الأعوام المائة المنصرمة سوف لن يفوته أن يرى مقدار الجهد المعرفي الذي تم توجيهه صوب الاهتمام بتفسير ما يحدث في هذه الظواهر عوض الاهتمام بما يحدث فيها وحسب! لقد أدى ذلك الانشغال بالتفسير إلى اطِّراح الواقع جانباً مقابل طرح نماذج تفسيرية أُريد لها أن تعمل على تأويل ما يحدث في الظواهر النادرة بصورة تجعل منها مقبولةً من قبل العلم النظري السائد. فاهتمام العلماء من دارسي هذه الظواهر كان مُنصبّاً على إزالة "خارقية" تلك الظواهر؛ تلك الخارقية التي لم تكتسبها إلا بسببٍ من تصادمها مع المنظومات المعرفية النظرية التي سبق لها وأن قامت باستبعاد وإقصاء هذه الظواهر بعيداً عن البودقة التي صُهِرت فيها ظواهر الوجود شائعة الحدوث لتُشكِّل مادة وبُنية هذه المنظومات. لذا فلقد كانت تلك الجهود تهدف إلى عقلنة الظواهر نادرة الحدوث وذلك بتفسير حدوثها تفسيراً علمياً أُريد به أن لا يتناقض والبُنية المعرفية للعلم النظري السائد. لقد فات أولئك العلماء أن يدركوا بأن الحل الأفضل لتلك المشكلة المعرفية كان قيامهم بمراجعة الأسس النظرية التي أُقيمت عليها المنظومة المعرفية البشرية وذلك ليُعاد النظر في سياسة استبعاد الظواهر نادرة الحدوث؛ تلك السياسة الشوهاء التي نجم عنها اكتساب هذه الظواهر لخارقية أُضفيت عليها جزافاً بتناقض ما يحدث في هذه الظواهر والسياقات النظرية المفروضة سلفاً من قِبل القائمين بصياغة هذه المنظومة. إلا أن ما يجب التشديد عليه ها هنا هو أن إعادة النظر هذه لم تكن لتجعل من المعرفة النظرية بظواهر الوجود نادرة الحدوث بأفضل منها ها الآن! فالعقل البشري لا قدرةَ له على التوصُّل لفهم ما يحدث حقاً وعلى وجه التحديد في أية ظاهرة من ظواهر الوجود شائعة كانت أم نادرة! إذاً لم يكن الانشغال بالتنظير والتفسير ذا نفع معرفي حقيقي على الإطلاق. فالتفسير العلمي المُبتسَر الذي أُريد به استيعاب الظواهر النادرة داخلاً من المنظومة المعرفية للعلم النظري كان جهداً ضائعاً في ما لا طائل من ورائه وذلك طالما كان بإمكان باذلي ذلك الجهد المعرفي الضخم،

عوض ذلك، إعادة النظر في أُسس النظرة المعرفية البشرية لظواهر الوجود! كما أن إعادة النظر هذه ما كان لها أن تجعل من الظواهر نادرة الحدوث، وقد تم لها الاستقرار داخلاً من المنظومة المعرفية للعلم النظري، تمتاز على الظواهر الشائعة بتوفُّر تفسير حقيقي لها يجعل منا ندرك ما يحدث فيها على وجه الدقة والتحديد! مَخلص القول، كان انشغال العلماء بالتنظير والتفسير على حساب انشغالهم عن الاقتراب المعرفي الصائب من الظواهر النادرة وذلك بأن يُصار إلى الاقتصار في دراستها والبحث فيها على الملاحظة والتجريب فحسب. إن التأمُّل في حصيلة عشرات السنين من البحث النظري في الظواهر نادرة الحدوث كفيل بجعل المرء يُصاب بآلام شديدة وهو ينظر إلى هذا الكم الهائل من الجهود والطاقات التي بُذلت ولم تَعُد علينا بمعرفة ذات بال. لقد كان حرياً بالعلماء الذين انشغلوا بالتنظير والتفسير عن المُلاحَظة والتجريب في مضمار هذه الظواهر أن يقوموا بمراجعة منهجهم البحثي وذلك من بعدما تبين لهم عقم هذا المنهج وعجزه التام عن رفد المعرفة البشرية بفهم صائب لما يحدث في الظواهر النادرة. أصبح واضحاً لدينا الآن أن العلم لم ينشغل بدراسة جدية منهجية للظواهر نادرة الحدوث وأن انشغاله بها كان عبارة عن توجُّه فردي قام به، في أغلب الأحيان، أفراد قلائل على هامش وقت فراغهم الأكاديمي وذلك خوفاً وحرصاً على صيتهم وسمعتهم. كما أن ذلك الانشغال كان في معظمه بحثاً نظرياً تائهاً في أزقة التنظير والتفسير لما يحدث في الظاهرة النادرة وذلك على حساب الاهتمام برصد هذه الظواهر في بيئتها وملاحقتها حقلياً ومختبرياً. ولكن ماذا بشأن الاهتمام التجريبي بهذه الظواهر؟ هل كان، على قلَّته مقارنةً بالاهتمام التنظيري بها، خالياً من كل نقص؟ وهل كان هذا الاهتمام نقياً من شوائب الانحياز والانتقائية والنظرة المسبقة؟ هذا ما سنراه إن شاء الله بعد قليل ونحن نستعرض أهم ما تجلى من نتائج في هذا المجال.

إن رصداً إحصائياً أميناً يغطي كل ما تم إجراؤه من تجارب تناولت الظواهر النادرة دراسةً مختبرية منهجية بمقدوره أن يكشف النقاب عن قصور شديد

اعتور المنهج التجريبي في دراسة هذه الظواهر. فلقد تمحورت الغالبية العظمى من هذه التجارب حوالَي طائفتين من الظواهر النادرة إحداها هي تلك التي تتضمن إدراكاً معلوماتياً نادراً يتيح للمُتمتع بالقابلية على الإفادة منه التقاط معلومات تتعلق بالغير، بشراً كانوا أم أشياء أخرى، وذلك بطريقة غير مفهومة فيزيائياً، والأخرى هي تلك التي تتجلى فيها القابلية النادرة لبعض أفراد الجنس البشري على احداث تأثيرات في بعض مفردات الوسط المحيط بهم وذلك من دون القيام بجهد طاقي مفهوم فيزيائياً. أما باقي الظواهر النادرة فلم يتم إيلاؤها إلا النزر اليسير من الاهتمام التجريبي وذلك كما تشهد على ذلك قلةُ التجارب التي حظيت بها هذه الظواهر داخل مختبرات البحث. فلم تَفُز مثلاً ظواهر الشفاء غير الطبي Non medical healing phenomena بقدر من الاهتمام المختبري يتناسب والاهتمام الذي أولاه الباحثون التجريبيون في مضمار الظواهر النادرة لغيرها من الظواهر وذلك على الرغم من تميزها بمعامل خارقية مرتفع للغاية! كما أن البحث في ظواهر ما يُسمى بالعين الشريرة والحسد والبيوت المسكونة لم يحظَ إلا بنسبة ضئيلة جداً من اهتمام البحث المختبري. لكن هل لنا ان نقوم بتحديد السبب وراء هذا الانشغال بظواهر نادرة وذلك على حساب الانشغال عن ظواهر أخرى؟ إن البحث الجاد في السياسات الموجهة للبحث العلمي في مضمار الظواهر النادرة كفيلٌ بإقامة الحجة والبرهان على أن انحياز هذا البحث بعيداً عن ظواهر نادرة كثيرة جداً كان يرجع إلى تسلُّط نزعة البحث النظري على القائمين بالبحوث التجريبية حتى وهم داخل أسوار المختبر بعيداً عن تيارات التنظير والتفسير التي تعصف بقاعات البحث النظري! فلقد اتَّخذ التفسير الذي آثره الباحثون النظريون في تعليلهم لما يحدث في الظواهر نادرة الحدوث التي قاموا بدراستها منحى بشرياً أُريد به اِرجاع الطاقة المسؤولة عن حدوث هذه الظواهر إلى مصدر بشري مادام الإنسان هو الكائن الذي تحدث هذه الظواهر بوجوده. ولقد نحى الباحثون المختبريون هذا المنحى النظري وذلك من دون أن يكون للظواهر المدروسة مختبرياً أية قدرة على الجزم القاطع ببشرية الطاقة المُسببة لهذه الظواهر.

ولقد قادهم هذا الاعتقاد الراسخ ببشرية طاقة الظواهر النادرة إلى الإعراض عن إجراء أية تجربة يتطلب تفسيرها استقدام ما يتعارض وهذا المنحى البشري في تفسير ما يحدث في هذه الظواهر. لذا فلقد تم الاقتصار على إجراء تلك التجارب التي ظن القائمون بها أن بمستطاع موديل الطاقة البشرية تفسير ما يحدث فيها. وجرى استبعاد كل تلك التجارب التي لم يكن بمقدور هذا الموديل النظري تفسيرها والتعليل لها على أنها نتاج تجل طاقي بشري المصدر. إن عجز النموذج النظري القاضي بوجوب الأخذ والإقرار ببشرية الظواهر النادرة مادةً وطاقة عن الاستيعاب الناجح لظواهر نادرة كثيرة كظواهر الشفاء غير الطبي أدى إلى اطِّراحها خارج أسوار البحث المختبري. ولكن هل نجح حقاً مسعى البحث التجريبي في مضمار تلك الظواهر النادرة التي تم تفسيرها وفقاً لهذا النموذج النظري؟ وهل استطاعت تلك التجارب التي تم إجراؤها بُغية التدليل على بشرية الظواهر النادرة أن تقدم الدليل على أن لا وجود هناك لما هو غير بشري في هذه الظواهر؟ حتى أكون أكثر تحديداً لابد لي من إعادة التذكير بأن التجارب التي تم التركيز على إجرائها كانت تلك التي تضمَّنت دراسة بعضٍ من فعاليات الإدراك المعلوماتي النادر وبعضٍ آخر من فعاليات التأثيرات الفيزيائية الخارقة. وهنا لابد لي من تبيين خاصيةٍ أساسية تمتاز بها هاتان الطائفتان من الظواهر النادرة ألا وهي تكراريتها الواطئة للغاية. فهذه الظواهر النادرة لا تحدث للأفراد أولي القابلية النادرة على استعراضها كلما أرادوا القيام بذلك. فهي في أغلب الأحيان تجتاحهم وذلك من دون أن يكون لواحدهم المقدرة على التحكُّم فيها بصورة إرادية. فهذه الفعاليات لا سلطة لإرادة الفرد صاحب القابلية النادرة على استعراضها عليها. فمهما حاول هذا الفرد إحداثها عنوة وتوليدها قسراً فلن يكون بمقدوره اظهار قابليته النادرة هذه عندما يشاء ذلك. ولكن وعلى الرغم من هذه التكرارية الواطئة للغاية التي تميَّزت بها هذه الظواهر النادرة فلم يتوقف القائلون ببشرية طاقة هذه الظواهر ولو للحظة ليراجعوا فيها مُسلَّماتهم النظرية وهم ينظرون إلى نموذجهم التفسيري فيرونه عاجزاً عن التعليل لهذه التكرارية المنخفضة التي لا وجود للظواهر النادرة التي انشغلوا بدراستها الا بها!

وبدل أن يكفيهم هذا العجز دليلاً على فساد حجتهم وخطأ منهجهم بالغوا في غيِّهم وذلك بأن قاموا بإجراء التجارب ولكن هذه المرة على أفراد لا يتمتعون بأية قابليات نادرة! وكانت حجتهم التي أرادوا بها التسويغ لهذا الانسياق المَرَضي وراء نموذجهم التفسيري، وذلك على الرغم من ثبات عجزه عن التعليل لعدم تمكُّن أصحاب القابليات النادرة من استعراض الظواهر ذات الصلة بهذه القابليات عند الطلب، هي أنهم لعلى ثقة من أن جميع أفراد الجنس البشري قادرون على القيام بعين ما بمستطاع أصحاب تلك القابليات القيام به وذلك لأنه طالما استطاع بعض البشر القيام بهكذا فعاليات فلماذا لا يكون بمقدور جميع البشر القيام بذلك؟! وهكذا انصرفت الجهود التجريبية صوب إجراء تجارب على أفراد لا يتمتعون بأية قابليات نادرة وذلك بغية تقديم البرهان على صواب هذا النموذج التفسيري الذي عجز واضعوه عن رؤية الواقع لفرط عجزهم عن النظر إلى سواه. وكما هو متوقَّع لم تأتِ النتائج المختبرية بأي دليل على صحة ما ذهبوا إليه بل وعلى العكس من ذلك برهنت تلك النتائج وبكل قوة على أن معظم الأفراد الذين تم اِجراء التجارب عليهم لم يُظهروا أية اشارة على تمتعهم بقابليات نادرة مماثلة لتلك التي يتمتع بها ذلك البعض من البشر ممن كانوا السبب وراء نشأة الاهتمام العلمي بقابلياتهم النادرة! ومع كل هذا لم يتوقف البحث المختبري وحتى هذه الساعة عن اِجراء تجارب مماثلة على "أفراد عاديين" لا يتمتع واحدهم بأية قابلية نادرة وذلك على أمل الوصول يوماً ما إلى اقامة الحجة على أن كل إنسان بمقدوره القيام بفعاليات نادرة مادام البعض منا بوسعه ذلك! والآن وبعد أن تبيَّن لنا واضحاً جلياً مقدار الغي المميِّز للبحث العلمي المعاصر في مضمار الظواهر النادرة لا أخالني مبالِغاً إذا ما قُلت بأننا بحاجة لباراسايكولوجيا جديدة نقيَّة من كل أخطاء الباراسايكولوجيا السائدة وذلك حتى يصبح بإمكاننا الإفادة من الظواهر النادرة كما أفدنا من الظواهر شائعة الحدوث.

لنستذكر سويةً أهم ما تكشف لنا من أخطاء قاتلة أوقعت الباراسايكولوجيا السائدة نفسها فيها وذلك عبر مسيرتها منذ نهايات القرن الماضي وحتى يومنا

هذا. فلقد انشغلت هذه الباراسايكولوجيا عن واقع الظواهر النادرة بتنظيرات متجاوزة لهذا الواقع أرادت بها إعادة صياغة مفرداته "الخارقة" للمنظومات المعرفية للعلم النظري المعاصر وذلك بتأويل هذه المفردات بشكل يتيح لها قراءة ما يحدث في هذه الظواهر بلغة غير خارقة! وكان لهذا الهوس بالتنظير والتفسير دور كبير في جعل اهتمام الباحثين في مضمار الظواهر النادرة ينحاز وبشكل سافر إلى ظواهر دون أخرى لا لشيء الا لأنها قابلة لأن يتم تفسيرها وذلك وفقاً للنموذج النظري الذي آثر هؤلاء الباحثون الاخذ به كتفسير لما يحدث في الظواهر الخارقة قاطبةً. وأدى هذا الانحياز بالنتيجة إلى استبعاد عدد كبير جداً من الظواهر التي يصعب تفسيرها وفقاً لذلك النموذج الاثير! وكان من بين عواقب هذا الانحياز إلى ظواهر نادرة دون أخرى ان ركز الباحثون اهتمامهم وجهدهم على ضرورة اثبات توفر القابلية على القيام بفعاليات "خارقة" لدى جميع أفراد الجنس البشري! ولقد قادهم هذا الوهم الكبير إلى إضاعة الكثير جداً من الجهود والأموال في تجارب لم تفصح نتائجها عن شيء يدعم هذا الوهم. فالنتائج المختبرية أجمعت كلها على أن الأفراد العاديين يختلفون عن ذوي القابليات على القيام بفعاليات نادرة. والآن وبعد هذا الاستذكار السريع لمأساة الباراسايكولوجيا المعاصرة ما أحوجنا إلى باراسايكولوجيا جديدة يتوجب عليها التقيد بالضوابط التالية هذا إذا ما هي أرادت أن لا تكون نسخة مماثلة للباراسايكولوجيا السائدة:

1 - أن تبتعد عن التنظير والتفسير ما أمكنها ذلك وبخاصة عندما تجد أن خوضها في متاهات النمذجة النظرية سيعود عليها لامحالة بالعجز عن احترام خصوصية الظاهرة النادرة؛ هذه الخصوصية التي لم تحترمها الباراسايكولوجيا السائدة وذلك باصرارها على جماهيرية القابليات النادرة.

2 - أن لا تنحاز لظاهرة نادرة دون أخرى انحيازاً يجعل منها تستبعد من ساحة الملاحظة والتجريب تلك الظواهر التي تستفز البُنى المعرفية للفكر البشري لفرط مخالفتها لما تواضعنا عليه اصطلاحاً وتعارُفاً.

3 - أن تُولي الظواهر النادرة التي تم اهمالها من قِبَل الباراسايكولوجيا السائدة اهتماماً تجريبياً يفوق اهتمامها بالظواهر التي أشبعتها تلك الباراسايكولوجيا درساً وبحثاً وذلك لأن العدل يقضي بذلك مادامت تلك الظواهر المهملة أرضاً بِكراً لم تُستشكف بعد.

4 - أن تقوم بالبحث الميداني عن أصحاب القابليات النادرة وذلك من دون أن تقع في فخ الوهم القاتل الذي جعل من الباراسايكولوجيا السائدة تتقاعس عن مغادرة أسوار مختبراتها ظناً منها بأن ليس هنالك من قابلية نادرة لا يتمتع بها كل أفراد الجنس البشري مادام واحدهم يتمتع بها!

5 - أن تبادر إلى البحث الميداني عن الظواهر النادرة التي لا يرتبط حدوثها بتواجد الإنسان؛ تلك الظواهر التي تم الجزم بعدم وجودها من قِبَل الباراسايكولوجيا السائدة.

6 - أن تتحرر من الوهم القائل بأن الظواهر النادرة لا يمكن أن تكون إلا بشرية مادةً وطاقة وذلك بأن تقوم بدراسة هذه الظواهر من بعد الأخذ بنظر الاعتبار الطاقة الفيزيائية الواجب توفرها لحدوث الظاهرة النادرة.

7 - أن تتوقف عن إطلاق مصطلح "الظواهر الخارقة" وأن تستعيض عنه بمصطلح "الظواهر النادرة" وذلك أسوة بما تم التواضع عليه في العلوم الأخرى التي رسَّخت مصطلحات "الغازات النادرة" و"الحيوانات النادرة" و"النباتات النادرة"... إلى آخره.

8 - أن تعمل على إعادة النظر في المصطلحات ذات الصلة بالظواهر النادرة وبالشكل الذي يعمل على رفد منظومتها الاصطلاحية Terminology بمفردات جديدة بعيدة كل البعد عن الماضي الذي نشأت في كنفه الباراسايكولوجيا السائدة؛ ذلك الماضي الذي شكل معظم المصطلحات الباراسايكولوجية المستعملة حالياً وذلك نظراً للتداعيات Associations الخاطئة التي تعمل هذه المصطلحات على استدعائها للذهن.

لاحظ الإنسان ومنذ خطواته الاولى على سطح هذا الكوكب أن بامكانه تصنيف الظواهر التي تُشكِّل الوجود إلى ظواهر يتكرر حدوثها على الدوام وأخرى نادرة الحدوث. ولقد استطاع الفكر البشري إدراك تفوُّق الظواهر شائعة الحدوث على الظواهر النادرة بأنها الأكثر انتشاراً واستقراراً حوالَيه. فمعظم ظواهر هذا الوجود هي ظواهر شائعة الحدوث تحدث بصورة متكررة. أما ما تبقَّى من الظواهر في هذا الوجود فهي ظواهر لا تحدث كل يوم ولا يتكرر حدوثها بمعدل ثابت؛ فهي ظواهر نادرة الحدوث غير شائعة. أي أن الغالبية العظمى من الظواهر التي تحدث في هذا الوجود تمتاز بتكرارية الحدوث، بينما تتصف أقل ظواهر هذا الوجود حظاً في الحدوث بتكرارية واطئة وذلك بسبب من حدوثها المتقطع غير المنتظم والذي لا يبدو أن هنالك قانوناً ينتظمه على الإطلاق إلا قانون الصدفة والحدوث العَفَوي التلقائي. إلا أن الإنسان، وعلى الرغم من ندرة حدوث "الظواهر الخارقة" لم يكن يوماً بعيداً عن تأثير هذه الظواهر ذات التكرارية الواطئة. فهي وإن كانت ظواهراً متفردة نوعاً قليلة كماً إلا أنها استطاعت مع ذلك أن تفرض على الفكر الإنساني وجودها الذي شابَهُ ومنذ القِدم ما لا علاقة له به! فالإنسان، بعقله القائم على الوَلَه بالتفسير والتأويل، لم يستطع أن يتقبل وجود هذه الظواهر النادرة وذلك كما تقبل الظواهر شائعة الحدوث والتي كانت تُمثل له الوجود كل الوجود. فعلى الرغم من قيام الإنسان بإسباغ تفسيراته الخاصة على أحداث الوجود شائعة الحدوث إلا أن هذه التفسيرات لم تكن على درجة عالية من التعقيد الفني؛ ذلك التعقيد الذي ميَّز تأويل الفكر البشري للظواهر الخارقة. فهذه الظواهر استفزت الأركان الثابتة التي قام عليها هذا الفكر وجعلت منه يواجه أزمة معرفية بالغة التعقيد وهو ينظر إلى عجز منظومته المعرفية التي نجح بوساطةٍ منها في التعليل لظواهر الوجود متكررة الحدوث عن تقديم ما من

شأنه أن يُعينه على فهم ما يحدث في ظواهر شيَّد منظومته هذه بمعزل عنها. لذا كان على الإنسان أن يتَّجه إلى صياغة "تأويلات خارقة" وذلك ليتم له بوساطتها التعليل لما يجري في الظواهر الخارقة. ولقد زاد في الطين بلة أن كثيراً من هذه الظواهر ارتبطت بأفراد كانت لديهم اتصالات بقوى غيبية غير منظورة مما جعل التفسير البشري لما يحدث في الظاهرة الخارقة يتخذ أبعاداً غير واقعية اختلط فيها الحق بالباطل. ولم تسنح للفكر الإنساني فرصة الخلاص من أوهام التفسير البشري للظواهر الخارقة إلا عندما واجه الأنبياءُ كهنة أقوامهم بالحق الإلهي الذي أسكت أباطيلهم وبرهن على أن تسلط الغيب على هذا الواقع رهنٌ بإذنٍ من الله سبحانه وتعالى. إلا أن انحسار المعرفة الصائبة بما بالإمكان الوقوع عليه في الظاهرة الخارقة سرعان ما وقع وذلك بسببٍ من صعوبة التزام الفكر البشري بالحق وضوابطه المنهجية والسلوكية. فعادت للظواهر الخارقة سطوتها الكهنوتية على الإنسان الذي أصبح يخشاها من بعد عودة اختلاط الحق بالباطل بظهور الكثيرين من ممارسي فنون وتقنيات الاتصال بالقوى غير المنظورة. ولقد أدى ذلك إلى ازدهار الخرافات وانتشار الاباطيل بشأن هذه الظواهر التي أراد الجميع فرض الوصاية عليها حيازةً وتأويلاً. واستمر هذا الحال المؤلم حتى أواخر القرن الماضي وذلك عندما قرر جمع من الأكاديميين الانكليز تسليط ضوء العلم السائد آنذاك على هذه الظواهر. فكان أن تم تأسيس أول جهد علمي منهجي لدراسة "الظواهر الروحية" كما كانت تُسمى آنذاك تلك الظواهر التي تميَّزت بندرتها وتكراريتها الواطئة.

أراد أولئك الرواد تخليص الظواهر الخارقة مما كان يخالطها من أوهام وخرافات تراكمت عليها على مر السنين وذلك بسببٍ من الوصاية التأويلية التي مارستها السلطات الكَنَسية طيلة القرون الوسطى على جميع ظواهر الوجود. ولكن قيام هؤلاء الرواد بتحرير تلك الظواهر من سيطرة التأويل الكهنوتي لها لم يجعل منها حرةً طليقة خالصةً من كل شائبة من شوائب التنظير والتفسير! فلقد قام هؤلاء بتسليط العلم النظري السائد آنذاك على تلك الظواهر وذلك في

محاولة منهم لتأويلها وبما لا يدع هناك أية حاجة للقول بوجود شيء آخر غير الإنسان يكون سبباً، أو حتى طرفاً، في حدوثها. ولقد وقع رواد الباراسايكولوجيا المعاصرة في وهم مفاده أن إضفاء هذا التفسير المتطرف على الظواهر الخارقة كفيلٌ بجعلها تفقد ما أضفاه عليها الجهل الشعبي من فوق طبيعية (فَوطبيعية) لا تمتلكها حقيقةً. فهذه الظواهر طبيعية وذلك مادام بمستطاع العلم البشري تفسيرها وفقاً لمنظومته المعرفية القادرة على تفسير الظواهر متكررة الحدوث! إلا أن هذا الاستنتاج خاطيء بداهةً وذلك طالما لا يوجد هناك على الإطلاق ما بمقدوره إثبات كون هذا التفسير هو الوصف الصائب لما يحدث حقيقةً سواء في الظاهرة النادرة أم في غيرها من الظواهر شائعة الحدوث. "فطبيعية" ظاهرة ما لا تبرهن عليها قدرتُنا على تقديم تفسير لما يحدث فيها لا يتضمن ما هو "غير طبيعي"! وكان يكفي الباحثين الباراسايكولوجيين الأوائل أن يقوموا بالانطلاق من نقطة شروع جديدة يتم النظر بموجبها إلى الظاهرة النادرة لا على أنها ظاهرة خارقة "للطبيعة" ولكن على أنها ظاهرة خارقة "للطبيعة كما نعرفها". وبعبارة أخرى فان الظاهرة النادرة لا تخرق إلا النسيج المعرفي البشري الذي يتوهم الإنسان أن بوسعه اِلباسه ظواهر الوجود قاطبةً نادرها وشائعها! فتفسير الظاهرة النادرة بطريقة تستبعد "فَوَطبيعيتها" تَرَفٌ فكري لا مبرر له وذلك طالما كان بإمكاننا على الدوام اِعادة النظر إليها من زاوية أخرى لنراها لا تختلف عن أية ظاهرة "طبيعية" في شيء سوى كونها ذات تكرارية واطئة! إن إصرار الباراسايكولوجيا السائدة على تفسير الظواهر النادرة وفقاً لذات النموذج الذي صاغته "باراسايكولوجيا" أواخر القرن الماضي دليلٌ على حالة الركود المعرفي Knowledge Stagnation التي أصبحت السمة المميزة للبحث العلمي في مضمار هذه الظواهر. فعلى الرغم من مضي أكثر من مائة عام على نشأة هذا البحث إلا أنه مازال يصر على رؤية الظواهر النادرة منطلقاً من النظر اليها على أنها ظواهر بشرية بحتة وذلك مخافة أن يؤدي به الاِقرار بغير ذلك إلى ضرورة القول بأنها ظواهر "غير طبيعية"! ولكن مَن قال أن الأمر

يستدعي كل هذا التحسب والتخوف المَرَضيين؟! كان يكفي الباراسايكولوجيا أن تقول ما قاله الفكر العربي المؤمن الذي نظر إلى الظواهر النادرة فلم يجدها خارقة للطبيعة، كما توهمها الغربيون، ولكنه رآها على حقيقتها ظواهراً خارقة لما اعتدنا عليه فأطلق عليها مصطلح "خوارق العادات". والآن هل يُلزمنا القولُ بوجود عنصر غير بشري في الظاهرة النادرة حتماً بوجوب النظر إليها ورؤيتها على أنها ظواهر غير طبيعية؟! لنتدبر هذا القول جيداً.

فما هو غير بشري لا يلزم عنه أن يكون بالضرورة كائناً من قبيل تلك الكائنات التي تعج بها الأساطير والخرافات! فهذا وقوع في فخ نكون قد نصبناه نحن لأنفسنا بمطابقتنا ما بين غير البشري وأي من هذه الكائنات وذلك لأننا نكون قد افترضنا أن كل ما هو غير بشري لابد وأن يكون كائناً غير بشري مماثلاً للكائنات الميثولوجية والفولكلورية! أما حقيقة الأمر فهي أن لابشرية كيان ما لا تُلزمه بأن يكون ذا وجود يماثل القليل الذي نعرفه عن الكائنات غير البشرية؟! فالضوء على سبيل المثال كيان مادي غير بشري. فهل يلزم عن لابشريته هذه أن يكون بالضرورة ذا كيان مماثل لكيان الكائنات غير البشرية؟! نجد أنفسنا إذاً مُلزَمين من بعد هذا التوضيح بوجوب النظر إلى موقف الباراسايكولوجيا السائدة من لابشرية بعضٍ من مفردات الظواهر النادرة على أنه موقفٌ غير سوي جعل منها تنزلق إلى مهاوي الابتعاد عن الظاهرة قيد الدرس إلى ما يتجاوزها ضرورةً لانتمائه للنموذج التفسيري الذي لم يكن لهذه الباراسايكولوجيا أن تنجح في صياغته إلا من بعد تضمينه مفردات لا تنتمي لتلك الظاهرة. وهكذا انساقت الباراسايكولوجيا المعاصرة وراء إصرارها على تفسير الظواهر النادرة وفقاً لنموذجها القائم على مُصادرةٍ بيِّنة جزمت بموجبها بعدم وجود ما هو غير بشري في هذه الظواهر غافلةً عن إدراك ما تقوم به هي ذاتها من لجوءٍ لاستعمال مفردات غير بشرية كالقوة والطاقة والمجال والامواج وذلك في صياغتها للبنيان النظري لنموذجها التفسيري الزاعم ببشرية الظواهر النادرة! إن الغلو في الاعتقاد بوحدانية هذا النموذج التفسيري قاد الباراسايكولوجيا

إلى الوقوع في تخبطات كارثية طالت معظم مباحثها. ولنا أن نستذكر سويةً تخبط الباراسايكولوجيا المعاصرة في النظر إلى موضوع كيفية اكتساب القدرات النادرة والذي نجم عن إيمانها الكهنوتي ببشرية الظواهر الخارقة؛ هذه البشرية التي أوهمتها بوجوب أن يكون جميع أفراد الجنس البشري قادرين على اكتساب المقدرة على القيام بأية فعالية خارقة وذلك مادام بوسع البعض منهم استعراضها. ولقد أدى هذا النهج غير السوي بالباراسايكولوجيا المعاصرة إلى إضاعة عُمُرها في إجراء تجارب لا طائل من ورائها أرادت بها تقديم الدليل المختبري على توفُّر القابلية الخارقة لدى جميع البشر. إلا أن جميع هذه التجارب المختبرية باءت بفشل ذريع ولكنها، ومع كل هذا الفشل، لم تفق من غيها وضلالها بعيداً عن الحق. والآن، هل يتوجب علينا أن ننساق وراء هذه الباراسايكولوجيا الضالة وقد برهنت هي بنفسها على عدم تمكُّنها من تقديم البرهان على صواب مزاعمها؟ وماذا ينبغي علينا القيام به حيال هذه الفوضى التي خلفتها فينا سنوات طوال من البحث الباراسايكولوجي غير المُجدي؟ وكيف لنا أن نخرج من متاهات هذه الباراسايكولوجيا المُضلة؟ وهل لنا أن نأمل بقرب الوصول إلى صياغة باراسايكولوجيا جديدة تنقذنا من هذه المتاهات؟ وكيف ستكون نظرة هذه الباراسايكولوجيا إلى الظواهر النادرة؟ وهل ستستطيع تفسير ما يحدث فيها؟ لنبتدئ أولاً بتصنيف الظواهر النادرة وفقاً لما أقرَّته الباراسايكولوجيا الجديدة التي جاءت بها مختبرات برنامج بارامان. فالظواهر النادرة كما تنظر إليها هذه الباراسايكولوجيا تُصنَّف استناداً للطاقة المُسبِّبة لحدوثها إلى ظواهر مستقلة وأخرى مرتبطة. ويتم تصنيفها بصورة أكثر تفصيلاً وذلك استناداً لكيفية حدوثها أو اكتساب المقدرة على القيام بفعالياتها الى:

1 - ظواهر القدرة النادرة

2 - ظواهر القابلية النادرة

3 - ظواهر التدخل الطاقي غير البشري.

فعلى قدر تعلق الأمر بالطاقة الفيزيائية المسؤولة عن حدوث الظواهر النادرة ذات الصلة بالوجود البشري فان هذه الظواهر بالإمكان تصنيفها إلى ظواهر بشرية الطاقة وأخرى مجهولة الطاقة. ولأن الظواهر النادرة التي تحدث بسببٍ بشري تتمتع باستقلال طاقي ذاتي لا يدع هنالك حاجة لتداخل طاقي خارجي فان بالمستطاع تسميتها بالظواهر المستقلة. أما تلك الظواهر التي لا يمكن لها أن تحدث في ظل غياب تدخل طاقي خارجي فلقد تم اعتبارها ظواهراً مرتبطة وذلك لارتباط مفرداتها البشرية بمفردات مجهولة لا يمكن على الإطلاق أن تكون بشرية. وهنا لابد من الإشارة إلى أن هناك ظواهراً شائعة الحدوث بالإمكان اعتبارها هي الأخرى نتاج ارتباطٍ عضوي بين مفرداتها البشرية وغير البشرية. ولعل أقرب مثال للذهن هو ظاهرة الإبصار بالعين المجردة. فالإبصار لا يتم إلا بتوفر طاقة غير بشرية هي الضوء المرئي ومنظومة رؤية متكاملة المفردات. كما أن ظاهرة السمع هي الأخرى تستدعي ارتباط طاقة غير بشرية هي الصوت المسموع ومنظومة سماع صالحة للاستعمال. إلا أن الطاقة غير البشرية اللازمة لحدوث الظواهر شائعة الحدوث هي في الغالب الأعم طاقة غير مجهولة فيزيائياً وذلك بالمقارنة بالطاقة غير البشرية التي ينبغي التفكير بوجودها كسببٍ فيزيائي تحدث بموجبه الظواهر النادرة المرتبطة. فالطاقة غير البشرية في هذا النوع من الظواهر نادرة الحدوث لم يتم حتى يومنا هذا تشخيصها فيزيائياً كما تم تشخيص الطاقات التي يدرسها علم الفيزياء. إلا أن عدم قدرة المنظومة المعرفية البشرية على التعامل الفيزيائي التقليدي مع هذه الطاقات لا يُحتِّم وجوب أن تكون طاقات خرافية لا وجود لها. فنحن لا نملك إزاء ما نراه واضحاً جلياً أمام أعيننا وأعين أجهزتنا المختبرية من تأثيراتٍ فيزيائية حقيقية لهذه الطاقات غير أن نُقِر بوجودها المجهول هذا! إلا أن البعض قد يتساءل عن السبب في عدم اعتبار هذه الطاقات بشرية المصدر تنطلق من مناطق لم يتم استكشافها بعد في الدماغ البشري! ولماذا لا يتم التعامل المعرفي مع هذه الطاقات التي يتوجب علينا الإقرار بوجودها، وذلك بسببٍ من تأثيراتها

التي ليس بالمستطاع إنكار وجودها، على أنها بشرية المصدر وليس كما تدَّعي الباراسايكولوجيا الجديدة؟ إن الاجابة الفيزيائية على هذا السؤال المنطقي صياغةً وحجة كفيلة بدحضه وتبيان قصوره عن أن يكون أداة دحض للبنيان التجريبي الذي قامت على أساسه واستقامت "باراسايكولوجيا الظواهر النادرة": الباراسايكولوجيا الجديدة. فدراسة التأثيرات الفيزيائية التي تتجلى في الظواهر النادرة يُلزمنا بوجوب القول بأن هذه التأثيرات لا يمكن أن يكون السبب في حدوثها طاقة بشرية مصدرها الدماغ البشري؛ هذا الدماغ الذي لا يمكن أن يتم تضخيم كيانه هكذا وبالشكل الذي يوهمنا به أنصار هذا السؤال! فهذا الدماغ بإمكان كل من علم التشريح وعلم وظائف الأعضاء أن يبرهن لنا على أنه غير قادر على القيام بتوليد طاقات جبارة كتلك الواجب افتراضها كيما تكون السبب الفيزيائي وراء حدوث التأثيرات الفيزيائية العجيبة في كثيرٍ من الظواهر النادرة. كما أن بإمكان دراسة النشاط الكهربائي لقشرة الدماغ البشري أن تجعلنا على يقين تام بأن هذا الدماغ عاجزٌ عن أن يكون بوسعه التسبُّب في حدوث هكذا تأثيرات! إن استعراضاً سريعاً لتلك الظواهر النادرة التي تتجلى فيها تأثيرات لا يسهل على الإطلاق عزوها إلى طاقةٍ بشرية المصدر كفيلٌ بجعلنا نتيقن من استحالة أن يكون الدماغ البشري هو المسؤول فيزيائياً عن التسبب في حدوث هذه التأثيرات. ولنا أن نتساءل سويةً عن السبب الذي يجعل من أنصار القول ببشرية طاقة هذه الطائفة من الظواهر النادرة يُسارعون إلى إطلاق هذا القول مُعللين له بأن هذا الدماغ مايزال لغزاً يستعصي على العلم المعاصر فك أُحجياته ناسين، أو متناسين، انهم بهذا التعليل يكونون قد جوَّزوا للقول بلابشرية هذه الطاقة وذلك مادام الدماغ البشري وما يتواجد خارجه من طاقات غير بشرية في "المجهولية" سواء!! فمادام العلم المعاصر لا يعرف الدماغ البشري معرفةً تؤهِّله للجزم باستحالة أن يكون بمقدور هذا الدماغ توليد طاقات قادرة على إحداث هكذا تأثيرات فيزيائية فلماذا لا يكون للطاقات غير البشرية المتواجدة بجانب الإنسان هذه القدرة ذاتها مادام هذا العلم ذاته لا يعرف هذه

الطاقات معرفةً تؤهِّله للجزم باستحالة أن يكون بمقدورها التسبب في حدوث هذه التأثيرات ذاتها؟!! وإذا ما قيل: وما الداعي لاستقدام طاقات غير بشرية لا يستطيع العلم المعاصر التثبت من وجودها فلماذا لا نقول وما الداعي لافتراض وجود كيانٍ للدماغ البشري ليس بمقدور هذا العلم معرفته؟! إن العلم المعاصر إذا كان لايزال عاجزاً عن القيام بكشف تجريبي يتم له بواسطته إقامة الدليل المختبري على وجود هذه الطاقات غير البشرية، التي لا يوجد هناك في هذا العلم ما يُلزمنا بوجوب عدم القول بامكانية وجودها، فان المنظومة التجريبية لعلمنا المعاصر قد برهنت على استحالة وجود ما يجعل من الدماغ البشري بمستطاعه توليد طاقات يتوجب القول بوجودها وذلك للتعليل لتلك التأثيرات الفيزيائية التي تتجلى في الكثير من الظواهر النادرة! ولنا في استذكار تاريخ تطور العلم خير دليل على تعلُّق الإنسان بالتفسير البشري لما يحدث له وما يحدث حواليه. لقد أثبت المسار التجريبي-الاختباري الذي تسنى للعلم أن يقوم بشقه خطأ معظم هذه التفسيرات التي لا تستند إلى ما يتجاوز رغبة هذا الإنسان بإسباغ بشريته على كل شيء في هذا الوجود! وإننا لنذكر جيداً مدى التطرُّف الذي بلغه الفكر البشري في تفسيره لظواهر الوجود. فهل نستطيع أن ننسى أن الإنسان كان وحتى زمان قريب واثقاً من أن رؤيته للأشياء من حوله لا تتم إلا بصدور إشعاع من عينه! فاذا كان الإنسان لا يستطيع أن يُصدق أنه ينظر إلى الاشياء ويراها بواسطة طاقة غير بشرية لا يتسنى له توليدها فهل تراه قادراً على تصديق ما تقول به الباراسايكولوجيا الجديدة؟ فاذا كان الإنسان لا يرى الأشياء إلا بالضوء المنعكس عنها إلى عينيه فلماذا لا تكون فعالياته النادرة ناجمة عن تدخل طاقي تقوم به طاقات غير بشرية شبيهة بالضوء؟ إن الضوء لا ينبعث عن عين الإنسان ليُمكِّنه من رؤية ما حوله ولكنه ينعكس عن هذه الاشياء من بعد سقوطه عليها من "مصدر خارجي" غير بشري! فلماذا نُصدق هذا الوصف الآن وننسى أننا، قبل بضع مئات من السنين، كنا سنُكذِّب كل من كان سيتجرأ ويتجاسر على التشكيك بهذه "العقيدة الراسخة" وأننا كنا سنقوم بجرِّه

إلى إعلان توبته من هذه الهرطقة وذلك كما فعلت كنائس القرون الخالية بكل من تجاسر وانتصر للحق ولو كره الكافرون؟! ولماذا لا نستبق الاحداث فنقول بلابشرية الطاقة المُسبِّبة لحدوث كثيرٍ من الفعاليات البشرية النادرة وذلك بدل الانسياق وراء العقيدة الباراسايكولوجية المعاصرة التي سيؤول بها الأمر لامحالة إلى اطِّراح تفسيراتها البشرية هذه في يوم ما قريب بإذن الله وذلك من بعد أن يتأكد لديها أن الإنسان عاجزٌ عن توليد هكذا طاقات وأنه إذا ما كان عاجزاً عن إطلاق إشعاعٍ ضوئي يُمكِّنه من رؤية الأشياء فهو أكثر عجزاً عن إصدار هذه الطاقات التي يتوجَّب علينا افتراضها للتعليل لحدوث كثيرٍ من الفعاليات الإنسانية النادرة. إن المنطق يُحبِّذ لنا النظر إلى هذه الطاقات على أنها ذاتُ مصدرٍ غير بشري وذلك طالما كان الضوء الذي به تحدث فعالية الإبصار هو ذاته طاقة غير بشرية لا يقوم الإنسان بتوليدها! فاذا كان الضوء المرئي visible light هو السبب الطاقي في حدوث هذه الفعالية شائعة الحدوث فلماذا لا تكون لبعضٍ من الأضواء غير المرئية invisible lights المقدرة على التسبب الطاقي في حدوث فعاليات بشريةٍ نادرة كثيرة؟ فاذا كانت فعالية الإبصار، مثلاً، تحدث بترابطٍ "عضويٍ" ما بين طاقةٍ غير بشرية يتم توليدها خارج جسم الإنسان هي الضوء المرئي ومنظومة بشرية هي جهاز الإبصار فلماذا لا تكون أية فعالية من تلك الفعاليات البشرية النادرة هي نِتاج ترابطٍ "عضوي" مثيل ما بين طاقة غير بشرية هي أي من هذه الاضواء غير المرئية ومنظومة بشرية هي الجهاز الذي بوسعه التفاعل مع هذه الطاقة؟ إلا أن ندرة حدوث هذه الفعاليات تُلزِمنا بوجوب النظر إلى هذه المنظومات والأجهزة على أنها غير مشاعة بين جميع أفراد الجنس البشري. وهذا بكل تأكيد ليس عَجَباً. فالعبقرية، مثلاً، هي الأخرى فعالية غير مشاعة بين كل البشر! فلنا إذاً أن نظن بهكذا فعاليات نادرة انها تنجم عن وجود تميزٍ مادي في بُنية الفرد منا معشر الانس. إلا أن ما يجب أن يكون واضحاً لدينا هو أن هذا التفرد لا يعني عدم الوجود! فوجود فردٍ واحد بقابلية نادرة على القيام بفعالية غير شائعة بين باقي أفراد الجنس البشري

كفيلٌ بإثبات وجود هكذا "ظاهرة خارقة". إن أساس ما هو بشري في هذه الفعاليات الخارقة عائدٌ إذا إلى وجود تلك المنظومات البشرية التي بإمكانها الدخول في تفاعل ايجابي مع طاقات غير بشرية. إن المقدرة على الإبصار بالعين المجردة هو الأمر الشائع بين البشر إلا أن هذا لا يُحتم عدم وجود مَن يعجز، لهذا السبب أو ذاك، عن الرؤية بعينه. كما أن عدم المقدرة على القيام بفعاليات نادرة وان كان هو الأمر الشائع بيننا فانه لا يلزم عنه عدم وجود مَن بمقدوره القيام بهكذا فعاليات غير مشاعة. فمَن يكون بمقدوره القيام بفعاليةٍ "خارقة" ما لا يُمكِّنه من ذلك إلا تفرُّد عن معظم البشر يَسَّر له التفاعل مع تلك الاضواء غير المنظورة تفاعلاً نجم عنه قيامه بتلك الفعالية. والآن، وبعد أن تعرَّفنا إلى الظواهر النادرة بنوعَيها المستقل والمرتبط، وبعد أن عرفنا ما يعنيه هذا الاستقلال وما يُسبِّب هذا الارتباط، وبعد أن تلمَّسنا بوادر تميُّزٍ ما بين القدرة النادرة والقابلية النادرة، فلنا أن نكون أكثر تحديداً بهذا الخصوص فنقول بأن "القابلية" هي غير "القدرة" وكما سيتم تبيينه فيما يلي.

لنحاول تبين الفرق بين القدرة النادرة والقابلية النادرة وذلك من خلال استذكارنا لبعض "الظواهر الخارقة" التي تتجلى فيها واضحةً قابلياتٌ بشرية نادرة لا يمكن لهذه الظواهر غير الشائعة أن تحدث بدونها. "فظواهر الإدراك المعلوماتي الخارق"، مثلاً، هي ظواهر مرتبطة تحدث بسببٍ من ارتباطٍ عضوي وثيق ما بين طاقة غير بشرية مُحمَّلة بالمعلومات ومنظومة إدراك بشرية المادة. ولكي نكون أكثر دقة وتحديداً فسوف نتناول بشيء من التفصيل واحدة من ظواهر "الإدراك المعلوماتي النادر" ولتكن، مثلاً، ظاهرة "التقاط الأفكار". ففي هذه الظاهرة النادرة يتم تضخيم ونقل الإشارة الصادرة عن دماغ إنسان ما وذلك من قِبل طاقة غير بشرية تُحيط بالكائنات البايولوجية. كما ويتم التقاط هذه الطاقة التي تم تحميلها بمضمون الإشارة المعلوماتية البشرية وذلك من قِبل منظومة إدراك معلوماتي خارق توجد في دماغ الفرد المتميز بقابلية التقاط الأفكار. فالدماغ البشري يقوم على الدوام بإطلاق إشارات معلوماتية هي صورة

غير مرئية ولا مسموعة لما يجري داخل مادته البايولوجية من فعاليات كهربائية وذلك عند قيامه بالتفكير مثلاً. إن عملية الإطلاق هذه لا تحدث بصورة مقصودة بل هي فعالية تصاحُبية epiphenomenal عَفَوية لا قدرة للدماغ البشري على عدم القيام بها وذلك مادام حياً (أي مادامت حيةً مادتُه). فنظراً لتكون الدماغ البشري من مادة بايولوجية فائقة التعقيد بمقدورها القيام بفعاليات فكرية كهروكيميائية، وذلك عن طريق منظومات عصبية بالغة الرُقي، فلن يكون بوسع مادته المُفكرة هذه إلا أن يُصاحب عملها التفكيري إطلاق إشعاع معلوماتي هو النسخة الضوئية غير المنظورة للأفكار المتضمَّنة في عملية التفكير هذه. إلا أن هذا الإشعاع المعلوماتي على جانب كبير من الوهن والضعف. فهو لا قدرة له على تجاوز حدود المادة البايولوجية للدماغ البشري. إلا أن تواجد طاقات غير بشرية بجانب الإنسان بمقدورها تضخيم ونقل مضمون هذه النسخة غير المرئية يجعل بمستطاع الفرد ذي القابلية النادرة على التفاعل مع هكذا طاقة التقاط وإدراك فحوى هذه الرسالة الخارقة.

إن قيام الدماغ البشري بالتفكير يتضمن حدوث تغيرات بايوكيميائية وكهروكيميائية في المادة البايولوجية لمنظوماته العصبية. وهذه التغيرات ينجم عنها تولد إشعاعات نُسَخِية كما ينجم عن مرور التيار الكهربائي في ملف مصنوع من مادة موصلة تولد إشعاع مغناطيسي وهذا ما يعرفه معظمنا. إلا أن الفرق كبيرٌ جداً بين مرور التيار الكهربائي في سلك مصنوع من مادة ميتة وبين تولده ومروره في مادة حية. فاذا كان مروره في المادة الميتة كفيل بتوليد إشعاع مغناطيسي وذلك شريطة أن تكون مادة موصلة وذلك كما تقضي به قوانين الكترونيات المادة الميتة dead matter electronics فان الفعالية الالكترونية للمادة الحية كفيلة بتوليد إشعاع من نوع جديد لا يمكن أن يكون له وجود إلا في عالم الكترونيات المادة الحية living matter electonics. وهذا ما يجعل من الصعب أن نتصور إمكانية التوصل لصنع جهاز كشف للتثبت من هكذا اشعاع وذلك طالما كان هذا الجهاز يستند إلى منظومات الكترونية ميتة.

فإشعاع المادة الحية للدماغ البشري هو شيء مختلف تماماً عن الإشعاع الحراري لباقي أجزاء الجسم. إن أهم ما يجب تأكيده بهذا الخصوص هو أن الإشعاع المُصاحِب لفعالية التفكير التي يقوم بها الدماغ البشري عاجزٌ عن مغادرة البُنية البايولوجية لمادته فما بالنا إذا ما نحن تذكرنا تلك الوقائع المثبتة والتي تُبيِّن وبما لا يقبل الشك أن أفراداً من بني البشر بإمكانهم التقاط أفكار شخص ما وهم على بعد آلاف الاميال منه؟! إننا نعلم جيداً أن عملية إرسال البث الراديوي مثلاً تتطلب توفُّر طاقة كهربائية كبيرة للغاية وذلك إذا ما أُريد له تغطية مساحات ومسافات شاسعة. فهل يستطيع الدماغ البشري توفير طاقة كفيلة بنقل إشعاعه الفكري، مسافة آلاف الاميال؟ إن البُنية البايولوجية لهذا الدماغ تُلزِمنا بوجوب الإجابة على هذا السؤال بالنفي المطلق. وهذا ما يرجع بنا لا محالة إلى ضرورة القول بوجود تلازم وترابط ما بين القابلية النادرة على الالتقاط الخارق للإشعاع المصاحب للتفكير البشري وبين الطاقة غير البشرية المسؤولة عن تضخيم ونقل هذا الإشعاع. والآن بعد هذا الاستعراض العاجل والموجز لواحدة من أهم ظواهر الإدراك المعلوماتي النادر وذلك في سياق تبيِّننا للفرق ما بين القابلية النادرة والقدرة النادرة لابد من التعرض لمثال يُبيِّن لنا طبيعة هذه القدرة. فاذا كنا قد فرغنا للتو من اكتشاف الصلة الموجودة بين الظاهرة المرتبطة والقابلية النادرة فهل بإمكاننا القول بأن هناك أيضاً صلة ما بين الظاهرة المستقلة والقدرة النادرة؟ فاذا كانت ظواهر القابلية النادرة تستدعي بالضرورة تواجد طاقة غير بشرية وذلك ليتسنى لها أن تحدث فهل نستطيع التفكير بوجود ظواهر نادرة لا يتطلب حدوثها التواجد الارتباطي هذا؟ إن ظواهر القدرة النادرة هي تلك التي لا يتطلب حدوثها الا توفر أفراد بمقدورهم التحكم الإرادي ببعض الفعاليات الفسيولوجية التي تُعتبر عادةً فعالياتٍ لاإرادية لا قدرة للإنسان على السيطرة عليها. لنتذكر ممارسي بعض تقنيات اليوغا وفنون التأمل التجاوزي Transcendental Meditation. فهؤلاء بمقدور واحدهم السيطرة على فعاليات لاإرادية لأجسامهم تتضمن التحكم بنبض القلب وضغط الدم وسرعة

التنفس وحرق السكر في الدم. إن أهم ما يُميِّز هؤلاء عن أولئك الأفراد أصحاب القابليات النادرة على القيام بفعاليات خارقة هو أنهم لم يتحقق لهم الحصول على هذه القدرات النادرة إلا من بعد قيامهم بتطبيق تقنيات خاصة وعلى مدى سنوات طوال. فالقدرات النادرة بإمكان جميع أفراد الجنس البشري التمتع بها وذلك شريطة قيامهم بتطبيق هذه التقنيات أما أصحاب القابليات النادرة فهم لم يقوموا ببذل أي جهد للوصول إلى ما مكَّنهم من التمتُّع بها. فهم إما تفرَّدوا بها موهبةً وإما تمتَّعوا بها بسببٍ من صدمة عاطفية أو حادث سيارة أو سقوط من على سُلم... إلى آخره. أي أن هذه القابليات النادرة ليس بالإمكان "تعلُّمها" أو تعليمها للآخرين كما هو الحال مع القدرات الخارقة. إذاً فظواهر القدرة الخارقة هي ظواهر مستقلة لا علاقة لها إلا بالإنسان ولا تتطلب تواجد طاقة غير بشرية كيما تحدث. ولكن هل هناك ظواهر نادرة مستقلة عن تواجد الإنسان؟ فاذا كانت ظواهر القدرة النادرة هي ظواهر بشرية بحتة فهل هناك من ظواهرٍ نادرة غير بشرية بالكامل؟ إن ظواهراً كظواهر الشفاء غير الطبي التي تحدث في أوساط الدراويش هي مثال حي على الظواهر الخارقة التي لا دور هناك للإنسان في إحداثها. فهي ظواهر خارقة غير بشرية مستقلة عن أي دور للإنسان في إحداثها. إلا أنها مع ذلك ظواهر بإمكان كل البشر استعراضها وذلك شريطة حصولهم على اجازة بذلك من استاذ الطريقة الذي هو وحده مَن يتحكم بجماهيريتها.

اذاً لقد تبيَّن لنا أن هناك أنواعاً شتى من الظواهر النادرة وأن بإمكان باراسايكولوجيا جديدة أن تقوم، على أنقاض الباراسايكولوجيا السائدة حالياً، بدراستها كما لم تفعل هذه الباراسايكولوجيا الضالة.

ليست كل ظواهر هذا الوجود في الحدوث سواء. فاذا كانت الغالبية العظمى من الظواهر التي تحدث في هذا الوجود تحدث على الدوام وبمعامل تكرارية مرتفع للغاية فان هذا لا يُحتِّم وجوب اَلا تكون هنالك ظواهر لا تحدث دائماً وبمعامل تكرارية واطئ جداً. إن هذا الوجود حافلٌ بظواهر يتكرر حدوثها على الدوام مقارنةً بظواهر أخرى نادرة الحدوث. إلا أن هذه الحقيقة لا ينبغي أن تجعل من العقل الإنساني يُسارع إلى نبْذ واطِّراح الظواهر نادرة الحدوث خارج مدى رؤيته لمجرد خروجها على النمط المُميِّز للظواهر التي اعتاد هذا العقل على التعامل المعرفي معها! فمادامت الظواهر نادرة الحدوث تحدث، فهي ظواهر واقعية لا تختلف عن غيرها من ظواهر الواقع شائعة الحدوث إلا بحدوثها واطئ التكرار هذا. إلا أن الإنسان مُغرَم بشن الحرب على كل ما يُخالف الاجماع ويخرج على الجماعة سواءٌ كان هذا الخروج خروجاً على الاعتقاد الجماعي تجاسر على القيام به فرد من أفراد القطيع الإنساني أم خروجاً على النظام الجَمعي تجرأت على القيام به ظاهرة من ظواهر هذا الوجود استعصاءً على الانضواء تحت لواء القوالب الجماعية الجاهزة التي صاغها عقلُ الإنسان ليتسنى له بواسطتها النجاح في قولَبة كل ما يحدث في الوجود! وهذا النفور الإنساني من التميُّز والتفرُّد صفةٌ ملازمة لهذا الإنسان الذي ليس بقادر على استيعاب الموجودات إلا وفقاً لما تُمليه عليه من ضوابط منظومتُه العقلية؛ هذه المنظومة المتكبرة التي تستفزها أية ظاهرة ليس لها أن تتقبل طوعاً القدَر الجماعي الذي أرادت له أن يستوعب الوجود بظواهره كلها جميعاً وذلك داخلاً من ضيق حدوده. فالقلة مكروهة وإن كانت مع الحق والكثرة محبوبة وإن كانت على الباطل! وكذا الحال مع ظواهر الوجود الأخرى؛ فظواهر الوجود الأقل حظاً في الحدوث قد خرجت على الإجماع بخروجها السافر هذا على النظام الذي نجح العقل الإنساني في

فرْضه على الوجود حتى ما عادَ بوسعه أن يُصدِّق أن هذا النظام الجائر هو من نسْج خياله المريض! لذا لم يكن لهذه الظواهر الخارجة على النظام العقلي، كما فرضه الإنسان على هذا الوجود، أن تَحظى بغير الإهمال والنبذ والطرد خارج مدى الرؤية المعرفية لهذا النظام. فلأن هذه الظواهر خارقة للأُسس التي شُيدت عليها أركانُ هذا النظام العقلي الزائف فان التصرف المعرفي الوحيد حيالها لا ينبغي له أن يتجاوز تداولها بكيفية لا تجعل لها حصة في المعرفة الإنسانية الصائبة بهذا الوجود! فالظواهر هذه، مادامت خارقة للنظام العقلي الإنساني، ليس لها إلا أن تبقى اسيرة التداول الشعبي لها ميثولوجيا حافلةً بكل ما هو خرافي لا وجود حقيقياً له وفولكلوراً يعج بكل ما هو مفرط الغرابة مما لا ينتمي لهذا الواقع انتماءَ وقائعه المكونة له اليه! وهكذا جرى استبعاد هذه القلة من ظواهر الوجود خارج سوح البحث المعرفي الرصين! فلِمَ تعبأ الفلسفة بهكذا ظواهر لا يعبأ بها الا الدهماء والسَوَقة؟! وكيف لنا بالتالي أن نطالب الفيلسوف بالنزول، من برجه العاجي، عن كبريائه المعرفي ليتدبر هذه الظواهر علها أن تكون له مادةً يستعين بها مع غيرها من ظواهر الوجود في جعْل خطابه الفلسفي اكثر قدرة على استيعاب الوجود كما يتجلى واقعاً وحقيقةً؟! فهذه الظواهر خارجة على القانون بخروجها على النمط الذي ينبغي على كل ظواهر هذا الوجود أن تتقيد به نمطاً وحيداً يُنظم حدوثها، هذا إذا ما أرادت حقاً أن تجعل من الإنسان مُلزَماً بالنظر اليها فلا يراها الا موجودة! إن القانون الإنساني هذا ذو نصوص مقدسة سوف يُعاقَب كل مَن يتجاسر على الخروج عليها بالنبذ والنفي والطرد والهجْر والإبعاد! على أي حال كانت هذه الظواهر الخارجة على القانون الإنساني تجد لها العزاء والسلوى برفقة خلْقٍ لله شاركوها نبْذ الجماعة الإنسانية لهم لتجاسرهم، هم أيضاً، على الخروج على قوانين هذه الجماعة المقدسة! فلقد جعل الله لأنبيائه والمُقربين من بني آدم المقدرة على لفْت انظار هذه الظواهر المنبوذة مما جعل من هذه الظواهر لا تني تلاحق مَن اختاره الله ليكون من القلة القليلة التي آثرت الانسياق إليه على أن تُساق مع أفراد القطيع حشْراً إلى أكبر تجمُّع إنساني سوف

يشهده التاريخ يوم القيامة في جهنم العظمى! لذا كانت هذه الظواهر الخارجة على الإجماع رفيقة سفر أنبياء الله على الطريق الإلهي إليه. ولقد نجحت هذه الظواهر المنبوذة في إزالة الشعور بالوحشة والاحساس بالغربة من قلوب عباد الله المنبوذين من مجتمعاتهم لفرْط خروجهم على ما أجمع عليه القوم من عبودية لغير الله وصادق خضوع للنفس والهوى! فالأنبياء المُرسَلون وجدوا في المعجزات وخوارق العادات العزاء والسلوى طالما كانت هذه الظواهر الخارقة للمألوف الإنساني رسالة حب إلهية نقلت لهم اهتمام الله بهم وحرصه على إبعاد كل ما من شأنه أن يبعث في قلوبهم الرقيقة مشاعر اليأس والإحباط جراء إعراض الناس عنهم وجراء ما جرَّه عليهم انتصارهم لله من حقد وسخرية واتهامات شتى! إلا أن الفلسفة لم تجد في الظواهر الغامضة التي تحلَّقت حوالَي أنبياء الله والآخرين ممن ساروا وراءهم على الطريق إلى الله ما يجعل منها مُلزَمةً بالنزول مرة أخرى إلى أرض الواقع! فهذه الظواهر لا وجود لها مادام العقل عاجزاً عن أن يستوعبها تفسيراً لحدوثها وتأويلاً يُرجِعها بموجبهما للنمط المُميز لظواهر الوجود بحدوثها العاجز عن خرْق النُظُم المعرفية لهذا العقل العاجز بدوره عن النظر لأبعد من أرنبة أنفه المُحلِّق في سماوات التأليه الذاتي! لذا فلم يتم لهذه الظواهر هي أيضاً ما سبق وإن عدمتْه الظواهرُ الغامضة الأخرى من انصراف البشر عنها استخفافاً بها وقولَبةً لها داخل قالب السحر تارة وخداع البصر تارة اخرى! ولكن "العلم" جاء أخيراً وتنفست الظواهر المنبوذة الصعداء! فها هو الفارس المُنقِذ قد جاء من بعد طول غياب وها هي فرصة الحياة الحرة الكريمة قد أصبحت على مرمى حجر! فهل استطاع "العلم" حقاً أن يرفع الغُبْن والحيْف عن هذه الظواهر التي طالما عانت من ظلم الإنسانية لها؟ إن استعراضاً سريعاً لنمط التعامل العلمي مع هذه الظواهر الخارجة على العلم، مادام نظرياً، بمقدوره أن يكشف النقاب عن حقيقة مفادها أن "العلم"، بوجهه النظري، قد قام هو الآخر بايقاع أبشع أشكال الظُلم المعرفي بهذه الظواهر التي سبق لها وأن تجاسرت على خرْق منظومته المعرفية لفرْط مطالبتها له بتوسيع آفاق رؤيته

ليتسنى له بالتالي أن ينظر اليها فيراها، هي الأخرى، ظواهراً لا تقل حقيقية عن غيرها من ظواهر الوجود! إلا أن العلم النظري لم يقم إلا بما هو حقيق عليه القيام به مادام هذا "العلم" نتاجاً للعقل الإنساني في اقصى تجلياته المتألهة العاشقة لكل ما ليس له إلا أن يجعل من الإنسان إلهاً أريباً حصيفاً لا يقول إلا الحق! فلقد وقع هذا "العلم" في وهم كبير مفاده أن هذه الظواهر، إذ ثبت لديه على مضض حدوثها، ليس لها من قدرة على الخروج الحقيقي على المنظومة المعرفية الإنسانية وإن هذا الذي ننظر إليه فنراه خروجاً منها على أسس هذه المنظومة ما هو في حقيقته إلا خروج على تفسيرات خاطئة يتوجب تصويبها بالقول بأن الإنسان هو مصدر الطاقة المسؤولة عن حدوث هذه الظواهر! فلقد قامت الباراسايكولوجيا بدراسة بعضٍ من هذه الظواهر وذلك كما هو حقيقٌ على العلم النظري أن يقوم به من دراسةٍ للظاهرة قيد الدرس يستبعد بموجبها خارج مائدة البحث كل ما ليس له علاقةٌ بهذه "الظاهرة كما ينظر اليها" وليس كما هي عليه في الواقع! لذا فلقد تم استبعاد كل المفردات الغائبة عن إدراك الإنسان مادامت هذه عاجزة عن أن تكون المفردات البديلة التي جاء بها هذا "العلم" من نسْج خياله. إن هذا التعامل "العلمي" الأخرق قد عادَ على "الظواهر الخارقة" بكل ما من شأنه أن يؤمِّن لها أن تفقد، وإلى الأبد، كل صلة لها بالواقع ناهيك عن فقدانها صلة الوصل بالحقيقة مادامت ظواهراً، كغيرها من ظواهر الوجود، لا قدرة للإنسان على التوغل فيها تعمقاً يطال أبعادها المختفية تحت ركام أبعادها الظاهرة أمام عينه! لقد كان بإمكان "العلم" أن يجعل من "علمه" بالشيء علماً به كما هو عليه في واقع الحال وذلك طالما استحال عليه أن يجعل من "علمه" علماً بالشيء على ما هو عليه في الحقيقة. إلا أن "العلم" استعاض عن هذا العجز الكامن في صُلب بُنيته المعرفية بانتصارات "دون كيخوتية" خُيل إليه معها انه قادرٌ على أن يطال في الظاهرة قيد الدرس أبعادها كلها جميعاً حتى ما كان منها مختفياً عن أنظارنا لفرْط غيابه عن الواقع بتحقق انتمائه لعالَمٍ آخر لا سبيل لنا للوقوع عليه مادام الواقع واقعاً والحقيقة حقيقةً ولن يلتقيا

إلا ما رحم ربي! وهكذا قامت الباراسايكولوجيا بجر "الظواهر الخارقة" خارج هذا الواقع إلى "واقع آخر" وهمي ظنَّته الواقع-الحقيقة! ولأنها هي مَن قامت بجر هذه الظواهر بكلتي يديها الاثنتين، خارج العالَم كما بإمكاننا أن نعرفه بهذا العقل، فلقد وقر في وعيها انها صاحبة الكلمة الأولى والأخيرة، والوحيدة أيضاً، بكل ما له علاقة بهذه الظواهر! فلا ينبغي لأي "علم" آخر أن يُشاركها البحث في الظواهر الخارقة مادام كل "علم" آخر يرفض أن تُشاركه "علوم" أخرى في دراسته للظواهر التي تخصص، هو بالذات دون غيره من "العلوم"، بدراستها! ولكن مَن قال بأن الظواهر الخارقة ملك صرْف للباراسايكولوجيا حتى تطالب، وبكل وقاحة وحمْق، أن تُحجِم كل "العلوم" الأخرى عن التطلُّع لمشاركتها البحث في هذه الظواهر؟!!

فاذا كانت السايكولوجيا (علم النفس!) هي أول مَن فوجيء بالظواهر الخارقة فهل يكفي هذا السبْق للتسويغ لوجوب إعراض كل العلوم الأخرى عن هذه الظواهر مادامت البارا-سايكولوجيا قد تفرَّعت عن النظريات السايكولوجية نظريةً بمقدورها استيعاب خروجها السافر على البُنى التقليدية للعلم النظري؟! إن الحظ، أو القدَر بعبارة أكثر تحديداً، هو مَن كفل للبارا-سايكولوجيا أن تكون هي "العلم" الذي يدرس الظواهر الخارقة وذلك مادام علماء النفس هم أول مَن خرج على "الصمت العلمي" حيال ما يحدث في هذه الظواهر بحديثهم عنها وفقاً للمنظومات السايكولوجية التقليدية. فلو كان القدَر قد اختار البايولوجيا، أو الفيزياء، ليخرج من بين صفوف باحثيها مَن ستُفاجئه هذه الظواهر بخرْقها لـ "المألوف العلمي" كما تعرفه البايولوجيا، أو الفيزياء، اَما كان "العلم" الذي بين أيدينا اليوم والذي يدرس الظواهر الخارقة هو البارا-بايولوجيا أو البارا-فيزياء؟! إن كل "عالم" يظن أن "علمه" بالذات، مادام جنابُه قد تخصص به فاختاره على غيره من العلوم، هو الذي يحق له التفرُّد بفرض الوصاية المطلقة على الوجود! لذلك كان الباراسايكولوجيون على هذا القدْر من الإصرار على التمسُّك بأرضهم والدفاع عنها بوجه كل دخيل يروم التسلل اليها والتعرض

للظواهر التي نصبوا من أنفسهم حُماةً لها واوصياء عليها! فلو كان الطب هو أول مَن درس علماؤه الظواهر الخارقة أما كان كل طبيب يُفاخر بـ البارا-طب علماً للظواهر الخارقة ويطالب كل "عالم" آخر ان يلتزم بقوانين اللعبة فلا يخرج على النص بتدخله فيما لا يعنيه؟! على أي حال، لقد روَّج "علماء" الباراسايكولوجيا للباراسايكولوجيا فأشاعوا فينا أنها هي علم الظواهر الخارقة فلا موجب لتدخل علم آخر مادام بمقدورهم أن يتعاملوا معها وبما يكفل لهم استيعاب خروجها علَى المنظومة المعرفية للعلم النظري خرْقاً سافراً للأُسس التي شُيِّدت هذه المنظومة عليها! ولقد فاقم في هذه المشكلة المعرفية أننا صدقنا معهم هذه الوصاية المطلقة للباراسايكولوجيا على الظواهر الخارقة حتى ما عادَ بوسعنا أن نفصل ما بين الاثنين! فهل علينا من بعد كل هذا الذي تبيَّن لنا أن نبقى على هذا الاعتقاد الواهم بأن للظواهر الخارقة علماً يدرسها وأن الباراسايكولوجيا، وليس علماً آخر غيرها، هي هذا العلم الذي لا ينبغي لعلم آخر أن يُشاركه البحث في هذه الظواهر؟! ولكن هل هذه الظواهر هي حقاً مثل ظواهر أي علم من العلوم الأخرى حتى يُصار إلى النظر اليها على أنها ظواهر حِكرٌ على علم معين؟ إن الظواهر البايولوجية تختلف عن الظواهر الكيميائية اختلاف أي منهاً عن ظواهر علم الفيزياء وعلم الجيولوجيا، فهل الظواهر الخارقة تختلف هي الأخرى عن أي من هذه الظواهر حتى لا يمكن أن تُلحَق بأي علم من هذه العلوم؟ إن أول ما ينبغي الإقرار به بتدبُّر هذه الظواهر أن معظمها تُلاحق الإنسان وتتواجد على مقربة منه. وهذه الخاصية تجعل من المُحتَّم على أي علم يروم دراسة هذه الظواهر أن لا يظن نفسه قادراً على التعامل المعرفي الصائب معها وبما يؤمِّن له الانفراد التام بها دون أن تكون هنالك حاجة لاستقدام غيره من العلوم! فالظواهر الخارقة هي ظواهر قد تفرَّدت بخاصية وحَّدت بين شتاتها الذي تأتى للإنسان التعرُّض له على مر التاريخ وهذه الخاصية هي خروجها كلها جميعاً على ما وحَّد بين كل الظواهر غير الخارقة من قابلية فذة على الانضواء تحت لواء العلم بوجهَيه الواقعي (التجريبي) والوهمي (النظري). فخارقية الظواهر

الخارقة هي صفتها التي جعلت منها تُستبعَد خارج العلم مادام هذا العلم عاجزاً عن تصنيفها وفقاً لما درج عليه من أسلوب في التعامل التصنيفي مع ظواهر الوجود التي تتميز بعدم استعصائها عليه تعاملاً تجريبياً معها وتداولاً نظرياً مع مفرداتها يُتيح له تأويلها وبما يجعل له الكلمة الوحيدة التي لها أن تصف حقيقة ما يحدث فيها! إن الظواهر الخارقة، بملاحقتها الإنسان وبخروجها على كل علم تسنى له نظْم بُنيته النظرية تتطلب من العلم الذي يتطلَّع للتعامل المعرفي الصائب معها أن يُقِر بخصوصيتها هذه قبل أي شيء آخر. فهذه الخصوصية تجعل لها الحق بأن يكون هذا العلم علماً جديداً بمعنى الكلمة وذلك مادام ما بين ايدينا من العلوم لا تملك ما يجعل منها قادرةً على أن ينجم عن تعاملها مع هذه الظواهر ما يكشف النقاب عن هذا الذي يحدث "حقيقةً" فيها ويجعل منها، بالتالي، لا تختلف عن الظواهر الأخرى التي نشأت العلوم في كنفها. إن هذا العلم الجديد سوف يستدعي تعاون كل العلوم التي بين أيدينا وذلك طالما كانت الظواهر الخارقة ظواهراً غامضةً لا قدرة لعلم بمفرده على التصدي المعرفي لها وبما يكفل له الخروج منتصراً على جهالته ولاأدريته حيال ما يحدث فيها من خرْقٍ بينٍ لكل ما تواضع على النظر إليه على أنه قاعدةٌ ليس لها أي استثناء! فالعلم الجديد هو علم الظواهر الخارقة لا هذه الباراسايكولوجيا التي تدعي ما لا سلطة لها عليه بقولها الواهم انها ذاك العلم الذي ليس لعلم آخر ان يُنافسه احاطةً بهذه الظواهر وما يحدث فيها! والعلم الجديد ينبغي عليه ان لا يخجل من طلب يد العون من كل العلوم السائدة وذلك حتى يتأتى له، اِن استطاع، فض الغموض الذي يُلازم الظواهر الخارقة فلا يفارقها. فهذا العلم الجديد يتطلب لا محالة ان تُعينه في مهمته علوم الطب والكيمياء والفيزياء والبايولوجيا وعلم الاجتماع وعلم النفس والانثروبولوجيا وكل علم آخر بوسعه ان يجعل من الظواهر الخارقة أقل غموضاً مما هي عليه.

لعل أكثر الفعاليات الخارقة شيوعاً هي تلك التي تواضع الناس على تسميتها بـ "فعالية التخاطر" والتي هي، في حقيقة الامر، واحدة من طائفةٍ كثيرة التنوع من فعاليات الاتصال الخارق. ويظن كثيرون أن هذه الظواهر تحدث نتيجة تمتع البعض بقدرة خارقة على نقل والتقاط الأفكار. ولقد اختلط علينا الحق بالباطل حتى ما عادت هذه الفعاليات تُذكر إلا في سياق الحديث عن البشرية المطلقة للظواهر الخارقة. ولكن هل هذا هو حقاً الوصف الحقيقي لما يحدث في هذه الظواهر نادرة الحدوث؟ لنتعرَّف على نظرةٍ مخالفةٍ لنظرة الباراسايكولوجيا التقليدية التي لا ترى في الوجود الا ما هو بشري. فوفقاً للباراسايكولوجيا العربية المؤمنة فان ظواهر الإتصال الخارق أساسها قابليات بشرية مستترة وليس طاقات أو قوى بشرية خفية Hidden abilities and not hidden powers. أو إن شئت فإنها، شأنها شأن معظم الظواهر الخارقة، طاقاتها خفية ولكن ليست بشرية. فهي، وهنا الأمر متعلق بالاتصال الخارق وظواهره، ظواهر تحدث بسببٍ من قابليات بشرية مستترة وطاقات غير بشرية خفية. وهنا تبرز الحاجة من جديد إلى التأكيد الشديد على لابشرية الطاقة المسببة لحدوث معظم الظواهر الخارقة. فالطاقة المسببة لحدوث هذه الظواهر هي غير القابلية على احداث هذه الظواهر. ومصدر الطاقة هو ليس بالضرورة كائنات مُشخصَنة (ذات شخصية) personified، فقد يكون مصدر الطاقة أياً من الطاقات غير المُشخصَنة impersonified التي يزخر بها كوننا هذا. وظواهر الاتصال الخارق مصدر طاقتها هو هذه الطاقات غير الكائناتية.

إن ظواهر الاتصال الخارق إذاً تشبه غيرها من الظواهر الخارقة الأخرى يجب ان تشبه غيرها من الظواهر الخارقة كالإحتراق البشري الذاتي التلقائي Spontaneous Human Auto Combustion في كونها لابشرية

وذلك على قدر تعلُّق الأمر بمصدر الطاقة المسبِّب لحدوثها وبشرية في انها تتخذ من الكائنات الإنسانية مجالاً لاستعراض تأثيراتها الطاقية. إن ظاهرة خارقة كظاهرة التشارك بالإحساس Community of Sensation والتي تحدث تحت تأثير التنويم Hypnosis هي مثال على القابليات الإحساسية الخارقة التي قد تنشأ بسبب من اِبعاد الوعي في التنويم حيث يصبح بمقدور الشخص المنوَّم التقاط صورة من بعض فعاليات وعي الشخص المنوم وذلك بوساطة من تدخلٍ طاقي من قبل طاقة غير بشرية وغير مشخصنة في آن. وهذا ينطبق تمام الإنطباق على ظاهرة خارقة أخرى هي العين الشريرة Evil eye (الحسد) والتي تعتمد كيما تحدث على مصدر طاقة غير بشري (وغير كائناتي أيضاً) مقارنةً بظواهر خارقة أخرى يكون السبب في حدوثها تدخُّل طاقي من قبل طاقات مشخصنة (طاقات كائناتية)؛ فلو أخذنا مثلاً ما يسمى بالعبقريات الحسابية Calculating Prodigies لوجدنا أن هذا النمط من العبقرية لا يمكن في أحيان كثيرة أن يكون نتاج شيء آخر غير القابلية الخارقة على الإلتقاط الفوري للحل من فم كائن غير بشري يفوق الإنسان مقدرة على التعامل الرياضي مع الأرقام. إن هذه الكائنات التي بمقدورها أن تأتي بالعجائب في ظاهرة الإحضار من بعيد Teleportatio لابد أن يكون بمقدور بعضها، إن لم يكن جميعها، القيام بهكذا عمليات رياضية تتطلب ذكاءً خارقاً يفوق كل ذكاء معروف لدينا.

كما أن ظاهرة الرؤية الفائقة (الإبصار الخارق) وغيرها من ظواهر الإحساس الفائق لا تتطلب من الإنسان الموهوب بها صرف طاقة خارقة من عنده! فهي ليست أكثر من مجرد قابليات غير قياسية (غير نمطية) تمكِّن الشخص المتمتع بها من التقاط طاقات محملة بمعلومات، ومما يجدر ذكره هنا أن هذه الطاقات قد تكون مشخصنة أو غير مشخصنة.

إن الباراسايكولوجيا إذا ما أرادت أن تحصر نشاطها داخلاً مما هو بشري فما عليها غير أن تتجرد من السعي وراء التحرر من قيود الظواهر قيد الدرس إلى التقيُّد بالنزعة الميتافيزيقية إياها في إطلاق التفاسير المتجاوزة لحدود الظواهر

قيد الدرس! إن التقيد بالظواهر وعدم الإنجراف في مهاوي التفسير والتنظير وتخيُّل ما ليس موجوداً داخل الإنسان سيجعل، لامحالة، من الباراسايكولوجيا علماً تجريبياً اختبارياً بحق وذلك من بعد الانتباه إلى الحقائق الأساسية التالية، والتي هي حقائق أساسية في الباراسايكولوجيا الجديدة (التجريبية الإختبارية) Emperical Experimental Parapsychology:

1 - إن الظواهر الخارقة المُدرَجة على جدول اهتمامات الباراسايكولوجيا التقليدية لا يستطيع جميع أفراد النوع الإنساني استعراضها كلها بنفس القوة والمقدرة.

2 - إن استعراض هذه المقدرات الخارقة يجب ألا يكون دليلاً على كون القائم باستعراضها هو السبب وراء حدوثها وذلك على قدر تعلق الأمر بمصدر الطاقة التي لم تكن تلك المقدرات لتظهر كظواهر من دونها.

3 - إن هذا الإستعراض ليس بمقدوره غير أن يبرهن على أن هناك قابليات خارقة بمستطاع قلة من أفراد النوع الإنساني التمتع بها. إن الدماغ البشري مُدَوزَن للتفاعل الواقعي مع مفردات ووقائع هذا الواقع وهو قد لا يعود إلى سابق دَوزَنته من بعد تعرُّضه لحوادث معينة أو إجهادات خاصة فتكون النتيجة إما نوعاً من أنواع الجنون، وهو فنون عديدة كما يقولون، وإما دَوزَنةً جديدة تجعل منه قادراً على التعامل غير الواقعي مع تلك المفردات والوقائع غير الواقعية والتي تُشكِّل المادة التي يتكوَّن منها الواقع الآخر الذي هو السبب وراء حدوث الظواهر الخارقة وذلك على قدر تعلُّق الأمر بمصدر الطاقة.

4 - إن الظواهر الخارقة ما هي إلا دليل على وجود هذا الواقع الآخر الذي تعجز حواسنا المألوفة، بسبب من الدوزنة آنفة الذكر، عن الإحاطة به. وهذه الظواهر لا يمكن أن تكون دليلاً على وجود مقدرات كامنة داخل الإنسان المنتمي لهذا الواقع بحيث تكون الطاقة المسؤولة عن حدوث واستعراض هذه المقدرات بشرية المصدر!

5 - ولعل سائل أن يسأل: هل أن تميُّز أشخاص معينين بقابليات خارقة على الاتصال والإحساس، سواء وُلِدوا بها أم اكتسبوها على حين غرة أو بالتدريب، يستدعي حتمية النظر إلى الجنس البشري على أنه كان بمقدور جميع أفراده في ماضيه السحيق التمتُّع بهذه الخوارق ثم فقدتها غالبيتهم حتى أضحت حكراً على بعض من البشر قليل؟ إن هذا السؤال يشبه السؤال التالي: هل أن ظهور عبقريات من مثل موتسارت، اينشتاين، دافنتشي، ... الخ يُحتِّم ضرورة كون العبقرية بكل تجلياتها في ميادين الفكر والإنجاز الإنسانيين هي مُلكٌ لكل فرد من أفراد الجنس البشري بحيث يكون كل إنسان بالضرورة هو موتسارت واينشتاين ودافنتشي و.. الخ؟! إن الإحساس الخارق، وكذا الاتصال الخارق وباقي القابليات الخارقة، فعالية لا يمتلكها كل فرد من أفراد الجنس البشري كما أن واحدهم لا يملك كل العبقريات التي تجلَّت عبر مسيرة الإنسانية منذ فجر التاريخ! فالعبقرية، موروثة كانت أم مكتسبة أم مزيج من كليهما، شأنها شأن الخارقية في كونها مقتصرة على أفراد معدودين امتازوا بخصوصيات طالت ظروف تشكُّلهم منذ التقاء ماء الأب ومادة الام وحتى تجلِّي هذه العبقرية أو الخارقية على نحو ملموس وموثوق. إن هكذا قابليات خارقة لا ينبغي النظر اليها على أنها قابليات كامنة يمتلكها أفراد النوع الإنساني قاطبة كلهم جميعاً، ولا ينبغي تعليل هذه النظرة الحالمة على أساس من استعراض بعض أفراد الجنس البشري لهذه القابليات غير النمطية. إن تميُّز فرد من أفراد النوع الإنساني بواحدة أو أكثر من القابليات الخارقة لا يُحتِّم وجوب تمتُّع جميع أفراد الجنس البشري بكل ما يتميز به واحدهم منها.

إن قابليات خارقة من مثل الإحساس الفائق والاتصال الخارق لم تكن موجودة يوماً فاختفت بسبب من اِصرار أفراد الجنس البشري على التغاضي عنها ليكون بمقدورهم التعامل مع الواقع بصورة واقعية! إن المسألة ببساطة تتلخص في حقيقة كون هذه القابليات الخارقة بعيدة كل البُعد عن الاتصاف بهذا الماضي المزعوم والمتوهَّم والذي يصر الباراسايكولوجيون على اِلصاقه بها

من غير وساطة من بيِّنة قاطعة ولا دليل راسخ!

اِن تحرر أفراد الجنس البشري من قيد الإنغماس والخوض في هذا الواقع سوف لن يجعل منهم يرجعون إلى تلك الأيام الخوالي التي كانوا ينعمون فيها بتلك القابليات الخارقة والقدرات الفائقة والتي استترت عنهم لتصبح طاقات كامنة فيهم لفرط انشغالهم عنها بغيرها من الحواس والقابليات التي استُدرجوا إلى الاقتصار على استعمالها والإفادة منها من قِبل الواقع الإنساني الكسول والرتيب! وما ذلك اِلا لأن الإنسان ما كان يوماً يملك هذه الخوارق امتلاكه للحواس المألوفة والقدرات المعروفة!

إلا أن انعتاق الإنسان من هذا الواقع سوف يعود به إلى الماضي الذي كان فيه بمقدوره أن يرقى فوق هذا الواقع بطاقة متجاوزة له لفرط انتمائها إلى واقع آخر بامكانه اجتياح واقعه والتعبير عن هيمنته وتسلطه عليه بأدلة واقعية تنتمي تمام الإنتماء لواقعه هذا! إذا فالتحرر من الوعي الواقعي (أي ذاك المقصور على هذا الواقع) سوف لن يمنحنا المقدرة على السيطرة على طاقاتنا الداخلية المستترة والكامنة والتي لا وجود بحق لها! ولكن هذا التحرر سوف يعود علينا بامكانية حصولنا على التقاط جيد لمفردات تنتمي لواقع آخر يرقى فوق واقعنا البشري هذا ويتسلط عليه.

6 - والآن هل أن هذه القابليات الخارقة هي دليل على صحة الفرض القائل بأن تحرر الإنسان من هذا الوعي الواقعي كفيل بجعله يحصل (أو يكون بامكانه الحصول) على طيف متنوع من القابليات الخارقة؟! أم أن هذه الخوارق دليل على وجود واقع آخر يجب على الإنسان الواعي العاقل أن يشرع من فوره بالبحث عن الطريق المؤدي منه واليه؟! أليس بمستطاع هذه القابليات إذاً أن تقود إلى البرهنة على وجود ذكاء آخر غير هذا الذكاء البشري الذي سأمنا من تكرار القول بتفرُّده وأوحديته في الكون؟!

إن الفرق الجوهري ما بين الباراسايكولوجيا وأي من فروع العلم المعاصر يكمن في حقيقة كون المباحث الباراسايكولوجية تطال ظواهراً وتجارباً لا يمكن أن توصف الا بأنها تخالف ما قد أَلفه العلم من ظواهر تتَّبع سُنناً لا تحيد عنها نظراً لكونها مقيَّدة بقوانين لا فكاك لها منها. فظواهر العلم البشري لا تخرق المألوف الذي اعتاد عليه واضعوه فكان سبباً رئيسياً وراء ظهور هذا العلم وثباته على حاله على مر العصور. فلقد لاحظ واضعو العلم أن ليس هناك في الوجود من تغييرٍ خارقٍ للمألوف يطال ظواهره المألوفة ولا تغيُّر غير مألوف في مسار حدوث هذه الظواهر بحيث يؤدي هذا التغيير أو ذاك التغير إلى تحطيم الركيزة الأساس في نشوء العلم والتي هي: استقرار الظواهر على حال واحد لا تفارقه. فلم يكن بإمكان العلم لولا استقرار الظواهر المألوفة على حال واحد بعينه أن ينشأ ويتطور. فاستقرار الظواهر المألوفة هو الذي سمح للعقل البشري أن يتناولها تناولاً ترقى من البدائية في التفكير إلى هذا التعقيد الإعجازي الذي نلمسه اليوم ونراه رأي العين في التقنية المعاصرة والنظريات الفيزيائية السائدة. فمجال عمل العلم هو هذا الظاهر المستقر الخاضع لقوانين وسنن لا يخالف عن أمرها شيئاً. لذلك يبدو مفهوماً لماذا لم يتم الترحيب بالباراسايكولوجيا من قِبل العلم المعاصر ولم يتم تقبُّلها الا مؤخراً وعلى مضض! فالظواهر الباراسايكولوجية تخرق القوانين التي يخضع لها هذا العلم بظواهره وتجاربه وهي، إضافة إلى هذا الخرق، تبدو كما لو أنها لا تتبع قانوناً ما ينظِّم مسارها فتنضبط بأمره ونهيه.

إن الظواهر الباراسايكولوجية، بمواصفاتها هذه التي تستفز البنيان المعرفي للعلم، قد عانت، وماتزال تعاني، من إهمال شديد من قِبَل معظم علماء الحضارة المعاصرة وذلك لأنها، وبكل بساطة، غير موجودة كما يحكم عليها هؤلاء العلماء الذين يعللون لهذا الحكم على أساس من القاعدة التالية: كل ما يتعارض مع

البنيان المعرفي للعلم المعاصر فهو غير موجود حقاً وذلك لأنه لا يمكن أن يكون موجوداً الا ما هو متوافق مع هذا البُنيان! إن التعارض، بل التناقض، ما بين العلم المعاصر والظواهر الباراسايكولوجية كان من الممكن أن يظل أسير حلبة الأبستمولوجيا فيبقى إلى الأبد تصارعاً معرفياً لا سبيل إلى حسمه لصالح أحد الفريقين! إلا أن النتائج المعرفية للعلم المعاصر قد طالت مباحثاً لم يكن يجدر بالعلم أن يتجاسر على الاقتراب منها فيغادر حقيقته، بل قدره المقدور، كعلم بالظواهر ليس اِلا! فلقد تجرأ العلم على الخوض فيما لا ينتمي لمجال عمله فتصادم مع الإيمان بوجود اله خالق حكيم خبير فغادر الظاهرة إلى ما ورائها فكان ما وراء الظواهر مجالاً جديداً تواقح العلم المعاصر على البحث فيه فتخلى عن صبغته التجريبية المتطرفة والتي لا نجاة له من متاهات الهرطقة الميتافيزيقية اِلا بها! فكان أن استبدل الإيمان بغيبيات مفروضة عليه من الخارج بغيبيات أخرى فرضها هو وأراد أن يحلّها محلها لتكون بديلها المعوِّض عنها. لقد استدعى هذا التجاسر الأخرق أن تبادر الظواهر الباراسايكولوجية إلى تذكير العلم المعاصر بقدره وحقيقته وباستعصائها عليه من قبل فكان أن ولدت فكرة مشروع الباراسايكولوجيا المؤمنة Theistic Parapsychology لتكون رداً على الجوانب الغيبية في العلم المعاصر علها تردَّه إلى واقعه فلا يغادره بعد ذلك أبداً! إلا أن هذا الإنتصار لا يكفي! فلا يكفي أن نرد العلم إلى الاعتراف بعجزه عن اكتشاف غيبيات تستحق منا الإيمان بها والخضوع بالتالي لها بل أن الواجب يقتضي أن نعمد إلى الإفادة من العلم، أداةً ووسيلةً ومنهاجاً، لنقوم نحن هذه المرة بالانتصار للإيمان على الإلحاد انتصاراً تُمليه علينا هويتنا العربية التي نتميز بها طالما كان قدرنا هو الانتماء لهذه البيئة المؤمنة بالضرورة. ولذلك كانت الباراسايكولوجيا المؤمنة هذه باراسايكولوجيا عربية حتماً.

اِن العلم، بسبب من حياديته المطلقة إذا ما كان لا أكثر من ظواهر وتجارب كما هو الحال مع المذهب التجريبي المتطرف، لا يستطيع أن ينصف الإيمان وينتصر له على حساب الإلحاد. وهو إذا كان لاشيء سوى ابستمولوجيا لا ترى

الظواهر والتجارب الا من منظار فلسفي لا علاقة له بما هو واقع ودوغمائية متحيزة تفترض سلفاً اَلا وجود لغير هذا الإنسان فكيف نأمل بالتالي بجعله يختار الإيمان بالله على الإلحاد به! يُقصد بالعلم هنا العلم السائد حاليا في الغرب والذي يرد دائماً على أنه كل ما يمكن أن يكون هنالك من علم؛ فهو العلم الوحيد الأوحد Science. والعلم هذا لا يمكن أن يتم استيراده واستقدامه الا مشروطاً بفلسفته القاضية بألا وجود هنالك الا لهذا الإنسان وبالتالي فلا مبرر هناك على الإطلاق لافتراض وجود ما هو غير بشري لتفسير ما يمكن، بل ما يجب، تفسيره وفقاً لما يراه هذا الإنسان. إن العلم الحالي بفلسفته الدوغمائية وابستمولوجيته الانتقائية، هو علم اِلحادي وهذه الحقيقة يجب ألا نخجل من الاعتراف بها! وهذا يقضي بأن التصارع ما بين العلم الحالي والإيمان هو صراع قائم حقاً وهو ليس مما نتخيله. إن هذا الصراع، المعرفي بالضرورة، محسوم سلفاً لصالح العلم المعاصر الذي لا يجد هنالك ما يُرغم بُنيته المعرفية على الإقرار بوجوب الإيمان بوجود الله وذلك لأن العلم الحالي لا يجد أمامه غير هذه الظواهر المألوفة، المستقرة على حالها منذ القِدم، والتي لا تضطره إلى التفكير بضرورة افتراض اِله واحد فاعل متخفٍ من ورائها! وهنا لنا أن نتساءل: هل قَدَر العلم أن يكون اِلحاديا؟ أم أن بامكاننا الوصول إلى علم لا يكون حياديا بين الإيمان والإلحاد بل ولا يكون اِلا مؤمناً؟ قد يكون من حق العلم الحالي علينا أن نبادر إلى انتشاله من تخبُّطه هذا وذلك من بعد اِقرارنا بمسؤوليتنا الكاملة عن اِلحادية العلم المعاصر وذلك لأننا وقفنا موقف المتفرج فلم نقدِّم له يد العون والمساعدة عندما نظر إلى ما بين يديه من ظواهر فلم يجد فيها ما يُقسره على الركوع لله الواحد الأحد! إن الباراسايكولوجيا الجديدة تستطيع أن تقود العلم الحالي، يداً بيد، من متاهات اِلحاده إلى طريق الإيمان وذلك عبر تقديمها له ظواهراً خارقة لا يستطيع حيالها غير أن يقر بعجز نظرياته التفسيرية عن احتوائها ضمن بُنيته الإلحادية ولا يكون أمامه من مخرج من حيرته وجهالته ولاأدريته هذه غير أن يعود إلى مراجعة تصحيحية لبُناه الأبستمولوجية واُسسه

الميتافيزيقية والتي جعلت منه ينظر إلى ظواهره التي التقطها من محيطه فلا يرى فيها ما يستدعي إرجاعها إلى فاعل واحد هو الله! وهذا هو المنفذ الوحيد حتى يغادر العلم المعاصر الإلحاد ويستبدله بالإيمان. وعلى مَن يتوهم أن بمقدور العلم الحالي، ظواهراً وتجارباً، أن يُقيم البرهان على الإيمان بالله أن يتدبر في هذا الإجماع المميز لجمهرة علماء الغرب الذين لا يجدون في هذه الظواهر والتجارب ولو دليلاً واحداً يحملهم على الإقرار بضرورة هذا الإيمان! إن خرافة "العلم يدعو للإيمان" و"الله يتجلى في عصر العلم" يبرهن عليها هذا التجاهل الذي يُميز موقف الغالبية العظمى من العلماء المعاصرين من الإيمان. فالعلم السائد حاليا لا يستطيع تقديم البرهان على وجوب الإيمان بوجود الله. إن العقل البشري لا يستطيع، من غير معونة من الخارج، إثبات وجود الله وبالتالي وجوب الإيمان به. وهذا يذكّر بالقاعدة الصوفية القديمة "كيف تدل عليه الأشياء وهو الدليل عليها طالما كان هو الذي يُستدل به عليها ولا يُستدل بها عليه"! أليس في هذه النتيجة التي توصَّلنا إليها سوية تذكير بما أجمع عليه كافة أهل الطريق إلى الله من أن لا برهان عليه الا به؟ فالعقل البشري، من دون عون خارجي، قَدَره في أحسن الأحوال هو الحياد المطلق ما بين الإلحاد والإيمان.

وهنا نستذكر ما قاله من قبل أساتذة الطريق إلى الله: (وكيف يدل العقل عليه وهو عاجز والعاجز لا يدل الا على عاجز مثله!).

فكيف نطمح أن نستدل بالعقل أداةً وبالعلم منهاجاً على وجوب الإيمان بوجود إلهٍ مختفٍ وراء ما جاء به هذا العلم من ظواهر وتجارب تناولها بالبحث والدراسة إذا كان هذا الإله هو ذاته قد اقتضت حكمته وشاءت ارادته فقضى بقدرته أن يظل متخفياً عن الأنظار فلا تدركه الأبصار لاختياره التحجب من وراء ستارٍ اختاره هو ولم يُفرض عليه؟! فاذا كان هذا الإله الحكيم الخبير قد قضى أن يستبطن فيكون الباطن من وراء مألوف الظواهر فكيف نستطيع بوساطة من هذا العقل العاجز والعلم الأكثر عجزاً أن نصل إلى الكشف عمن هو من وراء الستار الذي تستر به عن أعين وعقول الخلق كل الخلق! إنه الباطن الذي لا وصول

إليه مهما حاول مَن يحاول! وهو الظاهر الذي لن يستره، لفرط إشراقه وظهوره، شيء مهما حاول مَن يحاول! فلماذا السير على طريق لا يؤدي إليه إذا ما كانت النية حقاً هي الوصول اليه! إن السير على الطريق المؤدي إلى الظاهر، وهو إسم من أسمائه الحسنى شأنه شأن الباطن، هو الذي يقود حقاً اليه، أما السير على الطريق الذي نريده نحن بعقلنا العاجز وصولاً إلى الباطن فلن يصل بنا إلا إلى سرابٍ بقيعةٍ يحسَبُهُ الظمآنُ ماء! فحجابه لن يخترقه أحد وظاهره لا يعمى عنه أحد. فالظواهر المألوفة، والتي هي مادة العلم المعاصر وكل سلاحه، هي تلك التي اختار هذا الإله الحكيم القدير أن يُظهرها هي ويختفي هو من ورائها فلماذا إذاً التذرع بها وسيلةً إليه وهو ما اختارها إلا لتكون حجابه الذي لا وصول عبرها من خلاله إليه؟! والظواهر الخارقة، والتي هي مادة العلم المستقبلي الذي نواته هي الباراسايكولوجيا الجديدة (العربية المؤمنة)، هي تلك التي بمستطاعها أن تُرينا هذا الظاهر الإلهي الذي لن يستطيع العلم المعاصر بكل تكبُّره وغروره أن يخفيه طالما اختار هذا الإله القدير أن يظهره ليكون الظاهر به ومن خلاله!

إن الظواهر المألوفة لا تسقط عنها مألوفيتها وتغادرها من غير رجعة إلا من بعد النظر إليها بمنظار الإيمان لتراها حينئذ العينان على حقيقتها الممكنة إبداعاتٍ للإله الحكيم الخبير الذي لا تدل عليه الأشياء إلا من بعد دلالته هو عليها! فالباطن الإلهي، في الظواهر المألوفة، هو مادة العلم المعاصر والذي لن يصل إليه مهما حاول! والظاهر الإلهي، في الظواهر الخارقة، هو مادة العلم الجديد بباراسايكولوجياه العربية المؤمنة والذي لن يستطيع أن يُخفيه العلم السائد مهما حاول! فالباراسايكولوجيا الجديدة هي علم خوارق يهدف إلى ملاحقة ما ينبثق عن الظاهرة الإنسانية في بيئتها الطبيعية الحقيقية (الإيمان) من ظواهر غير مألوفة تتحدى بغرابتها العالية البُنية المعرفية للعلم المعاصر.

وكمثال على الخوارق المرتبطة بالوسط المؤمن لنتطرق إلى ظواهر الشفاء الخارق للإضرار المتعمد احداثه في الجسم. إن هذه الظواهر عالية الخارقية (ذات الغرابة الفائقة) هي من الخوارق التي ترافق الإيمان وتلازمه وذلك لأن

التمكُّن من استعراضها عند الطلب رهنٌ بالحصول على اجازة بذلك من استاذ الطريقة الذي لن يهب هذه الإجازة إلا مشروطةً بعزم آخِذها على الإفادة منها في الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة. كما انها ظواهرٌ يسهل تتبعها تجريبياً داخل المختبر وذلك لأنها تمتاز بمعامل تكرارية مرتفع للغاية يُتيح لكل مَن تقيد بشروط منحِها التمكنَ من استعراضها عندما يُطلب منه ذلك. وعلى الرغم مما يتجلى في ظواهر الشفاء الخارق للإضرار المتعمد احداثه في الجسم من مناعة فائقة ورد فعل خارق فان الباراسايكولوجيا العربية المؤمنة ليست قصراً على هذه الظواهر ذات الغرابة الفائقة. كما أن هذه الباراسايكولوجيا الجديدة لا تتخذ من كرامات التصوف كما وردت في الموروث، المُدوَّن وغير المدوَّن، كل مجال عملها الذي لا تتعداه إلى شيء آخر يُضاف اليه؛ فهي لا يمكن أن تنحصر داخل ما تم تحديده من قبل على أنه "كل ما هنالك من كرامات"! فالكرامات، بداهةً وتعريفاً، لا تنقضي ولا تنتهي وهي غير قابلة لأن يتم قولبتها داخل نماذج جاهزة. إن الباراسايكولوجيا الجديدة (العربية المؤمنة) تسعى إلى ملاحقة التجدد والتنوع المميزَين للظواهر الخارقة التي لا تكف عن ملاحقة كل من سار على الطريق إلى الله. فالبحث في الكرامات (خوارق الإيمان) هو ليس بحثاً يتناول ما قد مضى وانقضى منها وذلك طالما امتد مجال فعلها إلى واقعنا هذا في يومنا هذا. إن كل بني آدم مؤهلون لأن يكون بمقدورهم التسبب في حدوث ظواهر خارقة وذلك شريطة التزامهم بالسير على الطريق إلى الله. لذلك فان الباراسايكولوجيا الجديدة هي دراسة متجددة بتجدُّد الخوارق التي ستظهر على كل مَن سار على هذا الطريق. فالخوارق هي قدَر المؤمن وهي تُلاحقه أينما حل وتأبى إلا أن تظهر بوجوده مهما حاول أن يتكتَّم عليها! وكيف لا تكون قدَره وهو يسير على طريق محفوف بالطاقة العظمى: طاقة الله مصدر كل طاقة في هذا الكون؟ إن الخوارق تلاحق السائر على هذا الطريق لأن السير عليه هو تعرُّض لأقصى ما في الكون من طاقة وهذا التعرُّض يعبِّر عن نفسه بهذه الظواهر فائقة الخارقية التي تواتر أمر ملاحقتها لأهل الطريق إلى الله حتى ما عادت تُذكر

إلا بذكرهم وحتى أصبحت لا تُعرف إلا بهم؛ فهي الكرامات التي ظهرت عليهم فأظهرتهم فكانت "كرامات الأولياء" مصطلحاً يدل على هذه الملازمة الحتمية للمؤمن من قِبل الخوارق. إن الطاقة الإلهية هي المسؤولة عن ظهور هذه الظواهر ذات الخارقية الفائقة. وهذه الطاقة لا يستطيع المُتعرِّض لها أن يتفادى تأثيرها عليه تأثيراً ينال كل ما حوله من شيء ويطال كل مَن حوله من خلْق الله. إن السائر على الطريق إلى الله سوف يتلمس في كل ما حوله ومَن حوله آثار تعرُّضه لنور هذه الطاقة الذي بانعكاسه عنه يُعاد تشكيل ما يحيط به حتى لا يعود بمستطاعه أن يرى الوجود كما اعتاد أن يراه من قبل؛ وجوداً خالياً من المعنى غير مُبالٍ به فيصبح بإمكانه النظر إلى الوجود الجديد هذا فيراه نابضاً بحياةٍ ليس مثلها حياة (وإنْ من شيءٍ إلا يُسبحُ بحمدهِ ولكن لا تفقهونَ تسبيحَهُم)، قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: (اتَّقوا فِراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله)وقال الله تعالى في حديث قُدُسي (لايزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى اُحبه فاذا أحببته صرتُ بصرهُ الذي يُبصر به وسمعه الذي يسمع به ويده التي يبطش بها).

والكرامات (خوارق الإيمان) هي من ثمار التصوف (الذي هو الرحلة إلى الله)؛ فالتصوف هو طريق الإيمان الفائق وهو لذلك درب الخوارق. وهذه الخوارق قد يعترض مَن تشابه عليه الأمر فيقول بشأنها متوهماً: إنها ليست مقتصرة على مَن سار على الطريق إلى الله وذلك لمشابهتها خوارق باستطاعة مَن حادَ عن هذا الطريق الإتيان بها! وهذا اعتراض تدحضه حقيقةُ انعدام التماثل وانمحاق التطابق ما بين خوارق الإيمان وخوارق اللا ايمان. فخوارق اللا ايمان، كما يشهد لها من لاحقها من علماء الباراسايكولوجيا والانثروبولوجيا ودرسها عن كثب، تتميز بكونها لا تحيد عن أنماط محددة ولا تخرج عن قوالب تُشكِّلها على هيئة لا تتعداها بينما تتحدى خوارقُ الإيمان كل محاولة لتصنيفها ضمن أية منظومة تصنيفية أو لقولبتها داخلاً من أية قوالب نظرية. فهي متجددة أبداً ولا تني تُفاجئ مَن يلاحقها دارساً أو تلاحقه سالكاً فلا تتركه إلا مشدوهاً متحيراً لفرط تنوُّعها وغرابة تلوُّنها. فالطريق إلى الله طريق محفوفٌ بالعجائب والغرائب

متميزٌ بخوارق العادات وعظيم الكرامات. والكرامات، بعدُ، لا تحتاج إلى تعليلٍ وتسبيب! فالسائر على الطريق إلى الله لابد من أن ترافقه الخوارق من غيرما حاجة من جانبه ليُعلّل لظهورها كما لو أنها تحتاج أن تجد سبباً واقعيا كيما يكون لوجودها وظهورها معنى! فهي تحدث حتى وإن كان هذا السائر على الطريق إلى الله منقطعاً عن الخلق بعيداً عنهم. وإذا كانت معجزات النبوة هي خوارق يُجريها الله تعالى على أيدي مختاريه من خلقه ليكونوا أنبياءه ورسله إلى الناس فيؤيِّدهم بها براهين وأدلَّة تُثبت صدقهم فيما ينقلون عن ربهم، فان الخوارق التي تُلاحق وتُصاحب السائرين على درب الإيمان (من غير الأنبياء) لا تظهر لهذا السبب أو ذاك مما له علاقة بالبرهنة على شيء. فهي بعيدة كل البُعد عن أن تكون هادفة أو ذات مغزى رسالي.

إن إثبات وجوبية وحقانية وجود الله، بواسطة ظواهر الباراسايكولوجيا الجديدة، سيعمل على تغيير نظرة العلم المعاصر إلى ظواهره، المألوفة وذات معامل الاستقرار العالي، فلا يعود بإمكانه أن يراها معزِّزةً لإلحاده بل سوف يشرع في النظر إليها أدلةً إضافية على صواب ما ذهب مُجبراً إليه في أن وراء هذه الظواهر، المألوفة المستقرة، فاعلاً هو ذاته الكامن وراء الظواهر الخارقة والظاهر فيها في آن!

فالعلم، بظواهره المعتادة المألوفة، هو مجال عمل الباطن الإلهي، لذا ترى إلى العلماء لا يتورَّعون عن تفسيره وفق مناهج الإلحاد! بينما الباراسايكولوجيا الجديدة، بظواهرها الخارقة الفائقة، هي مجال عمل الظاهر الإلهي لذا فلا قدرة لأحد من الخلق على الإحاطة بها تفسيراً يجنح إلى قولبتها داخلاً من قوالب بشرية كتلك التي لا قيام للعلم إلا بالاستناد إليها. وهنا لا يسعنا غير أن نستضيء بنور قول أُستاذ الطريقة العلية القادرية الكسنزانية السيد الشيخ محمد عبد الكريم الكسنزاني الحُسيني "الله ظاهرٌ لأهل الباطن وباطنٌ لأهل الظاهر".

العقل البشري وظواهر الوجود

هل تستطيع ظواهر هذا الكون، المألوفة والمعتادة، أن تقود العقل البشري، إذا ما لاحقها بالبحث الصادق المخلص النزيه وتدبَّر في متشابك علاقاتها وما هو ظاهر كأسباب لها وما يتمخَّض من نتائج عنها، إلى اكتشاف الله في الوجود؟ أم ان هذا العقل غير قادر على أن ينجح في الخلوص إلى نتيجة واحدة مفادها أن وراء هذه الظواهر إلهاً خالقاً فاعلاً؟ وكيف نفسِّر إذا ما جاء في القرآن العظيم من آيات طالما اعتدنا على أن نوردها في معرض الاستشهاد بها على أن التأمُّل في ظواهر هذا الكون لابد وأن يقود العقل المُتدبِّر إلى اكتشاف الله في الوجود؟ أليس في خَلقِ السمواتِ والأرض واختلافِ الليلِ والنهار آيات للعقل المفكر الذي لابد وأن ينتهي به هذا التفكر إلى مشاركة أولي الألباب الإقرار باستحالة أن يكون الله قد خلق هذا الكون باطلاً ومن دون أن يكون من بعد هذا العالم حياة أخرى فيها جنة ونار؟ وهنا لابد من كلمة قبل الاسترسال في التفكير على هذا النحو الذي دأبنا عليه منذ أمد بعيد. هل يحق لنا حقاً أن نستشهد بما ورد في القرآن العظيم من آيات تحض على التدبُّر والتفكير في ما خلق الله في السموات والأرض وذلك في معرض التدليل على أن بإمكان العقل البشري أن يصل، من بعد هذا التدبُّر والتفكُّر، إلى اكتشاف الله في الوجود؟ ولتوضيح الأمر أكثر فقد يكون مناسباً أن نفصل وجهة النظر هذه والتي طالما واجَهَنا بها أنصارُ مذهب "العلم يدعو إلى الإيمان"! يعتقد المتمذهبون بهذا المذهب أن بإمكان العقل البشري التدرج في التفكير وصولاً إلى اكتشاف الله في الوجود من بعد التدبُّر في ظواهر الكون وما يربط بينها من علائق، وأن هذا الاستنتاج الذي بإمكان العقل الوصول إليه يتَّفق مع ما يسمُّونه بالفِطرة البشرية، وأن القرآن العظيم قد جاء بآيات عديدة فصَّل فيها هذا الأمر وبين أن التدبُّر في الكون لابد وأن يقود إلى الاستنتاج بحتمية وجود المكوِّن.

ولكن هل هذا حقاً هو ما جاء به القرآن العظيم؟

إن الرسالة الخالدة التي حملها القرآن العظيم مغزاها هو كون سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم هو رسول الله إلى الناس كافة ليُنذرهم أن لا اِله اِلا الله جامع الناس ليوم الحساب لاريب فيه. فالقرآن العظيم لم يتوجَّه برسالته هذه إلى العقل البشري ليطلب منه أن يتدبر في ظواهر الكون حتى يكتشف بأُم عينه حقيقة أن الله موجود بحق!! لقد حفلت آيات القرآن العظيم بالكثير جداً من الدلائل المنطقية والبراهين العقلية على صدق سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم في دعواه بأنه رسول الله حقاً؛ حيث ذكر الله سبحانه وتعالى أهل الكتاب بما يحفظونه عن ظهر قلب بخصوص الرسول النبي الأُمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في الكتاب. ولقد أورد القرآن العظيم من الدلالات المنطقية المعجزة على صدق رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم في مقالته عن ربه تعالى بأنه رسوله ونبيه ما جعل من المشركين والمنافقين والمتكبِّرين من أهل الكتاب يتخبَّطون وهم ينظرون إلى هذه الأدلة الباهرة كيف تُقلِّبهم من حال إلى حال وهم يضربون له الأمثال فلا يستطيعون سبيلاً. ولم يترك القرآن العظيم مضمون الرسالة المحمدية من غير أن يدلِّل على أنه الحق الذي ليس وراءه اِلا الباطل. فلقد حملت آياته الكريمة الدليل تلو الآخر على استحالة القول بلاوحدانية الله وعلى عدم استحالة البعث من بعد الموت. وهكذا تسلسلت الدلائل الإعجازية الفائقة حُجةً والخارقة بلاغةً لتقود العقل المتدبِّر في ظواهر هذا الكون إلى وجوب إقراره بما جاء به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من أن لا اله الا الله جامع الناس ليوم الحساب لاريب فيه. ولم ترد في القرآن العظيم أيةُ آياتٍ تناولت موضوع الإلحاد بالله وعدم الإيمان بوجوده. فجوهر رسالة القرآن العظيم هو نبوة سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الذي قال عن ربه الكريم: لا اِله الا الله جامع الناس ليوم الحساب لاريب فيه. وهكذا فلا يحق للمتمذهبين بمذهب قدرة العقل على اكتشاف الله في الوجود أن يأتوا بآيات من القرآن العظيم، ما وردت إلا في

سياق التدليل على حقانية التوحيد ووجوب الإقرار بيوم القيامة، وذلك للبرهان على صدقهم فيما ذهبوا اليه! وهنا لابد وأن نتساءل: إذا استحال على العقل البشري اكتشاف الله في الوجود فهل يستحيل عليه أيضاً اكتشاف وحدانيته فيه والوصول إلى حتمية وجود حياة أخرى من بعد الموت؟ أي إذا عجز العقل البشري، لوحده، عن التوصل إلى اكتشاف وجود الله في الوجود فهل يستطيع، لوحده أيضاً، اكتشاف وجوب وحدانية الله وحتمية الحياة الآخرة؟ إن المتدبِّر فيما جاء به القرآن العظيم من آيات عديدة تحض على التفكُّر في ظواهر الكون والحياة لابد وأن يخرج بنتيجة مفادها أن القرآن العظيم قد أوضح حقيقة كون آيات الله المبثوثة في كتاب خلقِه (الكون العظيم) بوسعها أن تُمد العقل، المؤمن بالله الواحد الأحد جامع الناس ليوم الحساب لاريب فيه، بكل ما من شأنه أن يُعمِّق لديه معنى هذا الإيمان ويجعله واثقاً من صدق رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فيما جاء به عن ربه الكريم. أي أن الأصل هنا هو الإيمان أولاً ثم التدبُّر والتفكُّر ثانياً، وإلا ماذا تفيد الآيات إذا ما كان القلب أعمى والمرء بلا عقل! إنما يعقل آيات الله العالمون.

فالإيمان إذاً بالله الواحد الأحدجامع الناس ليوم الحساب لاريب فيه هو النور الذي بمستطاعه أن ينعكس عن الوجود فنرى به الوجود مؤيِّداً لهذا الإيمان بل وداعياً العقل المؤمن إليه. إن العقل البشري، إذا لم يكن مؤمناً، لا يستطيع اكتشاف الوحدانية؛ أي أن العقل المتشكك لا يستطيع أن يتأمل في الوجود فيخلص إلى حقيقة هي أن "لا اِله الا الله"! كما أن العقل هذا لا يستطيع أن ينظر إلى الوجود فيرى ما فيه من ظواهر تدعوه إلى الإقرار بأن هناك حياة أخرى بعد الموت وأن هناك حساباً واقعاً لامحالة! إن الاعتقاد بهكذا مذهب يدحض الدين كرسالة من الله تعالى إلى البشر وإلا فلماذا كان هناك أنبياء إذا كان بمستطاع العقل البشري الوصول إلى "لا اِله إلا الله جامع الناس ليوم الحساب لاريب فيه"؟! واذا سلَّمنا جدلاً بذلك فهل يستطيع هذا العقل الأعجوبة أن يقول لنا ماذا يريد هذا الإله الواحد الذي اكتشفه في الوجود؟

إن الإله الذي يزعم أنصار مذهب "العلم يدعو إلى الإيمان" أن بوسع العقل البشري اكتشافه في الوجود لا يمكن أن يكون هو الله الذي خلق هذا الوجود، وذلك أمر يسيرٌ برهانُه إذا ما تذكَّرنا حقيقة ما بمستطاع العقل البشري تصوُّره من صفات لهذا الإله المزعوم وقصورِ هذه الصفات عن أن تقف موقف الند من أسماء الله الحسنى التي عرَّف الله تعالى نفسه بها للبشر في القرآن العظيم. إن الإله الذي يريدنا المتمذهبون بهذا المذهب أن نصدِّق معهم أنه موجود بحق هو اِله غريب حقاً فهو اِله نجح في اكتشافه أنصار هذا المذهب على الرغم من تباينهم في خط الشروع الذي انطلقوا منه في رحلة البحث العجيبة هذه! فالمنتمون لهذا المذهب على اختلاف دياناتهم، التي يصل تناقضها فيما بينها حد التكافر الذي يجعل منهم يرمي بعضُهم البعض بالضلال المبين، يزعمون أن الإله الذي اكتشفوه في الوجود بالعقل والبرهان والحجة هو الإله الحق على الرغم من أن كلاً منهم يحاول أن يجر هذا الإله المُدَّعى إلى طرفه وناحيته ليكون الإله المعبود من قِبَل الديانة المتمذهب بها! إن هذا الاستغلال يدل على استحالة أن تكون محاولة الإكتشاف هذه مشروعةً معرفياً طالما كانت النتيجة التي يريدنا هذا المكتشف اللوذعي الإقرار بها، عن يد ونحن صاغرون، هي البداية التي انطلق منها بدلاً من أن يصل، من بعد البحث، اليها! فاذا استطاع أنصار "العلم يدعو إلى الإيمان" اكتشاف الإله في الوجود فهل بمقدورهم أيضاً اكتشاف انتماء هذا الإله؟! هل بوسعهم تحديد الدين الذي يدعو هذا الإله المكتشَف اليه؟ هل بمستطاع ظواهر هذا الكون أن تبرهن على أن الإله المكتشَف هذا هو اِله هذه الديانة أو تلك من الديانات التي ينتمي اليها بنو البشر؟ إن التناقض الموجود بين المنتمين إلى ديانات الإنسان على هذه الأرض هو دليل قاطع على استحالة الوصول إلى اكتشاف الإله الحق عن طريق العقل البشري لوحده. ثم إذا سلَّمنا

جدلاً بامكانية هذا العقل على الوصول إلى الإله الحق فهل يكفي هذا، إذا استحال عليه بداهةً تحديد ما يريده هذا الإله الحق منه؟! هل نستطيع الاكتفاء بمجرد اكتشاف الإله في الوجود فنستغني باكتشافنا الفذ هذا عن القيام بما نعجز عن اكتشافه مما لابد وأن يكون هذا الإله يريده منا؟! إن وجود الإله هو ليس مسألة فلسفية، كما يحلو للبعض أن يصوِّرها، بل أنه أمر خطير يمس وجود الإنسان بل مصيره! فوفقاً للعقل ذاته الذي نجح في اكتشاف الإلوهية في الوجود فانه لا يُعقل أن يخلقنا هذا الإله، الخالق لنا لامحالة، هكذا عبثاً ومن غير أن يريد منا شيئاً آخر غير أن نقوم بمحاولة اكتشافه! أي أن هذا العقل نفسه هو الذي يحكم باستحالة وصوله هو ذاته إلى اكتشاف ما يريده منه الإله الذي نجح في اكتشافه! يا لها من تناقضات عجيبة! يبدو اننا معشر البشر قد تشاغلنا عن واجبنا تجاه خالقنا الحق بالانشغال بالبحث الفلسفي عنه! فالمسألة الأساسية هي ليست ما إذا كان الإله موجوداً أم لا ولكنها ماذا يجب أن نفعل عندما نصل إلى أن الإله موجود بحق! بعبارة أخرى إذا ما نحن سلَّمنا بأن العقل البشري بوسعه الوصول إلى اكتشاف الإله في الوجود فيجب علينا التسليم أيضاً بأن هذا العقل ذاته يعجز عن الوصول إلى تحديد ما يريده على وجه التحديد هذا الإله منه؟ وهنا نتساءل بحرقة: ماذا ينفعنا إذاً أن نجادل بخصوص إمكانية الوصول إلى الإله عن طريق العقل لوحده؟ الأجدر بنا أن نعترف بعجز العقل البشري لوحده عن اكتشاف الله في الوجود عجزه عن تحديد ما يريده الله منه. إن وجود الله أمر يحمله إلى البشر رسله الذين اختارهم للتبليغ عنه. والرسول إذ يطلب من الناس الإقرار بوجوده تعالى فانه يريد منهم أن يقوموا بذلك بوساطة من العقل البشري ذاته الذي يعجز، لوحده، عن اكتشاف الله في الوجود! وهو يقدِّم لهم براهين بوسعها، من بعد عقلها بالعقل البشري ذاته، أن تجعل من هذا العقل لا يرى من مخرج أمامه غير التسليم والإقرار بوجود الله. فمبلغ ما بمستطاع العقل البشري القيام به هنا هو تأييد الإيمان وتعزيزه بالحجة والبرهان. إلا أن هذا لا يعني استحالة تنكُّر البعض لهذا العقل وما وصل مُرغماً إليه بحجة الشك

العلمي النزيه! إن قَدَر العقل أن يقف إما عاجزاً، لوحده، عن اكتشاف الله في الوجود وإما مؤيداً للإيمان، من بعد تعريفه من خارج، بهذا الإله الحق وإنارة بصيرته بنور المعجزات والكرامات والظواهر الخارقة الأخرى. فقدَر العقل ليس أن يكتشف الله في الوجود بل أن يبرهن على استحالة أن يكون الله غير موجود من بعد أن يؤيِّده في هذا البرهان ما رآه من دليل خارجي على هذا الوجود الحق لله. فالعقل قبل أن يُعرَّف بالله ليس بإمكانه أن يكتشف، لوحده، وجوب وجود الله وهو من بعد هذا التعريف ليس بإمكانه أن يتنكر، لوحده، لوجوده! فالتنكُّر ربيب التكبر وهذا من صفات البشر معظمهم إن لم يكن جلهم! إن الرسول يبلغ ما أُرسل به من تعليم وهو يؤيد بطاقة إِلهية تدعمه وتنصره حتى يكون لما يقول عن ربه عز وجل وقعاً في العقول والقلوب على حد سواء. ولهذا لم تقتصر دعوة الرسل على البراهين العقلية بل أيَّدتها المعجزات والظواهر الخارقة التي تُرغم العقل وهو ينظر اليها عاجزاً عن تفسيرها أن يراها أدلة على حقانية ما ذهب إليه الرسل فيما قالوا به عن ربهم الذي أرسلهم. إن أي تعليم خالٍ من الطاقة الإلهية هذه ما كان بمقدوره إِجبار العقل السليم على التسليم به لمجرد كونه مفعم بالحجة البالغة والمنطق السليم.

أَفلا يحق بالتالي للظواهر الخارقة، وليدة الطاقة الإلهية، أن تفخر بكونها المعبَر الوحيد للإيمان وأن تكون بذلك بوابته الذهبية!

إن تمتُّع البعض القليل، ممن لم يتَّخذ من السير على الطريق إلى الله طريقته المثلى في هذه الحياة، بالمقدرة على الإتيان بظواهرٍ خارقة معينة هي حقيقة واقعة شأنها في ذلك شأن الظواهر الخارقة التي تلاحق السائر على هذا الطريق. إلا أن ما يميِّز النوع الأول من الظواهر الخارقة لا يمكن استبيانه الا بمقارنتها بتلك الظواهر المميزة للسائر على الطريق إلى الله. فالثابت لدى دارسي الباراسايكولوجيا من باحثين تتبَّعوا الفعاليات الخارقة عند الأشخاص الذين بوسعهم القيام بها وتابعوها انثروبولوجياً وايثولوجياً في أماكن ظهورها في المجتمعات والتجمعات البشرية أن هذه الظواهر هي ليست عامة مميِّزة لكل أفراد النوع الإنساني؛ حيث ثبت من البحوث المختبرية والدراسات الميدانية (الحقلية) أن قلة قليلة من أفراد الجنس البشري بمقدورهم استعراض فعاليات خارقة غير نمطية وأن هذه القلة لا تستطيع أن تنقل مقدرتها غير النمطية هذه إلى باقي البشر عن طريق تقنية التعليم والتعلم أو عن أي طريق آخر. فالذي بمستطاعه الإتيان بخارقةٍ ما هو فرد موهوب بهذه المقدرة وهو لا يختلف عن باقي مَن هم غيره من الموهوبين العباقرة في مجالات الموسيقى والرسم والرياضيات والشعر وغير ذلك في كونه ينتمي إلى تلك القلة القليلة من النوابغ والفلتات الطبيعية Lusus Naturae الذين ظهروا على مر العصور فحُفظت أسماؤهم وخُلِّدت بينما تلاشت ذكرى الملايين من أسماء الغالبية العظمى من أفراد الجنس البشري ممن لم يتميزوا بشيء غير فرط الإنتماء للجماعة لعدم تفرُّدهم بما يجعل من واحدهم من تلك الثلة القليلة من العباقرة! وهذه الفعاليات الخارقة التي تستطيع قلة من أفراد النوع الإنساني القيام بها تتميز بكونها لا تظهر، في كثير من الأحيان، وقتما يشاء صاحب القابلية الخارقة. فالمُلاحظ عن كثير من هذه الظواهر أنها غير تكرارية أي لا يتكرر حدوثها بتكرار محاولة اِحداثها؛ فهي تحدث حيناً ولا تحدث في أحيان أخرى غير قليلة. وهي لذلك عصية على شروط

المذهب التجريبي من حيث عدم قابليتها على أن تخضع للإختبار العلمي عند الطلب وقتما يشاء الباحث. وهذه السمة (اللاتكرارية) تجعل من هذه الظواهر الخارقة تختلف بصورة جذرية عن الظواهر العلمية التي يدرسها العلم والتي نشأ في ربوعها. إذاً فالثابت عن الظواهر الخارقة التي نشأت الباراسايكولوجيا وشبَّت على دراستها والخوض في متاهاتها هو:

أنها ظواهر غير نمطية حيث لا يستعرضها كل البشر ولا يستطيع القيام بها غير قلة قليلة منهم.

أنها تخضع خضوعاً يكاد يكون تاماً لشرط اللاتكرارية فلا يتكرر حدوثها بتكرار المحاولات الرامية إلى إحداثها.

غير أن هذه الظواهر الخارقة، التي انكب البحث الباراسايكولوجي في الغرب على دراستها بصورة شبه اكاديمية منذ أواخر القرن الماضي، لا تمثِّل كل ما هنالك من خوارق يمكن ملاحظتها. وهذا أمر أثبتته الظواهر الخارقة التي تتميَّز بها بيئتنا العربية المؤمنة. إن هذه الظواهر التي فات على الباراسايكولوجيا الغربية الالتفات اليها، لفرط تشاغلها بما شبَّت عليه من ظواهر، تتميَّز بأنها:

ليست حكراً على أحد بمواصفات معينة حيث يستطيع كل أفراد النوع الإنساني القيام بها باستيفائهم لشروط ظهورها المرتبط حتماً بالسير على الطريق إلى الله.

لا تخضع لشرط اللاتكرارية المميِّز للظواهر الخارقة النمطية حيث تحدث هذه الظواهر وقتما يشاء الباحث الذي يروم دراستها داخل المختبر وهي لذلك تمتاز بانضباطها التام بشروط المذهب التجريبي-الإختباري Empirical Experimentism. لا تقتصر على تلك الظواهر الخارقة التي تم تثبيتها من قِبل دارسي الخوارق في الغرب على انها تمثل معظم، ان لم يكن كل، ما هنالك من ظواهر خارقة. فهي تمتاز بتنوع مذهل يصل حد الإعجاز في التعدد.

تتفوق على مثيلاتها من الظواهر الخارقة التي درستها الباراسايكولوجيا المعاصرة بكونها الأعلى طاقة والأكثر خارقية حيث تتميز هذه الظواهر بتشعُّب

طاقي فريد وتنوع مذهل يطالان كل مجالات تجليها وظهورها.

تحتوي كل الظواهر الخارقة التي نشأت في ظلها الباراسايكولوجيا المعاصرة التي تعجز بدورها عن أن تحتويها كلها جميعاً. فظواهر الباراسايكولوجيا الغربية يمكن ملاحظتها كلها في البيئة العربية المؤمنة بينما لا نلاحظ في الغرب الا نزراً يسيراً من الظواهر الخارقة لا يُقارن، كَمّاً ونوعاً، مع الخوارق العربية المؤمنة.

إلا أن السؤال الذي يطرح نفسه بقوة الآن هو: إذا كانت الظواهر الخارقة المميِّزة للبيئة العربية المؤمنة هي بهذه المواصفات الفريدة كلها، واذا كانت هذه الظواهر تضطر العقل إلى وجوبِ اقراره بالمضي قدُماً في الإيمان بالله الواحد الأحد المتجلِّي ظهوراً والظاهر بكل جلاء فيها فلا يكون بالتالي من مفر أمامه غير التسليم مرغماً بوجوده تعالى فماذا نقول بشأن تلك الظواهر الخارقة التي بوسع غير السائرين على الطريق إلى الله القيام بها؟ ما الذي تضطرنا إليه هذه الظواهرُ وقد ثبت لدينا أن مَن يضطرها إلى الظهور شخصٌ ليس من السائرين على الطريق إلى الله؟ إن هذه الظواهر الخارقة لم تظهر بسبب من السير على هذا الطريق والتعرُّض بالتالي لطاقته العظمى التي ليست مثلها طاقة أخرى في الكون، فكيف تحدث إذاً هكذا خوارق؟ وما الذي يدل عليه حدوثُها؟ للشروع في الإجابة على هذا السؤال المتسلسل الحلقات لابد من توضيح الحقيقة التالية: أن الثابت لدى علماء الفيزياء المعاصرة أان أياً من النظريات الفيزيائية السائدة ليس بوسعها تقديم ما يساعد على تفهُّم، ناهيك عن تفسير، ما يحدث في الظواهر الخارقة التي انشغلت بدراستها الباراسايكولوجيا الحالية! وهذا يتأتى من حقيقة كون المنظومة التفسيرية للفيزياء الغربية تستند إلى أربع أنواع من القوى الفيزيائية كشفت النقاب عن وجودها الظواهرُ التي درستها الفيزياء الحديثة والتجارب التي قامت بها؛ إلا أن هذه القوى الأربع تعجز عن اِلقاء، ولو بصيص ضوءٍ قليل، على ما يحدث في الظاهرة الباراسايكولوجية.

إن الحل الذي بمقدور البيئة العربية المؤمنة تقديمه لتفهُّم ما يحدث في الظاهرة الباراسايكولوجية قد تناولته بالدرس والبحث الباراسايكولوجيا

الجديدة فخلصت إلى أن المسؤول عن الظواهر الخارقة التي نشأت في ربوعها وشبَّت على البحث فيها ودراستها باراسايكولوجيا الغرب كائنات وكينونات فائقة المجهرية Super- Microscopic وهذا الكلام هو ليس كهواء في شبك أو كقبض ريح بكف؛ حيث استند مشروع الباراسايكولوجيا العربية المؤمنة إلى الرصيد العريق من التراث العربي المؤمن وقامت بالمواءمة والمزاوجة ما بين الحل الذي قدَّمه هذا التراث وبين المذهبَين التجريبي الجذري والإختباري المتطرف Radical Empericism & Extreme Experimentism اللذين قادا منهج البحث المختبري للمشروع. إذاً فالظواهر الخارقة المدروسة من قِبل الباراسايكولوجيا الغربية هي ظواهر تحدث بسبب من هذه الكيانات فائقة المجهرية وهذا ما يستدعي بالضرورة استرجاع مفهوم عالَم الغيب الذي ورد بصورة مكثفة في التراث العريق للبيئة العربية المؤمنة. إن عالَم الغيب يضم تشكيلات لا حصر لها من الكيانات المُشخصنة وغير المُشخصَنة Personified and Impersonified Entities وهذه الكيانات (الكائنات والكينونات) مسؤولة، على قدر تعلق الأمر بالطاقة، عن ظهور ما يحدث في الظواهر الخارقة التي درستها الباراسايكولوجيا المعاصرة. وهذا يفسِّر بكل وضوح الفروقات الأساسية التي تُميِّز ما بين ظواهر الباراسايكولوجيا العربية المؤمنة والباراسايكولوجيا الغربية الملحدة؛ حيث أن ظواهر الأولى تتميَّز بكونها لا تظهر الا بسببٍ من التعرُّض للطاقة الإلهية من بعد الشروع في السير في الطريق إلى الله بينما تحدث ظواهر الثانية بسبب من تدخُّل الكيانات الموصوفة فيما سبق وهذه، بالتعريف، لا وجه لمقارنة طاقتها بالطاقة العظمى في هذا الكون: طاقة الله الذي ليس كمثله شيء.

إن ظواهر الباراسايكولوجيا الغربية تستدعي من العقل المتدبِّر لها أن يعمد إلى التأمل في الحل الذي تقدمه البيئة العربية المؤمنة بباراسايكولوجيتها الجديدة ليجد فيه ما لابد واجده بخصوص السبب في هذا الذي يحدث في تلك الظواهر.

إن هذا العقل مُرغَم على التسليم بحتمية وجود عالَم الغيب بكائناته

المُشخصَنة غير المرئية وكينوناته غير المُشخصَنة غير المرئية. وهو إذا ما سلَّم مرغَماً بعالَم الغيب كان لزاماً عليه التسليم من باب أَولى بتصديق مَن جاء له بخبر عالم الغيب فيصبح مُلزماً بالتالي أن يصدق بوجود سيد لهذا العالم الغيبي متسلط عليه تسلُّطه على هذا العالم اللاغيبي.

إن الظواهر الخارقة التي تدرسها الباراسايكولوجيا العربية المؤمنة هي ظواهر اِلهية Theistic Phenomena طالما كانت هذه الظواهر لا تحدث الا بالتعرض للطاقة الإلهية من بعد الشروع بالسير باخلاصٍ وتفانٍ على الطريق إلى الله؛ حيث يتعرض السائر على هذا الطريق لفيضٍ من الإكرام الخاص يفضُل التكريم العام الذي تفضَّل به الله على بني آدم كلهم مما يجعل من هذه الظواهر الملاحِقة له بمقدورها أن تُرغم العقل السليم على تدبُّرها والتأمُّل فيها ليصل من ثم، مُرغماً، إلى نتيجة واحدة مفادها أن وراء هذه الظواهر إلهاً هو بحق مَن عرَّف له عن نفسه من قبلُ فقال على لسان رسوله الكريم صلى الله تعالى عليه وسلم: (اِنني أنا الله لا اِله الا أنا فاعبُدني واَقِم الصلاةَ لِذِكري اِن الساعةَ آتية أكادُ اُخفيها لتُجزى كل نفسٍ بما تسعى).

والظواهر الخارقة التي تدرسها باراسايكولوجيا الغرب هي ظواهر غيبية Occult Phenomena لامحالة طالما كانت الطاقة المسؤولة عن ظهورها هي طاقة لا تنتمي، وفق تصنيف فيزياء الغرب المعاصرة، لهذا العالم الفيزيائي المحكوم بقوانينِ القوى الفيزيائية الأربع. وهي، بعدُ، طاقة تنتمي لعالم الغيب الذي عرَّفنا الله به في القرآن العظيم. وهذه الظواهر الخارقة تستدعي من المتأمل فيها بعقل سليم أن يخلص منها إلى نتيجة واحدة مخلصها أن وراءها غيباً من ورائه الله تعالى. فالغيب هذا يقود لا محالة إلى الله وهذا يجعل من هذه الظواهر الخارقة، الغيبية ضرورةً، والتي درستها باراسايكولوجيا الغرب ظواهر تدعو للإيمان بالله بالنتيجة! وهنا تكمن المفارقة المضحكة فخوارق الغرب هي خوارق تظهر على مَن لم يلتزم بالسير بايمان على الطريق إلى الله وهي مع هذا (أي مع كونها خوارق اللاايمان) فانها تقود اليه!

الباراسايكولوجيا وتكامل الشرق والغرب... مقاربةٌ تجريبية لتفاعلِ حضاريٍّ جديد

سنتتبَّع هنا، وبشكل موجز، نشأة الاهتمام بالظواهر الخارقة وصولاً إلى واقع حال البحوث المعاصرة فيها والتي جعلت بعضاً من هذه الظواهر يجتذب جلَّ اهتمام باحثي الخوارق وجعل بعضها الآخر، والذي هو معظمها، يُزاح بعيداً عن دائرة البحث لا لشيء إلا لأنه يستعصي على قولبته داخلاً من الأنماط التصنيفية التي تمَّت صياغتها لتسهيل مهام البحث فانقلبت أصناماً معاصرة لا ترضى بغير التعبُّد لها على حساب البحث عن الحقيقة! ولكن قبل الشروع بملاحقة نشأة الاهتمام بالظواهر الخارقة لابد من التوقُّف عند حقيقة جلّاها واضحةً للعيان موقفُ العلم النظري المعاصر حيال هذه الظواهر؛ هذا الموقف غير الموضوعي الذي جعل منه أداة بيد من أرادوا أن "يبقى الغرب غرباً والشرق شرقاً فلا يلتقيان أبدا" كما سبق وأن صرَّح بهذا القانون الوضعي الوضيع شاعرُ الاستعمار الحديث اللورد روديارد كبلنغ! وسوف نرى عندما نغذُّ السير في تتبُّعنا وملاحقتنا لنشأة وتطور اهتمام الإنسان بالظواهر الخارقة أن واقع حال البحوث المعاصرة في مضمار هذه الظواهر قد انتهى بنا إلى وجوب الإعراض عما بأيدينا لا لشيء الا لأنه شرقي ولزوم الانشغال بما بين أيدي الغرب لا لشيء إلا لأنه غربي! لقد برهنت الباراسايكولوجيا المعاصرة على أنها نتاج غربي آخر متعالٍ على كل ما هو ليس بغربي حتى وإن كان يبُزُّه مقدرةً على الإتيان بكل ما من شأنه أن يدفع بالعلم ويقفز به خطوات إلى الأمام. وسوف يتجلى لنا بكل وضوح أن الاستمرار في هذا النهج غير العلمي لن يقود إلا إلى الابتعاد عن الحصول على المراد من البحث عن الحقيقة، وبالتالي فليس هناك من سبيل آخر سوى أن يُصار إلى انتهاج طريق بديل لا ينحاز إلا إلى الحق أينما حلَّ وارتحل. وسيكون للظواهر الخارقة قصب السبق في جعل المقولة الاستعمارية البغيضة

"الشرق شرقٌ والغرب غربٌ ولن يلتقيا أبدا" تنطمر بعيداً وتذهب أدراج الرياح. فالظواهر الخارقة كما سيتجلى لنا هي ساحة اللقاء المرتقب بين الشرق والغرب وهي بذلك نواة لتفاعل حضاري جديد يرتقي بالإنسانية إلى مستوى معرفي كفيل بجعلها تتجاوز هذه التصنيفات البدائية القائمة على أساس من العرق واللون ومكان المولد! إن الظواهر الخارقة تستطيع أن تقدِّم هذا الأنموذج الجديد الذي سيتكفل بدفع البحث العلمي المعاصر صوبَ آفاق جديدة واعدة تتسامى فوق كل ما يفرِّق بين البشر بدعوى أنهم أجناس متمايزة وأعراق متناشزة!

والآن لنبدأ رحلة ملاحقتنا لنشأة وتطور البحث في مجال ما هو خارق للمألوف وخارج على ما درج السواد الأعظم من بني آدم على الأخذ به والركون إليه مظنةَ أنه الثابت غير المتغير والذي لا يمكن بالتالي خرقه والخروج عليه. لقد بدأ تعرُّف الإنسان على الظواهر الخارقة واهتمامه بها منذ أن خطى خطواته الأولى على سطح هذا الكوكب. وقد حفلت الكتب الإلهية التي أنزلها الله على من اصطفى من بني آدم رسلاً وأنبياء بالكثير من خوارق العادات والتي تنوَّع طيفها وامتد ليشمل المعجزات، التي أيَّد بها الله رسله فكانت الحجة التي برهنت على صدق ما جاؤوا أقوامهم به منه، وظواهر خارقة أخرى لم يكن أصحابها رسلاً أو أنبياء.

إن تاريخ الإنسان لَيشهد أن اهتمامه بالظواهر الخارقة لم يختفِ يوماً ولم يفتر، بل أن الواقع لَيشهد أيضاً أن هذا الاهتمام ما فتأ يزداد كماً ويتطور نوعاً بمضي وتقادم الأزمان. فمَن يدرس المجتمعات البشرية التي ظهرت على مر التاريخ وفي مختلف بقاع الأرض بإمكانه أن يتبيَّن بوضوح أن ما من مجتمع بشري خلا من الاهتمام الاستثنائي بالظواهر الخارقة. بل أن أصحاب القابلية على القيام بالفعاليات الخارقة كانوا كثيراً ما يتمتعون بمواقع خاصة ومتميزة في مجتمعاتهم. فالكثير من المجتمعات اعتبرت هذه الفعاليات الخارقة دليلاً على المكانة الدينية المتميزة لصاحبها، فيما ربطت أخرى بين السلطتين الدينية والدنيوية جاعلة من أصحابها زعماء المجتمع وعليته. وكان المجتمع عادةً ما يمنح

أولئك الذين يتميزون بامتلاك قابليات خارقة على علاج الأمراض مكانة خاصة ومُتميزة. وهذا أمر طبيعي ومفهوم إذا ما تذكَّرنا ما تمثِّله الصحة للإنسان والدور الذي يمكن لمثل هؤلاء الاشخاص أن يقوموا به في مجتمعات كانت المعارف الطبية فيها محدودة جداً وكان الفاصل فيها شبه معدوم بين ما هو طبي وما هو سحري.

إلا أن اهتمام الإنسان بالظواهر الخارقة لم يكن له أي أثر في جعله يطوِّر معرفة صائبة بطبيعة هذه الظواهر الغريبة. وتكفي نظرة سريعة إلى موروثات الشعوب والمجتمعات من أدبيات مروية ومكتوبة لكي يدرك المرء أن الظاهرة الواحدة قد فُسِّرت تفسيرات شتى من قِبل الناس في الأماكن والأزمان المختلفة. كما أن سيطرة النظرة الميتافيزيقية على عقل الإنسان جعلته ذا ميل دائم إلى تصنيف حادثة أو ظاهرة ما على أنها من الخوارق. إن هذه النزعة البشرية القوية نحو التفسيرات الميتافيزيقية لم تحجب عن الإنسان طبيعة الظواهر الخارقة فحسب وإنما جعلته يسيء فهم الكثير من الظواهر الفيزيائية كذلك؛ فكان أن اختلط الفيزيائي بالميتافيزيقي.

إلا أنه كان مقُدَّراً للمعرفة البشرية بالظواهر الخارقة، والظواهر المألوفة على حد سواء، أن تتطور. فلقد شهد القرن السادس عشر بداية انعتاق العلم في الغرب من عبوديته لرجال الكنيسة وبداية ما يُعرف بعصر النهضة العلمية؛ ذلك العصر الذي مثَّل ثورة معرفية مهمة جداً قادت إلى هذا التقدم التكنولوجي المُذهل الذي يميِّز حضارتنا الحالية. إن التقدّم العلمي في دراسة وفهم طبيعة الظواهر الفيزيائية كان لابد وأن يعمل على زيادة قدرة الإنسان على تمييز هذه الظواهر عن تلك التي تُصنّف على أنها ظواهر خارقة. إلا أن الثورة العلمية التي اجتاحت العلوم الفيزيائية لم تصل مجال الظواهر الخارقة إلا في القرن التاسع عشر وذلك من بعد مضي أكثر من ثلاثمائة سنة على بداية ما يُسمى بعصر النهضة. ظهرت أولى البحوث عن الظواهر الخارقة على يد بعض الدارسين الذين ادّعوا أن ممارسة التنويم المغناطيسي mesmerism، والذي عُرف

لاحقاً بالتنويم hypnosis، يمكن أن تتسبب في ظهور بعض التأثيرات الخارقة، كانتقال الأفكار بين المُنوِّم والمُنوَّم. كما دُرست حالات العديد من أولئك الذين اصطُلح على تسميتهم بـ "الوسطاء الروحيين" mediums والذين ادَّعوا أن بمقدورهم اِقامة ما سُمي حينه بـ "جلسات تحضير الارواح"؛ أولئك الوسطاء الذين ازداد عددهم بشكل كبير نتيجة لانتشار الحركة التي عُرفت بـ "الروحانية" spiritualism في الولايات المتحدة الامريكية وأوروبا. ولم يقتصر الاهتمام في ذاك الوقت على دراسة الظواهر الخارقة على باحثين انشغلوا بهذه الظواهر حصراً. فلقد تمّ اِجراء بعض البحوث على يد باحثين مرموقين من المتخصصين في مجالات علمية تقليدية كالفيزياء والكيمياء وعلم الفسلجة. وكمثال على هذه البحوث هناك الدراسات التي قام بها الفيزيائي الانكليزي الشهير وليم كروكس على أحد أشهر الوسطاء الروحيين وهو الاسكتلندي دانيال هيوم. حيث حاول كروكس قياس القوة الفيزيائية التي تضمّنتها بعض الفعاليات الخارقة لهذا الوسيط. إلا أن مثل هذه البحوث لم تكن سوى جهود فردية ولم تكن بالتأكيد جهوداً منظَّمة أو متواصلة. إلا أن الاهتمام المتزايد بدراسة الخوارق بشكل عام، وظاهرة الوساطة الروحية بشكل خاص، قاد مجموعة من الأكاديميين في جامعة كمبردج البريطانية إلى اِنشاء أول جمعية رفيعة المستوى متخصصة في دراسة الظواهر الخارقة، وهي جمعية بحث الخوارق.

Society for Psychical Research وكان ذلك عام 1882، حيث كان أول رئيس لها أحد أساتذة جامعة كمبردج المعروفين وهو الفيلسوف هنري سيدويك Henry Sidgwick. أدى إنشاء هذه الجمعية الأكاديمية إلى تنظيم دراسة الظواهر الخارقة وتأسيس معايير للبحث العلمي في هذا المجال. وقامت جمعية بحث الخوارق بعد تأسيسها مباشرة تقريباً بإصدار دورية متخصصة ذات مستوى أكاديمي رفيع. وهكذا أخذت دراسات الظواهر الخارقة تتحول إلى علم نظري بشكل تدريجي. وبعد تأسيس جمعية بحث الخوارق بثلاثة أعوام قامت مجموعة من الأكاديميين الأمريكيين، من بينهم عالم النفس المشهور وليم

جيمس، بتأسيس جمعية بحث الخوارق الأمريكية American Society for Psychical Research في ولاية بوسطن.

تركَّزت بحوث جمعية بحث الخوارق البريطانية، ونظيرتها الأمريكية، على دراسة حالات خاصة من الظواهر الخارقة وكذلك القيام ببحوث ميدانية field research. وقامت الجمعيتان بنشر العديد من التقارير والبحوث. إلا أن الثورة الحقيقية في مجال دراسة الظواهر الخارقة حدثت في العقد الثالث من القرن العشرين وذلك بظهور البحوث المختبرية للظواهر الخارقة على يد عالم بايولوجيا النبات جوزيف راين Joseph Rhine. إذ قام راين بدراسة العديد من الظواهر الخارقة تحت ظروف مختبرية مُسيطَر عليها experimentally controlled conditions، وأخضع نتائج بحوثه هذه للتقييمات الاحصائية statistical evaluations، وكما هو متعارف عليه في العلوم التقليدية، ليضع أُسُس ما يُعرف حالياً بـ "الباراسايكولوجيا التجريبية" experimental parapsychology. وهنا لابد من الإشارة إلى أن مصطلح "باراسايكولوجيا" نفسه هو من وضع راين الذي صاغه من الألمانية. وأدّت جهود راين إلى إنشاء أول مختبر للبحوث الباراسايكولوجية في العالم عام 1934 وهو مختبر باراسايكولوجيا جامعة ديوك - Duke University Parapsychology Laboratory. وبذلك أصبحت طائفة من الظواهر الخارقة تُدرس كما تُدرس الظواهر الفيزيائية، وغدت الباراسايكولوجيا مبحثاً يمكن إخضاع نتائجه للتقيمَين الكمي والنوعي quantitative & qualitative، وكما هو الحال مع العلوم التقليدية. لقد كان اتخاذ المنهج التجريبي-الاختباري experimental-empirical في دراسة الظواهر الخارقة، في وقت شهد توجهاً كبيراً في العلوم بشكل عام نحو الدراسات المختبرية، ذا أثر كبير في إعطاء بحوث الظواهر الخارقة زخماً قوياً مكَّنها من فرض نفسها كندٍّ لا يقل علمية عن غيرها من البحوث في ميادين العلوم التقليدية. ولكن بسبب من اتجاه راين نحو البحث التجريبي فقد حصر اهتمامه بالظواهر التي يمكن اخضاعها لشروط الدراسة

المختبرية، ولم يولِ اهتماماً بتلك الظواهر التي كانت السبب في نشوء الانشغال العلمي بالظواهر الخارقة مثل ظواهر الاطياف والاشباح وما يُعرف بالأرواح الصاخبة poltergeist. فالدراسة المختبرية للظواهر الخارقة تتلافى بعض المشاكل المهمة التي تعيق المنهجَين الآخرَين اللذين كانا يسودان البحث في هذا المجال، أي منهجَي دراسة الحالات التلقائية spontaneous، وهي الحوادث الخارقة التي تقع بشكل مفاجئ، والدراسة الميدانية field research. فعند دراسة الحالات التلقائية يواجه الدارسون إمكانية قائمة على الدوام وهي أن تكون الوثائق التي تصف الحالة المعنية قيد الدرس أو شهادات الشهود عليها ليست بالدقة المطلوبة، وربما أيضاً غير صحيحة أو حتى ملفَّقة. أما المشكلة الأساسية التي تُقابل القائمين بالدراسات الميدانية، أي دراسة الظاهرة الخارقة في موقع حدوثها، فهي صعوبة التيقُّن من أنه قد تم التغلُّب على كل احتمالات التلاعب والغش اللذين قد يلجأ اليهما مَن يدّعي امتلاكه لمقدارت خارقة، وبالذات إذا كان من المتمكّنين من فن خفة اليد slight of hand، وذلك لأن الدراسة عادةً ما تجري في مكان يكون قد أعدّه الشخص نفسه وبالتالي فان بإمكانه أن يجعل فيه ما يساعده على القيام بعمليات الغش والخداع. كما ويشترك منهجاً دراسة الحالات التلقائية والدراسة الميداينة في استحالة أو صعوبة وصف الحادثة الخارقة فيهما بشكل كمّي، وهو أمر يمكن السيطرة عليه بسهولة في المختبر حيث توجد تحت سيطرة الباحث مختلف الأجهزة التي يحتاجها.

تركّزت دراسات الباراسايكولوجيا التجريبية على طائفتين بالذات من وليس للظواهر الخارقة: الطائفة الأولى هي ظواهر التحريك الخارق psychok - nesis، والتي تتضمّن احداث تأثير على جسم ما عن بُعد ومن دون استخدام وسيلة فيزيائية مُدرَكة كالجهد العضلي أو أي نشاط للجهاز الحركي في الجسم، والطائفة الثانية هي ظواهر الإدراك الحسي المُسبَق extrasensory percep tion، والتي تصنَّف بدورها إلى ثلاثة أنواع هي: أولاً، توارد الخواطر telepathy، ويُقصد بها انتقال الأفكار والصور العقلية بين الكائنات الحية

من دون الاستعانة بأية حاسة من الحواس التقليدية؛ وثانياً، الإدراك المُسبَق precognition، الذي يعني معرفة أحداث مستقبلية قبل وقوعها؛ وثالثاً، الاستشعار clairsentience، وهو اكتساب معلومات عن حادثة بعيدة أو جسم بعيد بدون استخدام الحواس.

وعلى الرغم من أن أبحاث الخوارق توجّهت أساساً لدراسة حالات أفراد موهوبين، فان الباراسايكولوجيا التجريبية انحرفت تدريجياً عن هذا الاتجاه في البحث لتركّز بدل ذلك على دراسة مختلف الظروف والعوامل التي يمكن أن تُكسِب الإنسان، أي إنسان، قابليات خارقة من هذا النوع أو ذاك. فمن يطّلع على المنشور من الدراسات المختبرية في الباراسايكولوجيا لابد وأن يلاحظ أن البحوث التي قامت بدراسة القابليات الخارقة لبعضٍ من الموهوبين تمثّل قلةً من هذه الدراسات والتي خُصّصت غالبيتها العُظمى لمعرفة كيفية خلق قابليات خارقة عند أفراد لا يمتلكونها. وأدى هذا المنحى في الباراسايكولوجيا التجريبية إلى التركيز في التجارب على محاولة استكشاف أية تغييرات، ومهما كانت ضعيفة، في قابلية الشخص على القيام بفعاليات مثل قراءة أفكار شخص آخر ينظر إلى صور معينة وبالتالي محاولة الأول إعطاء وصف لهذه الصور، أو محاولته التأثير على الوجه الذي يستقر عليه زهر الطاولة من بعد رميه ومن دون أن يلمسه طبعاً، وفعاليات من هذا النمط. فوفقاً لقوانين الاحتمالية فان رمي الزهر لعدد كاف من المرات من المفروض أن يؤدي إلى استقراره على كل وجه عدداً من المرات يعادل سُدس عدد الرميات الكلي، فاذا تبيّن أن الزهر استقر عدداً من المرات أكبر على الوجه الذي يريده الشخص المشترك في التجربة فانه يتم تطبيق القوانين الاحصائية المناسبة على الحالة لحساب احتمالية أن يكون ما حدث لا يرجع إلى الصدفة، أي احتماليةَ أن يكون الزهر قد استقر على وجهه المعيَّن بسببٍ من تأثيرات خارقة مصدرها الشخص محور التجربة.

وعلى الرغم من أن الباراسايكولوجيا التجريبية هي أكثر شكل اتخذته دراسة الخوارق قرباً إلى العلوم التقليدية وذلك على قدر تعلق الأمر بمنهج

البحث، فان هذا المنهج قد فشل مع ذلك في كسب تأييد الكثير من المختصين في العلوم التقليدية. وأحد أسباب هذا الفشل هو ضعف التأثيرات الفيزيائية الخارقة التي يتم الحصول عليها في معظم هذه البحوث؛ هذه التأثيرات التي لا يمكن على الإطلاق مقارنتها بالقابليات الخارقة التي يستعرضها الأفراد الموهوبون. في الحقيقة، لو كانت قابليات الأفراد الموهوبين هي من نفس مقدار التأثيرات الضعيفة weak effects التي يحصل عليها باحثو الباراسايكولوجيا في المختبر لما نشأ أي اهتمام أساساً بدراسة هذه القابليات. لذلك فلا عجب أن نرى أن مثل هذه البحوث لم تنجح في إقناع معظم العلماء أن نجاح الشخص في جعل الزهر يستقر على وجه معين أكثر من غيره هو دليل على تمتُّع هذا الشخص بقابليات تحريك خارق مثل التي يتمتع بها بعض الموهوبين من الذين لبعضهم القابليات، على سبيل المثال، على تحريك قطعة معدنية عن بُعد.

إلا أن ضعف التأثيرات التي تظهر في الدراسات الباراسايكولوجية المختبرية على الأفراد غير الموهوبين ليس العامل الوحيد الذي يحد كثيراً من قدرة هذه الدراسات على إقناع المشكّكين skeptics بوجود الظواهر الخارقة. إذ أن هنالك مظهراً سلبياً آخر يمكن ملاحظته حتى على نتائج التجارب التي أشخاصها أفراد يتمتعون بقابليات خارقة. وهذا المظهر السلبي هو ما يُعرف في مصطلحات الباراسايكولوجيا بـ لاتكرارية irreproducibility الظواهر الخارقة. والمقصود باللاتكرارية هو أن الفرد صاحب القابلية الخارقة لا ينجح دائماً في استعراض قابليته هذه. وعلى سبيل المثال فان الشخص الموهوب بقابلية توارد الأفكار بإمكانه أن ينجح أحياناً في قراءة أفكار غيره من الناس إلا أنه يعجز في أحيان أخرى عن القيام بالفعل نفسه مما يبرهن على أن قابليته هذه غير ثابتة ولكن متغيّرة بين ظهور واختفاء وبالتالي فانه من الواضح أن هذا الشخص ليست لديه السيطرة الفعلية على قابليته الخارقة وذلك كما يبدو عليه حين ينجح في إظهارها.

لقد شكّلت صفة اللاتكرارية أكبر عقبة أمام إقناع كثير من العلماء التقليديين الذين أَلِفوا دراسة الظواهر الفيزيائية؛ هذه الظواهر التي تطيع قوانين ثابتة لا تُغيّرها كل حين وآخر. إلا أن من المهم هنا التشديد على أن صفة اللاتكرارية التي تتميّز بها الظواهر الخارقة لا تمثل مبرراً ولا مسوِّغاً للتشكيك في هذه الظواهر وذلك لأن الدراسات المختبرية للموهوبين تأتي عادة بنتائج إيجابية لا يمكن بأي حال من الاحوال إنكار أهميتها. فلاتكرارية القابليات الخارقة يجب أن لا تدفع الباحث إلى إنكار هذه القابليات وإنما يجب أن يتعامل معها كصفة من صفات هذه الظواهر الخارقة بعينها.

إن مما لاشك فيه أن دراسة الظواهر الخارقة ليست بالأمر الهيِّن على الإطلاق وذلك لأن هذه الظواهر تختلف في الكثير من صفاتها عن المألوف من الظواهر الفيزيائية وكما هو واضح من خلال تميُّزها بصفة اللاتكرارية. إلا أن هذه الحقيقة يجب أن لا تمنعنا من التشديد على حقيقة أخرى مفادها أن باحثي الباراسايكولوجيا هم أنفسهم مسؤولون عن الكثير من الشك الذي لازالت تُقابَل به الظواهر الخارقة. إن نزعة التركيز على دراسة الأفراد غير الموهوبين، على سبيل المثال، والتأثيرات الضعيفة التي يبحث عنها الباحثون في هذه التجارب قد لعبت دوراً كبيراً في تضييع الكثير من الجهود التي كان يمكن أن تُستغل بشكل أفضل في دراسات أخرى. إن مما لا شك فيه أن حلم السيطرة على القابليات الخارقة حلم مُغرٍ، إلا أن الجري وراء هذا الحلم لم يجلب خيراً كثيراً لبحوث الباراسايكولوجيا. وكما يقول ريتشارد بروتون، مدير البحث في مركز الباراسايكولوجيا Institute for Parapsychology الأمريكي المرموق، فان المحاولات التجريبية التي ترمي إلى التوصُّل لصياغة تقنيات كفيلة باصطناع القابليات الخارقة عند أشخاص غير موهوبين كان نتائج معظمها سلبياً. إلا أن تركيز باحثي الباراسايكولوجيا على دراسة أفراد عاديين ليست لهم قابليات خارقة ليست النزعة الخاطئة الوحيدة التي تركت آثاراً سلبية على الباراسايكولوجيا. فهناك نزعة أخرى خاطئة لا تقل تأثيراً عن سابقتها وهي

استسلام الباحثين للأحكام النظرية المُسبقة عن طبيعة الظواهر الخارقة. وهذه المسألة تتطلب بعض التفصيل.

فبالرغم من أن الدراسات التجريبية تمثِّل قدراً كبيراً من حجم البحث العلمي في الباراسايكولوجيا، فان هذا لم يجعل منها علماً تجريبياً حقاً يلتزم الدلالات التجريبية للنتائج المختبرية ويتجنب الانسياق وراء الفرضيات النظرية التي ليس في نتائج التجارب ما يدلل على صحتها. فالناظر بتمحيص إلى طبيعة البحوث الباراسايكولوجية التجريبية لن تخفى عليه النزعة الواضحة لاستغلال نتائج هذه البحوث في دعم تفسيرات معينة تتجاوز بكثير دلالات التجارب المختبرية. وعلى وجه التحديد فان الدراسة النقدية للاتجاهات التفسيرية في الباراسايكولوجيا تكشف عن ميل شديد لدى غالبية الباحثين للبرهنة على أن الإنسان، ولا أحد سوى الإنسان، هو مصدر الطاقة الوحيد للفعاليات الخارقة التي تظهر على يديه. وهنا مفارقة ساخرة وذلك لأن الباراسايكولوجيا نشأت أساساً لدراسة ظواهر من المفروض انها تحدث بسبب من تدخل كائنات عاقلة غير بايولوجية! حسبُنا هنا أن نتذكر جلسات تحضير الأرواح والأرواح الصاخبة وظواهر الأشباح والأطياف. فعلى الرغم من أن المفترض في باحث الباراسايكولوجيا أن يتمتع بذهنية متفتحة باعتباره يدرس ظواهر تهملها العلومُ التقليدية، بل وتنكر وجودها، فان من الواضح أن هذا التفتُّح الفكري يتوقف عند حد التسليم بوجود هذه الظواهر ويغيب تماماً حين يبدأ الباحث بدراسة الظاهرة. إذ أن الكثير من بحوث الباراسايكولوجيا تتضمن إنكاراً ورفضاً، ضمنياً أو صريحاً، لاحتمال أن تكون الظواهر الخارقة ذات مصادر طاقة غير بشرية. فهذه البحوث ترفض أن تدرس بشكل جدي احتمال وجود كائنات عاقلة غير بشرية يمكن أن يكون لها دور ما في مثل هذه الظواهر. وعلى سبيل المثال، فلقد وضع باحثو الباراسايكولوجيا العديد من النظريات التي تهدف إلى تفسير ظواهر مثل الأماكن المسكونة haunted places وتحضير الارواح والاطياف apparitions or ghosts والأرواح الصاخبة على أساس يتم النظر بموجبه

إلى هذه الظواهر على أنها ليست سوى تجليات لطاقات بشرية وأن لا مبرر هنالك لافتراض مؤدّاه أن هذه الظواهر تشير فعلاً إلى وجود مخلوقات عاقلة غير بشرية. فوفقاً لأكثر هذه النظريات شيوعاً، وهي نظرية "بساي الفائقة" superpsi، فإن كل ما يحدث في ظواهر البيوت المسكونة والأرواح الضوضائية وتحضير الأرواح من أصوات وتحريك أشياء وغيرها هو نتيجة تأثيرات خارقة غير واعية لأحد الاشخاص من حضور المكان. وعلى الرغم من هشاشة البناء النظري لهذه النظريات وافتقارها للبرهان التجريبي فإن لهذه النظريات شعبية كبيرة في مجتمع باحثي الباراسايكولوجيا. وفي الحقيقة فان دراسة الاتجاه التفسيري السائد في البحوث الباراسايكولوجية لابد وأن يترك في الشخص الانطباع أن الهدف الوحيد للباراسايكولوجيا، سواء صرّحت به أم لم تصرّح، هو البرهنة على أن الإنسان هو مصدر الطاقة الوحيد للظواهر الخارقة وأن الظاهرة الخارقة تبدأ وتنتهي في الإنسان.

اذاً فلقد أنكر العلماء المشكّكون وجود الظواهر الخارقة لأن وجودها يفترض حتماً قصور، أو على الأقل محدودية، بعض النظريات العلمية ويبرهن على أن النظريات العلمية التقليدية هي ليست بالشمولية التي يقول بها العلم النظري. أما باحثو الباراسايكولوجيا فقد أقروا بوجود هذه الظواهر إلا أنهم بدورهم أنكروا احتمالية وجود أي تفسير لها يخرج عن النطاق الضيق للتفسيرات التي وضعوها. ومن هذا يمكن الاستنتاج أن الباراسايكولوجيا لم تكن يوماً علماً حيادياً يتناول بالبحث مختلف الظواهر الخارقة من دون أحكام مسبقة، وهو أمر طالما ادّعاه بفخر باحثو الباراسايكولوجيا في سياق نقدهم للمشكّكين في الظواهر الخارقة واتهامهم لهؤلاء برفض هذه الظواهر على أُسس غير علمية. إن الفرق الحقيقي بين المشكّكين وباحثي الباراسايكولوجيا لا يتمثل في كون الفريق الاول منغلق فكرياً بينما الفريق الثاني متفتح فكرياً، وهي الصورة الشائعة بين الناس والتي يروّج لها باحثو الباراسايكولوجيا أنفسهم، وإنما الفرق الحقيقي بين الفريقين هو فرق في ما قد أغلق كل فريق عينه عنه!

والآن، إذا كان هذا هو الأسلوب الذي تعاملت به الباراسايكولوجيا الغربية مع الظواهر الخارقة المتوفرة في البيئة التي ظهرت فيها، أي في المجتمعات الأوروبية والمجتمع الأمريكي، فما هو موقفها من الظواهر الخارقة التي تنتمي إلى مجتمع غير غربي؟ وعلى وجه التحديد، ما هو موقف الباراسايكولوجيا الغربية من الظواهر الخارقة في البلدان العربية والإسلامية؟ إن الموقف العام الذي اتخذته الباراسايكولوجيا الغربية من الظواهر الخارقة في هذه البلدان يمكن وصفه باختصار بكلمتين فقط: إهمال تام!

فمن الحقائق البديهية التي يعرفها كل من له بعض الاطلاع، مهما كان محدوداً، على المجتمعات العربية والاسلامية هو أن هذه المجتمعات تزخر بمختلف أنواع الظواهر الخارقة والتي هي نتاج لطبيعة الانتماء الديني لهذه المجتمعات. وهذه الحقيقة لا يتطلب التحقق منها الرجوع إلى كتب التاريخ لدراسة ما مر حدوثه من مختلف أنواع الظواهر الخارقة، رغم أن هذا أمر ممكن طبعاً حيث سجّلت كتب التاريخ الكثير من مثل هذه الظواهر، وإنما يمكن التحقّق من ذلك بشكل مباشر وذلك لأن مثل هذه الظواهر لم تختفِ يوماً ولم يتوقّف حدوثها. والظواهر الخارقة المنتشرة في البلدان العربية والاسلامية تتضمن الظواهر التلقائية وتلك المُسيطَر على حدوثها.

فالظواهر التلقائية هي تلك الظواهر التي تحدث دون أن يمكن التحكّم في وقت أو زمان أو كلٍ من وقت وزمان حدوثها. ويتركّز وقوع هذه الحوادث على وجه الخصوص في مقامات الصالحين. وأكثر أنواع الظواهر التلقائية انتشاراً والتي تحدث لبعض الناس أثناء أو نتيجة زيارتهم مثل هذه الأماكن الدينية هي حالات خرق للقوانين الطبية وذلك على شكل شفاء آني من أمراض مستعصية. وقد تكون حادثة الشفاء من مرض قاتل كالسرطان أو حتى من حالات مرضية ولادية كالعمى. إن في كل بلد من البلدان العربية والإسلامية العديد من مثل هذه الأماكن والتي تُعرف بأنها ذات بركة خاصة، وكما تشهد بذلك الخوارق (الكرامات) التي تحدث فيها.

إن دراسة الظواهر الخارقة التلقائية هي ليست بالأمر الهيِّن على الاطلاق، وذلك لأنها ظواهر لا يمكن للباحث التحكُّم في وقت ومكان حدوثها. إلا أن هذا لا يعني "استحالة" دراسة هذه الظواهر وإنما يعني أنها تحتاج أسلوباً مختلفاً في التعامل معها وذلك لأن التحقُّق من حدوثها هو بالتأكيد أمر أصعب من التحقُّق من حدوث الظواهر المُسيطَر عليها. إلا أن الباراسايكولوجيا الغربية طورت فعلاً أساليب للبحث والتمحيص تُمكِّنها من دراسة الظواهر الخارقة التلقائية بكفاءة والتحقُّق فيما إذا كانت الحادثة المعنية هي فعلاً حادثة مما يمكن وصفها أنها خارقة أو أن هذا الوصف لا ينطبق عليها.

ربما يجد البعض في الصعوبات العملية المتضمّنة في دراسة الظواهر الخارقة التلقائية تبريراً مقبولاً لإهمال الباراسايكولوجيا الغربية مثل هذه الظواهر التي تحدث في البيئة العربية المؤمنة. إلا أن ما لا يمكن أن يوجد له تبرير مقبول هو الإهمال التام لباراسايكولوجيا الغرب للظواهر الخارقة المُسيطَر عليها والتي بإمكان بعض الأفراد استعراضها. والظاهرة التي سنبحثها هنا هي تلك المعروفة وفق المصطلحات الصوفية بـ "الدرباشة" والتي بالإمكان أن تُعرَّف بأنها "ظواهر للشفاء الخارق للإضرار المتعمد إحداثه في الجسم" Super Healing of Deliberately Caused Bodily Damage. ففي العديد من الكتب التي قام بوضعها كتّاب عرب، وكذلك بعض الكتب التي قام بتأليفها باحثون أو رحالة مستشرقون أجانب، والتي يرجع تاريخ بعضها إلى عدة قرون، هنالك إشارات سريعة وأحياناً تفصيلية لفعاليات غريبة لها مظاهر خارقة يمارسها أتباع بعض الطرق الصوفية، أي الدراويش. ففي فعاليات الدرباشة (الشفاء الخارق للإضرار المتعمَّد إحداثه في الجسم) هذه يقوم الدرويش بإحداث جروح عميقة في أجزاء معينة من جسمه، إلا أنه لا يعاني أياً من النتائج الخطيرة التي تنشأ عادة عن مثل هذه الاصابات من نزيف والتهاب وعطب في وظيفة جزء الجسم المصاب، اضافة إلى عدم الشعور بالالم. وكمثال يصف طبيعة هذه الظواهر فبالامكان دراسة فعاليات إصلاح الضرر الجسمي

المُتعمَّد إحداثه كما يمارسها دراويش الطريقة العلية القادرية الكَسْنزانية؛ إحدى أكثر الطرق الصوفية انتشاراً في الوطن العربي والعالم الإسلامي. ويمكن تقسيم هذه الفعاليات الخارقة إلى الأصناف الثلاثة التالية:

أولاً- يقوم الدرويش بإدخال أدوات حادة كالاسياخ والسيوف في مناطق مختلفة من جسمه. لا تخضع الأدوات المستعملة لأية عملية تعقيم مسبقة. كما يمكن أن يلوِّث الدرويش أحياناً الأدوات التي يستخدمها بشكل متعمَّد قبل أن يُدخلها في جسمه. أما أجزاء الجسم التي تستهدَف في هذه الفعاليات فتشمل الخدَّين، اللسان، قاعدة الفم، الذراع، عضلات الصدر، والبطن بمناطقها المختلفة. والأدوات التي تُستعمل في هذه الفعاليات تكون عادة معدنية وذات أقطار مختلفة. إلا أنه عند استخدام أجزاء رقيقة من الجسم، كالخدَّين وقاعدة الفم، فقد يستبدل الدرويش الأداة المعدنية بعصا خشبية حيث يمكن إدخال العصا في تلك الأجزاء الرقيقة من الجسم باستخدام ضغط اليد ومن دون أن تتكسر. إن خطورة الجرح وشدة الألم المتوقّعين من استخدام أداة خشبية هما أكبر مما يُتوقَّع من استخدام أداة معدنية بنفس الأبعاد. إذ أن الأولى تكون عادة مصنوعة يدوياً، غالباً من قِبل الدرويش نفسه، لذلك يكون سطحها خشناً نسبياً وقطرها غير منتظم مما يجعلها تُمزِّق من نسيج الجسم الذي تخترقه قدراً أكبر مما تفعل الأداة المعدنية. أي أن الدرويش يستعمل مثل هذه الأدوات لأنها أكثر خطورة من الأدوات المعدنية التقليدية.

ثانياً- مستخدماً مطارق مصنوعة عادة من الخشب، يقوم الدرويش بإدخال خناجر في جوانب مختلفة من عظم الجمجمة وكذلك في عظم الترقوة. أحياناً يقوم الدرويش بطَرق الخناجر في رأسه بنفسه وفي أحيان أخرى يقوم درويش آخر بعملية الطَّرق. يُغرَس الخنجر أحياناً إلى عمق يجعل إخراجه باليد غير ممكن بسبب ضغط عظم الجمجمة عليه، وأحياناً يؤدي الإصرار على سحب الخنجر بالقوة، طبعاً من قِبَل شخص آخر، إلى انفصال المقبض وبقاء نصل الخنجر في الرأس. إلا أن من المظاهر الغريبة في هذه الفعالية أن ترك الخنجر

في الرأس لبضعة دقائق يؤدي إلى خروجه بشكل تدريجي بحيث يمكن سحبه باليد أو يُسبب سقوطه تلقائياً إذا لم يسحبه أحد. كما تُستخدم ضربات خفيفة بالمطرقة لإدخال سكاكين وخناجر وأسياخ تحت العين مباشرة.

ثالثاً- يمضغ الدرويش ويبتلع قطعاً من زجاج مكسور، غالباً من قدح زجاجي أو شمعة انارة. يتضمّن ابتلاع زجاج شمعات الإنارة عنصر خطورة يضاف إلى خطورة الزجاج الجارح هو سُميَّة مادة الزئبق التي تُطلى بها شمعات الإنارة. والشكل الآخر الذي يمارس من خلاله الدراويش هذا النوع من فعاليات الدرباشة (الشفاء الخارق للإضرار المتعمَّد إحداثه في الجسم) هو مضغ وابتلاع أمواس حلاقة غير مستعملة. وتجدر الاشارة إلى ان الدرويش يمكن أن يقوم بممارسة أي عدد من فعاليات الدرباشة أعلاه في نفس الوقت.

إن فعاليات الشفاء الخارق للإضرار المتعمَّد إحداثه في الجسم التي يقوم بها دراويش الطريقة الكَسْنزانية لا تتضمن إصلاح الضرر الجسمي المتعمَّد فقط، إذ أن الدراويش يمارسون فعاليات أخرى يُطلق عليها تسمية "مقاومة الضرر الجسمي المتعمَّد" Resistance to Deliberately Caused Bodily Damage لأن هذه الفعاليات تُبيّن قابلية خارقة للجسم على مقاومة الإصابة التي من المفروض أن تنتج عند التعرُّض لمؤثرات مؤذية معينة، أي أن الضرر لا يحدث أساساً في هذا النوع من فعاليات الدرباشة، وهي بذلك تختلف عن النوع الأول من فعاليات الدرباشة والتي تتضمن إصلاحاً خارقاً لضرر جسمي قد تم إحداثه بشكل مقصود. تتمثّل ظواهر مقاومة الضرر الجسمي المُتعمَّد في الطريقة الكَسْنزانية في الفعاليات التالية:

أولاً- مقاومة النار: هناك أشكال متعددة لممارسة هذه الفعالية إلا أن أكثرها شيوعاً بين الدراويش، بسبب سهولة ممارسته والخطورة الكبيرة التي يتضمّنها، هو استخدام قطعة من القماش ملفوفة على عصا خشبية أو معدنية، تُغمر في مادة سريعة الاشتعال كالنفط وتوقد فيها النار، ليقوم الدرويش بعدها بتعريض وجهه ويديه وأقدامه للهب هذه النار. والشكل الآخر لهذه الظاهرة هو تسخين

صفائح معدنية حتى تصل درجة الاحمرار حيث يقوم الدراويش بحملها بأيديهم ووضعها بين أسنانهم. من الجدير بالذكر هنا هو أنه عند ممارسة الدرويش لأي من الفعاليتين أعلاه يكون بإمكان أي شخص آخر ان يشعر بالحرارة العالية التي تشع من مصدر النار المستخدم على بعد أكثر من متر، إلا أن جسم الدرويش المتعرِّض للنار بشكل مباشر لا يُصاب بحروق. ومن الأشكال الأخرى لممارسة هذه الفعالية هي حمل الدرويش بيد عارية لقطع من الفحم الساخن حتى الاحمرار ووضعها في فمه أيضاً. وإضافةً إلى خطر الاحتراق، تتضمن هذه الممارسة خطراً إضافياً على الدرويش يتمثل في استنشاقه لغاز أول أوكسيد الكاربون السام الذي ينبعث عن احتراق قطعة الفحم داخل الفم. من الواضح أن هذه الفعاليات تتضمّن مناعة ضد النار، وفي حالة الفحم، مناعة ضد غاز سام أيضاً.

ثانياً- مقاومة سم الأفاعي والعقارب: في هذه الفعاليات يعرِّض الدراويش أيديهم للدغات عقارب وأفاعٍ سامة. كما يعرِّضون ألسنتهم بشكل مقصود للدغات الأفاعي. وفي كثير من الأحيان، بعد أن يستعرض الدرويش هذه الفعاليات يقوم بأكل رأس الأفعى أو التهام العقرب بالكامل. ومن الواضح أن هذه الفعاليات التي يمارسها الدرويش من غير أن يُصاب بأذى تتضمن استعراض مناعة ضد السم. مما يجدر ذكره هنا هو أن الجروح التي تُحدثها لدغات الأفاعي قد تُصاب بالتهابات كأي جرح اعتيادي يتعرض له الجسم، وهذا يجعلها مختلفة تماماً عن جروح فعاليات إصلاح الضرر الجسمي المُتعمَّد حيث يُبدي الجسم مناعة خارقة ضد الالتهابات.

ثالثاً- مقاومة الصدمة الكهربائية: يُعرِّض الدرويش نفسه لعدة دقائق لتيار كهربائي ناتج عن فولتية متناوبة 220 فولت. ولإثبات حقيقة مرور التيار الكهربائي في جسمه، يقوم الدرويش بإنارة مصباح كهربائي مرتبط بدائرة كهربائية تمر بجسمه.

من الواضح أن فعاليات الدرباشة (الشفاء الخارق للإضرار المتعمَّد إحداثه في الجسم) هذه تتضمن العديد من المظاهر الخارقة التي تتجاوز القدرات

الاعتيادية للجسم البشري. وهذه المظاهر الخارقة هي المناعة ضد الألم والمناعة ضد النزيف والمناعة ضد الالتهاب. ففي خلال ممارسته لفعاليات الدرباشة لا يعاني الدرويش من أي ألم، علماً أن من المفروض أن يكون هذا الألم غاية في الشدة وذلك بسبب نوعية هذه الجروح وحساسية مناطق الجسم المستهدفة. أما بخصوص المناعة ضد النزيف فان بضعة قطرات فقط من الدم تخرج عادة من الجرح وأحياناً يسيل خيط قصير من الدم من منطقة الجرح. ولخروج الدم من الجرح أهمية خاصة لأنه يشهد على حقيقة الفعالية ويدفع عن الدرويش أي اتهام من قِبل المشاهدين بعدم إدخال الأداة الجارحة في الجسم فعلاً أو ممارسة نوع من الخداع كاستخدام خفة اليد للايحاء للناظر باختراق الأداة الجارحة لأنسجة الجسم. غني عن القول هنا إن الجروح التي تُسببها فعالياتُ اِصلاح الضرر الجسمي المُتعمَّد المذكورة أعلاه يصاحبها في الحالات الاعتيادية نزف شديد في الجسم، بل أن المتوقع طبيعياً هو أن بعض حالات النزيف هذه يمكن أن تكون قاتلة. رغم أن الأدوات المُستعملة لإحداث الإصابات في الجسم غير معقَّمة، بل تكون أحياناً ملوثة من قِبل المُريد (الدرويش) بشكل مقصود، فان جروح جسم المُريد لا يصيبها التهاب.

أما عملية شفاء الجروح فهي أكثر غرابة من المناعات الخارقة المذكورة أعلاه. إذ تختفي جميع جروح الدرباشة خلال وقت قصير جداً من اِخراج المُريد للآلة الحادة من جسمه، وبغض النظر عن موضعها في الجسم وحجمها. وبينما تلتئم غالبية الجروح ولا تكاد تبين بمجرد إِخراج الآلة الحادة من الجسم، فان التئام بعض الجروح قد يستغرق 15 - 20 ثانية. وتلتئم بعض هذه الجروح من دون ترك أثر scar يمكن تمييزه بالعين المجردة فيما يترك بعضها الآخر ندبة صغيرة.

مما لاشك فيه أن هناك الكثير من مظاهر الخارقية في فعاليات الدرباشة التي تجعلها تستحق ولاشك أن تُدرَس بشكل تفصيلي من قِبل باحثي الباراسايكولوجيا. ولكن للأسف، فان هذا الأمر لم يحدث، حيث أهمل باحثو

الباراسايكولوجيا هذه الظواهر بشكل تام. إن غالبية باحثي الباراسايكولوجيا يتفقون على أن الهدف من وراء دراسة الفعاليات الخارقة هو محاولة فهم ما يحدث فيها وذلك لتسخير المعرفة المُكتسبة من هذه الدراسة في مجالات تخدم الإنسانية بشكل عام. وهنا لابد أن نتوقف فنسأل: وهل هناك ظواهر أكثر أهمية من ظواهر الدرباشة التي تكشف عن إمكانيات سيطرة تامة على جروح رئيسية والتغلُّب على كل آثارها السلبية على الجسم؟ وهل أن دراسة ظواهر مثل توارد الأفكار أو التحريك الخارق وما شابه هي أهم للإنسانية أم دراسة ظواهر الشفاء الخارق للإضرار المتعمَّد إحداثه في الجسم والتي يتجلى فيها إعجاز طبي مُذهل؟ وبعبارة أخرى، هل كان سيفضّل الإنسان أن يمتلك قدرة خارقة على قراءة أفكار الناس أم قدرة خارقة على السيطرة على الجروح المختلفة؟ إن الجواب ولاشك واضح تماماً، إذ أن ما يخدم صحة الإنسان هو دائماً يفضَّل على كل شيء آخر. إلا أن الغريب هنا هو أن الباراسايكولوجيا التجريبية ركَّزت بشكل رئيسي على دراسة ظاهرة التحريك الخارق وظواهر الإدراك الحسِّي الفائق الثلاثة، المذكورة أعلاه، منذ أن نشأ هذا المنهج في دراسة الظواهر الخارقة على يد جوزيف راين في ثلاثينيات القرن العشرين.

قد يظن البعض أن سبب إهمال الباراسايكولوجيا الغربية لظواهر الشفاء الخارق للإضرار المتعمَّد إحداثه في الجسم هو إهمال عام للظواهر الطبية الخارقة، إلا أن هذا الظن في الواقع غير صحيح. إذ بالرغم من أن الظواهر الطبية الخارقة لم تحصل على قدر من الاهتمام مساوٍ لنظيراتها من الظواهر الخارقة التقليدية، فإن العقود الثلاثة أو الأربعة الأخيرة قد شهدت فعلاً اهتماماً متزايداً بدراسة مختلف أنواع الظواهر الطبيّة الخارقة التقليدية والتي تُعرف عادة بظواهر "العلاج الروحي" psychic healing، إذ توجَّه العديد من الباحثين إلى دراسة مقدرة بعض الأفراد الموهوبين على التأثير ايجاباً على الحالة الصحية لغيرهم من البشر، عن بُعد ومن غير أن يقوموا بلمسهم أو أن يستعملوا عقاقير عُشبية أو كيميائية. إذ كما هو معروف فان من الممكن العثور

على مثل هؤلاء المعالجين الموهوبين في كل المجتمعات، حيث أن أكثر ممارسات العلاج الخارق انتشاراً هي الظاهرة المعروفة بـ "وضع اليد" laying on of hands، حيث يقوم المعالج بمحاولة التأثير على الحالة الصحية للمريض بمجرد وضع يديه قريباً من جسم المريض. وذهبت الدراسات العلمية لظاهرة العلاج الروحي إلى أبعد من دراسة تأثير هؤلاء الموهوبين على حالات مرضيّة بشرية معينة، حيث ظهرت الكثير من الدراسات حول تأثير هؤلاء المعالجين الموهوبين على مختلف المنظومات البايولوجية. وكما يشير وليم برود William Braud، أحد الباحثين البارزين في مجال العلاج الروحي، فقد بيَّنت البحوث العلمية أن هنالك "أشخاصاً استطاعوا التأثير، عقلياً وعن بُعد، على أهداف مختلفة من المنظومات البايولوجية، من ضمنها البكتريا، مستعمرات الخميرة، مستعمرات الفطر، الطحالب المتحركة، النباتات، البَرزَويات [حيوانات وحيدة الخلية]، اليرقات، ... النمل، أفراخ الدجاج، الفئران، الجرذان، العَضل، القطط، الكلاب، إضافة إلى مستحضرات خلَوية (كخلايا الدم، والخلايا العصبية، وخلايا السرطان)، وفعالية الأنزيمات. كما أمكن التأثير في جسم الإنسان على حركات العين، فعاليات الجهاز الحركي، الفعالية الكهربائية للجلد، حجم الاطراف [عن طريق تغيير ضغط الدم]، التنفس، وأمواج الدماغ".

إن ما يلخِّصه وليم برود هنا قد يبدو غريباً على مَن ليس له اطِّلاع على بعض من العدد الكبير من البحوث العلمية التي تناولت ظاهرة العلاج الروحي. إلا أن هذه التأثيرات العلاجية التي أمكن التحقُّق مختبرياً من إمكانية حدوثها هي في الواقع تأثيرات محدودة الأثر، مثلما هي محدودة تلك التأثيرات الخارقة التي أمكن توليدها مختبرياً في التجارب على الظواهر الخارقة الأخرى التي درستها الباراسايكولوجيا التجريبية. فعلى سبيل المثال، يقوم الباحث في بعض التجارب بتعريض نبات معين لمادة كيميائية ضارة ثم يطلب من الشخص الموهوب بقابلية العلاج الخارق أن يقوم بمحاولة التأثير على النبات عقلياً لغرض تقليل تأثير المادة الضارة عليه. أو يقوم الباحث بمقارنة سرعة شفاء جروح سطحية في

جسم الإنسان حين يحاول المعالج الموهوب علاجها بسرعة شفاء الجروح المثيلة من دون تدخّل معالج. والفرق المحسوس بين الحالتين يكون عادة فرقاً بسيطاً.

اذاً فظواهر العلاج الروحي التي يدرسها الباحثون في المختبر لا يمكن على الإطلاق مقارنتها بالشفاء الفَوري الخارق لجروح عميقة وخطيرة كالذي يحدث في فعاليات الدرباشة (الشفاء الخارق للإضرار المتعمَّد إحداثه في الجسم). ولكن إذا كان الباحثون مشغولين بالبحث عن أي تأثير لظاهرة العلاج الروحي، وهذا اهتمام يشهد له العدد المتزايد من البحوث في هذا المجال، فما الذي يجعلهم يتجاهلون ظواهر الدرباشة التي تظهر فيها آثار العلاج الخارق بأقوى أشكاله والذي لا يمكن على الإطلاق أن تُقارن به التأثيرات المحدودة في تجارب الباراسايكولوجيا؟ إن من غير الممكن إيجاد أي تبرير لهذا الموقف المُتجاهل لظواهر الدرباشة الخارقة. بل أن موقف البارسايكولوجيا الغربية هذا يبدو أكثر غرابة إذا أخذنا بنظر الاعتبار إحدى أهم الخواص الأساسية التي تمتلكها هذه الفعاليات، وهي صفة "التكرارية". فمن الخصائص الفريدة التي تتميز بها الدرباشة، والتي تفتقدها الظواهر الخارقة التقليدية، خاصية التكرارية؛ أي إمكانية القائم بها تكرارها متى وأينما شاء. فالدرويش قادر على القيام بهذه الفعاليات بنجاح في أي وقت ومكان. إن الدرباشة لا يمكن أن تكون ظاهرة لاتكرارية لأن الفشل فيها يعني إصابة الشخص بجروح ذات نتائج خطيرة يمكن أن تهدد أحياناً حياته. على خلاف من هذه التكرارية المثالية التي تتمتع بها فعاليات الدرباشة، فإن قابليات العلاج الروحي التي يتمتع بها بعض الأفراد الموهوبين تعاني من نفس صفة اللاتكرارية التي تعاني منها الظواهر الباراسايكولوجية التقليدية إذ نجد مثلاً أن مُعالجاً ما قد ينجح في إحدى التجارب في استعراض تأثيرات علاجية خارقة، إلا أنه يفشل في احداث التأثيرات نفسها عند تكرار نفس التجربة في وقت لاحق. وصفة اللاتكرارية هذه تعتبر مشكلة رئيسية من مشاكل بحوث العلاج الروحي مثلما هي مشكلة رئيسية في بحوث الظواهر الخارقة التقليدية إذ أن صفة اللاتكرارية هذه تضع حدوداً

وقيوداً على إمكانية استغلال هذه الظواهر في دراسات مختبرية، كما انها توفّر للمشكّكين حجة يؤسسون عليها شكّهم في حقيقية الظاهرة.

ومن المهم هنا التشديد على أن الباراسايكولوجيا الغربية لم تهمل كل الظواهر الخارقة التي تحدث في بيئة غير غربية، وإنما كانت انتقائية في اختيار الظواهر التي تهملها إذ قامت الباراسايكولوجيا الغربية فعلاً بدراسة الكثير من الحالات والظواهر الخارقة التي تحدث في بيئات غير غربية، مما يؤكد أن إهمالها لظواهر الدرباشة (الشفاء الخارق للإضرار المتعمَّد إحداثه في الجسم) هو إهمال استثنائي مقصود. وعلى سبيل المثال لا الحصر، فمع بداية بحوث العلاج الروحي في الغرب الأوروبي والأمريكي، بدأت في الخمسينات حركة بحث نشطة تناولت بالدراسة التأثيرات الفسلجية للعديد من ممارسات التأمُّل كاليوغا والتأمُّل المتعالي transcendental meditation وغيرها. وكانت حركة البحث هذه جدية ومستمرة حتى أنها تحوّلت إلى فرع جديد في الدراسات الطبية هو "الطب السلوكي" behavioral medicine، الذي من رواده طبيب جامعة هارفرد الامريكية الشهير هيربيرت بينسون. ولم يتوقّف البحث في هذا المجال على استقدام بعض من خبراء الممارسات التأمليّة من دول الشرق الاقصى إلى مختبرات الغرب لكي تتم دراسة تأثيرات الرياضات العقلية والبدنية التي يقومون بها على مختلف الفعاليات الفسلجية للجسم، وإنما قام العديد من فرق البحث الغربية باستصحاب أجهزتهم المختبرية المتنقّلة والسفر إلى القارة شبه الهندية على وجه الخصوص حيث ينتشر بشكل خاص ممارسو رياضات التأمل، وذلك للقيام بدراسة خبراء رياضات التأمل هؤلاء. ونفس الشيء يمكن قوله عن الظاهرة المعروفة بـ "الجراحة الروحية" psychic surgery، والتي يمارسها بعض الموهوبين الذين يقومون بإجراء عمليات لمرضاهم من دون استخدام مواد تعقيم أو تطهير. وهنا أيضاً نجد أن الباحثين الغربيين لم يقوموا باستقدام مثل هؤلاء الاشخاص إلى الغرب الاوربي والامريكي لدراستهم فحسب، وإنما قام العديد منهم بدراسة هذه الظاهرة في مواطنها الاصلية، وبالذات البرازيل والفلبين.

قد يرى البعض أن تجاهل الباراسايكولوجيا الغربية لفعاليات الدرباشة يعود إلى جهلها بأهمية هذه الفعاليات ومظاهرها الخارقة، إلا أن هذا التبرير هو الآخر غير صحيح وذلك لأن الباحثين في الغرب قد قاموا فعلاً بعدد من الدراسات، وإن كانت قليلة جداً، على أفراد بإمكانهم استعراض فعاليات شبيهة بفعاليات الشفاء الخارق للإضرار المتعمَّد إحداثه في الجسم التي يمارسها الدراويش. أي أن مجتمع الباراسايكولوجيا على دراية تامة بالإمكانيات الخارقة التي تتضمنها هذه الفعاليات. وفيما يلي استعراض للبحوث القليلة التي تم القيام بها لدراسة أفراد من القائمين بفعاليات اصلاح الضرر الجسمي المُتعمَّد، والتي يمكن تقسيمها إلى ثلاثة بحوث نسبة لفِرَق العمل التي قامت بها:

أُجريت أول دراسة مختبرية على ظاهرة إصلاح الضرر الجسمي المُتعمَّد في مختبرات جامعة غوتنغين الالمانية، حيث قام بها الباحث الألماني فولفغانغ لاربغ مع مجموعة من زملائه. وتمَّت هذه التجارب على شخص من منغوليا كان يقوم بإدخال اسياخ في عدة مواضع من جسمه من غير أن يصاب بأذى. اعتقد هؤلاء الباحثون أن الفعالية الخارقة لهذا الشخص تعود إلى ممارسته لنوع من التنويم الذاتي. وقام لاربغ وزملاؤه بقياس العديد من الفعاليات الفسلجية لجسم هذا الشخص أثناء ممارسته لفعالياته.

مجموعة البحث الثانية التي قامت بدراسات مختبرية شبيهة كانت برئاسة الباحث الامريكي ايلمر غرين وتمّت في مؤسسة مينينغير في مدينة توبيكا في ولاية كنساس الامريكية. قامت مجموعة مينينغير باختبار شخص كان بإمكانه القيام بإدخال إبرة طويلة في أعلى ذراعه.

أما المجموعة الثالثة والأخيرة فقد قام بها العالمان الامريكيان كينيث بيليتير وايريك بيبير في عدد من المختبرات في الولايات المتحدة الامريكية. أجرى هذان الباحثان تجاربهما على ثلاثة أشخاص كان أحدهم هو الشخص نفسه الذي اختارته مجموعة ايلمر غرين. اما الشخص الثاني فكان يقوم بإدخال سيخ حاد في طيّة جلد ساعد ذراعه، فيما كان الشخص الثالث يقوم بإدخال أسياخ

محاور العجلة bicycle في خدوده وجوانب جسمه، إضافة إلى أكله قطع زجاجية لمصباح كهربائي.

هذه هي فقط البحوث التي تمَّت فيها دراسة ظاهرة إصلاح الضرر الجسمي المُتعمَّد من قِبل باحثين غربيين. وقد اُجريت هذه الدراسات جميعاً خلال السبعينات ولم يتم رفدها بالمزيد من البحوث. إن عدد الاشخاص الذين بامكانهم استعراض فعاليات اِصلاح الضرر الجسمي المُتعمَّد هو محدود جداً، وهذا أمر صحيح في الغرب كما هو صحيح في الشرق. إلا أن هذا لا يبرر اِهمال هذه الظواهر، إذ على الرغم من عدم وجود مَن يمارس ظاهرة مثل الجراحة الروحية في اوربا وأمريكا إلا أن هذا لم يمنع باحثي الباراسايكولوجيا من دراستها بشكل مكثف في الغرب عن طريق استقدام بعض القائمين بهذه الجراحات الخارقة واختبارهم مختبرياً، وكذلك في مواطنها الاصلية.

اذاً لو أخذنا بنظر الاعتبار كل ما تقدم، فان النتيجة الوحيدة التي يمكن التوصل اليها هي أن إهمال الباراسايكولوجيا الغربية للدرباشة لا يمكن تفسيره بأي شكل يُبعد عن الباراسايكولوجيا الغربية تهمة الإهمال المتعمد لهذه الظواهر. أفلا يحق لنا إذا وصف الباراسايكولوجيا الحالية بأنها باراسايكولوجيا غربية؟

من الواضح أن هذا الموقف المَرضي للباراسايكولوجيا من ظواهر الدرباشة (الشفاء الخارق للإضرار المتعمَّد إحداثه في الجسم) لا يمكن فهمه بعيداً عن ردود الفعل الشبيهة والنظرات الخاطئة التي يحملها الغرب عن الكثير من الأفكار والممارسات العربية والإسلامية. إلا أننا، وانطلاقاً من اعتقادنا بأهمية هذه الظواهر، يجب أن لا نترك هذا الأمر على حاله. إذ تقع علينا، نحن الذين منَّ الله علينا بهذه الظواهر الغالية، مسؤولية إنقاذ الباراسايكولوجيا الغربية من إدمانها المَرضي على دراسة ظواهرها التي لم تسأمها بعد، وأن نُنبِّه الباراسايكولوجيا الغربية من غفلتها عن ظواهر الدرباشة. إلا أن هذا التحرُّك يتطلب قبل كل شيء أن نكون نحن أول مَن يُولي هذه الظواهر ما تستحقه من اهتمام. إذ أن من غير المنطقي ولا المعقول أن نتوجّه للغرب باللوم قائلين: ما لكَ

لا تدرس ظواهرنا التي قد تركناها وراء ظهورنا؟ إن ظواهرنا الخارقة هي جزء من تراثنا الذي نعتز به والذي لا يمكن أن نتوقع أن نجد مَن يهتم به أكثر من اهتمامنا به. فاذا ما أهملناه نحن فهل يحق لنا، بعدُ، أن نلوم الغرب على إهماله له؟ وهنا لابد أن يتبادر إلى الذهن السؤال التالي: ما الذي يتوجّب علينا القيام به تجاه الظواهر الخارقة التي تتميز بها بيئتنا العربية المؤمنة؟

إن أول ما يجب أن نبادر إليه هو العمل على انشاء باراسايكولوجيا عربية مؤمنة تتولى دراسة ظواهرنا الخارقة، ولكن من غير أن تستثني غيرها من الظواهر، لكي لا نقع في فخ التحيُّز واللاحيادية التي انتقدنا الباراسايكولوجيا الغربية على السير إليه فالوقوع فيه. إن هذا يتطلب منا الاستفادة من تجربة الغرب الذي جعل من الباراسايكولوجيا مبحثاً تنطبق عليه مواصفات العلوم التقليدية، والذي أدخل التقدم التكنولوجي في قلب هذا المبحث. إلا أن هذا يجب أن لا يعني استيرادنا مع هذه الباراسايكولوجيا نزعتها الخاطئة التي جعلتها تضل السبيل. فالبارسايكولوجيا الحقيقية يجب أن لا تُبنى على أفكار واعتقادات مُسبقة، كما أنها يجب أن تكون علماً استكشافياً بمعنى الكلمة يبحث عن الحقيقة حيث وُجدت فلا يستثني من بحثه هذه الظاهرة أو تلك. إن الظواهر الخارقة التي تتميّز بها بيئتنا العربية المؤمنة توفر لنا فرصة لا تُقدَّر بثمن لأن نكون في موقع القيادة والريادة في مجال الباراسايكولوجيا.

اذاً لقد تبين لنا ما بإمكان شرقنا، العربي المؤمن بالضرورة، أن يقدِّمه للغرب من خير كثير سوف يتكفَّل، إذا ما تنازل علماؤه وباحثوه عن موقفهم الاستعلائي ونزلوا من بروجهم العاجيَّة ورضوا أن يتحلوا بما توجبه عليهم روحُ العلم وحكمةُ البحث عن الحقيقة، بالارتقاء بالإنسانية إلى حضارة جديدة تخلف الحضارة المعاصرة متجاوزةً لكل ما تجلَّى فيها من تناقضات وتمايزات. فالشرق العربي المؤمن، بظواهره الخارقة، قادر على مد يد العون للغرب لينتشل هذه الحضارة من المأزق الذي قادها إليه وأوقعها فيه الغرورُ البشري متجلياً في الموقف الغربي من ظواهر الوجود انتقاءً واحتقاراً وتبعيضاً ونفياً وإقصاء. ولن يقوم الغرب من

كبوته ولن يغادر الشرقَ تخلُّفُه الا إذا ما التقيا على تجاوز كل ما هو سيء في الطبع البشري المميِّز للإنسان، شرقياً كان أم غربياً، وبادرا إلى الأخذ بكل ما هو قمينٌ أن يجعل منهما شريكين حقيقين في رحلة البحث عن الحقيقة والعروج إلى الحكمة.

ظواهر الشفاء الخارق للجروح المتعمد إحداثها في الجسم (الدرباشة) والتقنية المعاصرة

(وَاَنْزَلْنا الْحَديدَ فيهِ بَأْسٌ شَديدٌ وَمَنافِع لِلْناسِ وَلِيَعْلَمَ اللّه مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ اِن اللّه قَوي عَزيز)

إن نظرةً مُتفحصةً منصفةً لواقع البحث الباراسايكولوجي في الغرب المعاصر كفيلةٌ بجعلنا واثقين من أن ما يستحق أخذه عن الباراسايكولوجيا الغربية يجب ألا يتجاوز حدود الإفادة من التقنية المعاصرة بكافة تسهيلاتها المنظّمة للبحث المختبري الرصين من أجهزة وأدوات ومعدات ونُظُم معلوماتية ووسائل للتعامل الإحصائي المنهجي مع معطيات التجربة ونتائج القياس ومستخلصات التحاليل. وهذا هو جُل ما بمستطاع الباراسايكولوجيا الغربية أن تقدمه لمشروعنا الناهض الطموح الذي ينطلق من اِقرار معرفي مؤسس على أقوى الدعائم العقلانية بحتمية البحث المنهجي عما تم اِخفاؤه من ظواهر خارقة، عن عمد، من قبل باراسايكولوجيي الغرب بسبب من كونها لا يمكن تصنيفها وفقاً للضوابط المسيطرة على روح البحث العلمي (اللاعلمي!) للباراسايكولوجيا المعاصرة. اِن التقنية المعاصرة بمقدورها أن تقدّم خدمات عظيمة اِذا ما تم تسخيرها عن دراية وخبرة بعيداً عن أية محاولة لبيعها من قبل أصحابها مشروطةً بما ألصقوه بها من نظريات هي منها براء.

وقد يعترض البعض ممن يخاف على الأنساق التي تظهر من خلالها عادةً الظواهر الخارقة المميزة لبيئتنا العربية المؤمنة فيقول اِن ادخال العلم بقناعه التقني المعاصر الى حومة هذه الأنساق سيجعل منها في مواجهة معرفية مع أُسسه ونظرياته ومناهجه، وهي مواجهة يتوهَّم هذا البعض أنها محسومة سلفاً لصالح العلم بسبب من رهبة مَرَضية وتخوف غير قائم على أساس واقعي أو

معرفي من أن يكشف العلم عن ضعف قد يكون متضمَّناً بين ثنايا هذا النسق أو ذاك من الأنساق التي تزخر بها بيئتنا العربية المؤمنة.

إن العلم الغربي سيفقد غربيَّته اذا ما نحن جرَّدناه من أنساقه النظرية التفسيرية ليغدو بلا سلاح يستطيع به أن يبارز أو ينتصر! وهكذا فان استقدام التقنية المعاصرة لا ضير فيه اذا، واذا فقط، ما تم التقيد الحرفي بضرورة تنقية هذه التقنية من أية شوائب نظرية تفسيرية يحاول بائعوها فرضها علينا بصورة أو بأُخرى. فالباراسايكولوجيا الغربية لن تنجح أبداً في قولبة الظواهر الخاصة ببيئتنا العربية المؤمنة داخلاً من أنساقها النظرية التفسيرية. لذلك فاننا مطالبون بالعمل الجدي والسعي الحثيث لجعل التقنية المعاصرة في البحث العلمي النزيه، الخالي من شوائب التنظير والهوَس المَرَضي بالتفسير، تحتل المكان المناسب لها ضمن خطتنا المنهجية للدراسة العلمية الصائبة للظواهر الخارقة الخاصة ببيئتنا. ان هذه الظواهر الخارقة بمقدورها أن تبرهن، بواسطةٍ من التقنية المعاصرة ذاتها، على استحالة خضوعها لأية محاولة تنزع الى قولبتها ضمن الأنساق التفسيرية للعلم النظري المعاصر. ويكفي لنا برهاناً قاطعاً على صحة ذلك أن ظواهر الشفاء الخارق للجروح المتعمد احداثها في الجسم عند دراستها باستخدام التقنية المعاصرة بمقدورها أن تقدِّم ما يحتاجه الباحث العلمي النزيه لكي يبرهن على أنها ظواهر غير قابلة على الإطلاق للإنضواء تحت الراية المنكوسة للباراسايكولوجيا الغربية الحالية والتي تقضي أنساقها التفسيرية بحتمية الإرتباط السبَبي ما بين حدوث الظاهرة الخارقة والتغييرات الفسلجية والحيوية في جسم الإنسان الذي تمت ملاحظة الظاهرة الخارقة هذه تحدث بوجوده. ان ظواهر الشفاء الخارق للجروح المتعمَّد احداثها في الجسم، بسلبية نتائج جميع التحاليل المختبرية التي من الممكن القيام بها على الدرويش، تقدم دليلاً قاطعاً على عدم حتمية الإرتباط ما بين حدوث الظاهرة الخارقة والتغيرات الفسلجية والحيوية في جسمه. وهذا الذي بمستطاع التقنية المختبرية المعاصرة أن تقدِّمه من خدمة لبحثنا "الباراسايكولوجي" البديل يحتِّم علينا أن

نعمل على الإفادة الحكيمة من مفرداتها بغية تقديم أدلة مختبرية جديدة على تميز ظواهرنا الخارقة بكل ما يجعل منها ظواهر يصعب على الباراسايكولوجيا المعاصرة تفسيرها بنظرياتها القاصرة والمقتصرة على كم ضئيل للغاية من طيف الظواهر الخارقة. وبعدُ، هل من مبرر يسوِّغ لنا التخوف من اقحام التقنية المعاصرة كأداةٍ فاعلة تعيننا على القيام بدراسة ظواهرنا الخارقة؟ ان عدم الإكتفاء بالعرض التقليدي لظواهرنا الخارقة ضرورة يحتِّمها وجوبُ الحرص كل الحرص على ألا تُستغل هذه الظواهر الخارقة من قِبل الباراسايكولوجيا المعاصرة، بعلمها الإنتقائي القائم على الإنحياز المطلق الى هوس التنظير والتفسير، استغلالاً يجعل منها تفقد ما بمقدورها أن تثيره من زوابع وعواصف في وجهها وذلك اذا ما تم عرضها بالطريقة العلمية المناسبة التي بوسعها أن تجعل من علماء الباراسايكولوجيا يقلِّبون اكفهم على ما أنفقوا من عُمُر ضاع في تخبط وتيه وسط ظلمات الأنساق التفسيرية لعلمهم اللاعلمي. ان الطريقة المثلى لتقديم ظواهرنا الخارقة أمام العقل الغربي هي بعرضها عليه عرضاً علمياً حقيقياً قائماً على أساس تجريبي قويم وذلك حتى نفوِّت الفرصة على كل من تسوِّل له نفسه الإقدام على احتواء زخم ظواهرنا الخارقة عن طريق قولبة المعروض منها عرضاً تقليدياً ضمن الأنساق اللاعلمية للباراسايكولوجيا المعاصرة والتي تجنح الى قتل كل ما هو متميز وخارق في الظواهر قيد البحث والدرس اذا ما تم عرضها اماماً منها بالطريقة التي تجعل لها مطلق الحرية في التصرُّف فيها كيفما تشاء.

ان أفضل بداية لعرض الظواهر الخارقة لبيئتنا العربية المؤمنة على العقل الغربي هي بعرضها بادئ ذي بدء على صفوة علماء الباراسايكولوجيا المعاصرة. وإن احراز الإنتصار العلمي الحق على البُنية المعرفية للباراسايكولوجيا المعاصرة، بعلمها النظري القائم على الباطل، سيجعل من آراء وتفسيرات هذه الصفوة، وقد واجهت ظواهرنا الخارقة، تتخبَّط في متاهات التفسير المتناقض والساقط معرفياً مما سيجعل بالتالي من لجوء ماكنة الدعاية ووسائل الإعلام

فيما بعدُ اليها، استجداءً لمشورتها واستنجاداً بعلميتها، من بعد عرض ظواهرنا الخارقة لعامة الناس لجوءاً لا طائل من ورائه وذلك لأن تلك الصفوة المنكوبة بالباراسايكولوجيا المعاصرة قد سبق لها وأن برهنت بنفسها على جهالتها ولاأدريتها حيال المعروض أمام أعينها وأعين أجهزتها ومجسات تقنيتها من ظواهرنا الخارقة. اِن مَن كان رصيده هذا العمق الإستراتيجي المُميز لظواهرنا الخارقة يجب ألا يخشى مواجهةً مع الباراسايكولوجيا المعاصرة بل عليه أن يسعى الى خلقها خلقاً وذلك لأنها الفرصة التي ننتظر منذ زمان بعيد لدحر تنين هذا العصر.

ظواهر الدرباشة بين حقد الفرنجة المعاصرين وظلم العشيرة الأقربين

لقد عمل فرنجة هذا العصر، بكل عمائمهم على اختلاف ألوانها ولِحاهم على اختلاف هيئاتها، وبكل ما اوتوا من قوة غاشمة على أن تبقى ظواهر الدرباشة أسيرة السياق التقليدي الذي ترِد ضمنه عادة فلا تخرج عن مسارها المُعتاد ولا تغادر بيئتها المألوفة وذلك لكي يتم على الدوام ضمان عدم تسرُّبها الى خارج هذه البيئة التي يظن كثيرٌ من العرب والمسلمين انها وسطها الطبيعي الذي لا يمكن لها أن تحيا بعيداً عنه. أراد هؤلاء الفرنجة الخبثاء أن تظل هذه الظواهر المجيدة مُقيَّدةً بنمط ظهورها الذي ترِد من خلاله عادةً فيكون مبلغ حظنا منها ان نشاهدها فقرةً ضمن فقرات منهاج الاحتفالات الاجتماعية من ختان وزواج وتأبين. ان الرسالة العظيمة التي لابد وان تكون متضمَّنة بين ثنايا هذه الظواهر لا يمكن أن تكون موجَّهة الى مَن يحضرون هذه المناسبات وهم جلُّهم اناس بسطاء لا يحتاج واحدهم ان يُجابَه بهكذا تحدٍّ معرفي كالذي تمثِّله هذه الظواهر. فالمقصود من وراء هذه الظواهر يتجاوز ما بمقدور هذه المناسبات ان توفِّره. إن الرسالة التي تحملها هذه الظواهر هي غير موجَّهة الى مَن لا يحتاج مضمونها، هذا على افتراض ان بوسعه الإحاطة بهذا المضمون كما يجب وكما أراد مُوَجِّه الرسالة. لقد غدت هذه الظواهر شيئاً مألوفاً لدى مَن يذهبون للمشاركة في هذه المناسبات الإجتماعية وذلك لكثرة تكرارها؛ حيث ان واحدهم قد اعتاد رؤيتها منذ طفولته وصباه حتى ما عادَ بامكانه أن يجد فيها ما يجب ألا يغيب عنه وذلك لفرط تكرارها هذا ومألوفيتها لديه. ان هذه الظواهر لم يكن هذا هو حالها أولَ ظهورها وذلك عندما أراد لها أساتذة التصوف (مشايخ الطريقة) أن تكون رداً مفحِماً على مَن كان يُنكر عليهم إيمانهم بالله الواحد الأحد الذي لم يعرفه رباً له بسببٍ من نشوئه في مجتمع وثني متعدِّد الآلهة. فلقد أراد أساتذة التصوف بهذه

الظواهر ان تُلجِم، بخرقها الفائق لكل ما هو مألوف في مجال الجروح والحروق، مَن حارب الإسلام من الأقوام الوثنية. ولكن تقادُم الأزمان على هذه الظواهر أدى الى جعل السياق العقائدي الصِرف الذي ظهرت أول ظهورها ضمن ثناياه يختفي ليحل محله سياق بديل لم يحرص دوماً على التقيُّد بضرورة ان تتم المحافظة على السياق الأصلي الذي لا ينبغي ان ترد هذه الظواهر الا من خلاله، بل شرع في صياغة مفردات أخرى نظم منها مادة ذلك السياق البديل الذي أصبح شيئاً فشيئاً هو السياق الأكثر ظهوراً حتى ما عادَ يظهر السياق الأصيل الا نادراً. فالإرتباط ما بين هذه الظواهر وسياق ظهورها التقليدي كما نشاهدها من خلاله الآن هو ليس أمراً محتَّماً طالما لم يكن هذا السياق هو سياقها الذي ظهرت من خلاله أول ما ظهرت قبل مئات السنين. ان هذه الظواهر لا تستطيع ان تكشف عن مضمون الرسالة التي تحملها بين ثناياها الا بوساطةٍ من التقنية المعاصرة التي وحدها بمستطاعها تقديم البرهان القاطع على أن هذه الرسالة مفادها استحالة أن يكون هذا الإنسان هو صانع هذه الظواهر على قدر تعلق الأمر بطاقة الشفاء الخارقة الواجب افتراض وجودها لتفسير ما يحدث فيها من مباينةٍ جليةٍ لكل ما ألِفه الإنسان من رد فعل للجسم البشري تجاه ما يصيبه من جروحٍ وإضرار. وإن المرء لَيتساءل إن كان أساتذة التصوف الأوَّلون (مشايخ الطريقة المؤسِّسون) قد أرادوا لهذه الظواهر أن تبلغ هذا الزمان حتى تكشف عن أسرارها بعونٍ من تقنيته التي استعصى على زمان ظهورها أول مرة أن يصل اليها فاستحال عليه بداهةً ان يكشف عن مضمون الرسالة التي حُمِّلتها. وهكذا فإن التصرُّف الحكيم الحصيف ينبغي أن يتَّجه صوب إخراج هذه الظواهر من سياقها الذي تظهر به عادةً في زماننا هذا وذلك لأن هذا السياق، كما ذُكر آنفاً، لا علاقة له اطلاقاً بسياقها الأصلي الذي وردت من خلاله أول ظهورها غير ناسين ان سياقها التقليدي الحالي لا يُمثِّل حاجزاً عقائدياً يُحرِّم على مَن يروم اجتيازه ان يقوم بذلك طالما كانت نية الاجتياز لديه سليمةً نازعةً الى جعل هذه الظواهر تعبِّر عن رسالتها التي حُمِّلتها أبلغ تعبير وبأقوى تأثير. إن ايراد هذه

الظواهر من خلال سياق التقنية المعاصرة القائمة على أساسٍ من التجريب والاختبار كفيل بجعلها تكشف النقاب عن مضمون الرسالة التي أراد أساتذة الطريقة الأوَّلون (مشايخ الطريقة المؤسسون) أن تصل بها الينا في هذا الزمان. وإن هذا ليُحتِّم علينا الا نخجل من ظهور مضمون الرسالة التي تحملها هذه الظواهر علانيةً. فاذا كان هذا المضمون يتعلَّق بإقامتها البرهان الحاسم على وجود الله فلماذا نخجل من ذلك! لقد فرض الفرنجة المعاصرون حصاراً من حول هذه الظواهر أرادوا به أن يحول دون خروجها الى العالم لتبلِّغ ما تحمله من عمق رسالي هادف. إن هذا الحصار المعرفي لا ينبغي أن يجعل من هذه الظواهر تبقى أسيرة سياقها التقليدي؛ فالواجب يحتِّم ضرورة القيام بخرق هذا الحصار لتُحمَل بعيداً بعيداً ولتُدخَل سياقاً آخر يجعل منها تكشف عن مضمون رسالتها بصورة لا سابق لها.

لقد أراد الفرنجة المعاصرون لهذه الظواهر ان تكون كالنفط الذي يسرقونه منا. فهم لا يرضون ان يكون هذا النفط، بين أيدينا، الا على حاله الذي كان عليه منذ آلاف السنين: مادةً سوداء لزجة هي كل ما يجب عليه ان يكونه. فالنفط اذا لم يكن خاماً فهو ليس بنفط وذلك لأنه لا ينبغي لنا ان نُصدِّر نفوطاً مُصفّاة ومشتقات نفط وبتروكيمياويات! فهذه الظواهر اذا ما غادرت سياقها التقليدي الذي دأبت على أن ترِد من خلاله فانها ستصبح بعيدةً عن متناول أيدي الفرنجة الذي يريدون لها أن تبقى أبداً لا أكثر من ظواهر خام وذلك حتى يقوموا هم، وليس نحن، باستخراج ما يرغبون في إخراجه منها والذي لا يُمثِّل إلا جزءاً ضئيلاً جداً من الذي بمقدورها أن تهبه وتجود به. إن قولبة هذه الظواهر عبر تناولها بعقلية الفرنجة تجعل منها شيئاً لا علاقة له بحقيقتها وذلك لأن الفرنجة اذ يسمحون لها بالخروج معهم، ومعهم فقط، من وسطها المألوف وبيئتها التقليدية فانهم لا يعودون بها إلا وقد جعلوا منها تتخذ تفسيرات لا تعمل على طمس مضمون رسالتها التي أراد لها أساتذة الطريقة الأقدمون أن تصل بها إلينا فحسب ولكن تأتي بمضامين بديلة من وحي تنظير العلم النظري

المتحيِّز الذي أراد له هؤلاء الفرنجة أن يكون بديلاً لعقيدة الإيمان بالله الواحد الأحد. ان هذه الظواهر اذا ما تم تناولها ضمن سياق تجريبي-اختباري رصين فان بمقدورها ان تكشف، بكل أمانة ووضوح، عن مضمون الرسالة العظيمة التي حُمِّلتها منذ مئات السنين والتي لا يمكن أن يتم الكشف عنها خارج المختبر طالما كانت هذه الرسالة موجهة، منذ أول ظهور لهذه الظواهر محملةً بها قبل مئات السنين، الى زماننا هذا الذي هو بحق زمان التقنية التي بوسعها الكشف عن مضمون هذه الرسالة!

الظواهر الخارقة بين التراث والمعاصرة...
نحو منهج عصري للتعامل مع ظواهر التراث الخارقة في نقد العقل الفلسفي: قراءةٌ نقديةٌ بناءة في مسار إشكالية الفلسفة

يقودنا التدبرُ في واقع حال البحث في مجال الظواهر الخارقة في الغرب، لا محالة، إلى ضرورة التفكير في انتهاج مسلك بديل ينأى بنفسه عن أن يكون نسخة مطابقة للمنهاج الغربي في التعامل مع هذه الظواهر ويرنو إلى الأخذ بتلابيب حقيقة ما يحدث فيها كما من الممكن أن يتأتى للعقل البشري الوقوع عليها إذا ما هو بادر وأخذ بالأسباب الكفيلة بإيصاله اليها. واذا ما نحن أردنا أن نوجز بعضاً من أهم الخصائص المكونة لمنهج عصري جديد يطمح إلى الاحاطة المعرفية بهذه الظواهر غير المألوفة فإن الواجب يقتضي منا أن لا نغفل عن استذكار أن ما بين أيدينا من قبيل هذه الظواهر يتفوق كماً ونوعاً على ما استطاعت علوم الخوارق في الغرب التعامل معه وفقاً لمنهجها الذي جعل منها أسيرةَ نزر يسير من الظواهر ورهينة المقدمات النظرية التي قعدت بها عن النظر السليم إلى هذا الكم القليل مما أدى بالضرورة إلى خلوصها إلى نتائج حسيرة وإن خُيّل اليها أنها كنزٌ معرفي ثمين. وكمثال على ما حبا الله به بيئتنا العربية المؤمنة من ظواهر خارقة ميَّزتها بطابع له خصوصيته التي لم تفارقه منذ مئات السنين، فان أول ما يتبادر إلى الذهن تلك الظواهر الغريبة التي يستعرضها دراويش بعض الطرق الصوفية والتي تستعصي على أية محاولة لتفسير ما يحدث فيها من خرق بيّن لجملة المعارف الطبية والبايولوجية لحضارتنا المعاصرة. ففي هذه الظواهر الخارقة للتفسير الطبي التقليدي نرى الدراويش قادرين على إلحاق ما يبدو للناظر أذىً جسيماً بأجسامهم ثم ما هي إلا بضعة دقائق حتى يتم، وبطريقة غير مفهومة طبياً على الاطلاق، التعامل مع نتائج هذا الإضرار المتعمد وبالطريقة التي تجعل منها تختفي كأنها لم تكن. فالجروح الناجمة عن إدخال

الآلات الحادة في بعض مناطق الجسم تندمل بسرعة غير معهودة وفقاً للقياسات التي تقول بها منظومة المعارف الطبية المعاصرة. إن هذا الشفاء غير التقليدي، والخارق بكل معنى الكلمة، ليستدعي منا وجوب التعامل معه وبما يستحقه من اهتمام معرفي رصين خالص من أية شوائب قد يجنح بنا اليها بعضٌ من الذين يفسرون الأمر وفقاً لأهوائهم الخاصة؛ فالحقيقة يجب أن يكون لها الصوت الأعلى أولاً ودائماً وأبداً. ولأن موضوع هذه المقالة يتناول خوارق تراثنا العربي المؤمن فالمصلحة تقتضي أن يُصار إلى التركيز على ظواهر الشفاء الخارق هذه لما لها من عظيم تأثير ووثيق صلة بالكثير من المباحث المعرفية في عصر انفجار المعلومات هذا والذي قدّر لنا الله أن نحياه شهوداً أو نكرات! وفيما يلي جردٌ لبعضٍ من أهم ما ينبغي أن لا يغيب عن البال مما له الصلة الوثقى بظواهر الشفاء الخارقة هذه، هذا إذا ما نحن أردنا حقاً أن نرتقي إلى مستوى جديد من التعامل مع ما هو واقعي، وخارق في آن، يتجاوز التكرار غير المجدي ويأبى التقوقع داخلاً من تلك القوالب التفسيرية الضيقة التي خُيّل لمن نهج منهج أهل التنظير والتفسير أنها قادرة على تفسير كل ما يحدث في هذا الوجود خفيِّه وجليِّه:

1 - اِن هذه الظواهر، وإن كانت لا تمثل الا جانباً يسيراً مما يصطلح على تسميته بالظواهر الخارقة، بمقدورها ان تقدم مادة غنية، بكل ما هو جدير بالالتفات الفوري إليه والانشغال المستمر من ثم به، لكثير من فروع المعرفة الإنسانية. فهذه الظواهر هي ليست باراسايكولوجية بالمعنى الذي يحدد العلم الذي بمستطاعه أن يقوم بدراستها بأنه ما يعرف بالباراسايكولوجيا. إن هذا سيجعل من هذه الظواهر تفقد الكثير من الذي بمقدورها أن تهبه عن طيب خاطر لكثير من فروع المعرفة الإنسانية. فالهدف هنا هو ليس مجرد تقديم ظواهر خارقة بمقدور كافة البشر ان يقوموا بها، من بعد تطبيقهم لتقنيات خاصة، ولا هو مجرد اضافة نوعية في مجال المناعة والشفاء تفوق ما هو موجود من تقنيات طبية وعلاجية. إن هذا الهدف بالإمكان التأسيس له على أنه سعي لتقديم هذه الظواهر الخارقة جاهزةً للتكرار داخل أي مختبر أبحاث وذلك

حتى يتم التأكد من كونها تتمتع بمعامل تكرارية عالٍ لم يسبق وأن حازت عليه غيرها من الظواهر الخارقة من قبل. كما أن هذا الهدف ليس طبيا فحسب، وإن كانت نتائجه المباشرة تبدو كما لو ان ليس هناك من تأثير بمقدورها ان تسببه يطال غير الطب علماً وتقنياتٍ علاجية. إن هذه الظواهر مادة خام تستطيع أن ترفد كثيراً من العلوم بما يكفل لها أن تستخرج منها الكثير جداً مما هو جديد ومفيد في الوقت عينه. كما أن هذه الظواهر، في حال ثبوت ما تم كشفه من خصائصها وذلك عن طريق تكرارها في أية مختبرات وفق أدق ضوابط النهج التجريبي المُتبع أكاديميا، ستعمل على تغيير الكثير جداً مما هو سائد من فهم داخل أنساق عديدة من فروع العلم المختلفة. إن هذا التغيير ضروري جداً لأنه سيعمل على توفير زوايا نظر جديدة نستطيع من خلالها أن نعيد فهم الكثير جداً مما غاب عنا فهمه عند بحثنا في ظواهر أخرى كان لها الفضل في تشكيل ما هو سائد حاليا من علم. وعليه فإن الدعوة موجهة لكثير من العلوم لدراسة هذه الظواهر، كما أن النتائج التي ستنجم عن هذه الدراسة سوف تطال هذه العلوم كلها جميعاً. إن كثيراً من العلوم التخصصية مدعوة لتدلي بدلوها في هذه البئر الواعدة؛ فالدعوة موجهة إذا إلى علوم من مثل علم فسلجة الأعصاب وعلم كيمياء الأعصاب وعلم الأنثروبولوجيا النفسية وعلم الاجتماع الطبي والأثنولوجيا الطبية.. الخ. وهذه الدعوة لتوثيق أواصر التعاون العلمي بين شتى التخصصات العلمية تهدف إلى إثراء حصيلة الظواهر والتجارب التي يستطيع بها باحثو العلم المستقبلي Future Science أن ينجوا بالعلم الحالي إلى علم جديد يحتويه، ظواهر وتجارب ومنهجَ بحث تجريبي، كما يحتوي كل ما ليس بمقدور العلم الحالي ان يتناوله بروح العلمية Scienticism الموضوعية الحقة.

2 - إن هذه الظواهر، منفردةً وكما جرت العادة في استعراضها داخلاً من السياقات التقليدية البعيدة البعد كله عن كل ما له علاقة بالتجريب والاختبار، لا تستطيع أن تهز سطح العلم التقليدي Conventional Science، الا انها إذا ما اجتمعت بأيدي باحثين يجمعون بين خير ما في العلم التقليدي وبين الحرص

المعرفي على عدم تضييع الفرص المتجددة والظواهر الجديدة فان بمقدورها ان تكون القشة التي ستقصم ظهر التقليدية المقيتة في العلم النظري السائد!

3 - لذا فان الأنسب أن يُصار إلى إطلاق تسمية على هذه الظواهر تيسِّر لها أن يصار إلى تضمينها داخلاً من سياقات غير تلك التقليدية التي قد يظن البعض ان لا حياة لها خارجها. ولعل أنسب تسمية تذهب هذا المذهب هو ان يُطلق عليها ظواهر الشفاء الخارق للإضرار المتعمد إحداثه في الجسم Super Healing of Deliberately Caused Bodily Damage. إن هدف هذه الظواهر هو تجميع كافة الجهود المعرفية، القائمة حاليا على أساس من الدراسة التخصصية لكافة مفردات الظاهرة الإنسانية، مألوفها وغريبها، وجعلها تنصب في اتجاه كشف ما بالمستطاع كشفه من خفاياها. وفيما يلي عدد من العلوم التخصصية التي توفر لها هذه الظواهر الخارقة، القابلة للتكرار وفق متطلبات المذهب التجريبي الإختباري الصارم، مادةً خام للبحث طويل المدى:

Neuroendocrinology، Immunohistochemistry، Medical Anthropology، Ethnomedicine، Immunocytochemistry Bioelectromagnetics، Info-medicine، Psychological Anthropology.

4 - إن النزعة المميزة للعلم الحالي والداعية إلى التخصص والتعمق المتخصص جعلت من العسير جداً على العالِم أن يلم بما يتعدى مجال تخصصه الضيق، بالضرورة، وهذا يؤدي ولاشك إلى نتائج كارثية طالما استحال على العقل البشري أن يتخلص من نظرته الميتافيزيقية النازعة إلى اكتشاف الكل في الجزء (أو إلى اختلاقه إذا ما عز عليه الإكتشاف) مما يؤدي في كلتي الحالتين إلى جعل العلم النظري عبارة عن سيناريوهات خيال علمي غير منجزة كأفلام بعد!

5 - لذا فان ظواهر الشفاء غير التقليدي للإضرار المتعمد إحداثه في الجسم، مع غيرها من الظواهر غير المألوفة، ستكون عامل توحيد يجعل من الممكن، بل من الواجب، تجميع كافة الجهود العلمية من مختلف التخصصات للإنكباب على دراستها بصورة جماعية. فهي إذا دعوة إلى كل المهتمين والعاملين

ﾞ في مجال العلوم غير التقليدية Non-mainstream Sciences والعلوم العقلانية Noetic Sciences والعلوم الحدودية Frontier Sciences وكل من تستهويه دراسة هذه الظواهر الواعدة وكل من له علاقة بفلسفة العلم الجديد وميتافيزيقاه المختلفة حتماً عن تلك التي يدافع عنها علم الكثرة Majority Science.

6 - اِن ما يجب أن يميز الدراسات التي يتوجب القيام بها في مضمار هذه الظواهر عن التجارب التي أُجريت في سويسرا في الثلاثينات على دارسٍ للمهارات البوذية (ميرين) وكذلك التجارب التي قامت بها مؤسسة Menninger في الولايات المتحدة الأمريكية في السبعينات على ممارسٍ لفنون التأمل (شفارتز) والأبحاث المختبرية التي أجراها العالم الألماني لاربك (في السبعينات أيضاً) على أحد الأشخاص من أصحاب المهارات المنغولية في اليوغا (بنغاو) معرفتنا اَن هذه الأبحاث والدراسات الغربية كان قد تم توجيهها من زاوية النظر الخاصة بالعلم الاختصاصي المميز لكل مجموعة بحث! واما الآن فعلينا أن نبحث في هذه الظواهر الخارقة من زوايا نظر كل علم اختصاصي له علاقة بها. وهذا يعني ألا يقتصر البحث على زاوية نظر علم وظائف الأعصاب Neurophysiology والأنثروبولوجيا النفسية Psychological Anthropology.

اِن بحث مؤسسة Menninger كان في بداية السبعينات وكذلك البحث الذي قام به لاربك وهذا يعني ان هذين البحثين لم ينظرا إلى فعاليات الإضرار المتعمد اِحداثه في الجسم من زاوية الاندورفينات Endorphines والتي لم يكن العلماء وقتذاك قد اِلفوا أخذها بنظر الإعتبار وذلك لأنها كانت حديثة الإكتشاف.

كما ان التقنيات الحديثة التي بالإمكان الإفادة منها في البحث المعاصر كانت غير موجودة آنذاك حين قامت مجموعتا البحث المذكورتان أعلاه ببحثهما لظواهر الشفاء غير التقليدي للإضرار المتعمد إحداثه في الجسم مما يجعل من القيام بأبحاث معاصرة تستهدف هذه الظواهر الخارقة بالإستفادة من تقنية اليوم ضرورة لازمة طالما كانت النتائج مضمونة بضمان تعقيد ودقة هذه التقنية

بالمقارنة بتقنية الأمس.

7 - وفقاً لتعريف الخارق للعادة Paranormal فان ظواهر الشفاء غير التقليدي للإضرار المتعمد إحداثه في الجسم هي كذلك، وحسب تعريف غير المألوف Anomalous فهي أيضاً كذلك، ثم انها تمثل أيضاً ظواهر تأثير الوعي على العالم الفيزيائي Consciousness Over Matter، وهل من أدل على هذا من قيام إنسان باحداث اضرار متعمد في جسم إنسان آخر من دون وساطة الإيحاء أو التنويم ثم يقوم هذا الآخر باظهار شفاء خارق ذاتي لهذا الإضرار Instantaneous Self-healing؟! وهكذا فان كل الصفات والمواصفات المميزة للظواهر التي يتجنب عادة العلمُ التقليدي دراستها ويفضل الإبتعاد عنها، والتي تتوفر في ظواهر الشفاء غير التقليدي للإضرار المتعمد إحداثه في الجسم، تستدعي أن تبادر المناهجُ المتخصصة بدراسة أي من هذه الظواهر التي هذه هي صفاتها ومواصفاتها إلى دراستها. إن الوقت قد آن للبدء بدراسة هذه الظواهر التي تتميز بجميع ما تتميز به غيرها من الظواهر الغريبة فضلاً عن حيازتها لميزات تتفرد بها عن باقي غيرها من الظواهر.

8 - ان كل المراكز المهتمة بدراسة الظواهر التي لم تصنف بعد وفقاً لمعايير العلم الاصولي القياسي Standard Orthodox Science مدعوة للمشاركة في ابداء ما بمقدورها تقديمه من آراء وخبرات وجهود بحثية وذلك اسوة مع مراكز العلم التقليدي التي عليها أن تقوم بدراسة هذه الظواهر دراسةً تقليدية وفقاً لضوابط المنهج الأكاديمي المعمول به ضمن حدود العلم الحالي. كما أن تراكم نتائج جهود الخبرات القادمة من مختلف الإختصاصات العلمية لا يمكن أن يثمر ما هو مرجو ومأمول منه من غير المساندة، التي لامناص منها، والتي بمقدور مراكز العلم غير التقليدي Unconventional Science أن تقدمها عبر تناولها لهذه الظواهر بالدراسة المميزة لها والتي لا يستطيع العلم التقليدي القائم على أساس من الإختزاليةReductionism أن يقوم بها لفرط افتقاره، أساساً ومنهجاً وروحاً، إلى النظرة الشمولية Holistic والتي يتسم بها باحثو

مراكز العلم غير التقليدي.

9 - إذاً فطريقة التعامل غير التقليدي مع هذه الظواهر مطلوبة الآن من بعد أن تم، والى حد مُرضٍ، التعامل التقليدي معها بالصورة التي تبرهن وبما لا يقبل الشك العلمي الرصين أنها ظواهر لا تنتمي إلى المنظومة التصنيفية القائم على أساس منها علمُنا القياسي الحالي وانه بالتالي لا يمكن أن يقوم بتفسيرها وفقاً لموديلاته النظرية القائمة. وهذا يعني، ضمن ما يعنيه، ان المطلوب الآن هو:

أ- العمل على تغيير ضوابط التصنيف حتى ينشأ علم جديد أكثر اتساعاً في استيعابه الظواهر المستجدة.

ب- القيام بصياغة موديلات نظرية جديدة يكون بمقدورها تناول هذه الظواهر المستجدة بالتفسير والفهم العلميين قدرتَها على تفسير تلك الظواهر التي كان بمقدور العلم التقليدي تفسيرها.

10 - علينا اَلا ننسى ان هذه الظواهر تمثل خروجاً على مألوفٍ اعتدنا النظر إليه على انه المسار الطبيعي والمعتاد لردود أفعال الجسم تجاه الإضرار المتعمد اِحداثه فيه على شكل جروح من نزف وألم والتهاب وشفاء بطيء. وهي أيضاً توجه ضربة قاصمة للعلم التقليدي في مجال التفسير الطبي للظاهرة الإنسانية. إلا أن علينا اَلا ننسى أيضاً ان الظواهر المألوفة التي تناولها العلم التقليدي بالدراسة والبحث قد عملت على تطويره فارتقت به وجعلته يصل إلى حالة اسمى من الحالة التي كان عليها عند شروعه بدراستها!

11 - على الرغم من كون هذه الظواهر تتمتع، بانضباط عالٍ وخضوع مطلق، لكل ما يفرضه العلم التقليدي من ضوابط منهجية تنظم رد فعله تجاه ما يعرض له من ظواهر يُطلب منه أن يتعامل معها بما يجعل منه يستخلص منها ما يرفد المتراكم من حصيلة سابق تعامله مع ما سبقها من الظواهر والتي كان لها شرف الإسهام، إلى جانب الجهد الإنساني، في وصوله إلى حاله هذا الذي هو عليه، اِلا انها، مع كل هذا الإنضباط التام والخضوع المطلق لروح العلم، واللذين يتجليان بأبهى صورة في كون هذه الظواهر تكرارية وبلا قيد أو شرط

وطيِّعة بأيدي الباحثين إذ تسمح لهم باجراء ما شاؤوا من تجارب علمية مسيطر عليها Scientifically Controlled Experiments، فهي تتميز بمواصفات استثنائية جعلت منها بالتالي تنأى عن أن تكون ظواهر علمية تقليدية 100 % طالما جعلت من العصي على العلم النظري السائد استعمال مخزونه وأعتدته ليحل الألغاز التي بمستطاعها أن تتحداه، عن اقتدار مطلق، بها!

12 - اِن كون ظواهر الشفاء غير التقليدي للإضرار المتعمد إحداثه في الجسم قابلة لأن يتم استعراضها من قبل جميع البشر يستدعي، ضمن كثير مما يستدعي، الأخذ بنظر الإعتبار التساؤل حول السبب الذي جعل من الممكن للمنظومة البايولوجية للإنسان أن تُظهر هكذا قابليات. لماذا يكون بمقدور البشر اِظهار هذه المقدرات غير المألوفة؟ ولماذا لم يتم ترسيخها بالصورة التي تجعل منها هي رد الفعل الطبيعي تجاه المؤثرات التي بامكانها اِحداث جروح في الجسم بدلاً من رد الفعل المألوف طالما كانت هذه المقدرات من الصفات الكامنة التي هي موجودة لدى كل البشر على قدر تعلق الأمر بالقابلية على جعل الطاقة فائقة المجهرية، والتي تقف وراء حدوث هذه الظواهر الخارقة، تتجلى بالشكل الذي يُوصف على أنه شفاء خارق ومناعة فائقة؟

13 - اِن البحث عن العلة في وجود هذه الميكانيكية غير المألوفة والتي تجعل من الجسم البشري يُبدي هذا النمط من ردود الأفعال غير النمطية تجاه المؤثرات الخارجية التي بمقدورها اِحداث جروح فيه لَيطال المباحث التطورية لنشوء وارتقاء النوع الإنساني والتي يجب عليها الآن ان تقدم تفسيراتها بهذا الخصوص طالما كانت هذه الظواهر الخارقة مميزة للنوع الإنساني قاطبة وطالما كانت هذه المقدرة كامنة عند كل البشر وذلك، وذلك فقط، عند تعرضهم لطاقة من قبيل تلك الطاقات الفيزيائية غير المألوفة الواجب افتراضها لتفسير ما يحدث في هذه الظواهر.

14 - اِن الظواهر الخارقة التي تدرسها الباراسايكولوجيا الغربية والتي تصنف على انها قابلة للتفسير وفق موديل التنويم، مثلاً، هي بدءاً ذاتها بأمس

الحاجة إلى تفسير عميق لا يكتفي بسطحية التفسير بالتنويم. فكيف يريدنا بالتالي البعضُ أن نتوسل التنويم سبيلاً وحيداً لتفسير ظواهر الشفاء الخارق للإضرار المتعمد إحداثه في الجسم؟

15 - إن بعضاً من مباحث العلوم الحدودية Sciences Frontier من مثل الكهرومغناطيسية الحيوية Bioelectromagnetics ودراسات تأثير الوعي على المحيط والعلاجات الطبية المستجدة غير التقليدية Non-traditional Medicine تستطيع أن تفيد مما بمقدور ظواهر الشفاء غير التقليدي للإضرار المتعمد إحداثه في الجسم أن تقدمه من براهين تُرجح احتمالية كون هذه المباحث هي التي بمقدورها تقديم حلول انقاذ تنتشل العلم النظري الحالي من واقعه المتخم بالعجز عن استيعاب المستجد من الظواهر ضمن قوالب ميتافيزيقاه المؤنسنة والمتمركزة حوالي الإنسان وبالتخلف عن مواصلة إجراء الجديد من التجارب لإثراء حصيلته المعطياتية وبالتحجر داخلاً من صوامع نظريات خيالية لا علاقة لها بالطبيعة والإنسان ولا بالعلم الحق ذاته!

16 - إن هذه الدعوة هي ليست دعوة لدراسة ظواهر الشفاء غير التقليدي للإضرار المتعمد إحداثه في الجسم دراسة تجريبية فحسب وذلك لأنها دعوة للفكر الفلسفي أيضاً ليتناولها بدراسةٍ جادة تستوعب ما تثيره هذه الظواهر من زوايا معرفية ذات أبعاد ابستمولوجية متشعبة. كما أن الموديلات التفسيرية والنماذج النظرية مدعوة هي أيضاً لتفسير ميزات وخصائص هذه الظواهر؛ هذه الخصائص التي تستدعي منها تقديم ما بمقدوره أن يحتويها في منظومات تفسيرية جديدة من بعد العجز الذي تبدى في عدم قدرة المنظومات الفكرية السائدة على تفسيرها وفقاً للأُسس الميتافيزيقية التي ارتفعت عليها. إن الظاهرة الإنسانية تبقى عصية على الإصطياد المعرفي طالما كان هذا بعيداً كل البعد عن ملاحقتها مستعيناً بالمذهب التجريبي الإختباري الصارم ومؤيداً بنظرية معرفة غير تقليدية تعرف قدْر التنظير فتقف به عند حد لا تسمح له بتجاوزه طالما كانت الظواهر المدروسة والتجارب المُجراة في وادٍ والمقدرة على استيعابها فهماً

وتفسيراً في واد آخر! فليس هنالك أي عذر أو مبرر للإمتناع عن اللحاق بالظاهرة الإنسانية في أيٍ مجال من مجالات تجليها وانبثاقها، وهي النبع الفوار المتفجر حيوية وتجدداً، خصوصاً وأن واحداً من هذه المجالات التي تتجلى فيها الظاهرة الإنسانية بهذا الشكل المستفز لأركان المعرفة الجارية إثرها، قد عرض لنا، في هذه الفعاليات الخارقة، وأصبح بذلك لِزاماً علينا أن نتعمق فيه بكل وسيلة ممكنة من وسائل الملاحقة العلمية حتى نواكب جريها الذي يبدو اننا قد تخلفنا عنه كثيراً. اننا لنذكر جيداً أن فيزياء اليوم، بكل تعقيداتها النظرية وتطبيقاتها التقنية، ما كانت لتولد لو لم يبادر نيوتن إلى ملاحقة التفاحة التي سقطت إلى جانبه بكل ما لديه من قوة منطق ورجاحة عقل! لنأمل ألا تكون التفاحة هذه المرة قد سقطت بعيداً عنا وألا نستمر في الإبتعاد عن ملاحقتها! إن ظواهر الشفاء غير التقليدي للإضرار المتعمد إحداثه في الجسم هي كالنفط الخام الذي تستطيع التقنية المعقدة استخراج قائمة طويلة جداً من البتروكيمياويات منه لتجعل من هذا الشيء الأسود اللزج ينتج كل ما هو ضروري لحياتنا التكنولوجية المعقدة.

17 - اِن ظواهر المناعة غير المألوفة هي ظواهر لا تخص ثقافة بعينها دون غيرها من الثقافات وهي ليست قصراً على مجتمع معين ولا ملكاً لشعب دون آخر. يشهد بذلك أنها تُمارس من قِبل اليوغا بمدارسها المختلفة في الهند واليابان والصين والفليبين وكذلك يقوم بممارستها الهنود الحمر وشامانات سيبريا وليس فقط الدراويش. كما أن ظواهر الشفاء غير التقليدي للإضرار المتعمد إحداثه في الجسم لم يتم بحثها، تجريباً واختباراً ودراسةً ميدانية حقلية، بحيث كان هذا البحث مقتصراً بصورة خاصة على الدراويش فحسب؛ فهذه الظواهر وظواهر ردود الفعل الخارق والمناعة الفائقة هي ملك لكل فرد من أفراد النوع الإنساني شريطةَ تعرضه لطاقة من قبيل تلك الطاقات فائقة المجهرية بقيام هذا الفرد بالسير على الطريق الذي وضحت الطريقة ضوابط المسير عليه أو باتباعه لأي من تلك الدروب الشاقة الشائكة التي لا تصل بمن يرتضي لنفسه أن يخوض في متاهاتها إلا إلى ظلام أشد حلكة من الظلمة التي غادرها بخوضه المجهول هذا!

18 - اِن خصائص هذه الظواهر تجعل منها مخالفة لتلك التي تشكل بسببٍ منها علم الطب الحالي (التقليدي) منذ أن أخذ بدراستها وهي بالتالي تمثل ظواهر لا يستطيع هذا الطب أن يقوم بتفسيرها أو هضمها أو تمثيلها Assimilation داخلاً من بُنيته المعرفية طالما استعصت على الدخول في ضيق قوالبه المُنتقية للنمط المميز للظواهر الطبية التي يريد دراستها وطالما عجزت نظرياته وموديلاته عن احتوائها في شباكها التي وقع في ظن ناسجيها ان بمقدرها اصطياد كل ما في بحر الوجود من ظواهر طبية تفسيراً وعقلنة!! كما ان عجز منظومة المعلومات الطبية الحالية عن احتواء هذه الظواهر عقلنةً وتفسيراً لا يعني نجاح غيرها من المنظومات المعرفية المنافِسة في احتوائها ضمن أنسجتها وشباكها طالما كانت هذه المنظومات المنافِسة زائفة التميز عن المنظومة التقليدية. ويبرهن على ذلك عجزُ الإيحاء والتنويم عن تقديم البديل التفسيري المنشود.

إن الطب التقليدي يجب أن يكون صاحب الكلمة الوحيدة طالما كان بامكانه أن ينجح في علاج ما ليس بمستعصٍ عليه من أمراض، كما ان طرائق الطب غير التقليدي يجب أن تُدرس لا على انها بدائل بامكانها أن تحل محل الطب التقليدي بل على أنها ظواهر غير مألوفة تستحق أن يتم تناولها بالدراسة من قبل علم طب جديد يعترف بالعلم الحالي ظواهر وتجارب ومناهج بحث ويتجاوزه روحاً وأساساً ميتافيزيقياً. لذا فان أنسب وصف لعلم الطب الجديد هذا هو أن يكون طباً ثورياً Revolutionary Medicine. وبمقدور الباراسايكولوجيا الجديدة (علم الخوارق الجديد) أن تقدم للطب الثوري نموذجاً تجريبياً اختبارياً ناجحاً يستطيع من بعد دراسته دراسة منهجية أكاديمية أن يخلص إلى الإستفادة مما بمقدور مفردات هذا النموذج أن ترفده به من ظواهر جديدة لم يسبق وأن تم تناولها بالبحث من قبل الطب التقليدي. وهذا النموذج هو الشفاء الخارق للجروح المتعمد اِحداثها في الجسم كما يستعرضها الدراويش. إن هذا النموذج يقدم ظواهره جاهزةً للإختبار والتجريب. وفيما يلي جانب يسير مما بوسع

ظاهرة الشفاء الخارق للجروح عند الدراويش ان تفيد به الطب الثوري، الوريث الشرعي الوحيد للطب التقليدي:

أ- توفر ظواهر الشفاء الخارق للإضرار المتعمد احداثه في الجسم فرصة لا تُعوض للجراحين وذلك لدراسة ميكانيكية شفاء الجروح المتعمد احداثها Healing Mechanism of Deliberately Caused Wounds في مناطق مختلفة من الجسم. إن هذه الجروح التي تلتئم من غيرما مداخلة جراحية هي حدث استثنائي لكل جراح وذلك لأن كل الجروح التي يتعامل معها الجراحون عادةً يُصار إلى اغلاقها خياطةً suture ولا تترك لتقوم بالإلتئام من ذاتها وحدها. وكل أبحاث ونتائج دراسات العلماء في مجال شفاء الجروح كانت متمركزة من حول هذا النوع من الجروح والتي يمكن تسميتها الجروح الجراحية surgical wounds وهي تلك التي يتم إحداثها بالتداخل الجراحي بغية القيام بعملية تستلزم هذا الإحداث أو التي يتم التدخل الجراحي من أجل علاجها وذلك إذا كانت حادثيةً Accident-Caused. وهذه الجروح يتم إغلاقها خياطةً وتترك لتندمل عبر ميكانيكية لم تُدرس بتعمق حتى الآن على الرغم من التقدم التقني الفائق الذي تتميز به العلوم الطبية المعاصرة.

ب- ان قيام الجراح بخياطة الجروح وإغلاقها يجعل من وصف عملية التئام الجروح على أنها شفاء للجروح Wound-healing غير دقيق علمياً وذلك لأن الجرح من بعد اغلاقه ليس هو الجرح من قبل اغلاقه! والحديث هنا عن شفاء الجرح يستدعي إلى الذهن صورة قيام الجرح بشفاء ذاتي Self-healing وهذا ما لا يحدث في الواقع! كما ان هذا النوع من الشفاء (الشفاء الذاتي) لا يحدث بصورة تتفق مع المعنى المفهوم عن الشفاء الذاتي إلا في تلك الظواهر الخارقة التي تندمل فيها الجروح من دون مداخلة جراحية وبسرعة فائقة كما هو حاصل في الشفاء الخارق للجروح المتعمد احداثها عند الدراويش. فهذه الجروح المتعمدة تتميز بكونها تُشفى ذاتياً وبصورة غير مفهومة على الإطلاق. إن ميكانيكية شفاء الجروح غير المتعمدة لم تُدرس من قبل الطب الحالي بشكل واف حتى يومنا

هذا. ولعل هذا أن يكون السبب الذي جعل من الطب التقليدي يحجم عن محاولة دراسة الشفاء الذاتي للجروح المتعمدة عند الدراويش!

ج- ان العلم الطبي الحالي لا يستطيع توفير فرصة مراقبة ودراسة شفاء الجروح بصورة تلقائية ذاتية دونما مداخلة جراحية وذلك لأنه لا يستطيع أن يخاطر فيترك هذه الجروح لتندمل وحدها من دون خياطة. إلا أنه يستطيع الاستفادة من ظواهر الشفاء الخارق للجروح عند الدراويش وذلك لأن هذه الجروح المتعمدة تُترك دائماً لتندمل وحدها ولا يُصار أبداً إلى الإستعانة بالمداخلة الجراحية لجعلها تشفى.

19 - وانطلاقاً مما تقدم ذكره فان الوقت قد أزف للقيام بصياغة الخطوط العامة والعريضة لعلم طب جديد (الطب الثَوري). وسيكون لظواهر الجسم البشري تحت تأثير الطاقات فائقة المجهرية Phenomena of Human Body Super Microscopic Energies Under the Influence of الدور الفاعل في دراسة كل ما له علاقة بالظواهر الطبية الإستثنائية Exceptional Medical Phenomena والظواهر الطبية غير المألوفة وذلك على قدر تعلق الأمر بما يحدث من تغيرات في الجسم البشري فيها. وسيتحمل العبء الأكبر في هذه الدراسة كل من كان مهتماً بالبحث العلمي الجاد في مضمار الظواهر الخارقة وكذلك المختصون بالبحث المنهجي الرصين في مجال الطب التكاملي Complementary Medicine والطب الشمولي Holistic Medicine وطب الطاقة Energy Medicine وغير ذلك من فروع هذه المعارف الطبية الجديدة التي أخذت مؤخراً تصب في محيط الطب غير التقليدي Unconventional Medicine. إن مدار هذه الدراسة العلمية المحايدة سيكون الجسم البشري وهو تحت تأثير مجالات الطاقة الخارقة (فائقة المجهرية) والتي تجعل منه يستعرض فعاليات غير اعتيادية تفوق ما هو معتاد ومألوف عند الغالبية العظمى من بني البشر. وان أبرز هذه الفعاليات الخارقة هي فعاليات الشفاء الخارق للجروح المتعمد احداثها في الجسم عند الدراويش

والتي تبرهن بما لا يقبل الشك أن الجسم البشري عند خضوعه لتأثير المجال الروحي خلال التجربة التصوفية يصبح بمقدوره استعراض ظواهر المناعة الفائقة Super Immunity أو رد الفعل الخارق Super Reaction تجاه الألم والجروح والنزف والإلتهابات والتمتع بالقابلية المكتسبة على الشفاء الخارق Super Exceptional Healing (الإستثنائي) للجروح المتعمد احداثها في الجسم. وسيكون هدف هذه الدراسة هو لفت أنظار علماء الأرض من كافة المجالات التخصصية إلى هذه الظواهر الطبية الخارقة وذلك ليصار إلى النظر اليها نظرة علمية موضوعية جادة تأخذ بعين الاعتبار الحاجة الإنسانية الماسة لكل ما يُسهم في دفع عجلة التقدم المعرفي في مجالات الطب الإنساني كافة خصوصاً ونحن نعيش في عالم اليوم الذي أتخمته الأمراض والأوبئة. وسيكون على طليعة البحث العلمي الرائد في مجال دراسات الظواهر الخارقة القيام بأبحاث منهجية وذلك بغية التوصل إلى نتائج عملية لصياغة المسار العلمي الذي يجب أن تتخذه الدراسات الأكاديمية والمؤسساتية والفردية لهذه الظواهر الخارقة التي لها العلاقة الوثقى بمجال حدوثها وتحققها (جسم الإنسان) وذلك على قدر تعلق الأمر بالمعرفة الطبية التجريبية التي تعي جيداً استحالة الولوغ في معرفة كنه وماهية المجالات الروحية (وغيرها من المجالات ذات الطاقة الخارقة) التي عند خضوع الإنسان لها وتأثيرها عليه تأثيراً ايجابياً ستجعل منه يستعرض قابليات وفعاليات غير مألوفة عند باقي البشر.

وختاماً فان من الضروري التشديد على أن ما يجب علينا التمسك به منهجاً وحيداً لدراسة هذه الظواهر الخارقة هو الاكتفاء بما يعرض لأجهزتنا وحواسنا منها وذلك لأننا لا نطمح لسبر أغوار تلك المجالات التي يستعصي بداهةً على كل إنسان أمر دراستها دراسة علمية بسببٍ من لاإنتمائها لعالمنا الفيزيائي هذا. إن هذا الاتجاه الواقعي في دراسة الظواهر الخارقة إذا ما أسنده منهجٌ تجريبي اختباري سليم يستطيع أن يفيد من ظواهر الجسم البشري تحت تأثير المجالات ذات الطاقة الخارقة لخدمة العلم والإنسانية. كما ينبغي دوام تذكر أن أي جهد

فردي علمي مهما كان عظيماً لا يستطيع أن يأتي بالمرجو والمأمول بأقصر وقت وأقصى سرعة وأدق إنجاز وأن الجهد الفردي إذا ما أردفته وصبت معه في تظافر تنافسي شريف جهودٌ علمية من أفراد كثر آخرين فانه يستطيع بالنتيجة تقديم الأفضل لخدمة الحضارة. لذا فان علينا جميعاً القيام بكل ما شأنه لفت الأنظار إلى هذا الموضوع المهم وذلك حتى تبدأ مرحلة جديدة من مراحل المعرفة الإنسانية بدراسة هذه الخوارق وذلك على قدر تعلق الأمر بالجانب ذي الصلة بما هو متاح لنا الوقوع عليه منها. إن هذه الظواهر واعدة بحق وان حضارة جديدة بأكملها من الممكن أن تنشأ عنها.

ﬞ نقد العقل الفلسفي: قراءةٌ نقديةٌ بناءة ﬞ مسار إشكالية الفلسفة

اذا ما الفلسفةُ سُئلت أقادرةٌ هي على قول الحق وعاجزةٌ ﬞ الوقت نفسه عن قول ما سواه، هل تراها تُجيب الا بأنها هي الحق فلا قدرة لها على النطق بغيره؟! واذا ما أنت بادرتَ فقُمتَ بتعقُّب مباحثها الفلسفية، مبحثاً مبحثاً، هل تُراك واجدها الا خليطاً غيرَ متجانس أقاويلَ من جدالات شتّى؟ فلَكَ ان تقع على اباطيل اتُّخِذت حجر زاوية لبُنيانها المعرفي ولك ايضاً ان تعثر على حقٍّ متناثر هنا وهناك! الا ان ما لا يمكنك الافلات من الوقوع عليه، وانت ﬞ خِضَم البحث عن الحقيقة ﬞ حومة الفلسفة وعقر دارها، هو هذا التناقض البيّن الذي يطحن بفكّيه مفردات المباحث الفلسفية فلا يتركها الا كهشيم المُحتضَر. فلكأنك تنظر الى الشيء ونقيضه ﬞ آن فلا تملك ان تعرف على وجه اليقين أيُّهما حق وأيُّهما باطل! ولعلك ان تظن ان هذا هو كل ما تُمكِّنك رحلتُك ﬞ عالَم الفلسفة من الوقوع عليه من اوهامها المتلفِّعة بحقٍّ قليل! الا انك واهمٌ اذ تظن بالفلسفة المقدرة على جعْل المتمعِّن فيها عاجزاً عن ابصار هذا التحاذق المميز لها والذي يجعل منها تُفاخر بأنها الحق الذي ليس سواه الا الباطل! كما وانك تُخطيء اذ تُبادر الى الانصراف، بصرْفها لك، وانت عاجزٌ عن غير السماع لها تصديقاً لخَبالها المُبين. فلَكَ كل الحق ان تطالبها ان تعود عن غيّها الذي خُيِّل اليها معه انها حقاً صِنو الحق وهويته التي لا يُعرف الا بها! فالفلسفة كيان ميتافيزيقي لا وجود له الا ﬞ أذهان مَن لا قدرة له الا على النظر الى الباطل على انه الحق! والا فهل لها ان تدفع عنها هذا الاتهام القائم على برهانٍ بيِّن الوضوح؟! فليس هنالك من فلسفة بل هي فلسفات يُناقض بعضها بعضاً ﬞ تنافس غير شريف على انتزاع الإعجاب الغوغائي وفرض الوصاية المطلقة على الحقيقة بعيداً عن التحلّي بخُلُق الباحث الصادق عنها؛ تلك الخُلُق التي توجب على كل مَن انشغل

بالبحث عن الحق ضرورة التخلّي عن كل ما يتميّز به معظمُنا من وَلَهٍ مَرضي بالتكاثر والتفاخر! فليس هنالك اذاً من فلسفةٍ واحدة بل هي فلسفات متعددة متصارعة! فكيف اذاً نقول بوجود فلسفةٍ واحدةٍ، إن لم يكن هذا الوجود قائماً بالفعل، بشهادة هذا التعدد الفلسفي مذاهب شتّى؟! ان كل مذهب فلسفي يظن بغيره انه لا يقول الا الباطل ويتوهّم نفسه عاجزاً عن قول ما هو ليس بحق! فهل نُصدِّق هذه "الفلسفة" ام تلك؟ ولم أُفضِّل هذه على تلك وكلاهما في التفاخر الاجوف سواء؟! فكل فلسفة تأتّى للانسان نظْمُها تدّعي انها بوابة الحقيقة فلا وصول اليها الا من خلالها! اذاً فليس هنالك من "مسمّى" بوسعه ان يدافع عن الفلسفة فيرُد عنها "تهمة" الادّعاء الكاذب هذه وذلك بتقديمه البرهان على ان لها وجوداً حقيقياً خارج اذهان الناطقين بلسانها الفتّان! فأن تكون هناك معارف وعلوم عديدة لا يُحتِّم ضرورة ان يكون هناك العديد من الفلسفات وذلك طالما كانت هذه العلوم لا تتنافس على الحقيقة تنافُسَ هذه الفلسفات بادّعاء واحدتها انها الحق وما عداها الباطل! فعلم الطب لا يتنافس مع علم الفيزياء وعلمَ الجيولوجيا لا ينافسه علمُ النفس! فمادة كل علم من هذه العلوم تُمثِّل جانباً من الحقيقة لا كل الحقيقة كما تدّعي أيّةُ فلسفة انها تُمثِّلها كاملةً دونما نقص! لذا فلا صحة للزعم القائل بأن مشروعية "التعددية الفلسفية" قائمةٌ على ذات الاساس الذي استقامت عليه العلوم في تعدُّديّتها! فالعلوم متعددة بتعدُّد جوانب الوجود التي اختُصَّ كلٌّ منها بجانب مُحدَّد منه فلا يتعداه تطاولاً على حُرمة جانب آخر اختُص به علم آخر غيره، بينما تعدّدت الفلسفاتُ بتعدُّد الفلاسفة الذين خُيِّل لواحدهم انه لا قدرة له على تناول جوانب مُحدَّدة من الوجود يعجز معها عن تناول جوانب اخرى ما كان له ان ينجح في تناولها الا بعجْزه عن تناول سواها! ان الحقيقة التي يبحث عنها كل علم من العلوم المتعدّدة هي غير الحقيقة التي تزعم كل فلسفة انها الوصيّة الوحيدة عليها! فحقيقة الظواهر التي يدرسها علم الكيمياء ليس لها ان تستبعد حقيقة الظواهر التي يدرسها اي علم آخر فتصدر حكماً بشأنها انها كلها جميعاً لا وجود لها! بينما لا تقوم اية فلسفة الا على اساسٍ

من استبعاد غيرها من الفلسفات المنافسة لها في الوصاية المطلقة على الحقيقة؛ هذه الحقيقة التي توهّمت كل فلسفة من هذه الفلسفات انها مُلك يمينها هي بالذات، وعلى وجه التحديد، دون غيرها من الفلسفات! وقد يتوهّم البعض ان هذا الإطلاق المميّز للفلسفة قد تأتّى لها بسبب من انطلاقها من خط شروعٍ آخر غير ذاك الذي انطلق منه العلم. فالعلم علومٌ لا محالة ما دام لا قدرة له على استيعاب الحقيقة الا مُجزَّأةً فتاتاً يتناسب والصفات التشريحية لبُنيته المعرفية. بينما تستوعب الفلسفة، اية فلسفة، الحقيقة، كل الحقيقة، كاملةً غير مُجزَّأة مادام بوسعها ان تفيد من الخصائص التكوينية لبُنيتها في التهامها مضْغاً وبلْعاً وهضْماً وتمْثيلاً! الا ان هذا لا يُجوِّز للفلسفة ان تكون فلسفاتٍ انْ كان له ان يُجوِّز لها تطاولها على الحقيقة ادِّعاءً بوصايةٍ مطلقة لأية فلسفةٍ منها عليها!! فالعلوم كلّها لا يستبعد واحدُها الآخر استبعادَ الفلسفات واحدتها الاخرى! والعلوم جميعاً تتآزر على الواقع وتتشارك معرفياً في دراسته دونما وصايةٍ من قِبل اي علم منها على ما يحدث في هذا الواقع استبعاداً للعلوم الاخرى و"عملَقةً" لمفرداته الواقعية التي لا قدرة لهذا العلم على التعامل المعرفي الصائب مع غيرها تُجوِّز له توهُّمَ هذه المفردات بأنها الواقع كل الواقع! لذا كانت الباراسايكولوجيا ("العلم" الذي يدّعي الوصاية المطلقة على "الظواهر الخارقة" في هذا الوجود) فلسفةً لا علماً! فمادام هذا "العلم" يدّعي انه وحده المخوَّل بالحديث عن حقيقة ما يحدث في الظواهر التي يدرسها، فلا موجب لاستدعاء علم آخر غيره، ومادام هذا "العلم" لا قيام له الا باستبعاد "كل العلوم الاخرى"، فليس للباراسايكولوجيا الا ان تكون فلسفةً كأيٍّ من غيرها من الفلسفات المتنافسة على الحقيقة تنافُسَ البشر على ملكوت السموات! ولذلك كان كل "عالم" يتجاوز الحدود التي يفرضها على عقله العلمي العلمُ الذي تخصص به فيلسوفاً لا عالِماً طالما لم يَرْعَ حدود العلم بتجاوزه حقل اختصاصه العلمي تعدياً على حقول اختصاص اخرى تفسيراً لما يحدث في ظواهرها استناداً للمنظومة المعلوماتية للعلم المتخصِّص به. فالفيزيائي عالمٌ مادام لا يتطاول على حقل اختصاص الكيميائي تهميشاً للظواهر التي تحدث

فيه يُرجعها بموجبه لمجرد حوادث فيزيائية فحسب! و"البايولوجي" فيلسوفٌ اذا ما هو تطاول على حقول اختصاص "غيره من العلماء" استبعاداً لظواهرها خُيِّل اليه معه اَلاّ وجود لها الا كتجليات للظواهر البايولوجية التي تخصَّص بدراستها! ان العالم الحق هو ذاك الذي يحترم حقول اختصاص غيره من العلماء بعدم تهميشه للظواهر التي تحدث فيها يُرجعها بموجبه لمجرد تجلّيات للظواهر التي يدرسها علمُه وبعدم قيامه باستبعاد المنظومات المعلوماتية للعلوم الاخرى خارج البُنية المعرفية للعلم بعلومه مجتمعةً. فكل علم من هذه العلوم له الحق، كل الحق، في إبداء الرأي بشأن ما يحدث في هذا الوجود وذلك على قدْر تعلّق حوادث الوجود بمنظومته المعلوماتية هو على وجه التحديد. ان النظرة المعرفية الصائبة للوجود تتطلّب، فيما تتطلّب، الاستعانة بكل العلوم التي تسنّى للانسان نظْمُها من مادة هذا الواقع. لذا فليس للفلسفة من دور تؤدّيه إسهاماً في جعْل هذه النظرة الى الوجود اكثر حِدَّةً، وبالتالي اعظم قدرة على الاحاطة المعرفية الصائبة بما يحدث فيه، الا بتنازلها، باديء الامر، عن خُيَّلائها وخيالاتها وخَبالاتها؛ هذه الآفات التي جعلت منها تتوهّم لنفسها "وجوداً حقيقياً" فرضته على الوجود الحقيقي فانشغلت بالنظر اليه على انه الحق الذي ليس خلافه الا الباطل! فاذا كانت الفلسفةُ فلسفاتٍ، لا كما العلوم ولكن كما هو حقيقٌ على الفكر ان يكونه مادام بشرياً لا قدرة له على الاحاطة المطلقة بالحقيقة مهما حاول وتطاول، فان تواجُدَها داخل البُنية المعرفية للعلم، مادام يستحيل عليها ان تتواجد خارج هذه البُنية الا تواجُدَ الباطل مع الباطل، يُحتِّم عليها ضرورة اعادة النظر بالكثير من مرتكزاتها؛ وعلى رأس هذه المرتكزات انها هي فقط مَن يملك مفتاح الحقيقة وان كل فلسفة منها هي مالكة المفتاح هذا!

لِنقُم بلملمةٍ ما تناثر من "قشٍّ فلسفي" جرّاء تسييرنا لعربة الفلسفة على طريق الحق! فأولى القشات التي نجحنا في الامساك بها هي ما تتميّز به "الفلسفة" من هَوَس مقيت بادِّعاء مُلكية ما لا تملكه حقاً. ولقد تلمّسنا هذا جلياً عندما سمعنا جعجعة تطاحن الفلسفات فيما بينها تصارُعاً على كمٍّ قليل

من ظواهر الوجود تعاهدت مباحثُها الفلسفية كلّها جميعاً على النظر اليه على انه الوجود كل الوجود! فالفلسفة تقول بأنها الحقيقة لا أقل ولا أكثر! تقول الفلسفة ذلك وهي لا تعي انها لم تقُم باستيعاب الوجود بظواهره قاطبةً، وتقول ذلك وهي تدرك جيداً ان كل فلسفة، من فلسفاتها، لا قيام لها الا باستبعاد باقي الفلسفات كلها جميعاً! والآن هل من "خطاب فلسفي جديد" يستوعب الفلسفات هذه استيعاباً معرفياً صائباً يطَّرِح اباطيلها الكثيرة جداً ويستبقي حقائقها القليلة للغاية؟ وما هي السمات الرئيسة المُميِّزة لمفردات هذا الخطاب الفلسفي الجديد؟ فاذا كانت الفلسفة، كما تتجلّى فلسفات يصعب حصرُها عداً واحصاءً، مجرد ادّعاء اجوف بأنها الحقيقة فهل من "فلسفة جديدة" تكون "حقيقية" هذه المرة وذلك بانطلاقها من خط شروع جديد، بالتمام والكلية، يجعل منها تعي على الدوام انها، اولاً وقبل كل شيء، لا أكثر من مجرد مشروع بحث عن الحقيقة "لا الحقيقة"؟ ان ما بين ايدينا من فلسفات لا تملك واحدتُها ما يجعل لها هي بالذات الوصاية المطلقة على الحقيقة وذلك كما يحلو لها ان تتوهّم وتتخيَّل! لذلك كان على الفلسفة الجديدة ألاّ تطرح نفسها منذ البداية على انها الوريث الشرعي للفلسفات القائمة وذلك على قدْر تعلّق الامر بهذه الوصاية الزائفة! فالفلسفة الحقيقية تكتسب مشروعيتها بتعلُّقها الصادق بخط الشروع الذي انطلقت منه فلسفةً تبحث عن الحقيقة وتعي انها شيءٌ والحقيقة شيءٌ مادامت كلتاهما تنتميان لعالَمين مختلفين فلا مَحْق لهوية الواحدة منهما على حساب الاخرى ولا فناء لواحدتهما في الاخرى! ان الفلسفة الجديدة بشريةٌ لا محالة وانْ كان عليها ان تُقِرَّ بأن تميُّزها الحقيقي عن الفلسفات السائدة رهنٌ بتعلُّقها بعالَم الحقيقة؛ هذا العالم اللابشري بالضرورة. فالفلسفة الجديدة بشريةٌ بمادتها المعرفية التي نظَمَها العقلُ الانساني. الا ان بشريتها هذه لا تُلزِمها بوجوب الانكفاء المَرَضي على عالَم الانسان فلا تغادره ابداً! فاذا كان حقيقاً على "الفلسفة" أن تُلازمها مشاكلُها فلا تستطيع التخلُّص منها بمفردها فان التعلُّق بعالَم الحقيقة هو الحل الوحيد الذي يتوجّب عليها الالتزام به، ما استطاعت،

وذلك ليتسنى لها ان تُقدِّم حلولاً حقيقية ينتفي بها وجودُ اية مشكلة طالما لازمت الفكر الانساني حتى ما عادَ يُعرَف الا بها! ان هذا "المعراج" الى عالَم الحقيقة هو السبيل الوحيد كيما يكون بمقدور "الفلسفة" الارتقاء فوق مشاكلها توصُّلاً لحلها كلّها جميعاً مادامت هي لا ترضى بأن تكون مجرد موسوعة للمشاكل المعرفية التي يستعصي على الفكر الانساني حلّها! فالفلسفة الجديدة، واقعيةٌ-حقيقية وذلك مادامت بشريةً مشاكلُها المعرفية وحقيقةٌ هي الحلولُ الواجب عليها التطلُّع اليها. كما ان واقعية الفلسفة الجديدة قد تحتِّم على هذه الفلسفة ان تُقِرَ بها وذلك مادامت هي لا تشارك الفلسفات الحالية هوَسها بكل ما لا ينتمي للواقع، لا انتماءَه لعالم الحقيقة، من كينونات ميتافيزيقية عالَمُها لا وجود له واقعاً وحقيقةً! فهذا الواقع كفيلٌ بجعْل الفلسفة الجديدة "واقعية" اذا، واذا فقط، ما هي التزمت بالتعامل مع وقائعه بعيداً عن استقدام ما لا وجود له "فيه" أو "خارجه" للتعليل لما يحدث في هذه الوقائع تعليلاً يُطالِب الجميعَ باتِّخاذه الوصف الحقيقي لهذا الذي يحدث فيها. ان التعامل الواقعي هذا مع الواقع يجعل من المُحتَّم على الفلسفة الجديدة ان تُبقي على كل ما هو واقعيٌّ، لا ريب في انتمائه لهذا الواقع، في الفلسفات السائدة حالياً. فكل ما هو واقعيٌّ في هذه الفلسفات حقٌّ واجب الاخذ به دون قيدٍ او شرط مادامت لا تُخالطه شوائبٌ غير واقعية لا قيام لهذه الفلسفات الا بها! لذا فان "اِعادة كتابة تاريخ الفلسفة" سوف تكفل لنا القيام بمراجعة نقدية نتفحَّص بها كل الفلسفات التي تأتّى للفكر البشري ان يقوم بصياغتها من مادة هذا الواقع ومن نسْج الخيال الانساني؛ هذا الخيال المريض الذي ابداً لن يكون من اليسير على الانسان ان يُصدِّق بأن الحقيقة اصدقُ منه واغرب!! وبذلك سوف نتمكّن من الوقوع على كل ما هو صائبٌ في هذه الفلسفات لفرْط واقعيّته انقطاعَ صلة بكل ما له علاقة بما هو ليس بواقعي لتحقُّق انتمائه لعالَم الخيال الانساني! كما انً مراجعةً نقدية كهذه سوف تتكفّل بجعْلنا نتعرَّف الى "الخَيال الانساني المُنظَّم" في اقصى درجات تجلِّيه خرافاتٍ معاصرة لا تقل خطلاً وزيفاً عن اساطير الانسانية في ماضيها البعيد.

ان الفلسفة الجديدة واقعيةٌ بهذا الحرص منها على الاّ تستبقي من المادة المعرفية للفلسفات التي بين ايدينا الا ما يشهد له الواقعُ بتحقُّق انتسابه اليه وبانقطاع صلته بما لا وجود حقيقياً له فيه او خارجه. كما ان الفلسفة الجديدة حقيقيةٌ بحرصها، الحرص كله، على ان تستعين بعالَم الحقيقة حلاً للمشاكل الفلسفية التي جاءت هذه الفلسفة الواقعية-الحقيقية بالطريق الامثل للتعامل المعرفي الصائب معها تعريفاً دقيقاً لهذه المشاكل وتعرُّفاً صحيحاً الى السبيل الاوحد للتخلُّص منها الآن والى الابد! لذا فان فرار الفلسفة الجديدة الى عالم الحقيقة استنجاداً به لا يتعارض والضوابط الفلسفية التي انطلقت ملتزمةً بها من خط شروع فلسفي جديد تكفَّل بجعْلها لا تستعين بالباطل في تعاملها المعرفي مع الوقائع وذلكً طالما لم يكن هناك من حقائق بوسعها ان تُعينها على هذا الواقع فهماً صائباً لما بامكانها الوقوع عليه منه الا تلك التي بمقدورها ان تحصُل عليها بهذه النجدة من عالم الحقيقة لها وبكل ما من شأنه ان يُوسِّع من آفاق رؤيتها من "وقائع" ما كان لها ان تحظى بشرف التعرُّف اليها لولا صادق استنجادها بهذا العالم. ان خط الشروع هذا سوف يكفل للفلسفة الجديدة التعرُّض المعرفي لهذه "الوقائع الجديدة" التي لابد من تجلّيها العجائبي لكل من سار على الطريق الى عالم الحقيقة. ولكن ماذا بشأن ما بين ايدينا من ظواهر خارقة للنظام المعرفي الذي تأتّى للانسان تشييده تأويلاً لجانبٍ من الوجود، اقتطعه على انه الوجود كله، بمنظومته العقلية التي لم تنظر الى الخارج بنورٍ خارجي لا رؤية صائبة ممكنة بدونه ولكن بما خُيِّل الى هذه المنظومة انه نور وهو ليس الا ظُلمات مادام موقعها قد استقر داخل العقل الانساني العاجز عن إبصارٍ ذاتي لما هو خارج عنه في الغالب الأعم! فكيف تعاملت "الفلسفة"، الانسانية مادام صانعُها هو هذا الانسان الحاذق الأريب، مع الظواهر الخارقة هذه؟ ان ما سوف يتجلّى واضحاً امام انظارنا جرّاء استعراضنا العاجل لاسلوب هذا التعامل كفيلٌ بجعْلنا نزداد ايماناً بوجوب القيام بصياغة فلسفة جديدة؛ حقيقيةً هذه المرة ومن قبل هذا واقعية! لقد قامت الفلسفة باستبعادٍ هذه الظواهر خارج مدى النظر

الفلسفي لا لشيء الا لأنها تتعارض والاسس التي جاءت بها هذه الفلسفة من خارج الواقع، مما ليس بمنتم اليه، تأويلاً لحوادثه وظواهره اقنعها بأنه الحق الذي لا حق سواه! فبسبب من نُدرة "الظواهر الخارقة"، وقوعاً وحدوثاً، بالمقارنة مع تلك الظواهر التي انتُخِبت، بسببٍ من شيوع حدوثها ودوام وقوعها، مادةً اولية وحيدة لِنظْم المباحث المعرفية للمنظومة العقلية للفكر البشري قامت الفلسفةُ بصياغة خطابها المعرفي وكلّها ثقة بأن الوجود، الذي استُقدِمت لِتأمُّله فهماً وفقهاً لما يحدث فيه، هو لا أكثر من مجموع ظواهره التي ليس لها من قدرةٍ على خرْق الاسس الثابتة لهذه المنظومة! ولقد عادَ هذا الانتخاب الاخرق على الفلسفة بمصائب معرفية شأنها في ذلك شأن غيرها من المنظومات المعرفية التي لم تنظر الى الوجود بعينٍ تراه كما خُلِق الانسان ليراه ولكن كما حدَّدت له ما ينبغي له ان يراه منه وما يتوجَّب عليه الاّ يراه منظومتُه العقلية هذه! فبدلاً من ان يكون الخطاب الفلسفي مستوعباً الوجود كل الوجود، كما يتجلّى للانسان بظواهره كلها جميعاً، اقتصر هذا الخطاب على وجودٍ وهمي تمّت حياكتُه نسْجاً لمفرداتٍ واقعية اجتُزَّت من الوجود على انها كل ما هنالك من ظواهر تحدث بالفعل وليس توهّماً وتخيُّلاً! ولكن هذا بعيد عن الحقيقة بُعده عن الواقع! فالوجود غنيٌّ بـ "ظواهر اخرى" تحدث ولو بصورة تجعل منها أقل حظاً من غيرها من الظواهر، الاوفر حظاً، في اجتذاب اهتمام الانسان بها. الا ان هذا لا يُسوِّغ للإعراض عنها والتصرُّف حيالها كما لو انها ليست بذات وجود وذلك كما يفعل الانسان بعقله العاجز عن رؤية الحقيقة عجْزَه عن رؤية الواقع لفرْط انبهاره بالنظر الى كل ما هو ليس بواقعي أو حقيقي! فالوجود موجودٌ قبل الانسان، وهذه حقيقةٌ كان عليه ان يعيها حق الوعي قبل ان يُسارع الى تهميش احداث الوجود تجزئةً وتقطيعاً خُيِّل اليه معهما اَلاّ وجود هناك الا لما قام عقلُه باجتثاثه من ميت جسد هذا الوجود! ان الوجود حيٌّ بأحداثه وظواهره، وهو ابداً لن يكون كما يأمل هذا العقل المفاخر بقدرته الفذّة على خلْق ما لا وجود له مما هو موجود بحق. لقد كان حرياً بالفلسفة ان تكون اداة تذكيرٍ للانسان بوجوب إقفائه عودةً ورجعة الى

الوجود من متاهات الوهم الا انها، عوض ذلك، زيّنت له سيء عمله ليراه حسناً بعينٍ عاجزة عن النظر الى الواقع كما هو عليه حقاً؛ واقعاً حافلاً بكل ما هو واقعيٍّ لتحقُّق انتمائه اليه. فبدل ان تقوم بكل ما من شأنه ان يكفل للعقل الانساني الصحوة والافاقة من هذا الحلم، قامت الفلسفةُ بمشاركته هذا الغي بجعْله يُمعن في الإعراض عن ظواهر الوجود الاقل حظاً في الحدوث وذلك بتقديمها له نظريات فلسفية سوَّغت لهذا التجاهل وشيّدت له على اساسٍ راسخ من وجوب الالتزام بما يقوله العقلُ بشأن الوجود المزعوم لهذه الظواهر! فكيفَ توجد هذه الظواهر حقاً اذا ما كانت تصطدم، وبكل قوة، مع الثوابت المرجعية لهذا العقل؟! لكأن العقل يسبق الوجود فلا وجود الا كما يحلو لهذا العقل ان يتوهّمه! على اي حال فلقد اقامت الفلسفة، بفلسفاتها المتعددة، صرْحَها الشاهق، استعلاءً على الحق وتعالياً على الحقيقة، على واقعٍ بديل لهذا الواقع ومن حجارة لا وجود لها ضمن مفرداته الواقعية. والا فلماذا انكرت الحق، وهو بيّنٌ جلي، فقالت بلاوجود ما هو موجود وبوجود ما ليس له وجود؟! لقد نسجت الفلسفةُ مباحثها من مادةٍ غير واقعية، فكيف نُصدِّق معها بالتالي ما تريدنا ان نشاركها ايمانها الغيبي به فنؤمن معها بأنه حقٌّ لا مراء فيه؟! ان هذا لهو شرُّ الضلال وأسوأ الخَبال. لقد قام الفكر الانساني بصياغة الخطاب الفلسفي ليُعينه على الوجود فقهاً لما يحدث فيه واِجابةً على اسئلة كثيرة تولّدت لديه جرّاء استفزاز موجوداته للأُسس المعرفية التي توارثتها الجماعةُ الانسانية على انها الضوابط المُنظِّمة لآلية هذا الفكر. فهل اعانه هذا الخطاب الفلسفي حقاً؟! وهل افاد الانسانُ من مفردات هذا الخطاب في إحكام قبضته المعرفية على الوجود احاطةً بكل ما بامكانه ان يدركه منه بحواسه وغيرها من وسائط الادراك غير التقليدي؟! فاذا كان الخطاب الفلسفي قائماً على اساسٍ من استبعاد ظواهر الوجود نادرة الحدوث وانتقاء ظواهره الاوفر حظاً في الحدوث، والاقتصار عليها بالتالي مادةً اولية وحيدة لصياغة مفرداته، فكيف، بربِّك، يكون بوسع هذا الخطاب ان يقول الحق بشأن ما يحدث في هذا الوجود؟! لقد استُقدمتِ الفلسفةُ لتجعل الوجود مفهوماً

من قِبل العقل الانساني فهل تحقَّق لهذا العقل بها غير فهْم ما ليس له وجود وذلك من بعد اطِّراح ما هو موجود بحق خارج اسواره؟! ان الوجود موجودٌ بظواهره نادرة الحدوث وشائعته، والعقل الانساني مُطالَبٌ، اذا ما هو اراد حقاً ان يفقه الوجود كما خُلِق ليفقهه وليس كما تريده الفلسفاتُ القائمة ان يفقهه، بوجوب النظر الى الوجود بهذا التنوّع الذي خُلِق به شاء الانسان ان يُقِرَّ بذلك ام ابى! فكيف تريدنا الفلسفة، بفلسفاتها هذه، ان نؤمن لها وهي لم تأخذ من الوجود الا جانباً منه توهّمته الوجود كله؟! وكيف لنا ان ننساق معها فنشاركها خَبالها الذي توهّمت معه انها قادرةٌ على اِسكان الوجود ما تشاء من "موجوداتها" قدرتَها على طرد ما تشاء من "موجوداته"؟! وكيف نُطالَب بوجوب الايمان بالفلسفة صنواً للحق وهويةً للحقيقة اذا ما عجزت الفلسفة عن استيعاب ما بامكان العقل الانساني استيعابه من ظواهر هذا الوجود نظراً لامتلائها بما ليس له وجود واقعي او حقيقي في هذا الوجود؟! ومَن قال بأن النتائج التي تمخَّضت عنها المباحثُ الفلسفية صحيحةٌ واِنْ ثبت لدينا انها لم تقُم لها قائمة الا على اساسٍ من استبعاد ظواهر الوجود الاقل حظاً في الحدوث؟! وكيف نأخذ بهذا الخرْص فنُصدِّق بأن الوجود، قفْراً من ظواهره النادرة وحِكراً على ظواهره الشائعة، وجودٌ حقيقي؟! وهل الوجود هو حقاً هذا الذي نسَجَه خيالُ الفلسفة وحاكه خبالُها من مادةٍ اجتُثَّت دون غيرها من مواده؟! فاذا كانت الفلسفة قد تعددت فلسفاتٍ كثيرةً وهي لمّا تنظر الى الوجود الا بعين العقل الانساني، الذي جعلها تراه خالياً من كل ما يتعارض واحكامه السابقة للرؤية، فكيف يُراد منا ان نُصدِّق بأن هذا التعدُّد لن يزداد كثرةً برجوع الفلسفة الى رُشدها برجوعها الى الوجود بظواهره كلها جميعاً؟! فاذا كانت الفلسفةُ فلسفاتٍ بالوجود كما خُيِّل اليها انه موجود واذا كانت مادة مباحثها الفلسفية قد تم نظْمُها ونسْجُها من ظواهر هذا الوجود الاوفر حظاً في الحدوث، فكيف لا تكون الفلسفة غير هذه الفلسفات السائدة حالياً وذلك بإعادة النظْم والنسْج حتى يكون لكل ظواهر الوجود، كما بامكاننا ان نقع عليها وما كان بوسعنا ذلك، حظٌ في البنيان الفلسفي

الجديد؟! لقد كانت الفلسفة لتنشأ وتتنوّع غير ما بين ايدينا من فلسفات لو انها لم تستبعد هذه وتلك من ظواهر الوجود. وكان ذلك ليجعل منها بحق صنو الحق وهوية الحقيقة مادام قيامها بعدم استبعاد اية ظاهرة بامكان العقل الانساني استيعابها داخلاً من المادة البايولوجية لدماغه يتطلّب ضرورة التزامها بضوابط معرفية جديدة توجب عليها الانطلاق من خط شروعٍ معرفي جديد لا محالة! فالفلسفة شأنٌ انساني مرتبطٌ بهذا العقل البشري العاجز عن التقيُّد بالموضوعية الحقة الا قليلاً! والفلسفة، لذلك، عاجزةٌ عن ان تكون بعيدةً، البُعد كله، عن الاتصاف بما ميّزها، منذ اول نشأتها وحتى استقرارها اليوم فلسفات عديدة، من قيام على اساسٍ متين من الابتعاد عن الواقع تطلُّعاً لما يتعالى عليه يُخيَّل اليها معه انهً وسيلتها الوحيدة للوصول الى الحقيقة المتجاوزة لهذا الواقع حقاً وضرورة! لذلك فان الفلسفة الجديدة لا قيام لها الا بالانطلاق من خط الشروع هذا. فهذا الخط الجديد سوف يجعل منها فلسفةً حقيقية من بعد ان جعل منها فلسفةً واقعية، من قبلُ، التزامُها بالواقع كما بامكان العقل ان يراه؛ خالياً من كل اضافات غير واقعية، وغير حقيقية بالتأكيد، ادخلتها عليه المنظومةُ العقلية للفكر البشري. ان الفلسفة الجديدة مُطالَبةٌ بإعادة النظر في النظرة الانسانية السائدة الى الوجود وذلك ليتسنى لها ان تنظر اليه بعينٍ جديدة، هذه المرة، تستوعبه بظواهره كلها جميعاً شائعها ونادرها دون تمييز. ان فلسفةً جديدة حقاً بانتظار الانسانية اذا ما هي بادرت، بدايةً، الى الإقرار بـ "لافلسفية" ما بين أيديها من فلسفات لم تلتزم الواقعَ وذلك فراراً منها الى ما ظنّته وسيلتها للحقيقة وهو في حقيقة الامر وسيلتها لكل ما هو غير حقيقي وغير واقعي في الوقت ذاته! ان هذا الإقرار سوف يكفل للانسانية ان تُعيد الاعتبار للكثير جداً من ظواهر الوجود التي اشبعتها الفلسفة، بفلسفاتها كلها جميعاً، اهمالاً وتجاهلاً وتشاغلاً عنها بالاوهام والاباطيل! عندها، وعندها فقط، سوف يكون بامكان الانسان ان يأمل بأن تُقدِّم له الفلسفة يد العون ليتسنّى له ان يفقه الوجود كما اراده الله ان يُفقه من قِبل مَن خلَقَ بشراً! ان الفلسفة اليوم، بفلسفاتها السائدة

المتعددة، مُطالَبة بإعادة بناء منظومتها المعرفية وبما يكفل لها ان تعود الى الوجود بظواهره كلها جميعاً دونما انتقاء لِطَيف من الظواهر على حساب طيف آخر! فحال الدنيا اليوم غير حالها بالامس! فاذا كان الفيلسوف عاجزاً فيما مضى عن التيقُّن من صحّة حدوث "الظواهر الخارقة" فانه اليوم قادرٌ على الاستيقان التام من ان هذه الظواهر تحدث حقاً. ان تقنية العصر تُتيحها فرصةً لا تُعوَّض ليكون للفلسفة حظٌ في عالَم اليوم؛ هذا العالم القائم على العلم الواقعي لا العلم الخيالي الذي يشارك الفلسفةَ هوَسها به العلمُ النظري المعاصر! فهل تراها تنتهز الفرصة هذه ام انها قد استحْلَت المكوث بعيداً عن النور لفرْط عجْزها عن الارتحال بعيداً عن ظُلمات الخَبال الانساني؟!

القسم الثاني

قراءة مؤمنة لكتاب الوجود

الميتافيزيقا التجريبية حقيقةُ الدين الالهي!

يعيب منتقدو الدين الإلهي على مَن آمن بهذا الدين ولم يرضَ بأن يشاركهم الخوض في ظلمات العبودية الصادقة للنفس وهواها انه ما آمن الا بمنظومة من الافكار الميتافيزيقية التي لا علاقة لها بهذا الواقع الملموس المنظور المحسوس! فهل يصمد هذا الانتقاد طويلاً امام من يضطره إلى الإفصاح عن الحقيقة الكامنة من وراء القول بعدم وجود الله؟! إن كل مَن يطالب المؤمن بوجود الله بالكف عن القول بأن الله موجود بحق، بحجة ان قوله هذا يتضمن مفردات ميتافيزيقية لا وجود واقعياً لها، عليه ان يعي بأنه لا يحق له مطالبة الغير بما لا يطالب به نفسَه! فالقول بعدم وجود الله لا يقل ميتافيزيقية عن القول بوجوده وذلك طالما كان قولُ الإنكار قد انطلق، لامحالة، من منظومة معرفية لا قيام لها الا على أساس من افتراض وجود كيانات ميتافيزيقية لا تقل "لاواقعية" عن الكيان الميتافيزيقي لله كما هو مَتضمن في قول الايمان! والآن لنحاول القيام بتلخيصٍ يوجز ابرز نقاط الضعف في القول المُنكِر لوجود الله والداعي في الوقت عينه للايمان بميتافيزيقا غير الهية سوف نرى بعد قليل ان شاء الله انها ميتافيزيقاٌ عاجزة عن مناجزة الميتافيزيقا التجريبية مُمثلةً بالدين الالهي كما شرعهُ الله منهاجاً لتنظيم علاقة الإنسان بخالقه. فالقول الميتافيزيقي المُنكِر لوجود الله يضطر وهو يواجَه بالتحدي الذي تُمثله الظواهر الخارقة للعادة إلى الإفصاح عن جوهره الميتافيزيقي الذي لا قيام له الا به. وهذا الإفصاح يتجلى واضحاً كل الوضوح في المنظومة الميتافيزيقية التي سوف يتوجب عليه القيام بصياغتها وذلك في محاولة منه لتأويل هذه الظواهر وبما لا يضطره للقول بأنه عاجزٌ عن استيعابها كما استوعب من قبلُ الظواهر غير الخارقة للعادة والتي هي الظواهر الاكثر شيوعاً في هذا الوجود. وحتى نكون اكثر قدرة على الاحاطة بما يتضمنه هذا القول المنكِر لوجود الله من ميتافيزيقا يعجز الواقعُ عن الانتصار لها، فاننا

سنقوم بالتعرض لواحدٍ من أكثر تنويعاته ايغالاً في الخَبال المُمعِن في خوضه في متاهات الضَلالة بعيداً عن الحق وضيائه وذلك بتفحصنا لما جاءنا به المحلل النفسي كارل غوستاف يونغ والذي يُعَد واحداً من أكثر الخائضين في المتاهات ابتعاداً عن الحق لفرط هيامه بالباطل وسجوده عند قدميه! ولكن ما الذي جاء به يونغ هذا بخصوص الظواهر الخارقة للعادة من قولٍ يطالبنا بالتخلي عن الله لنتعبد معه في محراب ميتافيزيقا بشرية كلها خَبالٌ وخَرْص هي الميتافيزيقا اليونغية المنكرة لوجود الله؟! يقول يونغ بأن الظواهر الخارقة للعادة تضطرنا للتنازل عن مفهومنا التقليدي للسببية؛ هذا المفهوم الذي تم لنا تشييده على اركان النظرة المألوفة للزمان والمكان. فمادام ليس هنالك، كما يتوهم عقلُ يونغ، من أساس مطلق للقول بوجود السببية فان مطالبتنا بضرورة توفر الطاقة كشرط أساس لحدوث الظاهرة الخارقة للعادة لا موجب لها مادامت هذه الظاهرة هي تجل لفعالية نفسية لا خضوع لها على الإطلاق لمبدأ السببية؛ هذا المبدأ الذي يتوهمه يونغ قانوناً لا يسري على النفس البشرية!

لذلك فلا موجب، كما يتوهم يونغ ومَن حذا حذوه من علماء، لاشتراط توفر الطاقة كيما يكون للظواهر الخارقة للعادة حظ في الحدوث على ارض هذا الواقع! لقد حاول يونغ بهذا الالتفاف الخائب، مناورةً بكلمات جوفاء لا معنى لها على الاطلاق، ان يُجرد الظاهرة الخارقة للعادة من عصب حياتها الذي لا حدوث لها دون سابق تواجده. فالظاهرة الخارقة للعادة ما خرجت على الإجماع الا بهذا الخضوع منها لطاقة غير منظورة بالعين وغير محسوسة بالاجهزة الكاشفة detecting devices. لذلك فان نفي ضرورة تواجد هكذا طاقة لولاها لما تسنى للظاهرة الخارقة للعادة ان تحدث ما هو الا ضربٌ من الدفاع الاخرق عن المنظومة المعرفية السائدة لئلا تضطرها هذه الظاهرة إلى الافصاح عن الضعف الكامن في صُلب بُنيتها النظرية؛ هذه البُنية القائمة على أساس واهٍ من افتراض ما لا وجود له للتعليل لما يحدث في ظواهر الوجود! إن اهم ما تتفردُ به الظواهر الخارقة للعادة هو انتماؤها لواقعَين وبما يجعل منها تنبت وتُزهِر على ارض هذا

الواقع بجذور تضرب عميقاً في ارض واقع آخر يتكفل بتزويدها بما تحتاجه من طاقة حتى تحدث. إلا أن الميتافيزيقا اليونغية، كا تُعبر عنها بكل حماقة نظريةُ يونغ النفسية، لم ترَ في الظاهرة الخارقة للعادة ما يُطالبها بضرورة مراجعة منطلقاتها النظرية بل وعلى العكس فانها ما رأت في هذه الظاهرة الا ما توهمته دليلاً يؤيد صواب ما ذهبت إليه من أن مبدأ السببية لا سلطة له على النفس الإنسانية! إذا فحتى يستقيم بنيان الميتافيزيقا اليونغية فاننا مطالَبون بوجوب التخلي عن واحدٍ من أعظم دعائم الوجود الا وهو قانون السببية؛ هذا القانون الذي لا نجد في هذا الوجود حادثةً واحدة لها ان تُعيننا على انكار مطلق هيمنته وتغلغله في نسيج احداثه! إذاً فهذه الميتافيزيقا لا تُزودنا بتفسيرات خاطئة للظواهر الخارقة للعادة فحسب ولكنها تدعونا، وبكل صفاقة وصلف، للتخلي عن واحد من أكثر مبادئ هذا الوجود اساسية وشامل تأثيرا! إلا أن يونغ وبطانته لما لم يروا في هذا كله ما من شأنه ان يزلزل اركان المعرفة البشرية راحوا يُمعنون في تقويض أركان هذا الواقع وهم يحاولون تفسير ما يتجلى في بعض الظواهر الخارقة للعادة من تناقض والاسس الميتافيزيقية التي شيدت عليها المنظومةُ العقلية للفكر البشري بُنيانها وهي تنظر إلى الوجود بعين لا تريد ان تستوعب ضمن مدى رؤيتها الا ما لا يُعارض هذه الأُسس السابقة للرؤية بزعمها! فالبعض من الظواهر الخارقة للعادة، كظواهر التزامن والنبوءات المستقبلية وظواهر الإخبار بأنباء ما مضى أو غاب عن الابصار، يتجلى فيها ما يبدو انه يتعارض وما اعتدنا على الاخذ به على انه النظام الذي ينتظم الوجود ويُنظم مسار حدوث وقائعه وأحداثه تعاقباً في الزمان أو سبقاً يُمليهما المفهوم التقليدي للزمان والمكان. فكيف تصدى اتباع الميتافيزيقا اليونغية لهذا الخرْق البين المتجلي في هذه الظواهر للمفهوم السائد عن الزمان والمكان؟ لقد أصر هؤلاء الميتافيزيقيون الجُدُد على ضرورة التخلي عن هذا المفهوم، الذي تؤيده الوقائعُ والظواهر غير الخارقة للعادة ولا تستبعده الظواهر الخارقة للعادة كما توهموا، مقابل الاخذ بمفهوم جديد لا يقر للزمان والمكان بما درجنا على وصفهما به مادام ينظر

لهما على انهما ليسا بأكثر من مفهومَين مطاطيين بامكاننا التعامل معهما بكل بساطة وفقاً لما يتطلبه الظرف! فمادامت هذه الظواهر لا يبدو عليها انها تتقيد بضوابط الزمان والمكان، كما نألفها، فهي إذاً ضوابط موقوتة ومحدودة بزمان ومكان معينين ليسا بالضرورة الزمان كله والمكان بأكمله! اما تفسير ما يحدث في ظواهر كهذه يتجلى فيها خرْق للزمان والمكان، كمفهومَين تقليديين، فهو لا يتطلب غير القول، من بعد تمام التخلي عن هذين المفهومَين، بوجود مستودع داخل الدماغ الإنساني، وبالتحديد في منطقة اللاوعي منه، يحوي تاريخ الخلْق كل الخلْق!! والا فكيف نفسر ظهور هذا الفيض من المعلومات التي تزخر بها هذه الظواهر ذات الصلة بأزمان وأماكن تتعالى على زمان ومكان حدوث الظاهرة منها؟! وهكذا تتوالى العجائب ويتلاحق ظهور الغرائب مع هذه "الميتافيزيقا العلمية" التي جاءنا بها كارل غوستاف يونغ! فبدلاً من القيام بإزالة الغموض عن الظواهر الخارقة للعادة بتفسيرها وفقاً لمفردات المنظومة المعرفية البشرية وبما لا يستدعي استقدام ما ليس بمحتوٍ في هذه المنظومة، نجد ميتافيزيقا يونغ قد قامت بخلْق "ظواهر خارقة للعادة" اضافتها إلى ما بين ايدينا من ظواهر! لكأننا لم نكتفِ بالغموض المصاحب للظواهر الخارقة للعادة التي استعنا بيونغ وميتافيزيقاه لتفسيرها حتى يرفدنا يونغ بهذه "الظواهر الجديدة"! فبالله عليك، ما الذي تفهمه من انتفاء السببية داخل النفس الإنسانية؟! وماذا يُفهم من كون الزمان والمكان غير ما درجنا على اعتباره بخصوصهما؟! وما الذي يعنيه يونغ بهذا المستودع الموجود داخل اللاوعي الإنساني؟! وكيف تأتى له ان يستقر داخلاً من المادة الدماغية لعقل الإنسان وهو يحوي تاريخ كل مفردة من موجودات هذا الوجود ماضياً وحاضراً ومستقبلاً؟! وهل يكفي هذا الدماغ حقاً لاستيعاب كل هذا العلم بالوجود ومفرداته؟! أم تُرانا ينبغي علينا التخلص من "المفهوم التقليدي للمادة" هو الآخر مادمنا قد سبق لنا وان تخلصنا من مفاهيم تقليدية أخرى من مثل: مبدأ السببية وقانون حفظ الطاقة والزمان والمكان؟! هل بقي من شيء بعدُ؟! وهل هذا الذي اضطرتنا إليه ميتافيزيقا يونغ هو حقاً الوصف الحقيقي

للوجود؟! أم تُراه ليس بأكثر من "وجود افتراضي" لا يختلف عما لانهاية له من نماذج نظرية للوجود ليس واحداً منها الوجود الحقيقي؟! إذاً فنحن مطالَبون بالتخلي عن الوجود كما نعرفه بدلالة وشهادة هذا الواقع، مؤيداً بعدد لا حصر له من الاختبارات والتجاريب والوقائع والبراهين، مقابل الايمان الغيبي بوجودٍ يونغي تفرضه علينا هذه الميتافيزيقا التي كلها خَبال وخرْص! والآن ومن بعد هذا الاستعراض العاجل لأهم ما جاءتنا به ميتافيزيقا واحد من اساطين العلم النظري المعاصر، هل لنا من عودةٍ إلى "الميتافيزيقا القرآنية" مادامت لا تطالبنا بالتخلي عما بين ايدينا من حقائق تشهد لها وقائعُ الواقع بأنها كذلك؟ أم تُرانا لا يحلو لنا تغن الا بليلى ميتافيزيقا الالحاد بالله مادامت لا تطالبنا بغير العبودية للإنسان وعظمته الزائفة؟! اما آن لنا ان نعود إلى هذا القرآن؟ كفانا هجْراً له فلقد استبدلنا الأدنى بالذي هو خير ونحن نظن اننا نُحسن صنعاً وإنْ نُهلك الا انفسنا وما نشعر ولا ندري ونحن في غمرة فرحنا بهذا العلم النظري وميتافزيقاه العاجزة عن ان تجد لها دليلاً واحداً على صواب ما ذهبت إليه من غُلو في تأليه الإنسان! إن "الميتافيزيقا القرآنية" قائمة على أساس تجريبي-اختباري متين وذلك على خلاف كل ميتافيزيقا انتجها عقل الإنسان وهو يحاول إسباغ الوهيته الزائفة على ما حواليه! فالدين الالهي ما هو الا ميتافيزيقا تجريبية لا تعجز عن ان تجد لها من البراهين والادلة في هذا الواقع ما هو كفيلٌ بتبيان حقيقة كونها لا تُشابه اية منظومة ميتافيزيقية أخرى مادامت كل ميتافيزيقا أخرى سواها هي محض خرافات واباطيل! إن الميتافيزيقا التجريبية، مُمثلةً بالدين الالهي كما يُعبر عنه القرآن العظيم، بوسع كل مَن أراد الآخرة وسعى لها سعيها سيراً صادقاً على الطريق الالهي إلى الله ان يستيقن من انها حقاً لا تطالب الا بالحق مادام هذا الطريق محفوفاً بكل ما من شأنه ان يجعل منها تتجلى عجائباً وغرائباً وخوارقَ عاداتٍ ليس لها من دلالة وشهادة الا بأن هذه الميتافيزيقا ليست كغيرها ميتافيزيقا. فهذا الطريق كفيل بتبيان تفرد الميتافيزيقا الالهية بكل ما من شأنه ان يجعل منها بحق منظومة معرفية لا تنطق بغير الحق المؤيد ببرهان

الاختبار والتجريب. إن الميتافيزيقا الصائبة هي تلك التي بالإمكان وصفها بأنها ميتافيزيقا تجريبية-اختبارية لا تكتفي بسرْد ما لا قدرة للواقع على الشهادة له بأنه حقاً ذو وجود واقعي انتماءً لواقعٍ آخر ما كان له أن يكون له وجود لولا انتماءه هذا. فهل نعي هذا التفرد الذي حبا الله به قرآنه العظيم إذ جعله كتاب ميتافيزيقا تجريبية لا قدرة للواقع الا على أن يشهد لها بأنها الحق الالهي مادام واقعاً تحت متناول يد السائر بقلبه على الطريق الالهي إلى الله بضوابط هذا القرآن كما بينتها آياته القرآنية الكريمة منهاجاً وحيداً للعلاقة الواجب نشوؤها بين العبد وخالقه؟!

ظواهر التزامُن وغيرُها من كلمات الله التي لا تنفد!

قد يتساءل المرء عن السبب في جعْل الله حياة البعض من خلْقه يغمرها مد من ظواهر التزامن، بتجليات لها كثيرة ومتنوعة، وهم اُناس لا فرق بينهم وبين الغالبية العظمى من بني آدم وذلك على قدْر تعلق الأمر بالبُعد عن الله إعراضاً عن السير المخلص على الطريق الالهي اليه. فاذا كان كارل غوستاف يونغ مثلاً شخصاً من عامة الناس من الذين لا رغبة لهم في التحرر من أسْر النفس فراراً إلى الله تخلصاً من هواها، فلماذا كانت ظواهر التزامن، من متزامنات ومتلاحقات ومتراكبات ومتداخلات ومتشاكلات ومترافقات ومتصاحبات ومتشابهات، لا تكف عن ملاحقته ملاحقةَ ظواهر خارقة للمألوف له أخرى كل حين وآخر؟ إن المرء لا يسعه غير ان يعجب لهذا الاهتمام الالهي الاستثنائي بشخص مثل يونغ لا علاقة له من قريب أو بعيد بالطريق الالهي إلى الله. إلا أن الدهشة سرعان ما ستزول إذا ما نحن تذكرنا ان يونغ لم يكن شخصاً عادياً كأي من عامة الناس! لقد كان يونغ عالماً حقيقياً كما تشهد له بذلك سعة اطلاعه وتنوع معارفه وتعدد الالسن التي كان يُتقنها نطقاً وكتابة وتبحره في ثقافات وأديان الغالبية العظمى من بني آدم، ناهيك عن كونه باحثاً رصيناً في مجال النفس البشرية. إن هذا كله جعل من يونغ محط أنظار الله لا لشيء الا لأنه كان متميزاً بما هو كفيلٌ بجعْله يستيقن من أن هناك ذكاءً من وراء ما كان يلاحقه من ظواهر خارقة للعادة لا يمكن أن يكون ذكاءً مألوفاً من قبيل ما هو معروف من تجليات ارضية للذكاء. لقد كان بمستطاع يونغ ان يقع على الحقيقة الكامنة من وراء خوارق العادات هذه لو انه لم يكن مُصراً على الإعراض عن الانسياق مع ما كانت لا تفتأ تُذكره به من وجوب ان يتدبرها بعقلٍ سليم ليراها على ما هي عليه لا كما توهمها! كان بمقدور يونغ ان يقع على ما حُملت به هذه الظواهر الغامضة من حقائق كانت ستغير مجرى حياته بالكامل لو انه لم يتشبث بما ظنه

مفادها وفحواها! عندها كان يونغ سيصبح منارةً يهتدي بضيائها خلْقٌ كثير لا داعيةً إلى الإغراق في الابتعاد عن الحق كما انتهى به الامر! فلو انه رعى حق رعايتها، هذه الظواهر، أما كان سيهتدي بها إلى الله وبذلك يستهدي به كل من اتبعه وهو يظن انه قد اتبع الحق؟! إن يونغ لم يكن بالشخص العادي الذي لا فرق بينه وبين الكثيرين. فلقد كان قائداً التف من حوله جمع غفير من خيرة عقول زمانه ومكانه وسار على نهج نظرياته عدد كبير من الناس كانوا كلهم، أو معظمهم، سيتخذون مساراً آخر لو انهم اتبعوا يونغ آخر لا الذي اتبعوه وهم يظنون انهم يُحسِنون صُنعاً! والآن لنتصور ما كان سيحدث لو ان يونغ، بعقليته الجبارة ومعارفه الغزيرة وقلمه المبدع، لم يتغافل عن الحق الذي حُملت به ظواهر التزامن التي كانت لا تكف عن ملاحقته. اما كان يونغ سيُسخر كل كيانه، بكل ما حباه به الله، لخدمة الخلْق تعريفاً لهم بالحق الذي تجلى له في تلك الظواهر الفريدة؟! اما كان ما بين ايدينا اليوم علمٌ جديد قوامه هذه الظواهر وما حُملت به من حقائق ما كانت لتجد احداً يُعبر عنها خير تعبير يوفيها بعض حقها خيراً من يونغ زمانه ومكانه؟! إلا أن هذا الذي نتمناه لم يحدث لأن يونغ لم يكن راغباً في الوصول إلى الحقيقة بما هو كافٍ لجعْله يقع عليها وهي على مقربة منه لا تبعد عنه غير أمتارٍ قلائل!!

اذاً لقد استحق يونغ هذا الاهتمام الاستثنائي من لدُن الله لأنه كان سينجح في اكتشاف الكثير من الحقائق ذات الصلة بالرسائل الالهية المحمولة ضمنا وصراحة بواسطة ظواهر التزامن، وبالتالي كان يونغ سيصل إلى اكتشاف التدخل الالهي المباشر من وراء هذا الظهور العجائبي لهذه الظواهر الخارقة للعادة مما سيجعل منه لامحالة داعية إلى الله بقلمٍ ولسانٍ قل ان يوجد نظير لأيهما. إن دماغاً عبقرياً كدماغ يونغ كان سينكب علًى هذه الظواهر الغامضة فيوسعها بحثاً ودراسة، وهو ينظر اليها بعين مؤمنة، ليستخرج منها ما كان كفيلاً بخلْق حضارة جديدة باذن الله! لقد كان بمقدور يونغ ان يستعين بعبقريته وهي تتدبر هذه الظواهر العجائبية ليخرج على الناس بعلمٍ جديد كان كثير من الناس

سيهتدي به إلى الله. افلا يستدعي كل هذا ان يحاول الله اجتذابه إلى الطريق الالهي اليه؟ إن مَن يتأمل الشعبية الكبيرة والجماهيرية الواسعة التي مازال يونغ يحظى بهما على الرغم من الصعوبة البالغة التي يتجشمها كل من يقوم بقراءة أي عمل من أعماله لا يملك إلا أن يتحسر على هذا العقل الجبار وما آل إليه مآله وما اضحى عليه حاله! لقد كان بوسع يونغ أن يكون داعياً إلى الله على بصيرةٍ من هذا العلم الجديد المستند إلى ما تكشف له بتدبره المؤمن لظواهر التزامن وبذلك يكون وسيلة لهداية خلق كثير من الظُلُمات إلى النور، إلا أن انه اخلَد إلى الأرض وآثر الانصياع لصوت النفس وفحيح هواها على الانسياق مع ما كانت تدعوه إليه تلك الظواهر الناطقة بجبروت الله ومطلق هيمنته على الوجود وشامل تغلغله في تفاصيل ما يحدث فيه من ظواهر. إن يونغ مثال نموذجي على تدخل الله المباشر في حياة البشر، والعباقرة منهم بشكل خاص، من أجل لفْت انتباههم علهم ان يدركوا انه غير بعيد منهم فيسارعوا إلى الفرار اليه. فالله وسعت رحمته كل شيء. كما ان الله قد كتب على نفسه الرحمة وذلك بشهادة ما جاء في قرآنه العظيم من آيات كريمة (قُلْ لِمَنْ ما فِي السموات وَالأَرْضِ قُلْ لله كَتَبَ عَلى نَفْسه الرحْمَةَ لَيَجْمَعَنَكُمْ إلى يَوْم الْقيامَة لا رَيْبَ فيه الذينَ خَسرُوا اَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لا يُؤْمنُونَ) (الأنعام: 12)،(وَاذا جاءَكَ الذينَ يُؤْمنُونَ بآياتنا فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبكُمْ عَلى نَفْسه الرحْمَةَ انَهُ مَنْ عَمَلَ منْكُمْ سُوءاً بِجَهالَةٍ ثُم تابَ مِنْ بَعْدِهِ وَاَصْلَحَ فَاَنَهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (الأنعام: 54). وهذا ما يجعل من ظواهر التزامن وغيرها من كلمات الله التي لا تنفد تتجلى تدخلاً الهياً مباشراً في حياة كل فرد من بني آدم. فما كان الله ليذر الإنسان على ما هو عليه من ضلالة وتخبط في ظُلُمات البُعد عنه فلا يقوم بكل ما من شأنه ان يلفت نظره ويجتذب اهتمامه بما هو كفيل بجعْله يعبر إليه لو انه انصت جيداً لما تقوله هذه الظواهر ولم يقم بترجمة كلماتها إلى لغة توافق النفس وهواها! إن رحمة الله واسعةٌ بما يكفل لكل إنسان ان يحظى بنصيب من اهتمام الله به هو بالذات على وجه التحديد اهتماماً يتجاوز سابق وحاضر ولاحق فضله عليه نعمةً الهية لا قدرة لإنسان على

أن يحصيها. فالتدخل الالهي غير المباشر في حياة كل فرد من أفراد الجماعة الإنسانية يتجلى نعماً كثيرةً وذلك كما فصلته الآيات الكريمة التالية: (اللهُ الذي خَلَقَ السَّمواتِ وَالأرْضَ وَانْزَلَ منَ السماء ماءً فَأخْرَجَ به منْ الثمَرات رِزْقاً لَكُمْ وَسَخرَ لَكُمُ الفُلْكَ لتَجْريَ في البَحْر بأمْره وَسَخرَ لَكُمُ الأنْهارَ. وَسَخرَ لَكُمُ الشمْسَ وَالْقَمَرَ دائِبَيْن وَسَخرَ لَكُمُ الليْلَ وَالنهارَ. وَآتاكُمْ منْ كُل ما سَألْتُمُوهُ وَانْ تَعُدوا نعْمَةَ الله لا تُحْصُوها ان الإنسان لَظَلُومٌ كَفارٌ) (ابراهيم: 34-32)،)(وَاللهُ أخْرَجَكُم منْ بُطونِ أمهاتكُم لا تَعْلَمونَ شيئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السمْعَ وَالأبْصارَ وَالأفْئدَةَ لَعَلكُم تَشْكُرُون) (النحل: 78)، (وَان رَبكَ لَذُو فَضْلٍ عَلى الناس وَلكن أكْثَرَهُمْ لا يَشْكُرُونَ) (النَمْل: 73)، (يا أيها الناسُ اذْكُرُوا نعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ هَلْ منْ خالقٍ غَيْرُ الله يَرْزُقُكُمْ منَ السماءِ وَالأرْضِ لا الهَ الا هُوَ فَأنى تُؤفَكُونَ) (فاطر: 3)، (هُوَ الذي يُنَزلُ عَلى عَبْدِه آياتٍ بَيناتٍ ليُخْرجَكُمْ منَ الظلُماتِ إلى النورِ وَان اللهَ بكُمْ لَرَؤوفٌ رَحيمٌ) (الحديد: 9). إلا أن هذا ليس كل ما هنالك من تدخل الهي مباشر في حياة كل إنسان. فالله يلاحق الإنسان بتدخل الهي مباشر من لدنه املاً في جعله يدرك ان له رباً وسع كل شيء رحمة وعلماً وانه كادحٌ إليه فملاقيه وان طال عليه الامد. لذلك فان في حياة كل واحد منا امثلة لا تُعد ولا تحصى تشهد بهكذا تدخل الهي مباشر في حياتنا. إن هذا التدخل يتجلى ظواهراً خارقة للعادة من قبيل ظواهر التزامن وغيرها من كلمات الله التي لا تنفد (وَلَوْ أن ما في الأرض منْ شَجَرَةٍ أقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدهُ منْ بَعْده سَبْعَةُ أبْحُرٍ ما نَفدَتْ كَلماتُ الله ان اللهَ عَزيزٌ حَكيمٌ((لُقْمان: 27). فبوساطة من هذه الظواهر الفريدة يُعبر لنا الله عن عظيم اهتمامه بنا؛ هذا الاهتمام الذي لا يتعارض وما كتب الله على نفسه من أن لا نبي يُرسله من بعد خاتَم النبيين محمد صلى الله تعالى عليه وسلم. صحيحٌ ان حبل النبوة الرسالية قد انقطع بانتقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إلى الحضرة الالهية يوم 22 /5 /632م إلا أن الله لم يجعل هذا الانقطاع قطعاً لكل صلة له ببني آدم يتجلى فيها تدخلُه الالهي المباشر في حياة كل واحد منهم هو بالذات وعلى وجه التحديد. إن ظواهر التزامن وغيرها من خوارق

العادات ذات الصلة بكلمات الله التي لا تنفد، هي تجليات لهذه الرحمة الالهية الواسعة التي يريد الله ان يكشف لكل إنسان منا بواسطتها عن هذا الاهتمام الالهي الذي لا يتعارض مع ما سبق لله وان كتب على نفسه من وجوب ان لا يكون اتصاله الالهي المباشر ببني آدم الا وكما فصلته الآية الكريمة (وَما كانَ لِبَشَرٍ اَنْ يُكَلمَهُ الله الا وَحْياً أو مِنْ وَراءِ حِجابٍ أو يُرْسِلَ رَسولاً فَيوحيَ بِإِذْنه ما يَشاءُ انهُ عَلي حَكيمٌ) (الشورى: 51). فكلمات الله لانهائية العدد وهي ابداً لن يكون بمقدور احد ان يحيط بها عداً وأحصاءً. إن الله يتدخل بصورة مباشرة في حياة كل إنسان هجوماً مقابلاً من لدنه على الهجوم الذي لا يكف عن شنه الشيطانُ وقبيلُه على مدار الساعة: (يا بَني آدم لا يَفْتِنَنكُم الشيْطانُ كَما اَخرَجَ أبَوَيكُم منَ الْجنة يَنزِعُ عَنْهُما لِباسَهُما لِيُرِيَهُما سَوآتِهما انهُ يَراكُم هُوَ وَقَبيلُهُ مِنْ حيثُ لا تَرَوْنَهُم انا جَعَلْنا الشياطينَ أولياءَ لِلذينَ لا يُؤمِنون) (الأعراف: 27). فالشيطان وخيله ورَجِله يلاحقون الإنسان، كل إنسان، غوايةً وتزييناً عله ان يُنصت لصوت الجحيم فلا يسمع الا لهم فيُضلوه عن سواء السبيل حتى لا يعود بمقدوره ان يتجه إلا إلى جهنم وبئس المصير: (وَاسْتَفْزِزْ مَن اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَاجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشارِكْهُمْ فِي الأمْوالِ وَالأوْلادِ وَعِدْهُمْ وَما يَعِدُهُمُ الشيْطانُ الا غُرُوراً) (الإسراء: 64). إن هذا الهجوم الشيطاني حقيقة لاريب فيها وان كنا لا نرى القائمين به من شياطين لا راحة لهم الا بإرهاق الإنسان، كل إنسان، بما يُوحى إليه من كلمات الإغواء والتزيين. وهذا الهجوم اللامرئي فصلته آيات القرآن العظيم وفيما يلي بعض من هذه الآيات الكريمة:

(يا أيها الناسُ كُلُوا مِما في الأرض حَلالاً طَيباً وَلا تَتبِعُوا خُطُواتِ الشيْطانِ انهُ لَكُم عَدُو مُبينٌ) (البَقَرة: 168)، (الشيْطانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأمُرُكُمْ بِالْفَحْشاءِ وَالله يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً وَالله واسِعٌ عَليمٌ) (البَقَرة: 268)، (وَيُريدُ الشيْطانُ اَنْ يُضِلهُمْ ضَلالاً بَعيداً) (النِساء: من 60) (انْ يَدْعُونَ مِنْ دُونه الا اناثاً وَانْ يَدْعُونَ الا شَيْطاناً مَريداً لَعَنَهُ الله وَقالَ لَاَتخِذَن مِنْ عِبادِكَ نَصيباً مَفْرُوضاً. وَلَاُضِلنهُمْ وَلَاُمَنيَنهُمْ وَلَآمُرَنهُمْ فَلَيُبَتكُن آذانَ الأنْعامِ وَلَآمُرَنهُمْ فَلَيُغَيرُن خَلْقَ الله وَمَنْ يَتخِذِ

الشيْطانَ وَلياً منْ دُونِ الله فَقَدْ خَسرَ خُسْرانًا مُبيناً. يَعدُهُمْ وَيُمَنيهمْ وَما يَعدُهُمْ الشيْطانُ الا غُرُوراً) (النساء: 120-118)، (وَلا تتبعُوا خُطُوات الشيْطان انه لَكُم عَدُو مُبينٌ) (الأنعام: من 142)، (وَاما يَنْزَغنكَ منَ الشيْطان نَزْغٌ فَاسْتَعذْ بالله انهُ سَميعٌ عَليمٌ. إن الذينَ اتقَوْا إذا مَسهُمْ طائفٌ منَ الشيْطانِ تَذكرُوا فاذا هُمْ مُبْصرُونَ) (الأعراف: 201-200)، (وَقُلْ لعبادي يَقُولُوا التي هيَ احْسَنُ ان الشيْطانَ يَنْزغُ بَيْنَهُمْ ان الشيْطانَ كانَ للإنسان عَدُواً مُبيناً) (الإسْراء: 53)، (يا ابَت لا تَعْبُد الشيْطانَ ان الشيْطانَ كانَ للرحْمنِ عَصياً. يا ابَت اني اخافُ انْ يَمَسكَ عَذابٌ منَ الرحْمن فَتَكُونَ للشيْطانِ وَلياً) (مريم: 45-44)، (فَوَسْوَسَ إليه الشيْطانُ قالَ يا آدَمُ هَلْ ادُلكَ عَلى شَجَرَة الخُلْد وَمُلْك لا يَبْلى. فَاكَلا منْها فَبَدَتْ لَهُما سَوْآتُهُما وَطَفقا يَخْصفانِ عَلَيْهما منْ وَرَق الجنة وَعَصى آدَمُ رَبهُ فَغَوَى) (طه: 121-120)، (ان الشيْطانَ لَكُم عَدُو فَاتخذُوهُ عَدُواً انما يَدْعُو حزْبَهُ ليَكُونُوا منْ اَصْحابِ السعيرِ) (فاطر: 6)، (اَلَمْ اَعْهَدْ الَيْكُمْ يا بَني آدم اَنْ لا تَعْبُدوا الشَيْطانَ انهُ لَكُم عَدو مُبينٌ) (يس: 60)، (وَاما يَنْزَغَنكَ منَ الشيْطان نَزْغٌ فَاسْتَعذْ بالله انهُ هُوَ السميعُ العَليمُ) (فُصلَت: 36)، (وَلا يَصُدنكُمُ الشيْطانُ انهُ لَكُم عَدُوٌ مُبينٌ) (الزخْرُف: 62).

ان هذا الذي يُخبرنا به الله في قرآنه العظيم هو من جملة الحقائق التي ما كان لنا ان نقع عليها بمفردنا وان تعاضدت جهود كل بني آدم، منذ الخطوات الاولى للإنسان على سطح هذا الكوكب وحتى يرثها الله ومن عليها، على سبْر أغوار المجهول توغلاً في العوالم غير المنظورة! إذا لم يكن الله ليدع الإنسان يُواجَه بهذا السيل الجارف من كلمات الغواية والإضلال والتزيين دون سيلٍ آخر من كلمات الهداية والانقاذ والتبيين. فاذا كان الشيطان لا يملك ان يُقسر الواحد منا على اتباعه، مادام كل ما بوسعه القيام به لا يعدو أن يكون دعوة إلى الكفر وتزييناً لسوء العمل لنراه حسناً، فان الله أيضاً لا يُلزم احداً بوجوب سماعه إذا ما هو لم يكن من الذين الزموا انفسهم بالفرار إلى الله نجاةً من عواقب الإعراض عنه. إن تدبر حياة كل إنسان منا كفيل بجعْلنا نستيقن من أن هذا

التدخل الالهي المباشر فيها هو حقيقة لاريب فيها. فظواهر التزامن ما كان لها ان تحدث لولا تدخل الله المباشر في حياة الإنسان وبما يتكفل بجعْل هذه الظواهر الخارقة للعادة تحدث رغم أنف اسباب الواقع مادام هذا واقعاً تحت سيطرة خالق هذه الاسباب: الله الذي له ملك السموات والارض وهو رب كل شيء. إلا أن تدبر حياة البعض منا بوسعه ان يكشف النقاب عن مديات هذا التدخل الالهي المباشر وبشكل يجعل من العَصي على أي مُتشكك ان ينكره. فقد يتوهم البعض ان هذه الظواهر المحملة بكلمات الله هي لا أكثر من صُدَف لا ينبغي اعطاؤها ما لا تستحق من اهتمام فنظن بها انها براهين على تدخل الهي مباشر في حياة الإنسان! إلا أن دراسة حياة هذا البعض بمقدورها ان تكشف النقاب عن ان هذا التدخل الالهي يطال جوانباً لا يمكن التغاضي عنها مادام المتحقق جراء هذا التدخل المباشر من لدُن الله هو مما لا سبيل للتعليل الصائب لظهوره الخارق للمعروف من القوانين والحقائق البشرية الا بالرجوع إلى الله! فليست ظواهر التزامن، على عظيم قدْرها وعميق دلالاتها الرسالية، بكلمات الله الوحيدة والتي لا كلمات أخرى لله سواها! إن حياة العبقري منا معشر الإنس حافلة بكثير جداً من هذه الكلمات الالهية والتي يكفل الله له بها الوقوع على حقائق ما كان له ان يعرفها لولا هذا التدخل الالهي المباشر في حياته كشفاً له لهذه الحقائق. فلابد اننا نعجب كثيراً لهذا الذي تكشف للعباقرة منا من حقائق فلا نعلم كيف استطاع واحدهم ان يقع عليها وهو بشر مثلنا! إلا أن الاستعانة بغير الله تدخلاً الهياً مباشراً في حياة العبقري منا لا ولن تجعل منا قادرين على أن نستبين المصدر الذي اتاح له الحصول على هذه الحقائق الفريدة. إن كل الحقائق التي "توصل" إلى "اكتشافها" عباقرةٌ النوع الإنساني هي رسائل حق عابرة من عالَم الغيب. فلا حدس هناك ولا غير ذلك من القابليات الفائقة التي نتوهم انها السبب في وقوع العبقري على ما فاتنا الوقوع عليه من حقائق الوجود! إن الله لا ينى يتدخل بصورة مباشرة في حياة العبقري من أفراد النوع الإنساني عله ان يدرك ان هذا "التدخل" الخارق للعادة يستدعي منه وجوب التفكير باله هو

الله لامحالة طالما ما كان لما يُفاجَأ به ان يحدث لولا تدخله الالهي المباشر هذا. وهذا الاهتمام الالهي الاستثنائي بالعباقرة من أفراد الجنس البشري يُسوغ له ان واحدهم بامكانه ان يفيد من تجليات هذه الكلمات الالهية ليكون داعية إلى الله لا إلى اله آخر سواه! إلا أن النسبة من عباقرة الإنسانية ممن استطاعوا اكتشاف المغزى الرسالي لهذه الكلمات الالهية هي اقل بكثير من نسبة مَن توهموا كلمات الله شيئاً آخر فضلوا وأضلوا! فبدل ان يكتشفوا الموجود الحقيقي الذي لولاه لما كان لهذه الحقائق الفريدة ان تتجلى لواحدهم راحوا يدعون لآلهة ضرار توهموا لها وجوداً حسبوا الحقائق هذه تشهد به! إن دراسة تاريخ الإنجاز الإنساني كفيلة بكشف النقاب عن هذا التدخل الالهي المباشر كما تُجليه تلك الحقائق التي لا يمكن أن يُعزى ظهورها الغريب هذا لعبقرية مَن توهم انه استطاع بحدسه ان يكتشفها! إن اهتمام الله بالعبقري من بني آدم، كما يُجليه ما يكشفه له من حقائق ذات صلة بالوجود وموجوداته لا قدرة للواقع المألوف على رفده بها، يهدف لجعْل هذا الإنسان المتميز أداةً للأخذ بأيدي الآخرين إلى الله وذلك من بعد ان ينجح في اكتشاف ما حملته معها هذه الحقائق من حقائق أخرى وهي تعبر إلى هذا العالَم من عالمها الغيبي. إن الحضارة الإنسانية تدور من حول العباقرة شئنا ان نقر بذلك أم ابينا. لذلك فان الاهتمام الالهي الاستثنائي بهم، كما يُجليه ما يقوم به الله من كشْف لواحدهم النقاب عن حقائق ما كان له ان يستعين بالواقع المألوف فيعرفها، هو جانبٌ من جوانب الرحمة الالهية التي وسعت كل شيء. فلو ان واحد العباقرة استطاع ان يعبر بهذه الحقائق وما يرافقها من حقائق إلى حيث يكون بمستطاعه ان يعرف ما يتوجب عليه القيام به تجاه نفسه وتجاه الآخرين اما كان حالنا اليوم غير الحال؟! على أي حال لابد لنا من التأكيد ها هنا ان الحضارة الإنسانية، كتجل لهذه العبقرية، لم يكن لها ان تنشأ وتنمو وتزدهر لولا التدخل الالهي المباشر كما تجلى في ما قام به الله من جعْل العباقرة من بني آدم "يكتشفون" من الحقائق ما مكنهم من صنع هذه الحضارة "الإنسانية"! وهكذا يتبين لنا ان الله لم يكن بعيداً، كما يتوهم الحمقى، عن الإنسان وهو يقوم بشق

مسار حضارته على هذه الارض، بل قريباً وقريباً جداً!

يشهد لله بهذا القرب الشديد انه هو الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم. إن الدور الالهي في الانطلاق بالحضارة الإنسانية إلى هذا الذي تسنى لها الوصول إليه لا ينبغي تهميشه وتسطيحه وبما يجعل منه مقتصراً على التدخل الالهي غير المباشر في إحداث ما يحدث بوساطة حجاب الاسباب! فالله متدخلٌ بصورة مباشرة في حياة العباقرة من بني آدم وذلك بما يؤمنه لواحدهم من حظ من حقائق الوجود يُطلعه عليها فيتمكن بذلك من معرفة ما لا سبيل لمعرفته ولو افنى عُمُره يُنقب في رُكام هذا الواقع المألوف! لنتدبر الآيات الكريمة:

(وَجَعَلْنا اللَيْلَ وَالُنهارَ آيَتَيْن فَمَحَوْنا آيَةَ اللَيْلِ وَجَعَلْنا آيَةَ الُنهارِ مُبْصرَةً لتَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبكُمْ وَلتَعْلَمُوا عَدَدَ الُسنينَ وَالْحساب وَكُل شَئ فَصلْناهُ تَفْصيلاً) (الإسراء: 12)، (وَعَلمْناهُ صَنْعَةَ لَبُوس لَكُم لتُحْصنَكُمْ منْ بَأْسكُمْ فَهَلْ اَنْتُمْ شاكرُون) (الأنبياء: 80)، (الرحمنُ. عَلمَ الْقُرْآن. خَلَقَ الإنسان. عَلمَهُ الْبَيانَ. الُشمْسُ وَالْقَمَرُ بحُسْبَانٍ. وَالُنجْمُ وَالُشجَرُ يَسْجُدان. وَالُسماءَ رَفَعَها وَوَضَعَ الْميزانَ. الا تَطْغَوْا في الْميزانِ. وَاَقيمُوا الْوَزْنَ بالْقسْط وَلا تُخْسرُوا الْميزانَ) (الرحمن: 1 - 9)، (اقْرَأ باْسْم رَبكَ الُذي خَلَقَ. خَلَقَ الإنسانَ منْ عَلَق. اقْرَأ وَرَبكَ الأكْرَمُ. الُذي عَلمَ بالْقَلَم. عَلمَ الإنسان ما لَمْ يَعْلَمْ) (العَلَق: 1 - 5). الا تبرهن لنا هذه الآية الكريمة على أن الله هو المعلم الاول للإنسان؟ إن الله الذي علم النحل ما يُمكنها من صناعة العسل هو ذاته الذي علم الإنسان الكثير جداً من الحقائق التي يظن هذا الإنسان واهماً انه هو الذي اكتشفها بلوذعيته وعبقريته (وَاَوْحَى رَبكَ إلى الُنحْلِ اَنِ اتخذي منَ الُجبالِ بُيُوتاً وَمنَ الُشجَرِ وَمما يَعْرُشُونَ. ثُم كُلي منْ كُل الُثمَراتِ فَاْسْلُكي سُبُلَ رَبك ذُلُلاً يَخْرُجُ منْ بُطُونها شَرابٌ مُخْتَلفٌ اَلْوانُهُ فيه شفاءٌ للناسِ ان في ذلكَ لآيَةً لقَوْم يَتَفَكرُون) (النحل: 68 - 69). لذا لابد لنا من القيام باعادة كتابة تاريخ الحضارة الإنسانية وبما يتكفل بتبيين هذا التدخل الالهي المباشر في جعْلها تتخذ هذا المسار الذي ما كان لها ان تشقه وحدها بجهد إنساني منفرد ولو تكاتفت جهود بني آدم كلهم جميعاً! إن الحضارة الإنسانية،

بهذا المعنى، حضارة لا تقل لابشرية عن كثير من الظواهر الخارقة للعادة والتي يظن الإنسان انها ظواهرٌ لم تكن لتحدث لولا "قدراته الخارقة" و"قواه الفائقة"! لذلك فلابد من وقفة تتيح لنا القيام بمراجعة ما وقر لدينا من افكار خاطئة بخصوص الدور الإنساني في صنع الحضارة البشرية. إن دراسة العبقريات الإنسانية بوسعها ان تبرهن لنا على أن التدخل الالهي المباشر في حياة العبقري منا هو السبب الوحيد في الكثير جداً مما نظنه نِتاجاً صِرفاً لعبقريته الفذة! وهذا امر يسير للغاية طالما كان بامكاننا على الدوام تمحيص ما هو بشري وما هو ليس ببشري من الحقائق وذلك بالرجوع إلى هذا الواقع الذي ابداً لن يعجز عن رفْدنا بكل ما من شأنه ان يُرينا الجذور الواقعية للنتاجات البشرية والجذور المجهولة للنتاجات التي لا يمكن أن نكون مصيبين في وصْفنا لها بأنها بشرية!

والآن اما وقد تبين لنا ان لله دوراً في صياغة مسار الحضارة الإنسانية، عبر قيامه بالتدخل المباشر في حياة العباقرة من أفراد النوع الإنساني وبما يتكفل بجعْلهم يقعون على حقائق لا جذور واقعية لها، فان الوقت قد حان للتدبر في تدخلٍ خفي آخر كان، ومازال، له دور كبير في وصول حضارتنا إلى هذا الحضيض الفكري خوضاً في متاهات الوهم والخَبال! فاذا كان العبقري منا محط اهتمام الله، لما يتفرد به من مواصفات عقلية استثنائية تكفل له استخلاص نتائج كثيرة يتعذر على الآخرينِ غيره استخلاصها إذا ما تجلت اماماً من ناظريه وانظارهم حقائقَ يُجليها الله تدخلاً مباشراً من لدُنه، فانه أيضاً محط انظار آخرين من خلْق الله ممن لا هم لهم الا التربص ببني آدم تزييناً لهم الإعراض عن الحق وإغواءً يؤمن لهم سرعة الوصول إلى جهنم! وهذا ليس تجنياً على خلْق الله هؤلاء. فالقرآن العظيم حافلٌ بذكْر هذا التربص منهم للإنسان. نكتفي بالآيات الكريمة التالية دليلاً على تواجد هذه الكائنات غير المنظورة معنا لغايات خبيثة لا يُعينهم على تمكنها من واحدنا الا سماعُه لهم واستجابته لما يدعونه إليه من إمعان في الغي وإيغال في الضَلال بعيداً عن الله (وَقالَ الشيْطانُ لَما قُضيَ الأمر اِن الله وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحق وَوَعَدْتُكُمْ فَاَخْلَفْتُكُمْ وَما كانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطانٍ إلا

أن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لي فَلا تَلُومُوني وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ ما أَنا بِمُصْرِخِكُمْ وَما أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَ اني كَفَرْتُ بما أَشْرَكْتُمُون مِنْ قَبْلُ ان الظالِمِينَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ) (ابراهيم: 22)، (قالَ قَرِينُهُ رَبنا ما أَطْغَيْتُهُ وَلكنْ كانَ في ضَلالٍ بَعيد) (ق: 27)، (كَمَثَلِ الشَيْطانِ إذ قالَ لِلإنسان اكْفُرْ فَلَما كَفَرَ قالَ اني بَرِيءٌ مِنْكَ اني أَخافُ اللّه رَب العالَمِينَ) (الحَشْر: 16)، (فَاذا قَرَأْتَ القُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللّه مِنَ الشَيْطان الرجيم. انهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطانٌ عَلى الذينَ آمَنُوا وَعَلى رَبهِمْ يَتَوَكلُون. انما سُلْطانُهُ على الذينَ يَتَوَلوْنَهُ وَالذينَ هُمْ به مُشْرِكُون) (النحل: 98 - 100)، (وَقُلْ رَب أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزاتِ الشياطِين. وَأَعُوذُ بِكَ رَب أَنْ يَحْضُرُون) (المؤمنون: 97 - 98)، (وَيَوْمَ يَعَض الظالِمُ عَلى يَدَيْهِ يَقُولُ يا لَيْتَنِي اتخَذْتُ مَعَ الرسولِ سَبِيلاً. يا وَيْلَتي لَيْتَني لَمْ أَتخذْ فُلاناً خَلِيلاً. لَقَدْ أَضَلني عَنِ الذكْرِ بَعْدَ إذ جاءَني وَكانَ الشَيْطانُ لِلإنسان خَذُولاً) (الفرقان: 27 - 29). إذا فهذه الغواية شيء حقيقي وهي ابعد ما تكون عن الخيال الذي نراه متجسداً امام ابصارنا في أفلام الرعب الهولي وودية اياها! إلا أن الناس يتفاوتون في حظوظهم من هذه التدخلات الشريرة في حياتهم بتفاوتهم في العبقرية. فأكثر بني آدم حظاً من هذه التدخلات الشيطانية هم أولئك الذين وهبهم الله حظاً من العبقرية ميزهم بها عن باقي خلقه من البشر. وهذا امرٌ مفهوم من بعد ما تبين لنا في السطور السابقة ما للعبقري منا من قدرة على استخلاص مفردات الرسائل الالهية المتضمنة في ظواهر التدخل الالهي المباشر التي ينعم بها الله عليه. لذلك وحتى تفوته فرصة الافادة من هذه التدخلات الالهية، الهادفة لجره إلى اتباع طريق الحق والقيام بما يُمليه عليه حرصُه على إنارة السبيل امام الملايين الضالة من ابناء جنسنا الآدمي، فانه يتعرض لهجوم متواصل من قبل هذه الكائنات غير المرئية يتجلى بأشكال عدة لعل من بين أبرزها وأكثرها شيوعاً بين العباقرة ما يُمكن واحدهم بموجبه من الحصول على "حقائق" غير واقعية الا انها غير حقيقية في الوقت نفسه! فهذا العبقري إذا ما ابتلع الطُعم المسموم وسقط في الفخ المنصوب فانه سيغدو اداةً طيعة بأيدي هذه الكائنات الخفية تتمكن بواسطتها من التأثير البالغ على عدد

كبير جداً من بني آدم. فواحد العباقرة من بني آدم لا يعيش وحده بل هو مُحاط بلفيف من الذي يتبعونه اتباع القطيع للراعي! لذلك كان لزاماً عليهم ان يضلوا السبيل إذا ما هو ضل من قبلهم. إن تصفح تاريخ الفكر الإنساني كفيل بجعْل الواحد منا، من بعد هذا الذي تبين لنا، يعجب كيف فاته ان يدرك هذا التدخل الخفي من قِبَل هذه الكائنات غير المرئية في حياة عباقرة الجنس البشري الذين قاموا بصياغة مفردات هذا الفكر ظناً وتوهماً منهم بأنهم هم مَن جاء الإنسانية بهذه الحقائق الفريدة! فالمرء يُعجزه لامحالة ان يقوم بإرجاع ما هو لابد واجده في صفحات تاريخ الفكر الإنساني من "افكار غريبة" إلى اصول وجذور واقعية لا تنتمي لغير تراب هذا الواقع المألوف. إلا أن النظر إلى هذه "الأفكار الغريبة" بعينٍ أبصرت لتوها ما تقدم من حقائق ذات صلة بالتدخل الشيطاني في حياة الإنسان عموماً والعبقري منا خصوصاً بمقدوره ان يُعيننا على تلمس الطريق إلى حل هذا اللغز؛ لغز اصل هذه الافكار التي ليس بالإمكان إرجاعها إلى ارض هذا الواقع المُعتاد. لنتدبر الآيات الكريمة التالية:

(تَاللهِ لَقَدْ اَرْسَلْنَا إلى اُمَم مِنْ قَبْلِكَ فَزَينَ لَهُمُ الشَيْطانُ اَعمالَهُمْ فَهُوَ وَليهُمُ اليَوْمَ وَلَهُمْ عَذابٌ اَليمٌ) (النحل: 63)، (اَلَمْ تَرَ اَنا اَرْسَلْنَا الشياطينَ عَلى الكافرينَ تَؤُزهُمْ أزاً) (مريم: 83)، (وَمِنَ الناسِ مَنْ يُجادلُ في اللهِ بِغَيْرِ عِلْم وَيَتبِعُ كُل شَيْطانٍ مَرِيد. كُتِبَ عَلَيْه اَنهُ مَنْ تَوَلاهُ فَاَنهُ يُضلهُ وَيَهْديه إلى عَذابِ السعير) (الحج: 3 - 4)،(يا أيها الذينَ آمَنُوا إذا تَناجَيْتُمْ فَلا تَتَناجَوْا بالاثْم وَالعُدْوانِ وَمَعْصيَةِ الرسُولِ وَتَناجَوْا بالبر وَالتقْوى وَاتقُوا اللهَ الذي إليه تُحْشَرُونَ. انما النجْوى مِنَ الشيْطانِ لِيَحْزُنَ الذينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضارهِمْ شَيْئاً الا باذْنِ اللهِ وَعَلى اللهِ فَلْيَتَوَكلِ المُؤْمِنونَ) (المُجادلة: 10-9)، (اَسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشيطانُ فَاَنْساهُمْ ذِكْرَ اللهِ أولئك حِزْبُ الشيطانِ إلا أن حِزْبَ الشيطانِ هُمُ الخاسِرون) (المُجادَلة: 19).

ان اعادة كتابة تاريخ الفكر الإنساني بموجب ما قد تبين لنا آنفاً سوف تكشف النقاب عن الكثير جداً من الاوهام التي خُيل الينا معها ان الإنسان وحده

هو مَن قام بتسويد صفحات تاريخ هذا الفكر! فالنظرة هذه لن تعمل الا على إبعادنا عن معرفة السبيل للخلاص من هذا الشَرَك القاتل. إن الملايين الضالة من أفراد الجماعة الإنسانية هي الناتج الذي حرصت الشياطينُ على التوصل إليه بقيامها برَفد عباقرة البشر بـ "الحقائق اللاواقعية" هذه! فأنت أنى جُلتَ ببصرك واجدٌ لامحالة تجليات لهذا التدخل الشيطاني في حياة الإنسان لا مجرد اعتداد بالنفس وغرور وتكبر ولكن ايماناً دينياً بحقائق زائفة لا برهان للقائلين بها عليها الا الظن وما تهوى الانفس! إن حضارتنا الحالية شيطانية-بشرية قبل ان تكون الهية-بشرية بالمعنى الوارد فيما تقدم ذكره من كلمات. لذلك فلابد لمن يروم القيام بكتابة تاريخ هذه الحضارة الا يغفل عن هذه الحقيقة حتى لا تفوته فرصة الاطلاع على ما لغير الإنسان من يد في صناعة ما هو "إنساني" صرف كما نتوهم ونظن! إن مَن يتهمنا بأننا قد بالغنا كثيراً في نسبة ما هو من صنْع ايدي أفراد النوع الإنساني إلى كائنات، هي وإن قُلنا بأنها موجودة تصديقاً منا لما جاءنا به الدين الالهي، فانها لا قدرة لها على أن تفعل ما نعزوه اليها من تدخل خفي متواصل في مسار الفكر الإنساني، نقول إن من يتهمنا بهكذا اتهام انما ينسى ما تعلمناه من قرآن الله العظيم بهذا الشأن! لقد امرنا الله ان نؤمن بموجودات غيبية لا قدرة للعين الإنسانية على رؤيتها، فخيل الينا اننا آمنا لمجرد قيامنا بترديد هذا الأمر قراءةً لما جاء به القرآن العظيم بخصوصه! إلا أن الأمر ليس كما نتوهم ونظن. فالله يريد منا ان نؤمن بالقلب بهذا الذي لا نريد له ان يتجاوز اللسان منا توغلاً في أعماق القلب! إن الايمان بتواجد الغيب معنا على ارض هذا الواقع وفي هذه الحياة الدنيا هو الايمان حقاً والا فلا! واذا كان الايمان بالغيب وموجوداته ايماناً حقيقياً فانه سوف يكفل للإنسان المؤمن ان ينظر إلى الوجود بموجوداته التي وإن عجز عن رؤية كثير منها إلا أنه موقن بوجودها التزاماً حرفياً بشرائط وضوابط الايمان الذي وقر في القلب منه فلم يكن كل حظه منه مجرد لقلقة لسان! لنتدبر الآيات الكريمة التالية حتى يتبين لنا ان الايمان الذي يريده الله هو ايمان يستدعي منا ان نعيد صياغة مفردات

تعامُلنا المعرفي مع الوجود حتى لا يعود بمقدورنا إبصار ما يحدث فيه الا كما يريدنا الله لا كما درجنا عليه انسياقاً وراء النفس وهواها وجرْياً على ما قضت به عقيدةُ الولاء المُطلق للقطيع وآلهته الخرساء! (لَيْسَ الْبر اَنْ تُوَلوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلكن الْبر مَنْ آمَنَ بالله وَالْيَوْم الآخِر وَالملائكة وَالْكتاب وَالنبيينَ وَآتى الْمَالَ عَلى حُبه ذَوِي الْقُرْبى وَالْيَتامَى وَالْمَساكِينَ وَابْنَ السبيل وَالسائلينَ وَفي الرقاب وَاَقامَ الصلاة وَآتى الزكاةَ وَالْموفُونَ بِعَهْدِهِمْ إذا عاهَدُوا وَالصابرينَ في الْبَأْساءِ وَالضراءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أولئك الذينَ صَدَقُوا وَأولئك هُمُ الْمتقُونَ) (البقرة: 177)، (آمَنَ الرسُولُ بما اُنْزِلَ إليه منْ رَبه وَالْمُؤْمنونَ كُل آمَنَ بالله وَملائكته وَكُتُبِه وَرُسُله لا نُفَرقُ بَيْنَ اَحَدٍ منْ رُسُله وَقالُوا سَمعْنا وَاَطَعْنا غُفْرانَكَ رَبنا وَاِلَيْكَ الْمَصيرُ) (البقرة: 285)، (يا أَيها الذينَ آمَنُوا آمنوا بالله وَرَسُوله وَالْكتاب الذي نَزلَ عَلى رَسُولِه وَالكتاب الذي اَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بالله وَمَلائكَته وَكُتُبِه وَرُسُلِه وَالْيَوْمِ الآخرِ فَقَدْ ضَل ضَلالاً بَعيداً) (النساء: 136).

ان القول بأن هنالك كائنات غيبية متواجدة معنا لابد وأن يكون ايماناً قرآنياً بهذا الذي يتضمنه القول هذا والا فهو مجرد نطق لكلمات لا شهادة من القلب لها بأنها انطلقت منه! فاذا قلنا بأننا نؤمن بوجود هذه الكائنات تصديقاً منا لما جاءنا به الدينُ الالهي وجب علينا بالتالي ان ننظر إلى الوجود بإقرارٍ منا بأن لهذه الكائنات فعلاً وأثراً وتأثيراً في مفرداته بإذن الله، فهل نحن فاعلون؟! لننظر إلى هذا الذي تعلمناه بتدبرنا القرآن العظيم. فالوجود ليس هو الوجود الذي نألفه والحضارة ليست هي الحضارة التي توهمنا بأنها إنسانية محضة! لنعد إلى الله ولننظر إلى الوجود بعينٍ وقلبٍ مؤمن لا بعينٍ وقلبٍ ميت! ولندرس حضارتنا على ضوء ما كشف لنا النقاب عنه قرآنُ الله العظيم حتى نراهما على حقيقتيهما: وجوداً متواجدةٌ فيه كائناتٌ متدخلة في حياتنا ان نحن سمحنا لها بالتأثير علينا والا فهي لا تملك ان تفعل لنا شيئاً، وحضارةً دورُ الإنسان في صياغة مفرداتها ليس هو الدور الأوحد! وآخر ما ينبغي علينا الاقرار القلبي به ان ندعو الله ذاكرين ما علم الله رسوله الكريم صلى الله تعالى عليه وسلم ان

يذكره (وَقُلْ رَب اَعُوذُ بكَ منْ هَمَزاتِ الشياطين. وَاَعُوذُ بكَ رَب اَنْ يَحْضُرُون) (المؤمنون: 97 - 98)، (قُلْ اَعُوذُ بِرَب النَاسِ. مَلك النَاسِ. اله النَاسِ. منْ شَر الْوَسْواسِ الْخَناسِ. الَذي يُوَسْوِسُ في صُدُورِ الَناسِ. مِنَ الْجنةِ وَالَناسِ) (الناس: 1-6).

يستقر الوجود حوالَينا بسببٍ من خَفِي تواجد الله فيه من وراء حجاب الاسباب تدخلاً غير مباشرٍ في مجرى وقائعه واحداثه. وهذا الاستقرار هو السبب في تمتع الوجود بهذه الالفة التي تجعلنا ننظر إليه فلا نرى فيه ما يستدعي منا التوقف تساؤلاً يُزلزل اركان العادة والمألوف كما درجنا على اعتبارهما "علامتَين فارقتَين" تُميزان الوجود بموجوداته حوادثاً ومفرداتٍ أنى جُلنا بأبصارنا فيه. إلا أن الله لم يشأ لبني آدم ان تهنأ لهم حياة بهكذا إمعانٍ في غي الظنِ الواهم بأن الوجود هذا هو الوجود الحق الذي لا وجود آخر سواه! فلقد مزق الله حُجُب العادة والمألوف بتدخله المباشر في أحداث الوجود خرْقاً بيناً لكل ما اعتدنا ان ننظر إليه على انه القانون الذي لا يرضى بغير التقيد التام بكامل بنوده ومواده. اننا واجدون انفسنا حيال صورة مخالفة لكل ما ألفناه انْ نحن شرعنا بالطواف حوالَي آيات القرآن العظيم تدبراً لما تضمنته من صريح اشارةٍ إلى قيامِ الله بالتدخل المباشر في أحداث الوجود خوارقَ عاداتٍ ومعجزاتٍ زلزلَ بها الله اركان البنيان العقلي الذي واظب الإنسان على تشييده ليُعينه على الايغال في فراره من الله جَرْياً وراء النفس وهواها الاهوج! وهذا التدخل الالهي المباشر حقيقةٌ قائمةٌ واقعةٌ متحققةٌ فيما مضى من زمان تحققَ وقوعها في هذا الزمان. فالأمر ليس منوطاً بتجلي هذا التدخل الخارق للعادة والمألوف معجزاتٍ يُؤيد بها رُسُل الله إلزاماً للناس بحُجة الهية كفيلة بدحْض كل حُجة لهم على الله يوم القيامة بأنهم تُركوا ليواجهوا الوجود بعقولهم العاجزة عن معرفة ما يريده الله منهم! إن التدخلِ الالهي المباشر متحققٌ حدوثه على الدوام سواءً كانت تجلياته قد اختار لها الله ان تكون معجزاتٍ يؤيد بها انبياءَهُ المُرسَلين بالحق من عنده أم خوارقَ عاداتٍ لا تنفك تحدث كل حين وآخر تذكيراً لهذا الإنسان بأن له رباً وان هذا الرب الاله جامعُه

هو وباقي بني آدم ليوم لاريب فيه يُحاسَبون فيه على ما قدموا له من سوء عمل. لذا كان حقيقاً على الله الا يجعل الإنسان سعيداً بهذا الوهم الذي خُيل إليه معه بأن الوجود مستقر وان لاشيء بوسعه ان يقوض اركان العادة والمألوف كما استقر على دعامتيهما هذا الوجود بظواهره ومجريات اموره! ولعل الظواهر الخارقة للعادة هي أبلغ رسالة يوجهها الله على الدوام إلى بني آدم تحدياً للعقل الإنساني ان يتعامل معها بمنظومته الفكرية وبما يكفل له ان يقع على تفسيرٍ لها يتمكن بواسطتها من أن يستوعب هذا الخروج منها على القانون الذي توهمه قانون الوجود الذي لا حيود له عن بنوده ومواده! وهذه الظواهر الخارقة للعادة والمألوف تتنوع طوائفَ شتى. فهي لا تدع مجالاً للعلم الإنساني ليتنفس الصعداء فرحاً بما تسنى له انجازُه من تسلطٍ معرفي على الوجود ومفرداته. ومن بين اكثر تجليات الظواهر الخارقة للعادة قدرةً على إلحاق الاذى بالمنظومة المعرفية الإنسانية تبرز ظواهرُ التزامن (المتزامنات) وحدها فلا حاجة لها لظواهر خارقة للعادة غيرها كيما يكون بمقدورها مناجزة هذه المنظومة والانتصار الساحق عليها إعجازاً لها عن أن يكون بوسعها ان تستوعبها تأويلاً وتفسيراً يُحيلان ظهورها العجائبي الغرائبي ظهوراً بوسع العلم النظري المعاصر التعامل المعرفي معه وبما يكفل للعقل الإنساني الا يظل حيالها فاغراً فاهُ عاجزاً عن فهم هذا الذي يحدث فيها من خرْقٍ بينٍ لكل ما درج عليه من مواظبةٍ على النظر إلى الوجود بعينٍ لا تراه الا مستقراً على دعامتَي العادة والمألوف! ولكن هل من تعريفٍ يُلقي الضوء على ظواهر التزامن هذه وذلك ليتسنى لنا الوقوع على ما يجعل منها ليست كباقي ظواهر الوجود، غير الخارقة للعادة والمألوف، إنضواءً تحت لواء التدخل الالهي غير المباشر؟ لعل ابرز ما يميز هذه الظواهر عن غيرها من الظواهر انها ظواهر واحدتُها مُكونةٌ من تشارُك حادثتين، على الاقل، في صياغة مادتها التي لا قيام لها الا على أساس من هذا التشارك. فظاهرة التزامن تختلف إذاً عن غيرها من ظواهر الوجود بهذا الاستناد منها إلى قاعدةٍ قوامها مُكون من حادثتين، على الاقل، يتوجب حدوثهما ليتسنى لهذه الظاهرة المركبة ان تحدث.

وهذا ما يجعل من ظاهرة التزامن ظاهرةً فريدة حقاً. فكل ظاهرة من ظواهر الوجود، خلا ظاهرة التزامن، تمتلك وجوداً قائماً بالاستناد إلى مفرداتها هي بالذات دونما حاجة لتشارُك ظاهرة، أو ظواهر، أخرى معها في صياغة مادتها المكونة لها؛ هذه المادة التي تحمل إلى الوعي الإنساني رسالةً محملةً بمعناها الذي يُجليه له حدوثُها. إن ظاهرة التزامن بهذا التكون من ظاهرتين اخريين، على اقل تقدير، هي ظاهرة مُركبة وليست كغيرها من الظواهر التي الِفنا التعامل المعرفي معها على أساس من كون واحدتها ظاهرة مفردة مستقلة بذاتها كما تبدو لوعينا. إلا أن هذا بكل تأكيد وهمٌ يقع فيه الوعي الإنساني العاجز عن تبين استحالة قيام ظاهرة ما على أساس راسخٍ من الفردية التامة والاستقلالية المطلقة! فكل ظاهرة من ظواهر الوجود لا وجود حقيقياً لها الا بقيامها على أساس متينٍ من التشارُك مع كثير غيرها من الظواهر. وهذا ما كشفه لنا العلمُ التجريبي-الاختباري من بعد ان بينه لنا جلياً واضحاً التعمقُ في تحليل الظاهرة قيد الدرس إرجاعاً لها لمفرداتها الاولية المكونة لها. فلا وجود في هذا الوجود لكائنٍ ما ذي هوية فردية قائمة دونما استناد لكائنات أخرى كثيرة غيره. إلا أن هذا لا يعنينا كثيراً الآن ونحن نتدارس ظاهرة التزامن؛ هذه الظاهرة التي لا تملك ما يجعل منها تستأثر باهتمام الوعي الإنساني لولا تشارُك ظاهرتين، على الاقل، في صياغة مادتها. لذا فظاهرة التزامن، بهذا المعنى، ليست كباقي ظواهر الوجود كما اعتاد هذا الوعي ان يتعامل معرفياً معها. ولكن هل هذا التشارُك هو كل ما هنالك من خصائص رئيسية بها تفردت ظاهرةُ التزامن كما يعيها وعي الإنسان؟ هناك أيضاً غير التشارُك هذا التقارُب، بل وحتى التطابُق، في زمن الحدوث لكل ظاهرة من الظواهر التي تُشكلُ مجتمعةً ظاهرة التزامن. وهناك بعدُ التقارب، بل وحتى التطابق، في مفردة، أو اكثر، من المفردات المكونة لكل ظاهرة من الظواهر التي تتشكل من تشارُكها ظاهرةُ التزامن. إن اكثر ما هو غريب بخصوص ظاهرة التزامن هو ان مفرداتها المتقاربة أو المتطابقة ترِد في سياقات حدوث مختلفة وإنْ كان هذا لا يحول دون تقارُب، بل وحتى تطابُق،

زمان حدوثها! وهذا ما يجعل من هذه الظواهر مُحملةً بمعنى ليست تنافسُها في حمله الا تلك الظواهر الخارقة للعادة والتي هي من قبيل ما يُصنف على انها ظواهرٌ رسالية أو ظواهرٌ هادفة. إن هذا الظهور العجائبي لمفردة، بل وحتى اكثر، في سياقات حدوث مختلفة وبزمان حدوث متقارب، وفي كثير من الأحيان جد متقارب حد التطابق، يستدعي من العقل الإنساني ان يتساءل عن هذا الذي ما كان، لولا حاضر وسابق تدخله، لظاهرةٍ كهذه ان تَحدُث خرْقاً بيناً لكل ما الفناه من حوادث وظواهر لا تستدعي منه هكذا تساؤل!

فكيف تسنى لظاهرتين، أو اكثر، ان يتقارب زمن حدوثهما بهذه الكيفية التي جعلت من مفردة، وحتى أكثر، من مفرداتهما تتخذ لها سياقَي حدوث مختلفَين تمام الاختلاف على الرغم من تشارُكهما في ذات هذه المفردة؟ إن الأمر المثير للدهشة في ظواهر التزامن هو هذا الذكاء المتلطف استخفاءً والمتجلي هيمنةً على مقاليد الوجود حتى لا يعود بوسع مَن كان سليمَ العقل غيرَ سقيم التفكير، وهو يشاهد ما يحدث امامه من مُطلَق تحكم بعَنان الواقع كما تُجليه بكل وضوح ظواهرُ التزامن هذه، ان يخرج من تجربةٍ فريدةٍ كهذه الا وهو مستيقن الفؤاد بأن هذا الذي كان شاهداً عليه ما كان له ان يحدث لولا هذا الذكاء الخارق لكل ما ألفناه من تجليات ذكائية والمتغلغل في كل مفردة من مفردات هذا الواقع مُطلقَ إمساكٍ بهذه المفردات في يمينه التي طوت داخلها الوجود بكل موجوداته ظاهرها وباطنها معلومها ومجهولها. فلولا هذا الذكاء المهيمن على مفاتح الغيب والشهادة، هل كان بوسع ظواهر التزامن ان تُحدِث هذا الصدْع الهائل في البُنية المعرفية للفكر الإنساني وهي تضطره لمواجهة التحدي الذي يمثله عجْزُه عن تفسير ما يحدث فيها من خرْقٍ بين لمفرداته التي تشكلت منها منظومتُه العقلية وهي تتفاعل مع ما هو غير خارقٍ للمألوف الذي درجت على النظر إليه بعين العقل؟! إن ظاهرة التزامن تطالِب العقل الإنساني بالتوقف حيالها ليتفكر في الرسالة التي يوجهها إليه هذا الذكاء اللابشري بكل تأكيد. فما الذي يريده هذا الذكاء، الالهي بالضرورة، وهو يضطر الوجودَ إلى التشكل وفق ارادته،

الالهية لامحالة، بهذه الكيفية التي تتجلى في كل ظاهرة من ظواهر التزامن؟ إن كل ظاهرة من هذه الظواهر الخارقة للعادة والمألوف لا يمكن أن تحدث لولا هذا التدخل الالهي المباشر في سير اعمال الوجود إعادةَ صياغةٍ للكثير جداً من انماط علائق مفرداته وذلك كيما يتسنى لهذه الظاهرة ان تحدث. فالوجود، دون تدخلٍ الهي مباشر في مجريات احداثه وظواهره، مستقر بما بثه الله فيه من جبال الاسباب؛ هذه الجبال الراسيات التي لولا تواجدها في الوجود لما كان بمستطاع موجوداته ان تصمد لحظةً واحدة امام النور الالهي الذي وسع الوجود كله من اقصاه إلى اقصاه تغلغلاً وإحاطةً لا قدرة لموجود على الاختفاء عنهما. فظواهر الوجود معظمها نِتاجُ تدخلٍ الهي غير مباشر من وراء حجاب جبال الأسباب هذه. وهذا هو السبب في كون ظواهر الوجود غالبيتها العظمى لا تُلزِم العقل غير المؤمن بالله بوجوب القول بوجود الله! إلا أن كل ظاهرة من ظواهر التدخل الالهي المباشر في مجرى احداث الوجود ليس لأي عقل سليم حتى وإنْ كان غير مؤمن بالله الا يوقفه هذا العجْزُ منه عن استيعاب ما يحدث فيها من خرْقٍ بينٍ لمألوفاته ومعتاداته. إن ظواهر التزامن، وغيرها من ظواهر التدخل الالهي المباشر، تُلزِم العقل السليم هذا بوجوب القيام بمراجعةٍ لكل ما درج على الاخذ به من ضوابط للتفكير وذلك لفرْط ما تواجهه به من تحد لا سبيل له للنجاح في اجتيازه الا بتنازله عن غرور العقل الإنساني؛ هذه الآفة الوبيلة التي هي السبب في هذا الذي آلت إليه حضارةُ الإنسان الموشك على السقوط في هاوية لا قرار لها إلا في الجحيم. فهل نعود إلى الله بمركب هذه الظواهر التي لا نجاة من الغرق في بحر ظُلُمات الجهالة والمعرفة الزائفة الا بالصعود اليها من بعد تمام التنازل عن سابق نظرتنا إلى الوجود؛ تلك النظرة التي أعمتنا عن رؤية الحقيقة لفرْط ما اوجبته علينا من ضرورة التمسك بها نظرةً احاديةً وحيدةً لابد من الاخذ بها والا فنحن همجٌ رعاعٌ؟! إن ظواهر التزامن طريقُنا إلى العودة إلى الله إذا ما نحن أحسنا التمسك بها وقوعاً على ما ضمنه الله في مادتها من معانٍ استوجبت سابق وحاضر تدخله المباشر في سير اعمال الوجود تمهيداً وإعداداً لحدوثها الخارق

للمألوف هذا. فظواهر التزامن ابداً لن يكون بمقدور العقل الإنساني التعامل المعرفي معها وبما من شأنه ان يكفل لمنظومته المعرفية ان تستوعبها كما تستوعب معظم ما يحدث من ظواهر غير خارقة للمألوف في هذا الوجود. إن كل ظاهرة من ظواهر التزامن هي رسالةٌ موجهة من قِبل الذكاء الالهي إلى من كان له الحظ العظيم في مشاهدتها تحدث اماماً من ناظريه. لذا كانت دراسة ظواهر التزامن هي السبيل للتعرف إلى تجلياتٍ للذكاء الالهي متجددة على الدوام بتجدد وتنوع هذه الظواهر الخارقة للعادة وهي لا تني تحدث بين الحين والآخر رسائلَ اهتمام الهي بهذا الإنسان عله ان يلتفت اليها فيتوقف عندها متسائلاً عن كيفية حدوثها ومتوصلاً بذلك، انْ هو اعمل عقله من غير خضوعٍ للنفس وهواها، إلى ان هناك مَن يكترث به وان هذا المكترث بشأنه لابد وأن يكونَ ذا ذكاء، ليس كمثله ذكاء، وقوةٍ على التغلغل في مفردات الوجود، ليس كمثلها قوة، مادام قادراً على أن يُعبر عن مطلق هيمنته على هذه المفردات وبما من شأنه ان يجعل من هذه الظواهر الخارقة للعادة تحدث على الرغم من مقتضيات العقل وأحكامه! إن ظواهر التزامن لا تكشف النقاب عن هوية مَن يقف من وراء حدوثها المعجز هذا بهذا الحدوث لها فحسب، وإنْ كان حدوثها هذا يتطلب لامحالة تواجداً لذكاءٍ خارق لكل ما نعرفه من ذكاء ولقدرة ليست كمثلها قدرة على الاحاطة بالوجود بكامل موجوداته. فهذه الظواهر تبرهن على عائديتها إلى الله بتلاحُق حدوثها وزيادة معدل تنوعها شريطة التزام المرء بالسير على الطريق الالهي إلى الله منضبطاً بضوابط القرآن العظيم المنظمة لعلاقة العبد بالرب. إن الدراسة التجريبية-الاختبارية لظواهر التزامن بمقدورها ان تبرهن على أن المسؤول عن حدوثها لابد وأن يكون هذا الذي لولا صائب التزام المرء بالسير على الطريق إليه منضبطاً بهذه الضوابط المنهجية التي بينتها آياتُ قرآنه العظيم لما كان لهذه الظواهر ان تحدث ولما كان لها ان تتلاحق وتتنوع اصنافاً لا سبيل لحصرها والاحاطة بها. لذا فان ظواهر التزامن هي خير وسيلة للتثبت من أن هنالك حقاً مَن هو قادر على استيعاب الوجود بكل ما فيه ومَن فيه داخلاً من

مُحكَم قبضته التي لا يستطيع أي شيء مهما دق أو عظُم ان يفلت منها سواءً كان ذرةً أم مجرة! فلولا كونها من ظواهر التدخل الالهي المباشر في سير اعمال هذا الوجود، هل كان لظواهر التزامن ان تحدث بهذا التلاحق والتنوع بمجرد التزام المرء بالسير منضبطاً بضوابط العلاقة المثلى للعبد بالرب كما بينتها وفصلتها آياتُ القرآن العظيم؟ إن المتزامنات لا تحدث عفوياً ومن دون أن يكون هنالك مقصد من وراء إحداثها. فالعلاقة الوثيقة ما بين كثرة حدوث وظهور المتزامنات وبين السير بالتزام على الطريق الإلهي إلى الله تُبين بوضوح تام حقيقة كون هذه الظواهر، فائقة الخارقية، ذات دلالة بعيدة المرمى تتجاوز حدود ظهورها المجرد. إن شروع هذه الظواهر بالحدوث، المستمر والمتكرر، فور التزام السائر على الطريق الإلهي إلى الله بقواعد السير والسلوك، يبرهن على أن من ورائها رسالة مُحملة بالمعاني يُراد بها ان تسترعي انتباه السائر على الطريق اليها. إن ارتباط تلاحُق ظهور المتزامنات بالسعي المُجِد على الطريق الإلهي إلى الله يدل على انها هادفةٌ وذات مغزى رسالي محدد. إن استذكار حقيقة كون الفاعل المُستتر من وراء هذه المتزامنات هو الله الحكيم الخبير يقود العقل إلى الإقرار بأن اظهار هذه الظواهر فائقة الخارقية، بهذه الوتيرة العالية للغاية، يقف وراءه سبب على قدْر كبير من الأهمية. إن التباين الكبير في ماهية ومفردات هكذا ظواهر تتصف بكونها مترابطة تزامنياً فيما بينها إذا ما قرنه المرء بحقيقة كون الفاعل الذي تسبب في ظهورها هو اِله واحد، وليس آلهة متعددة، فانه سيخرج لامحالة بنتيجة واحدة مفادها ان هذا الإله على قدْر غير معقول من القدرة والإحاطة والتغلغل؛ فهو لا يحدد فاعليته بظاهرة معينة ولكنه يُطلقها حرةً غير مقيدة لا تعرف حدوداً ولا تواجه حواجزاً الا وخرقتها. فهل يكون هذا هو المغزى من وراء حدوث المتزامنات والرسالة التي يريد الله أن يوصلها إلى مَن التزم في سيره على الطريق إليه بالضوابط القرآنية؟ هل يبغي الله من وراء هذا الإظهار المعجز ان يلفت وعي السائر على الطريق إلى ضرورة أن يعي القدرة المطلقة لربه؟ أم أن هناك أمراً آخر يريده الله بهذه المتزامنات غير هذا؟ لماذا لا تكون

هذه الظواهر ذات الخارقية الفائقة أدوات تعليم الهي الهدف من ورائه تدريب السائر على الطريق الإلهي إلى الله على التقاط رموز ذات دلالات معرفية يترقى ادراكه لها بنجاحه في التعلم مستفيداً من هذا التعليم في الوصول إلى الإلمام بمفردات تُعينه على التعامل مع الوجود وظواهره لا كما كان دأبه قبل المسير ولكن كما ينبغي لمن يتعرض لأعظم ما في الكون من طاقة هي النور الذي ليس كمثله شيء؟

ان رد الفعل الصائب الذي ينبغي أن يُظهِره مَن تأخذ المتزامنات بملاحقته والظهور بصورة متكررة متجددة في حياته هو الالتفات اليها بصورة جدية وعدم الإنشغال عنها بالتركيز على غرابة هذا الظهور المُميز لها وذلك حتى لا يكون فرط انبهاره بها حاجباً لما يتوجب عليه أن يُبديه من عظيم اهتمام بها يتجاوز التوقف منشدهاً بدلالات ظهورها إلى التفرغ التام لدراسة هذه الدلالات على قدْر تعلق الأمر بمضمونها الرسالي وذلك طالما كانت المتزامنات إلهية الإحداث والإظهار. إن ظواهر التزامن هي من أبرز مفردات الواقع الجديد للسائر على الطريق الإلهي إلى الله؛ هذا الواقع الذي يتميز بتسلط الوجود الإلهي على الواقع البشري وهيمنته عليه بالصورة التي لا يعود فيها ما يحدث يحدث بسببٍ يمكن تشخيصه على أنه ينتمي بصورة مطلقة للواقع القديم الذي كان هو كل واقع السالك قبل التزامه بالرحلة على الطريق الإلهي إلى الله. إن أول عمل يتوجب على مَن تتمحور المتزامنات مِن حوله الإنشغال به هو القيام بتجميع مفرداتها بصورة علمية رصينة وذلك ليتسنى له الحصول على أكبر قدْر ممكن من المعلومات ذات العلاقة بمضامين ودلالات الرسالة الالهية التي تحملها، وبكل أمانة، بيَدَيها ظواهر التزامن. إن صدور هذه الرسالة عن ذكاء فائق ليس كمثله ذكاء يُحتم أن تكون عملية التوصل إلى تحديد مضامينها ودلالاتها ليست بالأمر الهين طالما كان الذكاء البشري، الذي يقوم بهذه المهمة العسيرة، محدوداً بهذا العقل المُحدد بقوانين طبعته بسِمات وخصائص تجعل من الصعب عليه التجرد من أحكامه المسبقة وتنظيراته الجاهزة وشغفه بقولبة ما يعرض له داخلاً من

أنماط صاغها بخبرته السابقة وما تطبع عليه عبر مراحل نشأته مجتمعياً. إلا أن صعوبة هذا الأمر لا تعني كونه مستحيلاً. فالعقل البشري يتميز بقدرة فذة على تغيير طبيعته القائمة على أساس من طبعه الذي توارثه وتطبعه الذي نُشأ عليه وذلك إذا ما جهد صاحبه على تغييره بكل حزم وارادة. إن دراسة الواقع الجديد من قِبَل عقل السائر على الطريق الإلهي إلى الله تتطلب منه الإنكباب على تدبر كل مفرداته وعلى رأسها، وبصورة مكثفة، المتزامنات وذلك لأنها الظواهر الأكثر مُلاحَقة له والتي لن تني تظهر مِن حواليه كلما جد واجتهد في سيره. فالواقع الجديد هذا، بمفرداته المُشكلة من ظواهر خارقة ليست كمثلها ظواهر، يختلف بداهةً عن واقعه القديم الذي ألِفه قبل المسير؛ وهو لذلك لن يكون بمقدوره على الإطلاق فهمه والتعايش بالتالي معه بالإستعانة بمفردات من ذلك الواقع القديم الذي اتسمت ظواهره بنمطيتها ومُشابَهتها للمألوف والمعتاد اللذين يُميزان نمط حياة الغالبية العظمى من البشر الذين لم يلتزموا بالسير على الطريق الإلهي إلى الله. إن فهم الواقع الجديد والتعايش معه بنجاح يتطلبان القيام بهكذا دراسة علمية رصينة لكل مفرداته طالما لم يكن بمقدور ما مضى من خبرات قامت على أساس من مفردات الواقع القديم ان تقدم يد العون. إذا فجانب من جوانب البُعد الرِسالي والمغزى الهادف لظواهر التزامن المُلاحِقة والمُلاصِقة للسائر على الطريق الإلهي إلى الله هو هذا الإعداد التدريجي لعقله الجديد ليصبح بوسعه التعامل مع واقعه الجديد بصورة لم يألفها من قبل وذلك عندما كان يتعايش بعقله القديم مع واقعه القديم. إن مفردات الواقع الجديد هذا تتشكل من علامات يتميز بها الطريق الإلهي إلى الله عن باقي الطرق؛ وهذه العلامات يستدل بها السائر على هذا الطريق فيتيقن من كونه قد اتخذ القرار الصائب باختياره هذا الطريق بدلاً من مئات غيره من الطرق المنافِسة والتي لا يملك أيها ما هو مُشابِه لها ولو من بعيد. إن التعامل بصورة قويمة صائبة مع واقعه الجديد يتطلب من السالك أن يستعد لمواجهة مفردات هذا الواقع وبما يجعل منه يحظى دوماً بالنجاح في حل الإشكالات الناشئة عن تعارض الجديد هذا والقديم

الذي كان مألوفه والذي هو في الوقت عينه مألوف مَن يحيا بين ظهرانيهم من بشر. فالسير على الطريق الإلهي إلى الله ليس محفوفاً بالورود والسائر عليه لا يأمل بأن يحيا في سلام ودِعة مادام هو قد اتخذ لنفسه طريقاً يخالف الطرق التي ألِفها البشر ومادام قد شق لنفسه بعيداً عنهم مساراً على هذا الطريق المخالِف غير المألوف! إن المجابهة الحتمية بينه وبينهم لا يمكن تفاديها وهو لن يستطيع تحقيق الغَلَبة عليهم ان هو لم يتسلح بمفردات واقعه الجديد المخالف لمألوفهم تسلحاً عُدته فهمه لواقعه الجديد هذا ونجاحه في الإفادة من مفرداته افادةً تجعل منه لا يخشى مجابهةً عقائدية مع مَن لم يلتزم بالسير على الطريق الإلهي إلى الله بل يسعى جاهداً إلى اصطناعها وخلْقها خلْقاً طالما كانت هذه هي فرصته التي يتحين لتقديم يد العون لمن يجابهه عله ينجح في جعله يُشاركه المسير على الطريق. إن التدبر في هذه الملاحقة العجيبة للمتزامنات بصورة خاصة، ولباقي الظواهر فائقة الخارقية بصورة عامة، للسائر على الطريق الإلهي إلى الله يكشف عن حقيقة كونها هادفة إلى جعله ينجح في التكيف مع واقعه الجديد المخالف لما اعتاد عليه قبل المسير توصلاً إلى تغيير أنماط تفكيره الذي ألِفه من قبل وذلك حتى لا يعود بمقدور عقله أن يتعامل مع مفردات الواقع الجديد بما يجعل منه لا يرى فيها أدلةً على صحة اختياره وعلى حقانية كون هذا الطريق هو بحق الطريق الإلهي إلى الله من بين المئات من الطرق الأخرى المنافِسة. إن هذا التكيف لا يستهدف السائر على الطريق وحده بل هو يرمي إلى جعل السائر على الطريق الإلهي إلى الله داعياً إلى الله بإذنه طالما كان الإعداد الذي سبق هذا كله قد قام على أساس من تأهيل تدريجي للقيام بمستلزماته وذلك عن طريق هذا الظهور المتلاحق للظواهر فائقة الخارقية من حواليه وقيامه هو بالتالي بدراسة الدلائل التي يعنيها هذا الإظهار. إن ملاحقة هذه الظواهر للسائر على الطريق الإلهي إلى الله، والتي هي قدَر لا مفر له منه بداهةً بسببٍ من وجوب تعرضه لطاقة ليست كمثلها طاقة في الكون، لا يمكن أن تكون خالية من هدف يتجاوز السبب المباشر وراء حدوثها فيزيائياً. إن كون المسير على الطريق

الإلهي إلى الله يستدعي قيام السائر بواجبات تعبدية يقع في مقدمتها وعلى رأسها الدعوة إلى الله يجعل من الواضح جداً السبب في هذه الملاحقة! إن اعداد السائر على الطريق ليكون داعياً إلى الله بإذنه يتطلب تأهيله بما يجعل منه مُحملاً بكل ما من شأنه اقامة الحُجة وتقديم البرهان على صحة دعواه. ان تغير البيئة المحيطة بالسائر على الطريق الإلهي إلى الله، بسببٍ من تعرضه لطاقة هذا الطريق وانعكاس هذه الطاقة عنه على ما حوالَيه، هو السبب الفيزيائي في الظهور الخارق للمتزامنات بهذه الصورة المُكثفة في حياته. إلا أن ظهورها الخارق هذا لا يستلزم عدم خضوعها لأنماط محددة لا تتجاوزها. إن في هذا التحديد تشديداً على خضوعها التام للطاقة التي قامت بإحداثها واظهارها؛ هذه الطاقة التي تتصف بحكمة بالغة يلزم عنها وجوب تقييدها للمتزامنات بما يجعل منها لا تخرق قوانين ظهورها المحدد بهدف لا تستطيع الحيود عنه. وهذا الحرص على الإلتزام بالهدف يجعل من المتزامنات لا تحدث بصورة عشوائية خالية من التوجيه بحيث يصبح من العسير على السائر على الطريق الإلهي إلى الله تحديد مفردات واقعه الجديد نظراً لأن عدد هذه المفردات الخارقة يتجاوز ما بمستطاعه السيطرة ادراكياً عليه! إن تقيد المتزامنات بهذا القانون يبرهن على رساليتها وعلى حقانية كونها هادفة طالما كان مَن اَحدثها هو اِله حكيم خبير.

ان السائر على الطريق الإلهي إلى الله سوف يلحظ هذا التغير الذي ألم بكل ما حوالَيه من بعد شروعه بهذا المسير. وهذا التغيير يعبر عن نفسه بهذا الظهور الخارق لظواهر غير مألوفة لم يسبق له وأن التفت إلى شيء من قبيلها أو عثر على نظير لها من قبل. إن انتظام الوجود من حول السائر على الطريق الإلهي إلى الله وفق نظام جديد تخضع له مفردات واقعه القديم، بانضباطها بقانون ظهور مفردات الواقع الجديد فلا يكون بمقدورها المخالفة عن أمره وعدم التقيد بوجوب حرصها على أن لا تتدخل في مسار هذا الظهور سلباً، سوف يتكشف لناظريه ويتبدى لوعيه بصورة لا يستطيع معها أن يغمض عينيه عن

هذا الذي يحدث من حوالَيه. وهذا إعداد من نوع فريد يتجاوز ما بمقدور أي نظام تعليمي اِنجازه. إن التعلم على الطريق الإلهي إلى الله يبتدئ بالتعود على الواقع الجديد وذلك بتدبر مفرداته الخارقة المُبايِنة لما ألِفه السائر عليه من قبل. ويمضي التعليمُ متسارعَ الخُطى صوب الهدف والذي هو الوصول بالسائر على الطريق الإلهي إلى الله إلى مقام يتمكن فيه من الإنتقال من واقعه الجديد إلى واقع آخر لا يعود فيه بامكانه النظر إلى شيء مما حواليه وذلك لأنه يصبح من أهل النظر إلى الله الذين لا يرون في الوجود سواه. إن التدرج في التعليم انطلاقاً من رؤية آثار النور الإلهي تنعكس عن أشياء الوجود وصولاً إلى العجز عن رؤية شيء غير الله يمر حتماً عبر بوابة ظواهر التزامن التي هي آثار نور الله منعكساً عن ما في الوجود. إن الوصول إلى هذا المقام يتطلب من السائر على الطريق الإلهي إلى الله التحلي بطبائع جديدة مخالفة لما اعتاد من قبل المسير عليه من عادات وطبائع؛ وهو بعدُ مُطالب بالحصول على علم لا سبيل إليه الا بالتقوى وهي لُب العبادة وميزانها الوحيد. والتقوى تستدعي التزامه التام بضوابط المسير وفق قوانين الطريق القرآني. إن هذا الإلتزام يجعل بمقدوره الحصول على العلم الضروري والذي لابد منه قبل النجاح في الوصول إلى الله. فهذا العلم المُتأتي عن طريق التقوى هو علم بالوجود على ما هو عليه وبمَن فيه على ما هم عليه؛ وهو علم لا سبيل إليه بغير التقوى التي هي العبادة كما ينبغي وكما أرادها الله وسيلةً خالصةً اليه. والتقوى، بعدُ، لا سبيل اليها الا بالتقيد المطلق بنظام السير على الطريق الإلهي إلى الله. إن الوصول إلى الله، لا يتحقق الا بالسير على الطريق إليه وفق قواعد القرآن العظيم المنظمة لهذا المسير. فهذه القواعد تضمن تحقق حصول السائر على الطريق الإلهي إلى الله على العلم الذي لابد منه من أجل الوصول اليه. إن العلم بالوجود على ما هو عليه وبمَن فيه على ما هم عليه لا يتحقق للسالك السائر على الطريق الإلهي إلى الله الحصول عليه الا برؤية الوجود ومَن فيه بالنور الإلهي منعكساً عن ما سوى الله. إن الناظر إلى الأشياء بغير وساطةٍ من ضياء لا يستطيع على الإطلاق ان يراها

على ما هي عليه في نور الشمس أو ضوء المصباح الكهربائي. وكذلك فالناظر إلى الوجود، بكل ما فيه ومَن فيه، لا يستطيع أن يراه على ما هو حقاً عليه الا بواسطة نور الله الذي بانعكاسه عنه تتبين حقيقة الوجود على ما هو عليه. إن الوصول إلى الله يستدعي الحصول على هذا العلم بالوجود وذلك حتى يصبح بمقدور السائر على الطريق الإلهي إلى الله النظر، من بعد الوصول، إلى الوجود فلا يراه. إن النظر إلى الوجود على ما هو عليه حقاً يعني ان لا ترى سوى الله. وهذا لا يعني ان الوجود هو الله كما توهم الكثير من الحمقى والأغبياء. إن النظر إلى الوجود بنور الله سوف يكشف عن حقيقة هذا الوجود فلا يعود بعد ذلك بوسع السالك ان يتوهمه موجوداً قائماً بذاته بل يراه على حقيقته، القصوى والوحيدة، وجوداً قائماً بالله! إن النظر إلى الله لا يتحقق الا من بعد النظر إلى الوجود بنور الله. والوجود لن تتجلى حقيقتُه على ما هو حقاً عليه الا برؤية النور الإلهي ينعكس عنه. عندها، وعندها فقط، يُصبح بالإمكان النظر إلى الوجود بعين لا تراه الا على ما هو حقاً عليه؛ فلا يعود بعدها بمقدوره الإستمرار حجاباً حاجزاً ما بين العين ونور الله. إن النظر إلى الوجود بغير نور الله سوف لن يجعل منه الا حجاباً ما بين العين والله. فالنظر إلى الوجود بنور الشمس، مثلاً، سوف يجعل منه موجوداً غير حقيقي؛ وغير الحقيقي لا يستطيع أن يكون الا حجاباً ما بينك وبين ما هو حقيقي. فأنت لن تستطيع أن تنظر إلى الله فتراه الا من بعد ان تنظر إلى الوجود بنور الله فلا تراه كما كنت من قبلُ تراه بضوء الشمس أو بضوء الكهرباء، ولكن تراه كما هو حقاً عليه شفافاً لا يحجب بينك وبين الله. إن الوجود إذا ما أنت نظرت إليه بغير نور الله لن يكون حقيقياً، وهذا هو الذي يجعل منه حجاباً بينك وبين الله الذي لا سبيل لأن تنظر إليه فتراه الا بزوال الحجاب ما بينك وبينه بزوال الوجود على ما هو ليس عليه. فالوجود على ما هو حقاً عليه ليس بحجاب بينك وبين الله. ولكن لا سبيل للنظر إلى الوجود ليُرى على ما هو حقاً عليه الا بالنظر إليه بنور الله الذي وحده بمقدوره أن يجعل منه يتجلى على حقيقته فلا يكون حجاباً كما هو حاله عليه عند النظر إليه بغير نور الله.

فالمتزامنات إذاً هي مفردات واقع جديد يتشكل بسببٍ من انعكاس نور الطاقة الإلهية عن السائر على الطريق الإلهي إلى الله على الوجود من حوالَيه. وهذا الواقع الجديد يختلف عن الواقع المألوف الذي هو الوجود كما تراه الغالبية العظمى من بني البشر وهم ينظرون إليه بغير نور الله وبغير ما ينعكس عليه من نور طاقة الطريق الإلهي إليه واللذين لا سبيل للنظر بهما الا بالإلتزام بالسير على الطريق الإلهي إلى الله. إن الواقع الجديد يتشكل ظواهراً خارقة وأحداثاً غير مألوفة لم يسبق للسائر على الطريق وأن رآها. وهذه الخوارق بوسعها أن توفر له خير تعليم يعمل على جعله يترقى إلى أحوال غير نمطية لم يحظَ بها الا جمع من البشر قليل. وهو بوصوله إلى هكذا مقامات من بعد اتصافه بهذه الأحوال غير المألوفة سوف يصبح بمقدوره ان لا يتعامل بعدُ مع الوجود كما اعتاد من قبلُ؛ حيث يكون بمستطاعه عندها تلمس آثار نور الله وهو ينعكس عنه على ما في الوجود من حواليه. وهكذا يأخذ بالترقي بصورة تدريجية من حاله السابق المشابه لحال غيره من غير السائرين على الطريق الإلهي إلى الله، من الذين ينظرون إلى الوجود فلا يرونه الا على ما هو ليس حقاً عليه، إلى الحال الجديد الذي يميزه عنهم بجعله لا يتمكن من النظر إلى الوجود الا وهو يراه على واقع جديد؛ هو حاله من بعد اِعادة تشكيله بواسطة طاقة الطريق الإلهي إلى الله. إن هذا النظر منه إلى الوجود هذا، سوف يجعل منه يرى فيه حقائق لا يمازجها باطل؛ وهذه الحقائق بمقدورها أن تُعينه على التقدم إلى أمام على الطريق الإلهي إلى الله وذلك بجعلها اياه يعجز عن معاودة النظر إلى الوجود ليراه كما يراه غيره من غير السائرين على الطريق. إن هذا كفيل بقطع السبيل عليه حتى لا يرجع إلى حاله السابق من النظر إلى الوجود ورؤيته على ما هو ليس حقاً عليه. فهو من بعد مسيرته على الطريق الإلهي إلى الله سيكون عاجزاً عن أن ينظر إلى غير الواقع الجديد الذي سوف يتكفل بجعله يراه حافلاً بكل ما من شأنه أن يعمل على تهيأته للإنتقال إلى الخطوة القادمة التي يصبح بمقدوره بعدها النظر لا إلى الوجود على ما هو ليس حقاً عليه، كما كان ينظر إليه من

قبل التزامه بالسير على الطريق الإلهي إلى الله وكما يراه غير السائرين، ولا إلى الوجود وقد أُعيد تشكيله بنور طاقة الطريق المنعكس عنه على ما حوالَيه ولكن إلى الوجود على ما هو حقاً عليه وذلك بالنظر إليه بنور الله حيث لا يكون حينها بمقدوره أن يرى من الوجود شيئاً، طالما كان الوجود على ما هو حقاً عليه غير قابل للرؤية؛ مما يجعل منه ينظر إلى الوجود فلا يرى هناك من موجود فيه بحق الا الله. إن الرحلة على الطريق الإلهي إلى الله شاقة صعبة وذلك لفرط التباين ما بين الوجود الذي اعتاد عليه الإنسان، والذي هو ليس بموجود في حقيقة الأمر وواقعه، والوجود الذي ينبغي له أن ينظر إليه فيراه على ما هو حقاً عليه ليدركه على حقيقته القصوى وجوداً غير موجود بالإضافة إلى الله. وهذا التباين ما بين نمطَي الوجود هذين يستدعي أن يمر السائر على الطريق الإلهي إلى الله عبر بوابة الظواهر الخارقة وذلك لأنها مادة الوجود الوسيط بينهما والذي يُمكنه من الإنفلات من تعلقه بالوجود، الذي كان قبل شروعه في السير على الطريق يمثل له كل ما هنالك، إلى التهيؤ لاستقبال الوجود الحقيقي على ما هو عليه. إن المتزامنات تُعِد السائر على الطريق الإلهي إلى الله حتى يصبح بمقدوره التخلي عما اعتاد عليه من رد فعل تجاه الوجود، الذي اَلِفه، ولم يعتد على غيره، وصولاً إلى التحلي بالمقدرة على النظر إلى الوجود ليراه على ما هو حقاً عليه. فاذا كان المرء لا يستطيع إلا أن ينظر إلى الوجود فيراه على ما هو ليس حقاً عليه واذا كان الوصول إلى الله يتطلب حصوله على المقدرة على النظر إلى الوجود على ما هو حقاً عليه فان السبيل لتحقيق ذلك لا يمكن أن يكون الا بالسير على الطريق الإلهي إلى الله وذلك حتى يصبح بمقدوره هجر ما اعتاد عليه من نظر للوجود ورؤيته على ما هو ليس حقاً عليه وذلك عن طريق انشغاله بالوجود بحاله الجديد المُبايِن لما كان عليه قبل المسير؛ هذا الحال الذي يجعل منه لا يراه كما يراه باقي البشر خالياً من المعنى وغير مبالٍ به ولا آبهاً لما يعنيه وجودُه فيه. إن الوصول إلى رؤية الله، برؤية الوجود على ما هو حقاً عليه، يستدعي تعلم المرء كيفية التوقف عن النظر إلى الوجود ورؤيته على ما هو ليس حقاً عليه. إن الوجود كما ينظر

إليه جُل البشر هو الحجاب الذي يعجزهم وجودُهُ عن أن يكون بمقدورهم أن يروا الله. إن النظر إلى الوجود كما اعتدنا عليه يجعل منا لا نستطيع غير أن نراه على ما هو ليس حقاً عليه فكيف نأمل بالتالي أن يجعلنا نَظَرُنا هذا ننظر إلى الله فنراه؟! إن زوال هذا الحجاب لا يتم الا بتمزيق ما اعتدنا عليه من طريقة في النظر إلى الوجود وهذا ما يستحيل تحقيقه بغير التحول والإنقلاب من هذا الذي اعتدنا عليه إلى ما يُباينه ويخالفه. وهنا تتقدم المتزامنات بالعون والمساعدة وذلك لأنها وحدها بوسعها أن تمزق عاداتنا في النظر إلى الوجود عبر تمزيقها للوجود الذي اعتدنا على النظر اليه!! إن تمزيقها لهذا الوجود الذي اعتدنا عليه يتم عبر اِعادة تشكيله من جديد ليصبح وجوداً وسيطاً ما بين الوجود المتوهم والوجود الحقيقي. إن القفز إلى مستوى القدرة على النظر إلى الوجود الحقيقي لا يمكن أن يتحقق من دون وساطة هذه الظواهر الخارقة التي وحدها بوسعها انقاذ المرء، بالتزامه بالسير على الطريق الإلهي إلى الله وفق قواعد القرآن العظيم، من التعلق بالوجود المتوهم غير الحقيقي. فتعلق السائر على الطريق الإلهي إلى الله بهذا الوجود الوسيط سوف يجعل منه يغادر حاله القديم الذي اَلفه واعتاد عليه فيتهيأ لحالٍ جديد لا يصبح معه بمقدوره أن ينظر إلى الوجود كما تعود على ذلك من قبل.

لقد كشفت الفلسفات الوجودية عن حقيقة هامة جداً تخص الوجود الإنساني وذلك عندما عبرت عما يجيش ويعتلج داخل صدر الإنسان، أي إنسان في أي زمان كان، من مشاعر الضيق والضجر وهو يعيش في هذا الوجود غير الآبه به واللامُبالي بوجوده والخالي من أي مقدار من الدلالة والمعنى. إن هذه الحقيقة لا يمكن ستر شمسها بغربال الإحتجاج الفارغ بأن هكذا مشاعر تجاه هذا الوجود المفعم بالجمال والطافح بالمعنى لا تمثل غير مشاعر نفر ضال من أفراد الجنس البشري ممن التاثت عقولهم وتشوهت طرائق تفكيرهم فحادوا عن الطريق العام المميز للغالبية العظمى من أبناء النوع الإنساني الذين ينظرون إلى الوجود فيرونه لا كما يراه هؤلاء المرضى الشاذون ولكن كما يراه الأصحاء

الأسوياء جميلاً هادفاً ذا معنى! إن هكذا احتجاج عقيم يقفز على الوقائع ويتجاوز الحقائق التي تم اثباتها والبرهان على صوابها المطلق فيما يخص هذه المشاعر التي تعتمل في صدور البشر جميعاً تجاه الوجود. إن رد فعل الإنسان تجاه الوجود هو، وكما أجاد وصفه وأطنب في الحديث عنه فلاسفة وأدباء الوجودية، هذا الفيض الجارف من مشاعر الخواء واللاجدوى والضيق بما يستشعره الإنسان، عن حق ومن دون توهم أو تخيل، من عدم اكتراث الوجود به وبلامبالاته بوجوده. إن هذه المشاعر الإنسانية الصادقة هي ليست وليدة الغضب أو المرض أو الفشل؛ فهي ردود أفعال طبيعية تجاه موقف الوجود غير المكترث بالإنسان الذي يحيا في هذا الوجود ولا يرى فيه ما يدل على انه يبادله أي شعور غير عدم الإكتراث واللامبالاة والبرود المطلق تجاه ما يعرض له من حوادث ووقائع. وهذا الذي اكتشفه الإنسان في الوجود من مشاعر سلبية تجاهه وتجاه وجوده يجب أن يُقارن بما ورد في كتابات أهل الطريق الإلهي إلى الله الذين نقلوا لنا صورةً مغايرة لرد فعل الوجود تجاههم! إن السائر على الطريق الإلهي إلى الله ينظر إلى الوجود فيراه لا كما يراه غيره ممن لم يلتزم بالسير على هذا الطريق؛ فهو يراه حياً غير جامد على حالٍ ليس بغير آبهٍ به بل وعلى العكس من ذلك فهو يأبه به ويبالي بأمره ويكترث لشأنه. فالوجود في نظر السائر على الطريق يتشكل وفق نور الطاقة الإلهية المنعكس عنه عليه، وهو لذلك لا يمكن أن يكون خالياً من المعنى مليئاً بالعبث واللاجدوى عقيماً غير هادف. إن ظواهر التزامن التي تلاحق السائر على الطريق تكشف له وبكل جلاء ووضوح عن حقيقة هذا الواقع الجديد المغاير تماماً للواقع الذي اَلِفه قبل التزامه بالسير عليه؛ وهذه الحقيقة هي أن الوجود لا يملك أن لا يبالي به ولا يقدر ان لا يكترث لشأنه وهو على الطريق إلى الاله الخالق الذي هو رب كل شيء. فاللاجدوى هي ما تجده على الطريق بعيداً عن الله. والا فكيف تأمل أن تجد الوجود على حالٍ من الإكتراث بك والمبالاة بشأنك وأنت لا طاقة لك على ارغامه على التشكل بماً يجعل منه يُباين واقعه وحقيقته؟! إن اللاجدوى والعبث لا يغادران الوجود الا عندما تنظر إليه بنور الطاقة الإلهية

فتراه وجوداً نابضاً بكل حب لك واهتمام بك واكتراث بشأنك. إن الأوصاف التي أطلقها مفكرو الوجودية على الوجود الإنساني هي صفات حقيقية طالما كان هذا الإنسان بعيداً عن الطريق الإلهي إلى الله! إن السير على الطريق الإلهي إلى الله هو وحده الكفيل بجعل هكذا مشاعر تجاه الوجود تختفي من صدر الإنسان وذلك لأن سيره على هذا الطريق سيجعل منه يرى في الوجود ما لم يكن بمقدوره رؤيته فيه من قبلُ وذلك عندما كان يسير بعيداً عن الله. وهذا الذي سيراه سوف يتجلى بما من شأنه أن يجعل من الوجود عامراً بالمعنى مفعماً بالإهتمام به وبما يحدث له. إن المتزامنات التي هي قدَر السائر على هذا الطريق سوف تكشف له بكل وضوح عن كون أحداثها قد تم إحداثها بشكل يجعل منها مفردات في رسالة حب وعشق موجهة له من قِبَل الوجود؛ هذا الوجود عينه الذي لم يكن قبل التزامه بالسير على الطريق ليأبه له أو يعبأ به! إن السير بعيداً عن الطريق الإلهي إلى الله لا يمكن أن يكون الا سيراً بعيداً عن الوجود الآبه بالإنسان المكترث به والمبالي بما يحدث له. لقد تحدث مفكرو الوجودية عن الإنسان ومشاعر الوجود العدائية والسلبية واللاأُبالية تجاهه، ولكنهم لم يدركوا ان إنسانهم هذا، وان كان يمثل الغالبية العظمى من أفراد الجنس البشري، هو ليس كل مَن هنالك!

(وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ. لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ. إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ. فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ. فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ) (المائدة 27 - 31)

عودة الى ظواهر التزامن والتجفير الذي يأبى ان يفارق غالبيتها العظمى مادامت هذه الظواهر هي في حقيقة الأمر رسائلٌ محملة بمعنى ليس من سبيل للوصول اليه الا من بعد إدمان النظر إليها بعينِ مؤمنة لا قدرة لها على التعامي عن الحق إبصاراً للباطل وتوهماً له بأنه الحق!

فظواهر التزامن ظواهرٌ خارقة للمألوف الذي دأبت عقولُنا على تلمُّسه أنى جال البصرُ منها في ظواهر الوجود كما ألِفناه خالياً من كل معنى مادمنا لا ننظر إليه بعين قلبٍ مؤمن بالله خالقاً لهذا الوجود بمن فيه وما فيه! إن هذا الخرْق الذي تقوم به ظواهرُ التزامن يُلزِم العقل السليم بوجوب التدبُّر في المعنى الكامن من ورائه طالما وقرت لديه استحالة حدوث هكذا ظواهر مخالفة للمألوف ما لم يتدخل مَن بوسعه أن يُقسِرها على أن تحدث رغماً عن أنف أرباب التكبُّر من بني آدم ومَن لف لفهم. فحتى تحدث ظاهرةٌ من ظواهر التزامن فان تدخلاً مباشراً من لدُن مَن يستطيع التسبب بحدوث أية ظاهرة يشاء لابد من أن يُمهد السبيل ليتسنى لهذا التزامن أن يتجلى واضحاً لكل مَن بمقدوره أن يتدبر الحدث غَوْصاً عميقاً تحت سطح العادة والمألوف دون أن يوقفه ما يلازم مفردات التزامن عادةً

من تجفير وترميز يحولان دون أن يكون بوسع كل مَن هب ودب الوقوع على المعنى الذي حُمِّلت به رسالةً لمن يعنيه ويهمه الأمر لا لمن لا يُحسن غير الإعراض عن الحق أنى تجلى له وبأية صورة جاءه البرهان على أنه ليس بباطل! إن التجفير الملازم عادةً لظواهر التزامن أمر مقصودٌ من قِبل الذكاء المُسبِّب لحدوث هذه الظواهر وذلك مادامت ظواهر التزامن مُحملةً بمعنى يُراد به أن يصل مَن لن يكون كل حظه من هذه الظواهر مجرد الاندهاش والتعجُّب بعيداً عن ملاحقتها لمعرفة الجهة المسؤولة عن هذا الحدوث المُحمَّل بالمعنى في عالم خالٍ من أي معنى مادام عالماً لا نريد أن نُصدق بأنه مخلوقٌ من قِبَل الله! فهذا التجفير الذي تأبى ظواهر التزامن أن تحدث دون أن يصبغها بصبغته المُلغِزة يتسبب به ذاتُ الذكاء المُحيط الذي كان تدخله المباشر في أحداث الواقع السببَ من وراء حدوث هذه الظواهر بهذا التزامن العجيب الغريب والذي لا يمكن أن يُعلل لحدوثه رجوعاً لأية أسباب تنتمي لواقعنا هذا مادام هذا الواقع عاجزاً تمام العجز عن أن يكون بوسعه تحميل الظواهر بمعنى كهذا الذي تُجلِّيه ظواهرُ التزامن لمن يُحسِن التعامل المعرفي معها تدبراً لها من بعد النظر إليها وقد تم فض أَغْلاق التجفير الذي لم يكن لها أن تعبر الى واقعنا دونه!

خصائص ظواهر التزامن:

إن تتبع ظواهر التزامن بملاحقة حدوثها في كل السياقات التي يتسنى للمرء الوقوع عليها كفيلٌ بتبيان الكثير جداً من خصائصها؛ هذه الخصائص التي سوف يُؤمِّن العثور عليها فرصةً نادرةً لمعرفة العلاقة الوثقى التي تربط ما بين المعنى المُحملة به والتجفير الذي يأبى أن يفارقها إلا قليلاً. فالمُلاحَظ على ظواهر التزامن أنها ليست سواء في حدوثها لمن لا تحدث إلا بوجود واحدهم. وهذا أمرٌ بمقدور المرء التثبت منه بكل يُسر وسهولة. فظواهر التزامن تتدرج من البساطة النسبية الى التعقيد المُفرَط وفقاً لقواعد مُحددة بالإمكان اكتشافها ومعرفة مفرداتها إذا ما المرء بادر إلى القيام بما يستوجبه البحثُ العلمي الرصين من ملاحقةٍ لهذه الظواهر في "بيئتها الطبيعية" التي أبداً لا تتواجد خارجها. فهناك

فرقٌ شاسع بين ظواهر التزامن التي تحدث لعامة الناس ولا يكون نصيبها من اهتمامهم إلا مجرد وقفة تعجب سرعان ما ينقضي بانقضاء سببه وبين ظواهر التزامن التي تلاحق السائر على الطريق الإلهي الى الله ليلَ نهار. لنشرع بتفصيل مفردات هذا الفرق مادمنا قد توغلنا الى هذا العمق!

لقد قلنا تواً إن ظواهر التزامن التي تحدث كل حينٍ وآخر لعامة الناس تتميز ببساطتها النسبية مقارنةً بالتعقيد التقني الذي يتجلى في ظواهر التزامن التي تأبى أن تفارق السائر على الطريق الإلهي الى الله. فظواهر التزامن التي تحدث للغالبية العظمى من بني آدم تهدف لا لشيء إلا لجذب انتباه الإنسان الغافل عن الحق، إعراضاً منه عن التعلق الصادق بالله كما يريده الله، إلى الرجوع عن هذا الغي والخروج من ظُلُمات العيش بوهم انتفاء أي وجود لغير هذا الواقع المنظور الى الحياة بنور الإيمان بأن هناك واقعاً آخرَ غير منظور يتواجد مع واقعنا المألوف وإن عجزت أبصارُنا عن أن تدركه لفرْط لُطفه واستخفائه. فهذه الظواهر الخارقة للمألوف تُطالب العقل الإنساني العاجز لامحالة عن أن يجد لها تفسيراً واقعياً مألوفاً بضرورة أن يتراجع عن إصراره على المُضي قُدُماً على طريق ليس بمؤدٍ به إلا الى الهلاك وذلك بأن يبادر الى مراجعة لكامل مفردات حياته إن صح أن تُسمى حياةً! إن مراجعةً صائبةً كهذه سوف تكفل للعقل السليم أن يخرج لامحالة بنتيجةٍ مفادها أن هنالك إلهاً رحيماً لا ينفك يُبادر إلى دوام تذكيره بأنه الحق وأن الإدبار عنه هو الباطل. فهذا العقل، مادام ليس قادراً على التفكير السقيم، لن يكون بمقدوره والحال هذه أن يتدبر ظواهر التزامن وهي تدعوه الى الله، بدعوتها له إلى الكف عن الفرار منه، فلا يُبادر من فوره إلى الرجوع إلى الله انشغالاً بهذا الرجوع يُوجب عليه الانشغال الصادق بالسعي للوصول إلى ما يتكفل بجعْله على معرفة بما ينبغي عليه القيام به من بعد أن تسنى له الإيقان العقلي بأن الله حقاً موجودٌ وأن ما كان عليه من انشغال عنه هو الباطل بعينه! إن ظواهر التزامن، شأنها شأن أية ظاهرة ليس بالإمكان التعامل المعرفي معها وبما من شأنه أن يجعل من منظومتنا العقلية قادرةً على أن تأتي

بتفسيرٍ لها لا يُطالِب العقل بالرجوع الى الله كما عرَّف عن نفسه في القرآن العظيم، هي ظواهرٌ مُحملةٌ برسالة مؤداها أن الله حق وأن الفرار إليه رجوعاً إلى هذا القرآن أمرٌ لابد منه. فكل الظواهر الخارقة للمألوف تحمل هذه الرسالة التي أبداً لن يكون بوسع العقل الإنساني يوماً أن يأتي بتفسيرٍ لها يتعارض والقول بوجود الله؛ هذا القول الذي تضطرنا إليه هذه الظواهر مادامت هذه هي رسالتها التي حُمِّلت بها لحظة أَنْ شاء لها الله أن تحدث فتنتمي بذلك لواقعين هما واقعها المسؤول عن الطاقة التي لا تحدث بدونها وهذا الواقع الذي لا نعرف غيره والذي لابد لها من أن تتجلى فيه حتى يكون بمقدورنا أن نعي بها. إلا أن ظواهر التزامن لن تكون على الدوام هذه هي رسالتها الوحيدة فلا تُحمل أبداً رسالةً غيرها.

رسائل الظواهر الخارقة:

فالعقل السليم، من بعد فراره الى الله بسفينة هذه الظواهر الخارقة للمألوف العقلي، سوف يكون قادراً على أن يفيد من رسائل أخرى بمعانٍ غيرها وذلك من بعد شروعه بالسير على الطريق الإلهي الى الله والتزامه بضوابطه انقياداً صادقاً لقرآن الله العظيم؛ فما هي يا تُرى هذه الرسائل الأخرى التي سوف تلاحقه بها ظواهرُ التزامن وغيرها من الظواهر الغامضة؟

إن السائر على الطريق الإلهي الى الله سائرٌ على طريقٍ ليس كمثله طريقٌ مادام الناس قد آثرت غالبيتهم العظمى الازورار عن طريق الحق هذا طالما كان طريقَ الصِعاب أخذاً للنفس بما لا تهوى واضطراراً لها على ما تكره وإرغاماً لهواها على الانزواء بعيداً عن أن يكون له إحكام السيطرة عليها. لذلك كان السائر على هذا الطريق سائراً على طريقٍ قَفْرٍ من الناس وحيداً ليس هناك مَن يؤنسه وهو في مبتدأ الرحلة الطويلة فراراً إلى الله. وهذا ما يجعل من الظواهر الغامضة تلاحقه برسائل مفادها أنه سائرٌ على الطريق الصواب وأنه لا موجب هناك لإحساسه بالوحدة هذا. إن الدور التعليمي الذي تضطلع هذه الظواهر بالقيام به خدمةً للسائر على الطريق الإلهي الى الله يجعل منها لا تنفك تحدث له ليلَ نهار برهاناً من الله على أنه غيرُ ضال بمخالفته عن المألوف الإنساني

وخروجه على النص التقليدي للغالبية العظمى من أفراد النوع الإنساني! لذا فهذه الظواهر سوف تكتفي بحدوثها المتلاحق هذا رسالةً ذات حكمة بالغة ليس له أن لا يتبينها وهو ذو العقل السليم؛ هذا العقل الذي كان السبب في "شذوذه" عن القطيع من بعد أن نجحت ظواهرُ التزامن، وغيرها من الظواهر الخارقة للمألوف، بجذْب انتباهه بعيداً عن حيثُ تتجه على الدوام أنظارُ معظم بني آدم! فاذا كانت هذه الظواهر قد أخذت بالاضطراد والازدياد والتنوع منذ أن شرع يَغذ السير على هذا الطريق غير المألوف فان هذا لابد وأن يعني أنه سائرٌ لامحالة على الطريق الحق المؤدي الى الله بحق. لذا فأول ما لن يكون بمقدور هذا السائر إغفاله من أمر هذه الظواهر اللاهثة وراءه أنها قد أخذت بالخروج على النمط التقليدي المُميز للظواهر الخارقة للمألوف وذلك بتزايُد حدوثها وتلاحُق ظهورها العجائبي في حياته على مَدار الساعة. إن ظواهر التزامن هذه، كمثال على هذه الظواهر الخارقة لمألوف الظواهر الخارقة للمألوف، سوف تأخذ بالحدوث للسائر على الطريق الإلهي الى الله بصورة لن تجعل منه إلا على يقين مطلق وثقة تامة بأنه حقاً على الطريق إلى الله مادام حدوثُها قد اتخذ له نمطاً متميزاً عن ذاك الذي يُميز ظواهر التزامن المألوفة؛ هذه الظواهر التي تحدث لكل البشر وبتواترٍ ضيئلٍ للغاية ماداموا لا يبالون بها ولا ينجحون في الالتفات إليها لتشرع هي من ثم بملاحقتهم بلا انقطاع. فعقل السائر على الطريق الإلهي الى الله ليس بمقدوره نسيان ما كان يحدث له من ظواهر تزامن كانت هي السبب الذي حدا به للإعراض عن مشاركة الغالبية العظمى من بني آدم لهوهم وخوضهم في متاهات العبودية للنفس وهواها فراراً قلبياً صادقاً من الله. فتلك الظواهر كانت طوق الإنقاذ الذي نجا به من الظلمات سيراً على طرُق الغي والضلالة الى النور سيراً على الطريق الذي يتكفل وحده بايصال مَن كان صادقاً في طلبه لله إلى الله الإله الحق. لذلك فهو لن يغفل عن ملاحظة هذا الفرق الشاسع بين ما كان يحدث له بالأمس القريب وبين ما يحدث له اليوم من بعد اتخاذه هذا الطريق منهاج حياته بكامل مفرداتها وبجميع تفاصيلها ما دق منها وما عظُم. ولذلك

أيضاً فهو أبداً لن يتعامى عن هذا الذي شرع يحدث له ولن يكون بمقدوره أن لا يجد فيه رسالةً ليس له ألا ينجح في فض محتوياتها وقراءة ما تضمنته من معانٍ لا تنطق إلا بكل ما هو كفيلٌ بجعْله يتمسك بهذا الطريق كما لا يتمسك أهل الدنيا بدنياهم الزائلة عما قريب! ولأنه ليس مَعنياً هو وحدُه بهذا الفيض الخِضَم من هذه الظواهر الخارقة لكل ما هو مألوف فان الرسائل التي سوف تُحمَّل بها هذه الظواهر لن تكون مُوجَّهة إليه فحسب. وهنا تكمن واحدةٌ من أهم خصائص هذه الظواهر ألا وهي رساليتها التي تخص الكل وإن انحصر حدوثُها، بدايةً وأول الأمر، بواحد أو اكثر من أفراد الطائفة الإنسانية. فهذه الظواهر لا تخصه هو بالذات حتى وإن كانت لا تحدث إلا بتواجده هو بالذات وعلى وجه الخصوص دون غيره من بني آدم! إن الرسالة التي تحملها هذه الظواهر بالإمكان أن تُلخصها العبارة التالية: "بإمكانك أنت أيضاً أن تكون مُلاحَقاً من قِبَل ظواهر مثيلة إذا ما أنت بادرت إلى السير على الطريق الذي يسير عليه هذا الذي لا تحدث هذه الظواهر إلا بتواجده، فهل أنت سائر؟!" إن هذه الرسالية هي لُب المعنى الكامن من وراء حدوث الظواهر الخارقة لكل ما هو مألوف عن الظواهر الخارقة للمألوف؛ هذه الظواهر التي أبداً لن تحدث خارج سياق السير الصادق على الطريق الإلهي الى الله. وهذه الرسالية بعدُ ذات مرام إرشادية لا تنازُل لها عنها البتة. فمادام الكل مستهدَفاً بحدوثها فائق الخارقيَّة هذا، فإن رسالتها التي لا تحدث إلا لتُبلغها هي رسالةُ دعوة الى الله بالحكمةِ والموعظةِ الحسنة كما أمر بهما قرآن الله العظيم. إن المعجزاتِ خوارقٌ للعادات أُيِّد بها رُسُل الله نُصرةً إلهية لهم وهم يدعون الناس لسلوك الطريق الإلهي الى الله فيطالَبون بالحجة والبرهان والدليل. والمعجزات، ما خلا معجزة الله الخالدة أبداً القرآن العظيم، إذ تختفي بتبليغ الرسل للرسالة، فان البرهان الذي سوف يُطالَب به كل داعٍ الى الله سوف تتكفل خوارقُ العادات المرافقة للسير على الطريق الإلهي الى الله بتقديمه على طبق من ذهب، وذلك شريطة التزام المطالِب بهذا البرهان بمطلبٍ واحدٍ هو خضوعه لمعجزة الله الباقية على الدوام بانضباطه التعبدي لله وفقاً

لما تضمنته آيات هذه المعجزة الخالدة: قرآن الله العظيم. إن القرآن العظيم لَيُبرهن على إعجازيته المتعالية على الزمان، والممتدة في كل مكان، بهذا التسلط على عالَم العجائب والغرائب وخوارق العادات. فظواهر التزامن الفائق، وكل الظواهر الخارقة للمألوف الذي تُشكله الظواهر الخارقة للمألوف الذي درجنا على اعتباره كل ما هنالك من مألوف، لن تحدث إلا لمن سار على الطريق الإلهي الى الله كما بيَّنه القرآن العظيم. إن هذا البُعد الرسالي لظواهر التزامن الفائق، وغيرها من الظواهر الخارقة لكل ما نألفه من نظام عقلي للوجود بظواهره المألوفة وغير المألوفة، هو جوهر المعنى الذي تحمله، بل أمانة هذه الظواهر لكل من بمستطاعه أن يتنازل عن الباطل، وإن أجمعت عليه غالبيةُ البشر، من أجل الحق، وإن لم ينتصر له إلا آحادٌ أفرادٌ خرجوا على الإجماع الإنساني على الخوض في متاهات الفرار من الله صادقَ عبودية للنفس وهواها! فكيف تحدث إذاً هذه الظواهر دون أن يكون لحدوثها هذا معنى كامن بالإمكان الوقوع عليه بعقلٍ سليم من آفات الغرور والجهالة المُقنَّعة بقناع العلم الزائف والخَبال المتلفع برداء العقلانية المُتكلفة؟! لقد كانت ظواهر الوجود كما تحفل بها السمواتُ والارض كفيلة بجعْل الإنسان المتفكر فيها تدبراً مؤمناً بالله عاجزاً عن أن يزّاور عن الحق الذي جاءه به الدُعاةُ الى الله. ولكن الإنسان اليوم، ومن بعد هذا المد العارم من الإلحاد والكفر والفسوق والنفاق، أضحى عاجزاً تمام العجْز عن أن يكتفي بهذه "الظواهر المألوفة" ليستعين بها على بث الاطمئنان في ربوع العقل منه والقلب. لذلك كان القرآنُ العظيم بالمرصاد حاضراً لنجدة مَن كان صادقاً في استنصاره لله وطلبه لتدخله المباشر انتصاراً للحق على الباطل في زمان تلوَّن فيه الباطل حتى ما عادَ بوسع المرء أن يتبينه إلا بشق الأنفس! إن ظواهر التزامن الفائق، بتحلقها حوالي السائر على الطريق القرآني الى الله بوسعها أن تُقدم للإنسانية البرهان الذي يكفي العقل والقلب منها ليطمئنا ويوقنا بأن الله حق وأن ما سواه باطلٌ، وإن كانت عليه الغالبية العظمى من أبنائها السائرين بكل فرح وحبور الى جهنم وبئس المصير وهم لا يعلمون!

ترى ما الذي يوحِّد بين ظواهر من قبيل الرؤى الصادقة والتنبؤ بأحداث المستقبل والاتيان بحقائق لا قدرة للواقع اطلاقاً على الايصال اليها؟ وما الذي يجعل ممكناً أن تجتاحنا رؤى مستقبلية تأتي الأيام لتبرهن على أنها الحق الذي لا مراء فيه؟ وكيف نستطيع تفسير تلك القابلية التي حبى الله بها البعض منا على التنبؤ بأحداث المستقبل أو الإخبار بما غاب وانقضى من أخبار الماضي السحيق؟ وكيف يستطيع البعض منا أن يصل الى اكتشاف حقائق تخص واقعنا هذا على الرغم من عدم مقدرة هذا الواقع على مد يد العون وتقديم المساعدة في عملية التوصل هذه؟ وكيف نستطيع أن نستوعب هكذا ظواهر خارقة للمألوف البشري داخلاً من منظومتنا المؤمنة وعلى النحو الذي يحرم المنكرين لوجود الله من أي سلاح يتوهمون أن هذه الظواهر بمستطاعها أن تزودهم به في حربهم على من يقول ويؤمن بوجود الله؟ وكيف نستطيع أن نحوّل هذه الظواهر من خطر محدق بمنظومتنا العقائدية الى برهان ساطع على صواب ما جاءتنا به من تشريعات وأحكام وأخبار وحقائق؟ سنحاول فيما يلي أن نجد اجابات على هذه الأسئلة وأسئلة كثيرة أخرى غيرها.

بدايةً، ينبغي القول ان القاسم المشترك بين هذه الظواهر جميعاً هو انتماؤها لعالَم الغيب وبما يجعل بمقدورنا أن نصفها بأنها من حقائق الغيب الذي هو ضديد عالَمنا هذا؛ عالَم الشهادة الذي خُلقنا لنكون شهوداً عليه كما يشهد علينا نحن أيضاً مفرداتٌ تنتمي اليه، وهو بالتالي عالم الشاهد والمشهود لا عالَم الغائب والمُغيَّب.

والآن، كيف ينبغي لنا أن نتعامل مع ظواهر التنبؤ والرؤى؟ يكتسب هذا السؤال مشروعيته الفلسفية والايمانية من حقيقة كون هذه الظواهر تحدث حقاً وحقيقة وذلك بشهادة عدد كبير جداً من الأدلة والبراهين نقليةً وعيانية. فاذا

كانت هذه الظواهر تحدث، كما تحدث ظواهر خارقة أخرى غيرها، فان هذا الحدوث يستدعي منا ضرورة العمل على صياغة منهج جديد في التعامل معها وبما لا يتناقض مع الأسس المرجعية لمنظومتنا الايمانية. لكن علينا أن نلفت النظر الى أن الدليل النهائي والقاطع بصحة حدوث ظاهرة الرؤى قد جاءنا به القرآن العظيم في سورة يوسف وذلك كما هو معروف بخصوص رؤيا صاحبَي يوسف في سجنه ورؤيا الملك. ان العقل السليم من الآفات التقليدية للتفكير البشري ليس له أن يُعرِض عن النبوءات والرؤى المستقبلية بحجة استحالة الوقوع على ما لم يتحقق وقوعه بعد. فهذه حجةٌ داحضةٌ بشهادة هذا الكم الهائل من اخبار المستقبل الذي بمستطاع واحدنا ان يطّلع عليه بتصفُّحه للوثائق التاريخية التي حفلت بذِكْر رؤى ونبوءات جاءت الايام فيما بعد مُصدِّقةً لما تضمّنته من انباءٍ وقَصَص. وهذه النبوءات والرؤى المستقبلية ظواهرٌ لا يكاد يخلو منها زمان او مكان او حضارة منذ بداية الخليقة الانسانية وحتى يومنا هذا. وانت اذا ما حرصتَ على الالمام بكل ما وثَّقته المصادر التاريخية الموثوقة من هذه النبوءات والرؤى المستقبلية فانك واجدٌ نفسك لامحالة امام كومة هائلة من المجلدات التي لا قدرة للمُطّلع عليها على الخروج من بعد قراءته فيها الا وهو موقنٌ كل الايقان بأن المستقبل متواجدٌ في هذا الحاضر تواجدَه في الماضي وان الشك في هذه الحقيقة يتطلب من المرء التنازل عن عقله مادام عقله هذا غير قادرٍ على الإعراض عن الذي وقع عليه من اخبار المستقبل القائم على ارض هذا الحاضر وإن لم يتسنَّ لوقائعه واحداثه ان تقع بعد! لذا فالعقل البشري مُطالَب بأن يخرج علينا بتفسير لهذا الخرْق البيّن للمنظومة المعرفية للتفكير البشري؛ هذه المنظومة العاجزة عن تصديق ما تتضمنه النبوءات والرؤى المستقبلية من حقائق تتعارض والأُسس التي شُيِّدت عليها. فالمنظومة المعرفية البشرية قائمةٌ على اساسٍ راسخ من الايمان الدوغمائي بأن الانسان اسير زمانه ومكانه شأنه في هذا شأن باقي مفردات الوجود العاجزة عن التعالي على الزمان والمكان. لذا فان ما تقول به النبوءات والرؤى المستقبلية من حقائق متعالية على الحاضر الذي يُطوِّق عقل

الانسان بقيدٍ زماني لا فِكاك له منه لابد وان يُواجَه من قِبَل هذا العقل بكل ما من شأنه ان يصفها بأنها محْض خرافات ومجرد اباطيل. الا ان هذا الوصف لن يُطفئ نور الحقيقة المُتضمَّنة في الرسالة التي تُوجِّهها النبوءات والرؤى المستقبلية الى الانسان شاء ان يسمع ام شاء ان يتصامَّ عن الحق ويتعامى عن الذي يدعوه اليه. فما هي هذه الرسالة المستقبلية العابرة الينا من المستقبل المتواجد بيننا على الرغم من عدم تحقُّق وقوع احداثه بعد؟! يبدو ان مفردات هذه الرسالة المستقبلية لا تختلف في شيء عن مفردات اية رسالة من تلك الرسائل الغيبية التي لا تني تلاحق الانسان بين الحين الآخر. فرسالية هذه الظواهر الغيبية حقيقةٌ لا سبيل لانكارها مادام عقلنا عاجزاً عن ان يأتي بتفسيراتٍ من عندياته بوسعها ان تجعله لا يجد فيها ما يعجز عن الوقوع عليه في غيرها من ظواهر الوجود! ولكن ما هي مفردات هذه الرسائل الموجَّهة من عالَم متواجدٍ على ارض هذا الواقع مع عالَمِنا؟! ان اهم مفردةٍ من هذه المفردات المنتميةً لعالَم الغيب نداءٌ الى الانسان يدعوه للاهتمام بما هو ليس بواقعي من الامور التي لا تنتمي مطلق الانتماء للواقع البشري المُعتاد؛ هذا الواقع الذي يتوهم العقل البشري انه كل ما هنالك وألاّ وجود اطلاقاً لواقع آخر غيره! فكل ظاهرة من قبيل ما يُسمى بالظواهر الخارقة للعادة ما هي الا رسالة الى الانسان قادمةٌ من واقع آخر يتواجد مع واقعنا هذا وإن عجزنا عن ان نُدركه بأبصارنا التي لم تُخلق لادراكه. وهذه الرسالة، من جديد، فحواها الوحيد اَن "يا أيها الانسان لا يَغُرَّنَّك الوجود الذي تراه فتظن انه الوجود كل الوجود وتنسى ان هنالك عوالماً في الوجود لا قدرة لعقلك على ان يحيط بها علماً مادام عاجزاً عن التحرُّر من ربقة هذا الواقع الذي يتوهّمه الواقعَ الوحيد الذي لا وجود لواقع آخر سواه في هذا الوجود" . فهذه الظواهر الخارقة للمألوف، الذي تسنّى للعقل الانساني صياغة مفرداته على مر العصور وتعاقُب الحضارات، تدعو الانسان للعودة الى الجذور؛ هذه الجذور التي هي جذورُه هو ايضاً مادام الكيان الانساني قد نشأ وتطوّر وارتقى في ظل سيادة واقع آخر على هذا الواقع الذي يتوهّمه الانسان التربة الوحيدة التي ترعرعت

جذوره منها! لذا فالنبوءات والرؤى المستقبلية اذ تُلاحق الانسانية، منذ تباشير فجرها وحتى هذه اللحظات، لا تختلف في شيء عن غيرها من الظواهر الغامضة بهذا الاصرار من جانبها على لفت انظار الانسان الى الواقع الآخر الذي لا يريد ان يُقِرَّ بحقيقة تواجده مع الواقع المُعتاد الذي دأب عقلُه على التعامل معه على انه الواقع الوحيد! والآن اما وقد تبيّن لنا هذا الذي ترمي اليه النبوءات والرؤى المستقبلية من وراء ملاحقتها للانسان في كل زمان ومكان، فهل لنا ان نكون اكثر تحديداً ليتسنّى لنا تشخيص هوية الجهة المسؤولة عن توجيه هذه الرسائل المستقبلية المُحمَّلة بمعلومات تتعلّق بأحداث لما يتسنّى لها ان تحدث بعد؟ ان القولَ بوجود إلهٍ حكيم خبير كُلّي القدرة مُطلق الاحاطة والهيمنة واسع العلم فلا حدود تقف امامَ علمه الازلي هو القولُ الذي يتكفّل بجعْلنا نتعرّف الى كثيرٍ مما هو ذو صلةٍ بالعالَم الغيبي الذي قدِمت منه النبوءات والرؤى المستقبلية. فحتى نُعلِّل لتواجد المستقبل معنا، كمعلومات لا كأحداث لما تقع بعد، فلابد لنا من الاقرار بوجود منظومة معلومات غيبية تسع الزمان منذ بداية الخلق على يد الله وحتى نهايته الالهية المحتومة. إن القول بوجود منظومة المعلومات الغيبية هذه هو قول بوجود لوح القدَر؛ هذا اللوح المحفوظ الذي خطَّ اللهُ صُحُفه بالقلم الالهي قبل ان يشرع بخلْق الوجود بموجوداته كلها جميعاً. والجديد في الامر هو تدبُّر ما كنا نعرفه ولا نكاد نعرفه وذلك حتى يستبين لنا جانبٌ من المراد بهذا اللوح المعلوماتي المحفوظ. فلقد كنا لا نعي من الامر شيئاً يتجاوز الترديد اللفظي لما عُلِّمناه بخصوص القدَر وصُحُفه وسابق القضاء الالهي والعلم الازلي لله. ولم نتساءل يوماً عن السبب في ضرورة تواجد القدَر الالهي مكتوباً. فلمَ كان على هذا القدَر ان يتم توثيقه وتدوينه وتسجيل مفرداته بكل دقة وتفصيل من قبل ان يتم خلْق الخلْق؟ ولماذا لم يكتفِ الله بعلمه الالهي المحفوظ داخل الذات اللدُنية؟ ولماذا كان على القدَر ان يكون نسخةً مخلوقة من هذا العلم الالهي المكنون في ذات الله سبحانه وتعالى؟ هذه اسئلة ما كانت لتخطُر لنا على بال طالما لم يكن هناك من داعٍ للتساؤل عن السبب الكامن من وراء ظهور الرؤى والنبوءات

المستقبلية؛ هذه الظواهر فائقة الغرابة وبالغة الغموض والتي جعلت منا عاجزين عن التعامل المعرفي الصائب معها بغير وساطة من الالتجاء لصُحُف القدَر ومنظومة المعلومات الغيبية التي احتوتها هذه الصُحُف الالهية نسخةً اخرى من العلم الالهي المكنون في الذات الالهية. الا اننا الآن في حِلٍّ من الالتزام بسابق موقفنا اللاأُبالي حيال صُحُف القدَر وما كُتب فيها من علم بكل ما سيكون منذ بداية الخليقة وحتى طي كتاب الوجود قُبيل بزوغ فجر اليوم الآخر. لقد كان يكفي الوجود ان يكون العلمُ بما سيحدث فيه منذ الالف حتى الياء مكنوناً في الذات الالهية حتى يكون لأحداثه هذه ان تحدث كما تشاء الارادة الالهية، فلماذا اذاً شاء الله ان يخلق نسخةً محمَّلةً بهذا العلم الالهي لتكون هي القَدَر المكتوب الذي لا مهرب لأحد من الخلق منه الا ما شاء الله؟ ان إقرارنا بوجود القدَر الالهي مسطوراً في لوحٍ محفوظٍ خارج الذات الالهية يستدعي منا اقراراً آخر بوجوب القول بأن هذا القدَر المخلوق لابد وان تكون له يد في حدوث ما يحدث في هذا الوجود من حوادث ما كان لها ان تحدث لولا سابق وجوده هذا. اذ ما نفع وجود القدر كتاباً قد سُطرت فيه احداث الوجود كلها جميعاً ان لم يكن لهذا الكتاب تأثيرٌ فاعلٌ في الوجود يطال احداثه فلا يغادر منها صغيرة ولا كبيرة الا سيّرها صوب الوِجهة التي سبق لله وان شاءت ارادتُه الحكيمة الخبيرة ان تكون وِجهتها هي بالذات لا غيرها؟! كان يكفي الوجودَ العلمُ الالهي بأحداثه حتى تحدث كلها جميعاً كما وسِع علم الله ذلك، الا ان الله شاء ان يكون علمه المسطور في لوح القدر هو المُسيِّر لدفة الوجود مع احتفاظه بحق التدخُّل الفوري المباشر أنى يشاء مادام هو الآمر الناهي اولاً وأخيراً. اذاً لقد قادنا البحثُ عن السبب في ظهور الرؤى والنبوءات المستقبلية الى ماضٍ سحيق موغل في القِدَم توجَّب علينا الارتحالُ اليه بحثاً عما سبق وان حدث فيه فجعل من المستقبل حاضراً في كل الزمان معلوماتٍ وليس احداثاً لمّا تقع بعدُ. ولقد تبيّن لنا جلياً ان هذا الذي حدث فجعل من المستقبل متواجداً معلوماتياً في الحاضر هو قيام الله بخط لوح القدَر بالقلم الالهي تضميناً له بكل العلم الالهي بما سيحدث فيما بعد من أحداث

عندما سيشرع الله بخلْق الوجود وما سيعقب ذلك وحتى يوم طي السماء كطي السجل للكتُب. كما وتجلّى لنا عرَضاً ما للوح القدَر من مطلق هيمنة على الوجود بكامل موجوداته وبجميع ما يحدث فيه من وقائع وظواهر واحداث ليس لأيِّها ان يحدث لولا سابق وجوده وماض تواجده معلوماتٍ لا غنى عنها لتسيير دفة الوجود كما سبق للارادة الالهية وان شاءت لأحداثه ان تحدث وبما يتكفّل بتحقيق المُراد الالهي من خلق الخلْق. ان هذا القدَر المتواجد مع الخلْق هو الذي يؤمِّن لكل مخلوق دوام السير على الطريق الكفيل بقيامه بتحقيق ما يتوجّب عليه القيام به تحقيقاً للخطة الالهية وذلك على قدْر تعلُّق الامر به هو بالذات على وجه التحديد. فهذا التواجد المعلوماتي للقدَر بين ظهراني الخلْق هو السبب في عدم خروج الوجود عن الجادّة التي سبق لارادة الله وان اختارتها هي بالذات لا غيرها لتكون مسار الخلْق اليه. ان هذا الذي تبيّن لنا جلياً بتدبُّرنا ظواهر الرؤى والنبوءات المستقبلية على عظيم اهميته ينبغي له ان لا يشغلنا، حالياً، عن التعمُّق في البحث عن حقائق اخرى تخصُّ الواقع الآخر؛ هذا الواقع الذي لولا تواجده بيننا لما تسنّى لأحد من بني آدم ان يحظى برؤيا او نبوءة مستقبلية. لنشرع بتذكُّر ما هو سائدٌ بيننا من اعتقاد ذي صلة بالامر. فنحن لانزال نعتقد بأن الله طالما كان هو عالم الغيب والشهادة فان احداً آخر غيره لن يكون بوسعه ان يعلم الغيب الا باذنه، الا اننا نخطئ اذ نظن بـ "العلم بالغيب باذن الله" غير الحق وذلك بأن نتوهّم هذا الاذن الالهي سماحاً للمخلوق بأن يصل بـ "عقله" لمعرفة ما غُيِّب عنه من مفردات عالَم الغيب! ما المقصود اذاً بهذا الاذن الالهي؟ ان هذا الاذن ما هو الا إطْلاعٌ الهي على جانبٍ من مُغيَّبات عالَم الغيب. فاذا كان كل الخلْق عاجزين عن معرفة الغيب سواءً بإعمالهم العقل منهم او بمحاولتهم استراق السمع تجسُّساً على بعض خفايا هذا العالم الغيبي او بتطلُّعهم للاطِّلاع على ما هو مسطور في كتاب القدَر فان تمكُّنهم من الحصول على معلومات غيبية رهنٌ بإذن إلهي ان تسنّى لواحدهم الحصول عليه فهو وسيلته الوحيدة للعبور الى بعض من مفردات الغيب استراقاً للسمع او اطْلاعاً على نزْرٍ يسيرٍ مما هو مُغيَّبٌ عن الخلْق

في صُحُف القدَر. اذاً فعلى قدْر تعلُّق الامر بنا معشر الإنس فاننا عاجزون تماماً عن إعمال عقولنا لنصل بوساطةٍ من هذا العقل لمعرفة ولو ذرة من العلم المُغيَّب عنا في بواطن عالَم الغيب. فأي حديث عن استحالة تمكُّن الانسان من سبْر عالَم الغيب يجب ان لا يُفهم منه ما يفيد بأن هذا العجْز كامنٌ في صُلب العقل الانساني بالمعنى الذي يعجز معه عن القيام برحلة استكشاف لعوالم المستقبل!

ان الدليل على اننا لم نكن على وعي تام بما يعنيه قولُنا بوجود لوحٍ للقدَر يتضمّن التاريخ الكامل لأحداث الوجود منذ اول لحظة من خلْقه وحتّى آخر لحظة يتجلّى واضحاً أيَّما وضوح في اعتقادنا بأن عجْز العقل البشري عن التوصُّل الذاتي لمعرفة المستقبل هو ما ينبغي لنا ان نفهمه من تفرُّد الله بمعرفة الغيب! فنحن لم نكن على دراية بما يتوجّب علينا الايمانُ به اذا ما نحن قُلنا بأن الغيب حقٌّ لا مَراء فيه! وهذا متأتٍّ بالضرورة من اِصرارنا على عدم التمعُّن في ما نؤمن به نطقاً باللسان فحسب! فلو اننا آمنا بوجود الغيب بالقلب منا حقَّ الايمان لكان بمقدورنا ان نعي ما يعنيه هذا الوجود للغيب عالَماً قائماً بذاته واِن عجز العقل منا عن ان يدركه ببصره العاجز عن ان يرى ما لا ينتمي تمام الانتماء لهذا الواقع العَياني. وعندها، وعندها فقط، كان بإمكاننا ان نتبيّن قبل ان نُطلِق القول جُزافاً بما ليس لنا به علمٌ فندّعي بأن العجْز الانساني عن معرفة الغيب ما هو الا عجز العقل الانساني عن التفكير الابداعي وبما من شأنه ان يتكفّل بجعْله قادراً على التوصُّل بمفرده لمعرفة ما غُيِّب عنه من احداث مستقبلية! ولكان بمقدورنا ان نقولِ الحق الذي مفاده ان الانسان لا قدرة له على معرفة الغيب طالما لم يُطلعه الله على أنبائه. إن القرآن العظيم واضحٌ بهذا الخصوص وضوحَه بخصوص كل ما تضمّنه من معارف إِلهية لا قدرة للعقل الانساني على التوصُّل بمفرده الى أية مفردة من مفرداتها الغيبية. فلقد بيّنت الآيات القرآنية الكريمة، وبما لا يدع مجالاً للشك، ان الانسان عاجزٌ عن معرفة الغيب ما لم يُطلعه الله على ما يشاء منه. لنتدبّر الآيات الكريمة التالية: (وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الغَيبِ لا يَعْلَمُهَا الاّ هُوَ وَيَعْلَمُ ما فِي البَرِّ وَالبَحْرِ وَما تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ الاّ يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُماتِ الأرضِ وَلا

رَطْبٍ وَلا يابسٍ الاّ فِي كتابٍ مُبينٍ) (الأنعام: 59)، (تلْكَ منْ اَنْباء الْغَيْب نُوحيها الَيْكَ ما كُنْتَ تَعْلَمُها اَنْتَ وَلا قَوْمُكَ منْ قَبْلِ هذا فَاصْبرْ انَّ الْعاقبَةَ للْمُتَّقينَ) (هود: 49)، (اَعنْدَهُ علْمُ الْغَيْب فَهُوَ يَرَى) (النجم: 35)، (عالمُ الْغَيْب فَلا يُظْهرُ عَلى غَيْبه اَحداً. الاّ مَن ارْتَضى منْ رَسُولٍ فَانَّهُ يَسْلُكُ منْ بَيْن يَدَيْه وَمنْ خَلْفه رَصَداً. ليَعْلَمَ اَنْ قَدْ اَبْلَغُوا رِسالاتِ رَبِّهِمْ وَاَحاطَ بِما لَدَيْهِمْ وَاَحْصى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً) (الجن: 26 - 28).

يتجلّى لنا واضحاً بتدبُّرنا لهذه الآيات القرآنية الكريمة ان الله قادرٌ على ان يُطلِع مَن يشاء من عباده ما يشاء لهم ان يطَّلِعوا عليه من انباء الغيب. وهكذا تستبين سبيلُ الحق واضحةً لا لبس فيها. فلم يرد في القرآن العظيم ما يفيد بأن عجْز الانسان عن معرفة الغيب نابعٌ من عجزٍ عقلي عن التفكير المستقبلي. الا اننا اصررنا على ان نُقوِّلَ النص الالهي المقدس ما لم يتضمّنه ورُحنا نقول بأن الانسان عاجزٌ عن معرفة الغيب لا لأنه عاجزٌ عن ان يطَّلع على الغيب المسطور في صحُف القدَر الالهي، لعجْز عقله عن إبصار ما ليس بواقع ضمن مدى الرؤية الانسانية، ولكن لأنه لا قدرة له على التفكير العقلي توصُّلاً للامساك بالمستقبل الذي لمّا تقع وقائعه بعدُ. وهكذا يتبيّن لنا اننا لم نكن نُقدِّر القدَر حقَّ قدْره عندما ظننا به انه ليس بموجود في الحاضر اداةً وحيدةً لسَوْقه ودفعه باتجاه المستقبل! ان التقيُّد الحرفي بالنص القرآني المقدس هو السبيل الوحيد للنجاة من المصير الاسود الذي آل اليه امرُ مَن سبقنا من أقوام لم ترعَ عُهدة الله وكُتبه حقَّ رعايتها اذ وقعت عليها تأويلاً وتقويلاً وتحميلاً وتفسيراً اضاف الباطل وطرح الحق فكان حقيقاً على الله ان يطرح المتجاسرين على كلامه في نار جهنم وبئس المصير. فان نقول بأن الانسان عاجزٌ عن معرفة الغيب لأنه لا قدرة له على ان يطّلع على الغيب بمفرده شيء وان نقول بأن عجْزه هذا مردّه عجزٌ عقلي عن التوصُّل لصياغة عقلية لما سيحدث من أحداث في المستقبل شيءٌ آخر! ان الانسان عاجزٌ تمام العجْز عن ان يكون بوسعه التفكير المنطقي وصولاً لاستنتاج حقيقة ما سيحدث بالفعل على ارض الواقع من احداث مستقبلية بالصورة المضبوطة التي ستحدث

هذه الاحداث وفقاً لها. الا ان القرآن العظيم لم يتطرّق لهذا عندما حكم بعدم قدرة الانسان على معرفة الغيب! فما عناه القرآن العظيم بهذا الخصوص هو ان الانسان عاجزٌ عن ان "يطَّلع الغيب" بمفرده وان الله وحدَه هو مَن بوسعه ان يُطلِع مَن يشاء من عباده ما يشاء لهم ان يطّلعوا عليه من غيبه (وَلا يُحيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِه الاَّ بِما شاءَ). على أي حال فان الانسان لا يكف عن التعامل غير الصائب مع كل ما يحيط به من شيء فما بالنا اذا كان ما يتعامل معه هو النص الالهي الذي لا يكف عن مطالبته بوجوب الكف عن السير وراء نفسه وهواها؟! مَخلَص القول هو اننا لم نكن على درايةٍ بما يعنيه تواجدُ الغيب بين الخلْق وان الغيب كما بيّنه القرآن العظيم لم يكن معروفاً لدينا وان ما كنا نعرفه عن الغيب لم يكن الا نسْجاً من وحي خيالٍ انساني دأبه الايغال ابتعاداً عن الواقع ونأياً من ثم عن الحقيقة! والا اَما كان يجدر بنا ان نلتزم هذا القرآن فلا نحيد عن مستقيم جادّته بقولنا بأن الانسان اذ يعجز عن معرفة الغيب فانه ما عجز الا بسببٍ من عدم تمكُّنه من التوصُّل بتفكيره الى صياغة قراءة مستقبلية لأحداث الحاضر؟!! كان ينبغي علينا ان نتدبَّر عجْز الانسان عن معرفة الغيب في ضوء الاعجاز القرآني المبين لا في ظلمات العجز الانساني عن التعامل المؤمن مع النصوص الالهية المقدسة!

والآن ما الذي قاله هذا القرآن بخصوص الرؤى والاحداث المستقبلية؟ لنتدبّر الآيات القرآنية التالية ولنقُم بدراسة ما حوته من تفاصيل ذات صلة بالرؤيا والاحلام (اذْ قالَ يوسُفُ لاَبيه يا اَبَت انِّي رَاَيْتُ اَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَاَيْتُهُمْ لي ساجدينَ) (يوسُف: 4): (فَلَمَّا دَخَلُوا عَلى يُوسُفَ آوَى الَيْه اَبَوَيْه وَقالَ ادْخُلُوا مصْرَ انْ شاءَ اللّه آمنين. وَرَفَعَ اَبَوَيْه عَلى الْعَرْش وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً وَقالَ يا اَبَت هذا تَأويلُ رُؤْيايَ منْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَها رَبِّي حَقّاً وَقَدْ اَحْسَنَ بي اذْ اَخْرَجَني منَ السِّجْن وَجاءَ بكُمْ منَ الْبَدْو منْ بَعْد اَنْ نَزَغَ الشَّيْطانُ بَيْني وَبَيْنَ اخْوَتي انَّ رَبِّي لَطيفٌ لما يَشاءُ انَّهُ هُوَ الْعَليمُ الْحَكيمُ) (يوسف: 99 - 100)، (وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيانِ قالَ اَحَدُهُما انِّي اَراني اَعْصرُ خَمْراً وَقالَ الآخَرُ انِّي اَراني اَحْملُ فَوْقَ رَاْسِي خُبْزاً تَاْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنا بتَاْويلِه انَّا نَراكَ مِنَ الْمُحْسِنينَ) (يوسُف:

36): (يا صاحبَيِ السِّجْنِ اَمّا اَحَدُكُما فَيُسْقي رَبَّهُ خَمْراً وَاَمّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأسِه قُضِيَ الاَمْرُ الَّذي فيه تَسْتَفْتِيانِ) (يوسُف: 41)، (وَقالَ المَلِكُ انِّي اَرى سَبْعَ بَقَراتٍ سِمانٍ يَأكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ وَاُخَرَ يابِساتٍ يا أيُّها المَلَأُ اَفْتُوني في رُؤْيايَ اِنْ كُنْتُمْ للرُّؤْيا تَعْبُرُونَ) (يوسف: 43): (قالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنينَ دَأَباً فَما حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ في سُنْبُلِه الاّ قَليلاً مِمّا تَأكُلُونَ. ثُمَّ يَأتي مِنْ بَعْدِ ذلكَ سَبْعٌ شِدادٌ يَأكُلْنَ ما قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ الاّ قَليلاً مِمّا تُحْصِنُونَ. ثُمَّ يَأتي مِنْ بَعْدِ ذلِكَ عامٌ فيهِ يُغاثُ النّاسُ وَفيهِ يَعْصِرُونَ) (يوسُف: 47 - 49).

ان ما تُبينه هذه الآيات الكريمة من حقائق بالامكان ايجازه بجملة واحدة مفادها ان البعض من بني آدم تجتاحُه الرؤيا المستقبلية رغماً عنه وان الوقائع تجيء فيما بعدُ مُصدِّقة لما ورد في رؤياه. وهنا ينبغي الاشارة الى أن الرؤيا الصالحة (أي الصحيحة) لا يشترط لحدوثها أن يكون صاحبها من الصالحين؛ فقد يرى غير الصالحين من بني آدم رؤى تأتي الأيام لتبرهن على انها رؤى صالحة (صادقة).

ولكن ماذا بشأن الرسائل الالهية الاخرى غير ذات الصلة بالرؤى والنبوءات المستقبلية؟ هل تجتاح الانسان هي الاخرى رغماً عنه؟ ام انها تحدث له بتواترٍ يتعاظم وتعاظُم حرْصه على المضي قدُماً على الطريق الالهي الى الله؟ وهنا نذكر ظواهر التزامن لما لها من وثيق صلةٍ برسائل عالم الغيب؛ هذه الانباء القادمة الينا من عالَم آخر يتواجد معنا وانٍ عجزت ابصارنا عن ادراكه لفرْط انتماء هذه الرسائل لواقعها الذي لم نُخلَق، بهذه الاجسام، للتعامل المعرفي معه بوساطةٍ من حواسنا الخمس.

فاذا كانت الرؤى والنبوءات المستقبلية ما هي الا ظواهرٌ عابرة الى هذا الواقع من واقع آخر متواجدٍ معه محمّلة بكمٍّ من المعلومات التي تخصُّ احداثاً لمّا تقع بعد، فانها، والحال هذه، لا تختلف كثيراً عن "ظواهر التزامن" مادامت هذه، هي الاخرى، ظواهر عابرة الى واقعنا المُعتاد هذا من واقع آخر يتواجد معه على الدوام وهي محمَّلةٌ برسائل تتفاوت مضموناً باختلاف الشخص الذي

تحدث هذه الظواهر الخارقة للعادة بوجوده. ان الرؤى والنبوءات المستقبلية وظواهر التزامن يُوحِّد بينها كلها جميعاً انها ظواهرٌ محمّلةٌ بمعلومات بالامكان استخلاص معنى من جرّاء حدوثها. كما ان ظواهر الرؤيا تُشابه ظواهر التزامن بتكوُّن كل منها من مفردات يمازجها غموضٌ وتُغلِّفها رمزيةٌ ليس بمستطاع كل من هبَّ ودب استخلاص المُراد من وراء حدوثها بفض شفرة رموزها وإزالة النقاب عن هذا الغموض الملازم لها لامحالة مادامت ظواهر ثنائية الانتماء لواقعين لا تشابُه بينهما على الاطلاق. فظواهر الرؤيا هي في الغالب الاعم ظواهرٌ مُجفَّرة coded phenomena وذلك بسببٍ من اضطرارها للعبور الى وعي العقل الانساني عبر بوابة الذاكرة مروراً بمصفاة ومرشَحة منظومة أمن وتحليل المعلومات الواردة؛ هذه المنظومة التي لا تسمح بعبور معظم ما يرد اليها من معلومات الا من بعد صبغها بصبغة ليس لها ان تُسبِّب اي ازعاج للنظام العقلي القائم على اساسٍ من الاطمئنان الى المحيط. ولنا في النص القرآني لرؤيا صاحب سجن يوسُف خير مثال على عمل هذه المنظومة: (وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قالَ اَحَدُهُما انِّي اَراني اَعْصرُ خَمْراً وَقالَ الآخَرُ انِّي اَراني اَحْملُ فَوْقَ رَاسي خُبْزاً تَاْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنا بتَاْويله انَّا نَراكَ مِنَ الْمُحْسنينَ) (يوسُف: 36): (يا صاحِبَي السِّجْنِ اَمَّا اَحَدُكُما فَيَسْقي رَبَّهُ خَمْراً وَاَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبَ فَتَاْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَاْسِه قُضِيَ الاَمْرُ الَذي فيه تَسْتَفْتِيانِ) (يوسُف: 41). فتأويل يوسُف لرؤيا صاحب سجْنه كشف النقاب عن الحقيقة التي لم تكن المنظومة الخاصة بأمن وتحليل المعلومات الواردة لتسمح بعبورها الى هذا الواقع الا من بعد ترميزها تجفيراً يذهب بما كانت ستؤدي اليه من شديد إزعاج للوعي برؤية صاحبه مصلوباً والطير تأكل من لحم رأسه! لذا فلقد قامت منظومة الأمن والحماية بتأويلٍ للنص المعلوماتي الوارد من واقع آخر وبما يذهب بهذا الإنباء المزعج الذي جاءت به. وكان هذا التأويل اعادةَ صياغةٍ لمفردة من مفردات الرؤيا من قبل السماح لها بالظهور على شاشة الوعي، حيث تمّ إحلال صورة بديلة محل صورة الصلب والطير هي صورة الطير التي تأكل من الخبز الذي يحمله على

رأسه! كما ان التجفير يكون في احيان اخرى مقصوداً من قِبَل الذكاء الالهي لحكمة لا يُجلّيها لوقتها الا الله. ولنا في رؤيا يُوسف وما آلت اليه الامور من بعد رؤياه وحتى ان حقّقها له الله خير مثال على هذا التجفير الالهي المقصود لغاية ليس يعلمها الا الله اللطيف لما يشاء. الآيات الكريمة: (اذْ قالَ يوسُفُ لاَبيه يا اَبَتِ انِّي رَاَيْتُ اَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَاَيْتُهُمْ لي ساجدينَ) (يوسُف: 4): (فَلَمَّا دَخَلُوا عَلى يُوسُفَ آوَى الَيْه اَبَوَيْه وَقالَ ادْخُلُوا مصْرَ انْ شاءَ الله آمنين. وَرَفَعَ اَبَوَيْه عَلى الْعَرْش وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً وَقالَ يا اَبَت هذا تَأْويلُ رُؤْيايَ منْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَها رَبِّي حَقّاً وَقَدْ اَحْسَنَ بي اذْ اَخْرَجَني منَ السِّجْنِ وَجاءَ بكُمْ منَ الْبَدْو منْ بَعْد اَنْ نَزَغَ الشَّيْطانُ بَيْني وَبَيْنَ اخْوَتي انَّ رَبِّي لَطيفٌ لما يَشاءُ انَّهُ هُوَ الْعَليمُ الْحَكيمُ) (يوسف: 99 - 100). كما ان رؤيا الملك كانت رؤيا على درجة عالية من التجفير الالهي المقصود كما تشهد لها بذلك فحواها المُلغزة غاية الإلغاز: (وَقالَ الْمَلكُ انِّي اَرى سَبْعَ بَقَرات سمانٍ يَاْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عجافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلات خُضْرٍ وَاُخَرَ يابِساتٍ يا أَيُّها الْمَلأُ اَفْتُوني في رُؤْيايَ انْ كُنْتُمْ للرُّؤْيا تَعْبُرُونَ) (يوسف: 43). لقد عجز المحيطون بالملك عن فك إلغاز رؤياه بدعوى انهم ليسوا بتأويل الاحلام بعالمين (قالُوا اَضْغاثُ اَحْلام وَما نَحْنُ بتَأْويلِ الاَحْلام بعالمينَ) (يوسُف: 44). حتى جاءهم الحقُّ بتأويل يوسُفَ لرؤيا الملك (قالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سنينَ دَاَباً فَما حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ في سُنْبُله الاّ قَليلاً ممّا تَأْكُلُونَ. ثُمَّ يَأْتي منْ بَعْد ذلكَ سَبْعٌ شدادٌ يَأْكُلْنَ ما قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ الاَّ قَليلاً ممّا تُحْصنُونَ. ثُمَّ يَأْتي منْ بَعْد ذلكَ عامٌ فيه يُغاثُ النَّاسُ وَفيه يَعْصرُونَ) (يوسُف: 47 - 49). ان يوسُف الصدِّيق كان الله قد علّمه من تأويل الاحاديث ما جعل منه قادراً على فك تجفير الرؤى المستقبلية وذلك بشهادة الآيات القرآنية الكريمة (رَبِّ قَدْ آتَيْتَني منَ الْمُلْك وَعَلَّمْتَني منْ تَأْويلِ الاَحاديث فاطرَ السَّموات وَالأَرْض اَنْتَ وَليِّي في الدُّنيا وَالآخرَة تَوَفَّني مُسْلماً وَاَلْحقْني بِالصَّالحينَ) (يوسُف: 101). ولكن ما معنى فض التجفير هذا؟ لقد حبا الله يوسُفَ المقدرة على إعادة الرؤيا المجفَّرة لسابق اصلها الذي ظهرت به اول مرة قبل ان تُبادر اليها مِصفاة ومرشَحة منظومة الامن والحماية

بالإخفاء والإبعاد تحت رُكام من مفردات بديلة كما حدث لصاحب سجْنه وقبل ان يقوم الله بتجفيرها لغايةٍ لا يعلمُها الا هو كما حدث لرؤيا الملك! فلقد كان بمقدور يوسُف ان يرى الرؤيا قبل التجفير اطِّلاعاً بإذن الله على صُحُف القدر؛ هذه الصُحُف السريّة التي منها عبرت الرؤيا قبل ان يُصار الى تجفيرها. الا ان هناك من الرؤى ما تكون واضحةً كل الوضوح دونما تجفير على الاطلاق وكما هو الحال مع الصاحب الآخر لسجْن يوسُف والذي رأى عين ما كان سيحدث له من بعدُ (قالَ اَحَدُهُما اِنِّي اَراني اَعْصِرُ خَمْراً) (يوسف: 36). ولنا في رؤيا الفتح لرسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم خير مثال قرآني على الرؤيا الجليّة (لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرامَ اِنْ شاءَ اللهُ آمِنينَ مُحَلِّقينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرينَ لا تَخافُونَ فَعَلِمَ ما لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذلِكَ فَتْحاً قَريباً) (الفتح: 27).

أما بخصوص التنبؤ بوقائع مستقبلية، فانه يبرهن، حال تحقّقها على أرض الواقع، على ان صورةً عن هذه الوقائع، او ان شئت على ان هذه الوقائع بصيغتها الصُوَرية، قد تم نقلها والتقاط هذا الذي نُقل من قبل مستويَين مختلفين من الوعي. فالصورة، او النسخة، عن جميع احداث الكون اذا ما تم تسليط واحد من طيف الأضواء المستترة الخفية (وهو طيف غير الطيف الضوئي الذي تدرسه الفيزياء الحالية) عليها ثم التقاط ما حمله هذا منها من بعد انعكاسه عنها من قِبَل مَن هم على درجة من الهوائية (من الهوائي antenna) خارقة للمألوف قد يكون السبب وراء ظواهر التنبؤ. ان ظواهر التنبؤ تدلّل، وبما لا يقبل الشك، على ان هناك مَن قد قام باستنساخ جميع ما سوف يحدث من بعدُ وذلك من قبل ان يحدث! فالتنبؤ باحداث المستقبل يُحتِّم وجود صُوَر لهذه الاحداث محفوظة بعيداً عن ادراكنا الواعي. وهذا يستدعي وجود مَن قام بعملية التصوير الازلية هذه كما يلزم عنه حتمية وجود مَن قام بنقل نسخة عن هذه الصور الى وعي الوسيط Medium الذي قام بالتنبؤ! وهذا العميل Agent ما بين "الصور المحفوظة" و"الوسيط البشري" قد يكون واحداً من كائنات عاقلة غير بشرية

بمستطاعها القيام بهذا الاستنساخ او أياً من "الاضواء الخفية" التي بمقدورها ان تتفاعل مع "الصور المحفوظة" بحيث تنعكس عنها وهي مُحمَّلة بنسخة قابلة للادراك من قبل وعي الوسيط! ان صور الاحداث محفوظة في "بنك معلومات" لا يستطيع الوعي الانساني الاحاطة به الا بتوسّط كائنات بشرية متميزة تستطيع بدورها التقاط نسخ عن هذه "الصور المحفوظة". وهذه النسخ قد تكون موجودة طوال "الوقت" بسببٍ من تفاعل "الاضواء الخفية" مع بنك المعلومات تفاعلاً ينتج عنه بالضرورة انعكاسٌ لِما هو موجود من صور محفوظة داخله. ان بنك المعلومات المركزي قد لا يكون مُيسَّراً دخوله لأيٍّ كان من الكائنات العاقلة غير البشرية و"الاضواء المستترة"، الا ان "النُّسَخ" عن ما هو محفوظ من صور داخله قد يكون بالامكان نقلها بالوساطة الى وعي الوسيط البشري عبر الدور الذي يقوم به العميل. فالوسيط يستطيع "بوعيه الخارق للمألوف" ان يلتقط اما نسخة عن "النُّسَخ" ينقلها اليه العميلُ غير البشري واما نسخة ينقلها اليه ضوءٌ مستتر. ان الذكاء المقتدر الذي خلق الخلْق قد خلق معه صورة لكل التاريخ منذ بدء الخلق وحتى ان يزول باذنه. ولنا ان نتصوّر ان الخلق في صيرورته حتى يصل الى الاكتمال لَيحتاج الى ان "ينقل" عن المخطط المرسوم والموضوع اماماً منه. ان هذا النقل يعني ضرورة وجود تفاعل بين "الموجود في الحاضر" و"المخطط المرسوم" على قدْر تعلّق الامر بما من شأنه ان يُعجِّل بتحقيق الخطة الموضوعة! فكما يجب على المُنفِّذ ان يتفاعل مع خطة المُصمِّم حتى يكون بامكانه تحقيق المطلوب كذلك يتوجب على الخلق "الموجود في الحاضر" ان يتفاعل مع الخطة الواجب التقيّد بها عند التنفيذ وصولاً الى "ما يجب ان يوجد من ثم في الحاضر". ان هذه الخطة المستورة عن وعي "الموجود في الحاضر" والمكشوفة للاوعيه والتي هي ضرورية بل حتمية حتى يتسنى تحقيق "الاكتمال" هي الصور المحفوظة في بنك المعلومات والتي يوجد عنها ما يُسمى "بالنُّسَخ" والتي عنها يُستنسخ ويتم ايصال ما تم استنساخه منها الى الوسيط. اذاً فالتنبؤ بالمستقبل ما هو الا تطفُّل على جانب، او جوانب، من الخطة الموضوعة والمرسومة سلفاً وأزلاً

"للموجود" حتى يصل الى الاكتمال؛ يبقى ان يتدبّر المرء في امر هذا التفاعل غير الواعي والمستتر ما بين "الموجود في الحاضر" وبين خطته آنفة الذكر. كيف يحدث هذا التفاعل؟ الا يستدعي هذا وجود ذكاء فائق حتى يُصار الى تعليل نجاح "الموجود في الحاضر" في ادراك خطته الخاصة به والتي يتحتّم عليه التقيُّد بها ليصل بها من ثم الى "الاكتمال"؟ ان استحالة "الدخول" على منظومة بنك المعلومات المركزي لا تعني استعصاء "النُّسَخ" على اقتحام واجتياح مَن بوسعه التقاط "صورة" عنها سواء كان هذا الدخيل كائناً عاقلاً غير بشري ام "ضوءاً مستتراً". وعملية الاقتحام هذه قد تكون عن عمْد وذلك من قِبَل مَن بمقدوره القيام بذلك من الكائنات العاقلة غير البشرية، كما انها يمكن ان تحدث بصورة غير مقصودة وذلك في حالات خاصة يسقط فيها "ضوءٌ مستتر" على "النُّسَخ" لينعكس عنها من بعد تحميله بالصور ليلتقطه وعيٌ واحدٍ او اكثر من خارقي الاحساس. وفي تلك الظواهر ذات الصلة بما اصطلح على الاشارة اليه على أنه ما يقوم به المحققون الروحانيون psychic detectives (حيث يقوم هؤلاء المحققون بإيراد معلومات تخص أشخاصاً مفقودين وذلك من بعد لمسهم أشياء تخصهم أو بمجرد الاطلاع على صورة لهم)، فان اشتراط وجود "شيء ما" يعود لاحدهم ممّن يُراد التنبؤ بشأنه يُفهم على اساس من كون هذا "الشيء" هو المفتاح الذي بمقدوره تحديد اياً من "النُّسَخ" يتوجب الدخول عليها بغية تصوير المطلوب وبالتالي نقل "التنبؤ" الى القائم به ليقوم من ثم بالتصريح به. ان هذا مفهوم تماماً اذا ما تذكّرنا ان العالَم مليء بعدد يصعب حصره من "النُّسخ". كما ان هنالك حالات يتم فيها الحصول على صور لـ "النُّسَخ" من دون وساطة العملاء. وهذه الحالات تحدث بصورة عَفَوية وذلك عندما يُصبح فجأة بمقدور "خارق الاحساس" التقاط صورة لـ "النُّسَخ" من بعد حدوث تغيُّرات فجائية في كيمياء الدماغ تجعل منه بالتالي قادراً على هذا الالتقاط. وهذا يشبه الى حد بعيد تلك التغيُّرات الفجائية في كيمياء الدماغ والتي ينتج عنها التقاط للطاقة المسؤولة عن ظاهرة الاحتراق الذاتي البشري

Human Auto Combustion (والذي هو عبارة عن احتراق مفاجيء ينشب في الجسم البشري من دون ان يكون هناك أي سبب كيميائي معروف).

ان النسخ التي تملأ هذا العالم تشبه اشياءه في كونها تنعكس عنها صورٌ لها بفعل الاضاءة الناشئة عن "الاضواء المستترة" انعكاسَ الصور المرئية من قبل العين البشرية عند سقوط الضوء المرئي على الاشياء. وكما ان اعمى العين لا يستطيع التقاط الصور الضوئية المرئية المنعكسة عن اشياء هذا العالم فان اعمى القلب او الانسان العادي تفوته فرصة التقاط الصور غير المرئية المنعكسة عن "النُّسَخ" المُضاءة على الدوام من قِبل "الاضواء المستترة". ولكن المشكلة تكمن في كون خارقي الاحساس لا يغادرون حالة "العمى القلبي" الا فجأة وذلك عندما يحدث وان يُصبح بامكانهم التحسُّس بالضوء المستتر من بعد انعكاسه عن النُّسَخ مُحمَّلاً بصور عنها. وحتى يكون بمقدورهم القيام بذلك فان مناطق الدماغ المتخصِّصة بالتقاط هذا النوع الخفي من الصور يجب ان يتم "تصنيعها" مباشرة قبل ان يصبح بالامكان تحقيق عملية الالتقاط وذلك بواسطة أيٍّ من فعاليات التغيير الكيميائي التي لا تحدث الا لخارقي الاحساس. ان مصطلح الاستنارة Illumination ينبغي ان يُفهَم على انه التقاط الصور المُحمَّل بها الضوء المستتر من بعد انعكاسه عن "النُّسخ". اذاً فعالمنا الواقعي هذا باشيائه التي نظن انها لانهائية العدد هو ليس العالَم الوحيد الاوحد! حيث يتواجد مع عالَم الحقيقة عالمٌ آخر هو العالم اللاواقعي بـ "نُسخه غير المرئية" واضوائه المستترة وصور "نُسَخه"!

والآن لابد من التطرق الى مفردة أخرى من حقائق الغيب، تلك هي "الحقائق الغيبية" والتي بالامكان أن يصار الى تعريفها بأنها كل ما لا يمكن الوصول اليه من حقائق بمجرد الانطلاق من والاستعانة بـ "مفردات عالم الشهادة"؛ هذا الذي اصطلُح على الاشارة اليه على أنه الواقع (والذي لا يوجد واقع آخر غيره كما يتوهم أصحاب الرأي والنظر من فلاسفة البشر). فالواقع يشهد أنه عاجز عن الاتيان بما من شأنه أن يعمل على حصولنا على تلك المعارف والحقائق التي

ليس لأي من مفرداته، منفردة أو مجتمعة سويةً، أن تؤدي اليها عبر أي نظام أو سلسلة تفكير منطقي ومهما استعانت به من مناهج بحث ووسائل اختبار وتجريب. فالعقل ليحار وهو يتصفح ما سطرته يدا ابن آدم من صُحُف حوَت في سطورها من الاباطيل والاراجيف الشيء الكثير ومن الحقائق الشيء الكثير ايضاً! فكيف تأتى للعقل الآدمي ان يقع على هذه الحقائق التي لا وجود لوقائع بمقدوره الاستعانة بها برهنةً منه على صواب وصحّة انتمائها لعالَم الحقيقة؛ هذا العالَم اللاواقعي الذي ابداً ليس بوسع العقل الانساني ان يجده هناك في الخارج كما هو واجدٌ كل يوم العالَم الواقعي مُمثَّلاً بهذا الواقع الذي لم يألف غيره واقعاً منذ ان تفتحت عيناه في هذه الحياة الدنيا؟ واذا كان بمستطاع هذا العقل ان يقع على هذا الكم الكبير من الحقائق فلماذا لا يكون بمقدوره الاّ يقع على سواها فلا يكون بوسع لسانه ان ينطق بهذا الكم الكبير من الاباطيل والاوهام؟ ان المرء ليعجَب لهذا العقل الانساني بقدرته المزدوجة هذه على الوقوع على الحقائق والخوض حتى الاذنين في ظُلمات الوهم والخَرْص! فالعقل الانساني لا قدرة له على تجاوز هذا الخلْط ما بين الحق والباطل ما ظلَّ عقلاً بعيداً عن الاستضاءة والاستهداء بنورٍ لا ينطفئ بأفول مصدره! ولكن، اذا كان خوضُ عقل الانسان في متاهات الباطل امراً مفهوماً مادام هو غير راغب في الالتجاء لمن بوسعه ان يُعينه على الخروج الى نور الحقيقة فانه لأمرٌ غيرُ مفهوم بهذا اليُسر ان يكون بوسع هذا العقل، احياناً، ان يقع على حقائق يعجز الواقع الخارجي عن ان يُقدّم له ما يُمكّنه من الوقوع عليها هكذا وبكل بساطة! من اين جاء العقل الانساني اذاً بهذا الفيض الخِضَم من الحقائق التي لا تنتمي لواقعه لفرْط انتسابها وصلتها بعالَم غير واقعي على الاطلاق هو عالَم الحقيقة، وهو العالَم الذي يجزم هذا العقلُ بعدم وجوده مادام الواقع عاجزاً عن رفْده بما يتيح له التيقُّن من وجوده؟ فأن يكون بمستطاع هذا العقل ان يصل الى الحقيقة بجهد ذاتي محْض أمرٌ لا يستقيم مع ما نعرفه من حقائق واقعية بخصوص الماضي البايولوجي لمادته. فالعقل الانساني يُخيّل اليه انه قد اكتشف الحقيقة، اية حقيقة، بمفرده، فهل

هذا صحيح؟ هل يستطيع عقلُ الانسان حقاً ان يتوصَّل لاكتشاف جُملة من الحقائق هكذا ومن دون اي تدخُّل خارجي يأخذ بيديه الى حيث هي الحقائق؟ ان القول الفصْل بهذا الخصوص لابد وان يأخذ بنظر الاعتبار ان الانسان لا وجود له بمعزلٍ عن الموجودات الاخرى في هذا الوجود، ومن بين هذه الموجودات المتواجدة مع الانسان، شاء ام ابى، نُسَخ لأحداث الوجود منذ اولى لحظات الخلق الالهي له وحتى آخر لحظات وجوده قُبيل حلول اولى ثواني يوم الطي؛ يوم يطوي الله السماء كطي السجل للكتب. فاذا كانت هذه النُسخ موجودة، بل متواجدة، مع الانسان بشهادة الرؤى والنبوءات المستقبلية وظواهر الإلمام بأخبار الماضي المنصرم، فلماذا لا يكون بمستطاع البعض من بني آدم التقاط مفردات اخرى من عالَم الحقيقة، الذي تنتمي اليه النُسخ هذه، غير المادة الاخبارية التي تجعل بمقدور آخرين من بني جِلدَتهم النطق بتلك الرؤى والنبوءات المستقبلية والإخبار بأنباء ما مضى من زمان؟ ان الإنباء بحقائق مستقبلية او الإخبار بأنباءٍ من ماضٍ غابر سحيق لا يختلفان في حقيقة الامر عن النطق بحقائق ذات صلة بحقيقة ما يحدث في ظواهر الوجود. فاذا استقام لدينا ان بعض الناس بمقدور ادمغتهم التقاط صورٍ لأحداثٍ تنتمي للمستقبل او الماضي او الحاضرِ البعيد مكانياً وذلك نقلاً عن ارشيف احداث الوجود المخلوق من قبل ان يخلق الله الوجودَ بموجوداته كلها جميعاً، فلماذا لا يكون للبعض من بني آدم القابلية الخارقة للعادة على استقبال صورٍ لحقائق اخرى تخص ظواهر الوجود؟ ان القول بأن هذا الارشيف هو المصدر الذي لولاه لما كان للرؤى والنبوءات المستقبلية ان تحدث يُلزِمنا بألاّ نستبعد القول بأن هذا الارشيف ذاته هو المصدر الوحيد الذي بمقدور بعض آخر من بني آدم الاخذ عنه، بصورة لاواعية من قِبلهم، نقلاً لبعضٍ يسيرٍ مما ضمّنه الله من حقائق تخصُّ الوجود وظواهره. وهكذا ينكشف النقاب عن السبب الحقيقي من وراء تمكُّن الانسان من الاحاطة بحقائق لا قدرة لهذا الواقع على رفْده بمادتها او تمكينه من البرهنة عليها وبما يكفل له الوثوق من انها حقاً من جملة الحقائق لا الاباطيل. ان الانسان، اذ يتواجد معه هذا الارشيف المعلوماتي،

قادرٌ لا على الاحاطة بجانبٍ يسيرٍ من أحداث المستقبل التي لم يتسنَّ لها ان تحدث بعد فحسب ولكن بجانبٍ يسيرٍ ايضاً من الحقائق ذات الصلة بما يجري حقاً في ظواهر الوجود. فالعقل الانساني اذْ لا قدرة له على اكتشاف الحقيقة فانه غير عاجز عن ان يكون مُجتاحاً من قِبَل حقائق عابرة الى هذا الواقع من عالَم الحقيقة؛ هذا العالَم الذي خلقه الله قبل ان يبادر الى خلْق الوجود ليكون، هذا الوجود، واقعاً آخر وليس الواقع الوحيد كما يتوهّم الانسان! ان كل الحقائق التي يعجز هذا الواقع عن تمكين العقل الانساني من التوصُّل اليها، لافتقاره اليها مادام لا يمتلكها كما يمتلك وقائعه وظواهره واحداثه التي منها يتشكّل ويتكوّن، هي حقائقٌ وافدةٌ من عالَم الحقيقة عابرةٌ منه الى هذا الواقع العاجز عن كشف النقاب عنها. وهكذا فان كل ما تحفل به كُتُب بني آدم من حقائق، غير واقعية، ليس لها من مصدر سوى عالَم الحقيقة! وهذا يستدعي منا ان نُعيد النظر بالكثير جداً من البديهيات ذات الصلة بالانجازات الفكرية لأفراد النوع الانساني حتى لا يعود هناك من انجازٍ ذي صلة بعالَم الحقيقة الا وهو مُصنَّفٌ وفقاً لعائديته هذه! ان اعادة النظر هذه الى التراث الانساني سوف تُمكِّننا من ان نقول الحق بخصوص ما هو انساني وما هو غير ذلك حتى لا يعود بمقدورنا ان نُسبِغ على ما هو مُنتَم لعالَم الحقيقة نسبةً زائفةً لهذا الانسان العاجز تمام العجز عن العبور الى عالَم الحقيقة بهذا العقل غير الراغب في الخلاص من واقعه هذا! تبيّن لنا اذاً ان هذا الكم الكبير من الحقائق، غير الواقعية، التي تحفل بها كُتُب الانسان لم يكن للانسان ان يتوصّل اليها بجهده الذاتي المَحْض وان مَن مكّنه من "اكتشافها"، اذا جازٍ التعبير، هو ذلك الارشيف المعلوماتي الموثّق لأحداث الوجود من قبل ان يخلق الله الوجود بمَن فيه وما فيه. وهذه الحقيقة تصطدم اذاً بكل ما يفاخر به الانسان من علم ومعرفة يظن بعقله المقدرة على التوصّل لاكتشاف مفرداتهما دونما عونٍ متجاوزٍ لهذا الواقع انتماءً لعالَم الحقيقة اللاواقعي. والآن الا تجعل منا هذه الحقيقة ملزَمين بالعودة الى ظواهر التزامن؛ تلك الظواهر الغامضة التي لابد لكل مَن يتدبّرها حق التدبُّر مِن ان يقع على ما حُمِّلته من

حقائق اراد لها مَن كان السبب من وراء ظهورها المعجز ان تصل الانسان الذي استُهدِف بها عن سابق اختيار الهي وتقصُّد وترصُّد؟ فاذا كانت الحقائق، غير الواقعية، التي بحوزة بني آدم نُسَخ حقٍّ عابرة من عالم الحقيقة الى هذا الواقع فلماذا نستبعد ان تكون ظواهر التزامن هي الأخرى نُسَخ حقٍّ عابرة الى واقعنا هذا من عالَم الحقيقة محمَّلةً بحقائق هي مفردات الرسالة الموجَّهة للشخص المُعنى بملاحظتها جذْباً لاهتمامه او تعزيزاً لموقفه الايجابي حيالها؟

ان مَن ينكر ان تكون ظواهر التزامن هي ظواهرُ محمّلةٌ بمعنى قادمٍ الى واقعنا هذا عبر حجاب الاسباب سوف يكون مُلزَماً بالتنازل عن موقفه المُنكِر هذا اذا ما نحن اضطررناه لمواجهة ما تُمثِّله ظواهر الرؤى والنبوءات المستقبلية من خطرٍ معرفي لا قدرة له على التصدِّي له ناهيك عن الانتصار عليه! فمادامت هذه الظواهر عصيّةً على التعامل المعرفي معها وبما لا يأخذ بنظر الاعتبار انها ظواهرٌ ليس من سبيل لتفسيرها الا بالانطلاق في النظر اليها من خط شروعٍ مؤمن بالله موقنٍ بوجود ارشيف معلوماتي خلقه الله من قبل ان يشرع بخلْق الوجود بجميع ما فيه من موجودات، فان استبعاد ان تكون ظواهر التزامن قد تم تدبير حدوثها المعجز من قبَل ذكاء الهي قادرٍ على صياغة مفردات ظاهرة التزامن وبما يتكفّل بجعْلها تُشكِّل رسالةً مُحمَّلةً بمعنى يُراد له ان يصل الشخص المُعنى بظاهرة التزامن هذه لَهو امرٌ لا يقبل به منطقٌ سليم! ان اضطرارنا للقول بأن ظواهر الرؤى والنبوءات المستقبلية ما كان لها ان تحدث لولا سابق وجود الارشيف المعلوماتي الموثِّق لسير اعمال الوجود من قبل الخلْق الالهي له سوف يضطرنا للقول بأن ظواهر التزامن قد تم تحميلها بالمعنى من قِبل مَن سبق له وان خلق هذا الارشيف وضمّنه من المعلومات ما هو كفيلٌ بجعْل ظواهر الوجود تحدث على نحوٍ مقصود لا تحيد عنه قِيد أنمُلة والا فالزوال بانتظارها لامحالة. لذا فلا موجب لاستهجان قول مَن يقول بأن لظواهر التزامن معنى مقصوداً من قِبَل الذكاء الالهي المسؤول عن ظهورها المعجز على هذا النحو الغامض للغاية.

ان هذا الوجود حافلٌ بظواهر انتقال المعلومات من واقع آخر الى واقعنا هذا. يكفينا ان نستذكر ما تم لنا التطرق اليه آنفاً حتى نستيقنٍ من ان هذا الانتقال المعلوماتي عبر حجاب الاسباب هو حقيقة لاريب فيها. والظواهر الخارقة للعادة هي ظواهرٌ غامضة ليس بالامكان التعامل المعرفي معها انطلاقًا من خط شروعٍ لا يقر بعائديتها لواقع آخر غير منظورٍ انتماءً طاقياً او معلوماتياً لا يحول دون انتسابها لواقعنا هذا ظهوراً وتجليات! فلولا هذه الطاقة المنتمية لواقع آخر غير منظورٍ، كواقعنا الذي لم نألف سواه، لما كان "لظواهر الطاقة الخارقة للعادة" ان تحدث. ولولا هذه المعلومات ذات الصلة بهذا الواقع الآخر لما تسنّى "لظواهر المعلومات الخارقة للعادة" ان تحدث. ان هذا التواجد الطاقي-المعلوماتي، مُمثَّلاً بطيف الطاقات غير البشرية ذات الصلة بحدوث الظواهر الخارقة للعادة وبالارشيف الالهي القديم المُوثِّق للسيرة الذاتية للوجود، مع مفردات واقعنا المألوف حقيقةٌ لا ينبغي الإعراض عنها لمجرد انها تضطرنا للقول بوجود الله! فمادام وجود الله قادراً على ان يأتينا بكل برهان مبين يطالب به المنطقُ السليم، فلماذا لا نؤمن اذاً بالله فنريح ونستريح؟! ان الاصرار على القول بأن الله غير موجود لن يجعل منا بقادرين على شيء ذي صلة بالكشف عن الغموض الذي يأبى ان يفارق الظواهر الخارقة للعادة! فلماذا لا نقول من كل قلوبنا بأن الله موجود فيكون عندها بمستطاعنا ان نفيد من طيف الطاقات غير البشرية ومن الارشيف المعلوماتي المُوثِّق لأحداث الوجود في فهم حقيقة ما يحدث في الظواهر الخارقة للعادة! ولماذا لا نقر بوجود طاقات ومعلومات متواجدة معنا شئنا ام ابينا؟! ان قولاً كهذا كفيلٌ بجعْلنا ننظر الى الوجود فلا نراه كما اعتدنا ان نراه: وجوداً خالياً من المعنى! فالتواجد الطاقي لطاقات غير بشرية على مقربةٍ من الانسان سويةً هو والتواجد المعلوماتي لمعلومات تحيط بالانسان من كل جانب هما السبيل الوحيد للخلاص من جهالتنا ولاادريتنا حيال الظواهر الخارقة للعادة. فكما ان الطاقات غير البشرية ذات الصلة بحدوث الظواهر الخارقة للعادة المرتبطة بالانسان تتواجد على مقربة من الكيان الانساني مما يوفِّر لهذه

الظواهر ما تحتاجه من طاقة ليتسنّى لها ان تحدث فكذلك تتواجد غير بعيد عن الانسان تلك المعلومات الالهية التي تتكفّل بإحداث ظواهر الرؤى والنبوءات المستقبلية والإنباء بأخبار ما مضى والاتيان بحقائق ومعارف ليس لواقعنا هذا من يدٍ في توصُّل العقل الانساني "لاكتشافها". ان الاقرار بتواجد هذه الطاقات والمعلومات غير البشرية على مقربة من الانسان سوف يتكفّل بإزالة كل أثر للغموض الذي يصاحب الظواهر الخارقة للعادة. اذاً هي طاقةٌ ومعلوماتٌ لابد من الإقرار بلابشريتهما، هذا اذا ما نحن اردنا حقاً ان نعرف حقيقة ما يحدث في هذه الظواهر الغامضة! ان العقل السليم لَيعجب لهذا الاصرار على الإعراض عن "طاقةٍ ومعلوماتٍ" بوسع القول بتواجدهما على مقربةٍ من الانسان تجنيبنا الكثير من المشاق خوّضاً في متاهات البحث عن الابرة لا حيث سقطت منا في الظلام ولكن حيثُ هنالك ضوء وإن كان هذا بعيداً كل البعد عن ابرتنا المطلوبة!

الانتقال عبر الزمن... واقعٌ أم خيال؟!

تجتاح العالم اليوم حُمى الانتقال عبر الزمن رجوعاً الى الماضي أو عبوراً الى المستقبل! والانتقال الزماني هذا لم يَعُد قصْراً على استقبال الرؤى سواء ما كان منها ذا صلة بماضٍ موغل في القدَم ام قادماً الينا من المستقبل المجهول! فاختراق حاجز الزمن لم يَعُد مقصوراً على هذا الفعل السلبي بل تعداه لفعل ايجابي تجلى في السفر عبر الزمان انتقالاً بكامل الكيان الإنساني سواء استعان المسافر الزماني بآلة زمن ام لم يستعِن بشيء! ولقد وجد أهل هذا العصر في المنظومة النظرية للعلم المعاصر خير مؤازر لهم في هذا الهوَس بالانتقال عبر الزمن. فالنظرية النسبية بالامكان فهمها بشكل يُتيح للمرء الحصول على "برهان علمي" على عدم استحالة الانتقال عبر البُعد الرابع ارتحالاً الى الماضي ام انطلاقاً الى المستقبل! ان العلم النظري المعاصر لا يجد غَضاضة في القول بأن السفر عبر الزمن حقيقة يتكفل آينشتاين ومَن لف لفه بتبيان عائديتها لعالم الحقيقة الفيزيائية وذلك بالاستناد الى ما تضمنته النسبية من قوانين للانتقال الزماني هذا! فالسفر عبر الزمن اذاً لم يَعُدْ مقتصراً على مُنظري الخيال العلمي بل تعداهم لمُنظري "الخَبال العلمي" كما يُعبر عنه اصدق تعبير ممارسوه من صياغ المنظومة النظرية للعلم المعاصر! لقد ولى زمان النبوءات والرؤى المستقبلية وجاء زمان الانتقال الزماني مؤيداً بقوة الفيزياء النظرية المعاصرة! فاذا كانت الرؤى والنبوءات فيما مضى من الزمان عاجزةً عن تدعيم طروحاتها الخارقة لحجاب الزمان بكل ما من شأنه ان يجعل منها عصيةً على الانتقاد والشك فانها اليوم تستعين بالعلم النظري المعاصر لا لتبرهن على "صدقها العلمي" فحسب ولكن لتجعل من خارقيتها يتساقط عنها كل ما ليس له علاقة بالإنسان وعقله الجبار! ان الإنسان، كما تراه المنظومة النظرية لحضارتنا المعاصرة، كائنٌ خرافي الامكانات الذاتية وهو لا يحتاج احداً خارجه

ليكون بمقدوره القيام بكل ما هو خارق للعادة والمألوف! والنبوءة، بهذا المنظور، شأنٌ إنساني بحْت لا علاقة له بغير الإنسان كائناً ما كان! فنسبية آينشتاين قد تكفلت بالبرهان على ان الرؤيا، وغيرها من وسائل اختراق جدار الزمن، لا تحتاج استقدام كائنات أو قوى غير إنسانية كيما تحدث! ان العلم النظري المعاصر يستقتل لمد النفوذ الإنساني على اوسع رقعة من هذا الوجود لا بوساطةٍ من التقنية المعاصرة، اختباراً وتجريباً، ولكن بواسطة موجوداته الميتافيزيقية؛ هذه الموجودات الخيالية التي ابداً لن يكون بوسعه التثبت من وجودها مادام هذا العلم قد استقدمها من وحي خيالاته واوهامه! فالخيال العلمي لا تدور أحداثه حوالَي الكائنات البشرية فحسب. حيث ان الكثير من روايات الخيال العلمي تتضمن ظواهراً كائناتها غير بشرية. بينما لا يجرؤ عالم نظري واحد على الجهْر بالقول بأن نظريته قد اعانه على نظْمها وصياغتها احد آخر من غير البشر! على أي حال، لِنَعُد الى الانتقال عبر الزمن، سواء كان سفراً الى الماضي أو المستقبل ام تنبؤاً بأحداث لا تنتمي لزماننا الحاضر هذا. ماذا يقول العلم الجديد، بايديولوجيته الإلهية المستندة الى القرآن العظيم، بهذا الخصوص؛ هل يوافق العلمُ الجديد العلمَ النظري الحالي فيما يذهب اليه من تفسيرٍ للانتقال عبر الزمن استناداً لذات النظريات التي نجح هذا العلم في تفسير الكثير من وقائع الوجود اعتماداً عليها؟ ان العلم الجديد اذ لا يُشارك العلم النظري المعاصر خَباله العلمي، كما تُجليه الموديلاتُ الميتافيزيقية التي قام بصياغتها من وحي الظن والوهم فخُيل اليه معها بأن الوجود قد اصبح مِلك يمينه تأويلاً وتفسيراً لأحداثه وظواهره كلها جميعاً، فانه لا يزاور عن وقائع الواقع مادامت هذه تحدث حقيقةً بشهادة الملاحظة والاختبار والتجريب. لذا فان العلم الجديد وإن كان لا يوافق الفيزياء النظرية كما نعرفها الرأي بخصوص تأويل ظواهر الانتقال عبر الزمن فانه لا يجزم بعدم وجود انتقالات خارقة لجدار الزمان ليس الإنسان بطلها! ولكن كيف هذا؟ ان الانتقال الزماني الذي لا قدرة لأحد، لا هذا العلم الذي بين ايدينا ولا أي علم آخر، على إنكاره هو انتقال المعلومات الى زماننا هذا

من زمان آخر غير واقعي لعدم انتماء احداثه العابرة هذه الى واقعنا هذا. اي ان الرؤى والنبوءات هي ظواهر الانتقال عبر الزمن التي ابداً لن يكون بمقدور احد على الاطلاق ان يجزم بأنها مجرد اوهام واباطيل. فالواقع يشهد بأن هنالك رؤى ونبوءات قد تحققت كما اوردها "اصحابُها" وان هناك "رؤى ونبوءات" أخرى تحقق منها جزؤها أو معظمها أو لاشيء منها على الاطلاق. لذا فان العلم الجديد لا يسعه بهذا الخصوص غير ان يُقر بأن هنالك رؤى ونبوءات بالامكان دائماً الوقوع على ما يشهد لها بأنها حوادث واقعية بعيدة كل البُعد عن ان تكون مجرد اوهام وخرافات كما يتوهم واقعيو البشر! والآن، اذا كان الواقع عاجزاً عن ان يدحض وجود هكذا نبوءات ورؤى، واذا كان العلم النظري المعاصر عاجزاً بدوره عن ان يتناولها "بالتفسير العلمي الصائب" وبما يتكفل بجعْلنا نفقه ما يحدث فيها من خرْقٍ بين لمألوفاتنا الفكرية على وجه الحقيقة لا الخيال، فماذا بمقدور العلم الجديد ان يقوله بهذا الخصوص؟ يستند العلم الجديد الى ايديولوجية مؤمنة بالله لا انطلاق معرفياً لها الا من خط شروع قرآني، وهو بهذا قد ضمن لنفسه ان لا يخرج عن جادة الصواب مادام ملتزماً بضوابط السير على الطريق الإلهي الى الله كما بينتها الشريعةُ الإلهية التي جاءنا بها قرآن الله العظيم. فالمستقبل ليس له وجود على الاطلاق مادامت احداثُه لم تحدث بعد. لذا فان كل حديث عن انتقال عبر الزمان الى المستقبل أو عبور الى زماننا الواقعي هذا من المستقبل هو محض هراء لا اساس حقيقياً له! كما ان اي انتقال معلوماتي عبر الزمان من مستقبل لم يتسن لاحداثه ان تحدث بعد هو ليس بأكثر من مجرد انتقال خيالي لا يمكن له ان يتحقق لا الآن ولا في اي زمان قادم! ولكن ماذا بشأن النبوءات والرؤى المستقبلية؟ كيف يستطيع العلم الجديد ان يتعامل معرفياً مع ما يتجلى فيها من خرْقٍ معلوماتي لجدار الزمن؟ لنتدبر بشيء من التفصيل وجهة نظر العلم الجديد الى الأمر من زاوية نظره القرآني الإبصار. ان الانتقال المعلوماتي عبر الزمان ما هو الا وصف غير علمي لما يحدث حقيقةً في ظواهر الرؤى والنبوءات. فما يحدث حقيقةً انما يحدث واقعاً ها هنا وها

الآن وليس عبوراً الى واقعنا هذا من زمان آخر غير واقعي لتحقق عدم انتمائه لهذا الواقع الذي نعيش. الا ان الانتقال المعلوماتي هذا هو عبور للمعلومات الى واقعنا هذا من واقع آخر لا قدرة لنا على التعامل الواقعي معه كما بمقدورنا ان نفعل عادةً مع وقائع الواقع الذي نألفه. ان هذا العبور للمعلومات من واقع آخر الى هذا الواقع هو حقيقة ما يحدث في ظواهر الانتقال المعلوماتي عبر الزمان؛ هذا الانتقال الذي تبين لنا الآن انه انتقال معلوماتي عبر العوالم لا عبر الازمان كما كنا نتوهم من قبل! ان معلومات المستقبل، ومعلومات الماضي كذلك، موجودة في هذا الزمان الواقعي الذي اصطلحنا على تسميته بالزمان الحاضر. لذا فالانتقال المعلوماتي من المستقبل الى الحاضر هو انتقال يحدث في هذا الحاضر من واقع آخر الى واقعنا هذا. ان عبور المعلومات الى هذا الواقع من واقع آخر هو الذي جعل من الإنسان يتوهم للمستقبل وجوداً يضاهي وجود الحاضر وأحداثه الواقعية. الا ان هذا خرْصٌ لا علاقة له بما هو حقيقة طالما استحال على المستقبل ان يكون موجوداً واحداثه لما يتسنى لها ان تحدث بعد! والآن، ماذا بعدُ بشأن هذا التواجد المعلوماتي المتجاوز للواقع لا للزمان؟ لنتدبر الأمر بشيء من إعمال العقل كما ينبغي وليس كما يريدنا انصارُ الخَبال العلمي!

يكشف القرآنُ العظيم النقاب عن حقائق كثيرة ذات صلة بانتقال المعلومات عبر العوالم؛ هذا الانتقال العجائبي الذي توهمه عقلُ الإنسان انتقالاً عبر الزمن خُيل اليه معه بأنه السبب وراء ظهور النبوءات والرؤى المستقبلية. فكل احداث الوجود يتم توثيقها وبشكل تفصيلي في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها. وهذا الكتاب هو، بلغة التقنية المعاصرة، طاقة معلوماتية أو بعبارة أخرى طاقة مُحملة بمعلومات. وهذه الطاقة المعلوماتية تتميز بمعامل بقاء عالٍ للغاية؛ فهي لا تتلاشى بتقادم الزمن، بل تبقى محافظةً على هويتها محتفظةً بكل مفردة، مهما دقت وصَغُر جُرمُها، من مفرداتها وحتى يرثَ اللهُ الارضَ ومَن عليها. لقد ذكر اللهُ في قرآنه العظيم ان ما من شيء يحدث في هذا الوجود الا ويتم توثيق حدوثه بتدوين ذلك في كتاب. لنتدبر الآيات القرآنية الكريمة التالية:

(وَعندَهُ مَفاتحُ الغَيب لا يَعْلَمُها الا هُوَ وَيَعْلَمُ ما في البَر وَالبَحْرِ وَما تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةِ الا يَعْلَمُها وَلا حَبةٍ في ظُلُماتِ الأرضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يابسٍ الا في كتابٍ مُبينٍ) (الأنعام: 59)، (وَما من دابةٍ في الأرضِ الا على الله رِزْقُها وَيَعْلَمُ مُستَقَرها وَمُستَودَعَها كُلٌ في كتابٍ مُبينٍ) (هود: 6)، (وَما مِنْ غائبَةٍ في السماء والأرْض الا في كتاب مُبين) (النمل: 75)، (وَكُل شَيْءٍ اَحْصَيْناهُ في امامٍ مُبينٍ) (يس: 12)، (وَكُل شَيءٍ اَحْصَيْناهُ كتاباً) (النبأ: 29)، (وَما يَعْزُبُ عَنْ رَبكَ مِنْ مثْقالِ ذَرة في الأرْضِ وَلا في السماءِ وَلا اَصْغَرَ مِنْ ذلكَ وَلا اَكْبَرَ الا في كتابٍ مُبينٍ) (يونُس: من 61).

كما ان المجرمين يوم القيامة سوف يُذهلون لما سيجدونه مُحضَراً من اعمالهم كما سيعرضها امام اعينهم الكتاب الإلهي هذا. (وَوُضِعَ الكْتابُ فَتَرى المُجْرِمينَ مُشْفقينَ مما فيه وَيَقُولُونَ يا وَيْلَتَنا مالِ هذا الكتاب لا يُغادرُ صَغيرَةً وَلا كَبيرَةً الا اَحْصاها وَوَجَدُوا ما عَملُوا حاضراً وَلا يَظْلمُ رَبكَ اَحَداً) (الكهف: 49)، (وَاَشْرَقَت الأرضُ بنورِ رَبها وَوُضِعَ الكتابُ وَجيءَ بالنبيين وَالشهَداءِ وَقُضيَ بَيْنَهُم بالحَق وَهُم لا يُظْلَمون) (الزمَر: 69). ان كل احداث الوجود يتم توثيقها وبصورة تفصيلية على مدار الساعة في هذا الكتاب الذي لا يجد المرء ما يُقرب ماهيته الغامضة لأذهاننا العاجزة عن ادراك كنهه على ما هو عليه حقيقةً سوى "النظر الى هذا الكتاب" في ضوء تقنية التوثيق الفيلمي؛ هذه التقنية التي كفلت للإنسان التمكن من تدوين الحَدَث بوساطةٍ من مادة الفيلم الفوتوغرافي أو الفيديوي أو القرص المدمج CD. الا ان هذه التقنية، على تعقيدها الفني، لا وزن لها عند الله مادامت عاجزةً عن القيام بمهام التوثيق والارشفة والتدوين من دون وساطة مادة عَيانية (ماكروسكوبية)! فكتاب الله عبارة عن مادة فائقة المجهرية supermicroscopic لا قدرة للإنسان ولا لأجهزته على الاحساس بها. الا ان هذا العجْز لا يعني انها مادة لا وجود لها! ولكن هل من سبيل تجريبي-اختباري يُتيح لنا ان نستيقن من وجود هذا الكتاب وان عجزت ابصارنا وابصار اجهزتنا عن رؤيته؟ ان الواقع كفيلٌ، اذا ما نحن أحسنا التعامل المعرفي معه، بجعْلنا

عاجزين عن إنكار وجود هذا الكتاب. فنحن اذا ما قُمنا بدراسة الرؤى والنبوءات المستقبلية دون انغماس في وحل المنظومة النظرية للعلم الذي بين ايدينا فاننا واجدون انفسنا لامحالة وجهاً لوجه امام الحقيقة التالية: ان المستقبل وان كانت احداثه لم يتسن لها ان تقع بعد الا ان هنالك بعض الاشخاص تجتاحهم احياناً صورٌ لجانب من بعض الأحداث والوقائع المستقبلية التي لم تحدث بعد! والآن، اذا كان المستقبل غير موجود كما هو موجود هذا الحاضر فكيف، بالله عليك، تسنى لهذا البعض من بني آدم ان يحظى بهذا العلم المستقبلي ان لم تكن احداث المستقبل قد سبق وان تم توثيق حدوثها من قبل ذكاء لانهائي مهيمن على الوجود كله؟! ان هذا الحل لا مفر لنا من الاخذ به حلاً وحيداً ليس لغيره حل ان يجعل بمقدورنا تفهم ما يحدث في ظواهر الرؤى والنبوءات المستقبلية؛ هذه الظواهر التي طالما عانت من ظلم الإنسان لها سواء كان هذا الإنسان الشخص الذي اجتاحته هذه الرؤى والنبوءات ام مَن انكر وجودها، لِتعارُضه وأُسس المنظومة الفكرية للعقل الإنساني، ام مَن كان كل حظها منه الاهتمام المفرَط بها لهواً وتسليةً دونما انشغال علمي بها وبما تستحقه! على أي حال فان الإنسان ذا العقل السليم سوف يكون مُلزَماً بوجوب الاهتمام العلمي بهذه الظواهر وبما يكفل لها ان تحظى بفرصةٍ ليتم التعامل المعرفي معها كما ينبغي. وهذا الاهتمام العلمي سوف يُحتم على الإنسان وجوب الإعراض عن تفسير الرؤى والنبوءات المستقبلية كما دأب على تفسيرها العقلُ الإنساني وبما لا يتطلب ضرورة الالتجاء لله قدرةً لانهائية الامكانات مطلقةَ الهيمنة والإحاطة! فماذا علينا لو اننا آمنا بالله كما ينبغي وأَقر العقلُ منا بأن احداث الوجود قد سبق لله وان قام بتوثيق حدوثها من قبل ان يتسنى لها ان تحدث؟! هل هذه الفكرة خيالية اكثر مما هي خيالية افكار الفيزياء النظرية المعاصرة وهي تحاول جهدها الإجهاز على الوجود حتى لا يبقى منه الا خيالاتها وأباطيلها واوهامها الميتافيزيقية؟! ان المستقبل لم يحدث بعد ولا وجود حقيقياً له، فلمَ لا نقول الحق فنقول بأن العلم بأحداث مستقبلية قبل وقوعها هو علمٌ متأت بسببٍ من سابق قيام الله بتوثيق حدوثها؟! ام ان القول بأن

المستقبل وإن كان غير موجود الآن في الحاضر فهو موجود في بُعد آخر لا نراه هو الحق وما سواه الباطل؟! ان المنطق لَيُجوِّز للإنسان العاقل ان يميل الى الاخذ بسابق التوثيق الإلهي لأحداث الوجود على الاخذ بأن المستقبل موجود بأحداثه في هذا الحاضر في بُعد متجاوز للأبعاد المكانية! فاذا كان الله قد تعهد بتوثيق احداث الوجود، وهي تحدث من بعد تمام فراغه من خلْق الوجود، بشهادة هذا القرآن فلماذا لا نقول بسابق توثيقٍ إلهي قام به الله من قبل ان يخلق الوجود وأحداثه؟! والآن اذا ما رجح لدينا ان سابق التدخل الإلهي توثيقاً لأحداث الوجود من قبل ان يخلق الله الوجود هو السبب وراء ظهور الرؤى والنبوءات المستقبلية، فهل لنا ان نتعرف الى بعضٍ من تفاصيل هذا الانتقال المعلوماتي عبر العوالم؟

لِنقُم قبل ذلك بتلخيص ما توصلنا اليه بخصوص هذا الانتقال العجائبي. ان المستقبل غير موجود الآن كأحداث طالما لم يتسن لهذه الاحداث ان تحدث بعدُ. الا ان المستقبل موجود كمعلومات تتعلق بهذه الاحداث المستقبلية والتي لما تحدث بعد. لذا فمعرفة جانب من هذه "المعلومات المستقبلية" لا يتطلب الانتقال عبر الزمن ولا يستدعي افتراض وجود مستقبل قائم في هذا الحاضر بأحداثه المستقبلية. فطالما كان المستقبل موجوداً بيننا كمعلومات فان الاطلاع على شيء من هذا العلم المستقبلي رهنٌ بعبور معلوماتي من واقع الى واقع وليس من زمان الى آخر. لِنعُد الآن الى التفاصيل. نعيش هذا الحاضر ونحن عاجزون عن الوعي بما يتواجد معنا فيه من كائنات وكينونات. ومن هذه الكينونات طاقاتٌ معلوماتية هي الارشيف الكامل لسيرة الوجود منذ اولى لحظات خلقه وحتى آخر لحظات حياته قبل مقدمِ يوم القيامة. ولكن ما السبب وراء وجود هذا الارشيف الخفي الذي خلقه الله قبل ان يخلق الوجود؟ ان هذا الارشيف يتكفل بقيادة احداث الوجود حتى لا تضل السبيل في مسيرتها الساعية لبلوغ الهدف الاقصى. فلولا هذا الارشيف القديم لما كان بمقدور اي حدث في هذا الوجود ان يتخذ له مساراً تطورياً ارتقائياً يُتيح له التفاعل مع باقي الاحداث وبما يكفل، له ولها، عدم الخروج عن المسار الإلهي الذي خطته يمينُ الله. فأحداث الوجود لا تحدث كيفما

اتفق وبعشوائية وفوضى لا وجود لهما الا في مُخيلة الإنسان، بل تحدث بانضباط تام وتوافق كامل مع متطلبات الارشيف المعلوماتي الإلهي فلا تحيد عنه قِيد انمُلة. والأمر هنا هو اشبه ما يكون بالنقل الحرفي من كتاب مفتوح. فكل حدث لا يتطور الى حدث آخر الا من بعد الاطلاع على هذا الارشيف وذلك على قدْر تعلق الأمر بما يتطلبه انتقالُه من حالته التي هو عليها الآن الى حالةٍ متقدمة مستقبلية. ان هذا النقل الحرفي هو الذي يؤمن لأحداث الوجود ان يكون مسارها التطوري هادفاً فلا يضل بها السبيل فتحدث كيفما اتفق. فالوجود احداثُه لا قدرة لها على المخالفة عن خطة التطور كما خطتها اليمينُ الإلهية فيؤول بها الأمر حينئذ الى فوضى عارمة لن تؤدي الا الى دمار يحيق بالوجود بكل ما فيه ومن فيه. ان هذا الارشيف الإلهي متواجدٌ مع الخلْق غير بعيد عنهم وان كانوا في أقصى السموات أو في أدنى الارض. فكل حدث لا يتطور الى حدث آخر الا من بعد الاطلاع على هذا الارشيف. ان العلاقة التي تربط ما بين احداث الوجود وهذا الارشيف الخفي علاقة غامضة غموضَ كل ما هو حقيقي. لذا فان الاعتراض على القول بوجوده بذريعة الغموض هذا ما هو الا اعتراض عارٍ من مقومات المنطق السليم فاقدٌ لأية حُجة يتكفل الاتيانُ بها بتقويض اركان هذا التفسير الغامض لظواهر الرؤى والنبوءات المستقبلية! ان الطاقة المسؤولة عن تسيير احداث هذا الوجود العاج بالحركة لابد لها ممن يقودها كيما لا ينهار الوجود على مَن فيه! والآن الى الرؤيا والنبوءة لنتعرف على كيفية حدوثهما في ضوء هذا الذي تبين لنا. لقد تكشف لنا الوجودُ عاجزاً، كل العجْز، عن ان يبقى على قيد الحياة لحظةً واحدة دون تدخل الارشيف المعلوماتي الإلهي في قيادة احداثه حتى لا يزول الوجود وما فيه ومن فيه بلمْح البصر. ان هذا الارشيف يُنظم مسار حدوث احداث الوجود بتواجده بينها في واقع آخر غير هذا الواقع المنظور الذي عادةً ما يُخيل لنا انه كل ما هنالك من عوالم في هذا الوجود! الا ان قيام هذا الارشيف بتنظيم حدوث وقائع الوجود وظهور ظواهره وحدوث احداثه لا يُحتم وجوب التزام الوعي الإنساني بالمخطط الزمني لهذا الارشيف. فقد يحدث وان يقوم وعي بعض افراد النوع

الإنساني بالاطلاع على احداث تتجاوز الزمان الحاضر. ان هذه القفزة هي عبور آني الى المستقبل الموجود كمعلومات في الارشيف المعلوماتي الالهي؛ هذا الارشيف الذي اصبحنا نعي الآن انه الذي يكفل لاحداث الوجود انتظامها في السير على المسار الإلهي صوب الهدف الاقصى. لذا فان هذا الدماغ القافز الى المستقبل قد تسنى له، في حقيقة الامر، الاطلاع على جانبٍ من احداث المستقبل التي سبق وان تم توثيقها في هذا الارشيف لتقوم بتأمين التزام احداث الحاضر بالتطور وفقاً لما تُمليه عليها. اذاً فكل ما في الأمر هو ان الدماغ الإنساني للشخص الذي قد اجتاحته الرؤيا المستقبلية قد مُكن من تجاوز الاحداث التي تلي مباشرةً احداث الحاضر بفارق ضئيل في زمن الحدوث عبوراً الى احداث بعيدة لا علاقة "مباشرة" لها بأحداث الحاضر. فأحداث "المستقبل الآني" هي التي تتكفل بقيادة وتوجيه احداث الحاضر كيما يكون بمقدورها ان تُصبحها فتكون هي احداث هذا المستقبل. اما احداث "المستقبل اللاآني" فهي احداث قد تم الاطلاع عليها من قبل وعي الإنسان المُجتاح من غيرما حاجة قيادية اليها. ان اطلاع الوعي الإنساني على احداث المستقبل، آنياً كان ام غير آني، ليس هو الذي يكفل للإنسان ان لا يجنح عن المسار الذي يتكفل الأرشيف المعلوماتي الإلهي بتسييره عليه شاء ام ابى! فدماغ الإنسان ليس وعيه كما هو معروف! كما ان وعي الإنسان ليس دماغه! ان الوعي الإنساني ما هو الا فعالية دماغية يقوم بها الدماغ الإنساني من بين آلاف الفعاليات التي تقوم بها مادتُه الدماغية ذات التعقيد الفائق. فالذي يطلع على ما تضمنه الارشيف المعلوماتي الإلهي من معلومات ذات صلة بالمستقبل الآني جزءٌ آخر من الدماغ وليس الوعي الإنساني. ان اطلاع الوعي الإنساني على جانب من المستقبل اللاآني هو غير اطلاع الدماغ الإنساني على المستقبل الآني المحتويَين كليهما في الطاقة المعلوماتية للارشيف الإلهي المتواجد بين الخلق. والآن، كيف يتسنى للإنسان المُجتاح من قبل الرؤيا أو النبوءة المستقبلية الاطلاع على مستقبل لاآني؟ ان اللجوء الى الوقائع له ان يُعيننا على معرفة الاجابة الصائبة. فالبعض من بني البشر تجتاحهم هذه الرؤى والنبوءات

دون سابق تقصد منهم ومن دون ان يسبق هذا الاجتياح المستقبلي حادث الحق "الاذى" بدماغهم، وهذا يعني أن هناك مَن قام بإطلاعهم على أحداث مستقبلية غير آنية. كما ان هناك مَن تشرع الرؤى المستقبلية في مهاجمة واجتياح وعيه وذلك من بعد تعرضه لحادث أو أزمة نفسية أو شيء من هذا القبيل. وهذا امر مفهوم طالما كانت المادة الدماغية الإنسانية على قدْرٍ عالٍ من التعقيد مما يؤدي بأي إخلال في نظام عملها الى حدوث اختلال وظيفي قد ينجم عنه ان يصبح بمقدور الوعي الاطلاع على احداث تنتمي للمستقبل اللاآني المسطور كمعلومات في الارشيف المعلوماتي الالهي.

ان هذا الاطلاع على جانبٍ من مُغيبات الارشيف الخفي هو السبب اذاً وراء ظهور الرؤى والتنبؤات المستقبلية وليس شيئاً آخر! فلا انتقال عبر الزمن بالوعي أو بكامل الكيان الإنساني، بل هو اطلاع مؤقت على بعض خفايا الطاقة المعلوماتية المتواجدة معنا من دون ان تكون لنا المقدرة على ان نعي بوجودها اللصيق بنا هذا؛ هذا الوجود الذي يتكفل بتسيير احداث الوجود من حالها الذي هي عليه في الحاضر الى ما يتوجب عليها ان تكون عليه في اللحظة الزمنية التالية والتي تليها وهكذا حتى الوصول الى الهدف الاقصى يوم يرث اللهُ الارضَ ومَن عليها. أمرٌ واحدٌ ينبغي تأكيده ها هنا قبل ان نُقفِل عائدين الى هذا الواقع. فالوعي الإنساني اذ يُطّلَع على جانبٍ مما غُيب عنه فانه لا يُعرف بما سوف يتسنى له الوقوع عليه عند حلول المستقبل اللاآني محل المستقبل الآني وما يقتضيه هذا من وجوب تحول الحاضر اليه وجوباً واضطراراً! فوعي العقل الإنساني لا قدرة له على الاحاطة بالمستقبل الآني طالما لم يكن هو الذي يتوجب عليه ان يَطلع على الصورة التي عليه ان يكونها في اللحظة من الزمن التي تلي مباشرةً اللحظة الراهنة! ان مَن يقوم بهذا الاطلاع على المستقبل الآني للدماغ هو المادةُ الدماغية التي يعجز الوعي الإنساني عن ان يعي بها عجْزَه عن الوعي بمعظم المادة البايولوجية التي يتكون منها كيانُه الإنساني! فوعي عقل الإنسان وعيٌ عاجزٌ عن ان يعي ذاته المُكون من مادة دماغية فائقة التعقيد البايولوجي عجْزَه عن الوعي بما لا علاقة

له بما خُلِق ليكون واعياً به من مفردات واقعية سواءً كانت هذه مفرداتٍ تخص كيانه البايولوجي ام موجوداتٍ يتكون منها، ومن غيرها، الواقعُ الذي هو محور وعيه. ان الدماغ الإنساني اذ يعي، بمعزل عن وعي الوعي الإنساني، المستقبل الآني الذي ينبغي عليه ان يكونه في اللحظة التالية للحظة الحالية فانه لا يقوم بعملٍ خارق لما هو مألوف في هذا الوجود! فكل شيء لا يتطور الى ما يتوجب عليه ان يؤول اليه الا من بعد اطلاع مادته على الصورة المستقبلية الآنية المتواجدة معه على الرغم من انتمائها لواقع آخر هو الارشيف الإلهي المستور عن انظار الخلْق. ان النقل عن هذا الارشيف، من جديد، هو الذي يُمكن الوجود من الانتقال من حالته الحاضرة الى حالة تليها مباشرة لتَقدمها عليها في الزمان. اذاً فلا عجب ان يكون الوعي الإنساني عاجزاً، تمام العجز، عن الوعي بالمستقبل آنياً كان ام ضارباً في اعماق الغيب البعيد. لنقُم الآن بتدبر بعض النتائج التي سوف يتمخض عنها القولُ بهذا التواجد المعلوماتي للمستقبل بين ظهرانينا تواجدَ الماضي الذي كان يوماً مستقبلاً هو الآخر! الا يُذكرنا هذا التواجد لكامل سيرة الوجود في الوجود بما ورد في الوثيقة الدينية من ذكْرٍ للقدَر والقلم الإلهي والغيب والمكتوب؟ لنقُم بتذكر بعضٍ مما نعرفهٍ بهذا الخصوص. عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال: (قال اللّه للقلم قبل ان يخلُق الخلق اجرِ يا قلم قال بمَ أجري يا رب قال اجرِ بما هو كائنٌ الى يوم القيامة)، (فرغَ الله من تقدير الاقدار قبل ان يخلق الخلق)، (رُفعَت الاقلام وجفت الصُحُف). اذاً فهذا التواجد للأرشيف المعلوماتي الإلهي هو تواجد القدَر بين ظهراني الخلْق وهم لا يعلمون. فالقدر مكتوب على جبين المرء كما يقول المثلُ في اشارة لبالغ قربه من الإنسان. لقد كنا فيما مضى نُردد القول بوجود القدَر واللوح المحفوظ والقلم الإلهي من دون ان نسأل انفسنا عن السبب وراء خلْق الله لهذه الموجودات الغيبية. فمادام الله قد خلقها قبل الخلْق فلابد من ان يكون لها دورٌ في الوجود يستدعي منا الالتفات اليه تدبراً له في ضوء ماتجلى لنا آنفاً. فلا يُعقَل ان يخلق اللّه هذه الموجودات الغيبية هكذا ومن دون ان يكون لوجودها دورٌ لا وجودَ على الاطلاق الا به!!

ان العقل اذ يتدبر ما كان يعرفه بهذا الشأن على ضوء ما أخذ يتعرف اليه ها الآن فانه واجدٌ لامحالة فيما سبق تبيانه من شرح وتفصيل كل ما من شأنه ان يُعينه على تفهم جانبٍ يسيرٍ من جوانب تواجد الغيب في هذا الوجود؛ هذا التواجد الخفي الذي لولاه لما كان هناك واقعٌ كهذا الذي ينكِر اهلُه، بالقلب ام باللسان، اي دورٍ لما هو ليس بواقعي في حدوث ما يحدث فيه!! فنحن الآن نعرف ان الغيب متواجدٌ معنا وان كان منتمياً لواقع آخر غير هذا الذي لا نعرف واقعاً آخر غيره. ان هذا التعايش بين الواقعين، الغيبي والمشهود، حقيقةٌ لا سبيل لانكارها مادام هنالك من الوقائع ما يعجز واقعُنا الذي بين ايدينا عن التعامل المعرفي معه وبما يتكفل بتأويل حدوثها المخالف للسُنَن التي درجت وقائعُه المألوفة على الحدوث وفقاً لها. على اي حال فان تواجد المستقبل معنا، معلوماتٍ ليس الا، بوسعه ان يبرهن على ان الله حق لاشك فيه وذلك طالما كان هذا التواجد للأرشيف المعلوماتي الإلهي هو السبب وراء ظهور الرؤى والنبوءات المستقبلية؛ هذه الظواهر الغامضة التي ابداً لن يكون بمقدور عقل الإنسان ان يتعامل معرفياً معها دون اللجوء لما هو إلهي تفسيراً ليس لسواه المقدرة على فك أَغْلاق غوامضها! فالرؤى والنبوءات المستقبلية ادلة تشهد لله بأنه موجودٌ بحق وان الشك في وجوده، مع العلم بوجودها، حماقة ما بعدها حماقة! ان تواجُد المستقبل في الحاضر هو السبب في حدوث هذه الرؤى والنبوءات، وهذا التواجد لا يمكن لغير الله ان يتسبب فيه طالما كان لوجوده معنى اكتسبه بانتمائه للارشيف المعلوماتي الالهي؛ هذا الكتاب الغيبي الذي يتكفل بتسيير دفة الوجود صوب الوِجهة التي لابد له من الوصول اليها في المستقبل القريب. لذلك فان الرؤى والنبوءات المستقبلية لن يكون يوماً بمقدور الإنسان ان يستعين بها على الله تفسيراً لحدوثها يتعارض والإقرار بوجوده الحق طالما استحال عليه ان يجد لها هكذا تفسير ملحد! ان الماضي والمستقبل كليهما موجودان بين ظهرانينا غيباً مُغيباً عن وعينا وان كان تواجدهما الغيبي هذا لا يحول دون ان يكون بمقدور البعض منا ان يُطْلَع على بعض ما غُيب فيه من معلومات لا قدرة للعقل الإنساني على التوصل اليها من

عندياته كما يتوهم انصارُ الإنسان-الاله! لذا فلا رحلة في الزمان عودةً الى الماضي أو انتقالاً الى المستقبل بالمعنى الذي خرجت به علينا هولي وودا فالعودة الى الماضي أو الارتحال الى المستقبل بهذا المعنى امران مستحيلان لا يمكن لهما ان يتحققا على الاطلاق. اما الاطلاع على جانب مما حدث في الماضي أو على آخر مما سيحدث في المستقبل فان ذلك امرٌ رهنٌ بإطّلاع الله لمن يشاء من خلقه على ما تضمنه ارشيفُه الغيبي من علم إلهي بالشيء قبل خلقه. فهل نعي هذا ام تُرانا لا قدرة لنا على ان نهجر الخيالَ وإن كان الواقعُ أغرب منه بكثير؟!

نظرة العقل السليم إلى ظواهر التنبؤ

ان التنبؤ بوقائع مستقبلية يبرهن، حال تحققها على أرض الواقع، على ان صورة عن هذه الوقائع، أو إن شئت، على ان هذه الوقائع بصيغتها الصُوَرية قد تم نقلها والتقاط هذا الذي نُقل من قِبل مستويَين مختلفين من الوعي. فالصورة، أو النسخة، عن جميع أحداث الكون اذا ما تم تسليط الضوء عليها ثم التقاط ما حمله هذا منها من بعد انعكاسه عنها من قِبَل مَن هم على درجة من الهوائية antennaty خارقة للمألوف قد يكون السبب وراء ظواهر التنبؤ. إن ظواهر التنبؤ تدلل، وبما لا يقبل الشك، على ان هناك مَن قد قام باستنساخ جميع ما سوف يحدث من بعدُ وذلك من قبل ان يحدث! فالتنبؤ بأحداث المستقبل يُحتم وجود صُوَر لهذه الاحداث محفوظة بعيداً عن ادراكنا الواعي. وهذا يستدعي وجود مَن قام بعملية التصوير الازلية هذه كما يلزم عنه حتمية وجود مَن قام بنقل نسخة عن هذه الصور الى وعي الوسيط Medium! ان هذا العميل أو الوكيل ما بين "الصور المحفوظة" و"الوسيط البشري" قد يكون واحداً من كائنات غير بشرية بمستطاعها القيام بهذا الاستنساخ أو أياً من "الاضواء الخفية" التي بمقدورها ان تتفاعل مع "الصور المحفوظة" بحيث تنعكس عنها وهي مُحملة بنسخة قابلة للادراك من قبل وعي الوسيط! ان صور الاحداث محفوظة في بنك معلومات لا يستطيع الوعي الإنساني الاحاطة به الا بتوسط كائنات بشرية متميزة تستطيع بدورها التقاط نسخ عن هذه "الصور المحفوظة". وهذه النسخ قد تكون موجودة طوال "الوقت" بسببٍ من تفاعل "الاضواء الخفية" مع بنك المعلومات تفاعلاً ينتج عنه بالضرورة انعكاسٌ لِما هو موجود من صور محفوظة داخله. ان بنك المعلومات المركزي قد لا يكون مُيسراً دخوله لأي كان من الكائنات غير البشرية و"الاضواء المستترة"، الا ان "النسَخ" عن ما هو محفوظ من صور داخله قد يكون بالامكان نقلها بالوساطة الى وعي الوسيط البشري عبر الدور الذي يقوم به العميل agent. فالوسيط يستطيع "بوعيه الخارق للمألوف" ان يلتقط اما

نسخة عن "النسَخ" ينقلها اليه العميلُ غير البشري واما نسخة ينقلها اليه ضوءٌ مستتر. ان الذكاء المقتدر الذي خلق الخلْق قد خلق معه صورة لكل التاريخ منذ بدء الخلق وحتى ان يزول باذنه. ولنا ان نتصور ان الخلق في صيرورته حتى يصل الى الاكتمال لَيحتاج الى ان "ينقل" عن المخطط المرسوم والموضوع اماماً منه. ان هذا النقل يعني ضرورة وجود تفاعل بين "الموجود في الحاضر" و "المخطط المرسوم" على قدْر تعلق الأمر بما من شأنه ان يُعجل بتحقيق الخطة الموضوعة! فكما يجب على المُنفذ ان يتفاعل مع خطة المُصمم حتى يكون بامكانه تحقيق المطلوب كذلك يتوجب على الخلق "الموجود في الحاضر" ان يتفاعل مع الخطة الواجب التقيد بها عند التنفيذ وصولاً الى "ما يجب ان يوجد من ثم في الحاضر". ان هذه الخطة المستورة عن وعي "الموجود في الحاضر" والمكشوفة للاوعيه والتي هي ضرورية بل حتمية حتى يتسنى تحقيق "الاكتمال" هي الصور المحفوظة في بنك المعلومات والتي يوجد عنها ما يُسمى "بالنسَخ" والتي عنها يُستنسخ ويتم ايصال ما تم استنساخه منها الى الوسيط. اذاً فالتنبؤ بالمستقبل ما هو الا تطفل على جانب، أو جوانب، من الخطة الموضوعة والمرسومة سلفاً وأزلاً "للموجود" حتى يصل الى الاكتمال! يبقى ان يتدبر المرء في امر هذا التفاعل غير الواعي والمستتر ما بين "الموجود في الحاضر" وبين خطته آنفة الذكر. كيف يحدث هذا التفاعل؟ الا يستدعي هذا وجود ذكاء فائق حتى يُصار الى تعليل نجاح "الموجود في الحاضر" في ادراك خطته الخاصة به والتي يتحتم عليه التقيد بها ليصل بها من ثم الى "الاكتمال"؟ ان استحالة "الدخول" على منظومة بنك المعلومات المركزي لا تعني استعصاء "النسَخ" على اقتحام واجتياح مَن بوسعه التقاط "صورة" عنها سواء كان هذا الدخيل كائناً غير بشري ام "ضوءاً مستتراً". ان عملية الاقتحام هذه قد تكون عن عمْد وذلك من قِبَل مَن بمقدوره القيام بذلك من الكائنات غير البشرية، كما انها يمكن ان تحدث بصورة غير مقصودة وذلك في حالات خاصة يسقط فيها "ضوءٌ مستتر" على "النسَخ" لينعكس عنها من بعد تحميله بالصور ليلتقطه وعيُ واحدٍ أو اكثر من خارقي الاحساس. ان اشتراط وجود "شيء ما" يعود لاحدهم ممنٍ يُراد التنبؤ بشأنه يُفهم على اساس من كون هذا "الشيء" هو

المفتاح الذي بمقدوره تحديد اياً من "النسَخ" يجب الدخول عليها بغية تصوير المطلوب وبالتالي نقل "التنبؤ" الى القائم به ليقوم بالتالي بالتصريح به. ان هذا مفهوم تماماً اذا ما تذكرنا ان العالَم مليء بعدد يصعب حصره من "النسخ". كما ان هنالك حالات يتم فيها الحصول على صور لـ "النسَخ" من دون وساطة العملاء. وهذه الحالات تحدث بصورة عَفَوية وذلك عندما يُصبح فجأة بمقدور "خارق الاحساس" التقاط صورة لـ "النسَخ" من بعد حدوث تغيرات فجائية في كيمياء الدماغ تجعل منه بالتالي قادراً على هذا الالتقاط. وهذا يشبه الى حد بعيد تلك التغيرات الفجائية في كيمياء الدماغ والتي ينتج عنها التقاط طاقة الاحتراق الذاتي. ان النسخ التي تملأ هذا العالم تُشبه اشياءه في كونها تنعكس عنها صورٌ لها بفعل الاضاءة الناشئة عن "الاضواء المستترة" انعكاسَ الصور المرئية من قبل العين البشرية عند سقوط الضوء المرئي على الاشياء. وكما ان اعمى العين لا يستطيع التقاط الصور الضوئية المرئية المنعكسة عن اشياء هذا العالم فان اعمى القلب أو الإنسان العادي تفوته فرصة التقاط الصور غير المرئية المنعكسة عن "النسَخ" المُضاءة على الدوام من قِبل "الاضواء المستترة". ولكن المشكلة تكمن في كون خارقي الاحساس لا يغادرون حالة "العمى القلبي" الا فجأة وذلك عندما يحدث وان يُصبح بامكانهم التحسس بالضوء المستتر من بعد انعكاسه عن النسَخ مُحملاً بصور عنها. وحتى يكون بمقدورهم القيام بذلك فان مناطق الدماغ المتخصصة بالتقاط هذا النوع الخفي من الصور يجب ان يتم "تصنيعها" مباشرة قبل ان يصبح بالامكان تحقيق عملية الالتقاط وذلك بواسطة أي من فعاليات التغيير الكيميائي التي لا تحدث الا لخارقي الاحساس. ان مصطلح الاستنارة illumination ينبغي ان يُفهَم على انه التقاط الصور المُحمل بها الضوء المستتر من بعد انعكاسه عن "النسخ". اذاً فعالمنا الواقعي هذا باشيائه التي نظن انها لانهائية العدد هو ليس العالَم الوحيد الاوحد! حيث يتواجد مع عالَم الحقيقة عالمٌ آخر هو العالم اللاواقعي بـ "نُسخه غير المرئية" واضوائه المستترة وصور "نُسَخه"!

الحقائق... نُسَخُ حق عابرةٌ من عالَم الحقيقة

يحار العقل وهو يتصفح ما سطرته يدا ابن آدم الإنسان من صُحُف حوَت في سطورها من الاباطيل والاراجيف الشيء الكثير ومن الحقائق الشيء الكثير ايضاً! فكيف تأتى للعقل الآدمي ان يقع على هذه الحقائق التي لا وجود لوقائع بمقدوره الاستعانة بها برهنةً منه على صواب وصحة انتمائها لعالَم الحقيقة؛ هذا العالَم اللاواقعي الذي ابداً ليس بوسع العقل الإنساني ان يجده هناك في الخارج كما هو واجدٌ كل يوم العالَم الواقعي مُمثلاً بهذا الواقع الذي لم يألف غيره واقعاً منذ ان تفتحت عيناه في هذه الحياة الدنيا؟ واذا كان بمستطاع هذا العقل ان يقع على هذا الكم الكبير من الحقائق فلماذا لا يكون بمقدوره الا يقع على سواها فلا يكون بوسع لسانه ان ينطق بهذا الكم الكبير من الاباطيل والاوهام؟ ان المرء ليعجَب لهذا العقل الإنساني بقدرته المزدوجة هذه على الوقوع على الحقائق والخوض حتى الاذنين في ظُلمات الوهم والخَرَص! فالعقل الإنساني لا قدرة له على تجاوز هذا الخلْط ما بين الحق والباطل ما ظل عقلاً بعيداً عن الاستضاءة والاستهداء بنورٍ لا ينطفئ بأفول مصدره! ولكن، اذا كان خوضُ عقل الإنسان في متاهات الباطل امراً مفهوماً مادام هو غير راغب في الالتجاء لمن بوسعه ان يُعينه على الخروج الى نور الحقيقة فانه لأمرٌ غيرُ مفهوم بهذا اليُسر ان يكون بوسع هذا العقل، احياناً، ان يقع على حقائق يعجز الواقع الخارجي عن ان يُقدم له ما يُمكنه من الوقوع عليها هكذا وبكل بساطة! من اين جاء العقل الإنساني اذاً بهذا الفيض الخِضَم من الحقائق التي لا تنتمي لواقعه لفرْط انتسابها وصلتها بعالَم غير واقعي على الاطلاق هو عالَم الحقيقة، وهو العالَم الذي يجزم هذا العقلُ بعدم وجوده مادام الواقع عاجزاً عن رفْده بما يتيح له التيقن من وجوده؟ فأن يكون بمستطاع هذا العقل ان يصل الى الحقيقة بجهد ذاتي محْض أمرٌ لا يستقيم مع ما نعرفه من حقائق واقعية بخصوص الماضي البايولوجي لمادته.

فالعقل الإنساني يُخيل اليه انه قد اكتشف الحقيقة، اية حقيقة، بمفرده، فهل هذا صحيح؟ هل يستطيع عقلُ الإنسان حقاً ان يتوصل لاكتشاف جُملة من الحقائق هكذا ومن دون اي تدخل خارجي يأخذ بيديه الى حيث هي الحقائق؟ ان القول الفصّل بهذا الخصوص لابد وان يأخذ بنظر الاعتبار ان الإنسان لا وجود له بمعزلٍ عن الموجودات الأخرى في هذا الوجود، ومن بين هذه الموجودات المتواجدة مع الإنسان، شاء ام ابى، نُسَخ لأحداث الوجود منذ اولى لحظات الخلق الإلهي له وحتى آخر لحظات وجوده قُبيل حلول اولى ثواني يوم الطي؛ يوم يطوي الله السماء كطي السجل للكتب. فاذا كانت هذه النُسخ موجودة، بل متواجدة، مع الإنسان بشهادة الرؤى والنبوءات المستقبلية وظواهر الإلمام بأخبار الماضي المنصرم، فلماذا لا يكون بمستطاع البعض من بني آدم التقاط مفردات أخرى من عالَم الحقيقة، الذي تنتمي اليه النُسخ هذه، غير المادة الاخبارية التي تجعل بمقدور آخرين من بني جِلدَتهم النطق بتلك الرؤى والنبوءات المستقبلية والإخبار بأنباء ما مضى من زمان؟ ان الإنباء بحقائق مستقبلية أو الإخبار بأنباءٍ من ماضٍ غابر سحيق لا يختلفان في حقيقة الأمر عن النطق بحقائق ذات صلة بحقيقة ما يحدث في ظواهر الوجود. فاذا استقام لدينا ان بعض الناس بمقدور ادمغتهم التقاط صورٍ لأحداثٍ تنتمي للمستقبل أو الماضي أو الحاضرِ البعيد مكانياً وذلك نقلاً عن ارشيف احداث الوجود المخلوق من قبل ان يخلق الله الوجودَ بموجوداته كلها جميعاً، فلماذا لا يكون للبعض من بني آدم القابلية الخارقة للعادة على استقبال صورٍ لحقائق أخرى تخص ظواهر الوجود؟ ان القول بأن هذا الارشيف هو المصدر الذي لولاه لما كان للرؤى والنبوءات المستقبلية ان تحدث يُلزِمنا بألا نستبعد القول بأن هذا الارشيف ذاته هو المصدر الوحيد الذي بمقدور بعض آخر منٍ بني آدم الاخذ عنه، بصورة لاواعية من قِبلهم، نقلاً لبعضٍ يسيرٍ مما ضمنه الله من حقائق تخص الوجود وظواهره. وهكذا ينكشف النقاب عن السبب الحقيقي من وراء تمكن الإنسان من الاحاطة بحقائق لا قدرة لهذا الواقع على رفْده بمادتها أو تمكينه من البرهنة عليها وبما يكفل له الوثوق من انها حقاً من

جملة الحقائق لا الاباطيل. ان الإنسان، اذ يتواجد معه هذا الارشيف المعلوماتي، قادرٌ لا على الاحاطة بجانبٍ يسيرٍ من أحداث المستقبل التي لم يتسن لها ان تحدث بعد فحسب ولكن بجانبٍ يسيرٍ ايضاً من الحقائق ذات الصلة بما يجري حقاً في ظواهر الوجود. فالعقل الإنساني اِذْ لا قدرة له على اكتشاف الحقيقة فانه غير عاجز عن ان يكون مُجتاحاً من قِبَل حقائق عابرة الى هذا الواقع من عالَم الحقيقة؛ هذا العالَم الذي خلقه الله قبل ان يبادر الى خلْق الوجود ليكون، هذا الوجود، واقعاً آخر وليس الواقع الوحيد كما يتوهم الإنسان! ان كل الحقائق التي يعجز هذا الواقع عن تمكين العقل الإنساني من التوصل اليها، لافتقاره اليها مادام لا يمتلكها كما يمتلك وقائعه وظواهره واحداثه التي منها يتشكل ويتكون، هي حقائقٌ وافدةٌ من عالَم الحقيقة عابرةٌ منه الى هذا الواقع العاجز عن كشف النقاب عنها. وهكذا فان كل ما تحفل به كُتُب بني آدم من حقائق ليس لها من مصدر سوى عالَم الحقيقة! وهذا يستدعي منا ان نُعيد النظر بالكثير جداً من البديهيات ذات الصلة بالانجازات الفكرية لأفراد النوع الإنساني حتى لا يعود هناك من انجازٍ ذي صلة بعالَم الحقيقة الا وهو مُصنفٌ وفقاً لعائديته هذه! ان اعادة النظر هذه الى التراث الإنساني سوف تُمكننا من ان نقول الحق بخصوص ما هو إنساني وما هو غير ذلك حتى لا يعود بمقدورنا ان نُسبِغ على ما هو مُنتَم لعالَم الحقيقة نسبةً زائفةً لهذا الإنسان العاجز تمام العجز عن العبور الى عالَمَ الحقيقة بهذا العقل غير الراغب في الخلاص من واقعه هذا! تبين لنا اذاً ان هذا الكم الكبير من الحقائق التي تحفل بها كتُب الإنسان لم يكن للإنسان ان يتوصل اليها بجهده الذاتي المَحْض وان مَن مكنه من "اكتشافها"، اذا جاز التعبير، هو ذلك الارشيف المعلوماتي الموثق لأحداث الوجود من قبل ان يخلق الله الوجود بمَن فيه وما فيه. وهذه الحقيقة تصطدم اذاً بكل ما يفاخر به الإنسان من علم ومعرفة يظن بعقله المقدرة على التوصل لاكتشاف مفرداتهما دون عونٍ متجاوزٍ لهذا الواقع انتماءً لعالَم الحقيقة اللاواقعي. والآن الا تجعل منا هذه الحقيقة ملزَمين بالعودة الى ظواهر التزامن؛ تلك الظواهر الغامضة التي لابد لكل مَن

يتدبرها حق التدبر مِن ان يقع على ما حُملته من حقائق اراد لها مَن كان السبب من وراء ظهورها المعجز ان تصل الإنسان الذي استُهدِف بها عن سابق اختيارٍ إلهي وتقصدٍ وترصد؟ فاذا كانت الحقائق التي بحوزة بني آدم نُسَخ حق عابرة من عالم الحقيقة الى هذا الواقع فلماذا نستبعد ان تكون ظواهر التزامن هي الأخرى نُسَخ حق عابرة الى واقعنا هذا من عالَم الحقيقة محملةً بحقائق هي مفردات الرسالة الموجهة للشخص المُعنى بملاحظتها جذْباً لاهتمامه أو تعزيزاً لموقفه الايجابي حيالها؟

ان مَن ينكر ان تكون ظواهر التزامن هي ظواهرٌ محملةٌ بمعنى قادمٍ الى واقعنا هذا عبر حجاب الأسباب سوف يكون مُلزَماً بالتنازل عن موقفه المُنكِر هذا اذا ما نحن اضطررناه لمواجهة ما تُمثله ظواهر الرؤى والنبوءات المستقبلية من خطرٍ معرفي لا قدرة له على التصدي له ناهيك عن الانتصار عليه! فمادامت هذه الظواهرعصيةً على التعامل المعرفي معها وبما لا يأخذ بنظر الاعتبار انها ظواهرٌ ليس من سبيل لتفسيرها الا بالانطلاق في النِظر اليها من خط شروعٍ مؤمن بالله موقِنٍ بوجود ارشيف معلوماتي خلقه الله من قبل ان يشرع بخلْقِ الوجود بجميع ما فيه من موجودات، فان استبعاد ان تكون ظواهر التزامن قد تم تدبير حدوثها المعجز من قِبَل ذكاء إلهي قادرٍ على صياغة مفردات ظاهرة التزامن وبما يتكفل بجعْلها تُشكل رسالةً مُحملةً بمعنى يُراد له ان يصل الشخص المُعنى بظاهرة التزامن هذه لَهو امرٌ لا يقبل به منطقٌ سليم! ان اضطرارنا للقول بأن ظواهر الرؤى والنبوءات المستقبلية ما كان لها ان تحدث لولا سابق وجود الارشيف المعلوماتي الموثق لسير اعمال الوجود من قبل الخلْق الإلهي له سوف يضطرنا للقول بأن ظواهر التزامن قد تم تحميلها بالمعنى من قِبل مَن سبق له وان خلق هذا الارشيف وضمَّنه من المعلومات ما هو كفيلٌ بجعْل ظواهر الوجود تحدث على نحوٍ مقصود لا تحيد عنه قِيد أنمُلة والا فالزوال بانتظارها لامحالة. لذا فلا موجب لاستهجان قول مَن يقول بأن لظواهر التزامن معنى مقصوداً من قِبَل الذكاء الإلهي المسؤول عن ظهورها المعجز على هذا النحو

الغامض للغاية. ان هذا الوجود حافلٌ بظواهر انتقال المعلومات من واقع آخر الى واقعنا هذا. يكفينا ان نستذكر ما تم لنا التطرق اليه آنفاً حتى نستيقن من ان هذا الانتقال المعلوماتي عبر حجاب الأسباب هو حقيقة لاريب فيها. ان الظواهر الخارقة للعادة هي ظواهرٌ غامضة ليس بالامكان التعامل المعرفي معها انطلاقًا من خط شروع لا يقر بعائديتها لواقع آخر غير منظورٍ انتماءً طاقياً أو معلوماتياً لا يحول دون انتسابها لواقعنا هذا ظهوراً وتجليات! فلولا هذه الطاقة المنتمية لواقع آخر غير منظورٍ، كواقعنا الذي لم نألف سواه، لما كان "لظواهر الطاقة الخارقة للعادة" ان تحدث. ولولا هذه المعلومات ذات الصلة بهذا الواقع الآخر لما تسنى "لظواهر المعلومات الخارقة للعادة" ان تحدث. ان هذا التواجد الطاقي-المعلوماتي، مُمثلاً بطيف الطاقات غير البشرية ذات الصلة بحدوث الظواهر الخارقة للعادة وبالارشيف الإلهي القديم المُوثق للسيرة الذاتية للوجود، مع مفردات واقعنا المألوف حقيقةٌ لا ينبغي الإعراض عنها لمجرد انها تضطرنا للقول بوجود الله! فمادام وجود الله قادراً على ان يأتينا بكل برهان مبين يطالب به المنطقُ السليم، فلماذا لا نؤمن اذاً بالله فنريح ونستريح؟! ان الاصرار على القول بأن الله غير موجود لن يجعل منا بقادرين على شيء ذي صلة بالكشف عن الغموض الذي يأبى ان يفارق الظواهر الخارقة للعادة! فلماذا لا نقول من كل قلوبنا بأن الله موجود فيكون عندها بمستطاعنا ان نفيد من طيف الطاقات غير البشرية ومن الارشيف المعلوماتي المُوثق لأحداث الوجود في فهم حقيقة ما يحدث في الظواهر الخارقة للعادة! ولماذا لا نقر بوجود طاقات ومعلومات متواجدة معنا شئنا ام ابينا؟! ان قولاً كهذا كفيلٌ بجعلنا ننظر الى الوجود فلا نراه كما اعتدنا ان نراه: وجوداً خالياً من المعنى! ان التواجد الطاقي لطاقات غير بشرية على مقربةٍ من الإنسان سويةً هو والتواجد المعلوماتي لمعلومات تحيط بالإنسان من كل جانب هما السبيل الوحيد للخلاص من جهالتنا ولاادريتنا حيال الظواهر الخارقة للعادة. فكما ان الطاقات غير البشرية ذات الصلة بحدوث الظواهر الخارقة للعادة المرتبطة بالإنسان تتواجد على مقربة من الكيان الإنساني مما

يوفر لهذه الظواهر ما تحتاجه من طاقة ليتسنى لها ان تحدث فكذلك تتواجد غير بعيد عن الإنسان تلك المعلومات الإلهية التي تتكفل بإحداث ظواهر الرؤى والنبوءات المستقبلية والإنباء بأخبار ما مضى والاتيان بحقائق ومعارف ليس لواقعنا هذا من يدٍ في توصل العقل الإنساني "لاكتشافها". ان الاقرار بتواجد هذه الطاقات والمعلومات غير البشرية على مقربة من الإنسان سوف يتكفل بإزالة كل أثر للغموض الذي يصاحب الظواهر الخارقة للعادة. اذاً هي طاقةٌ ومعلوماتٌ لابد من الإقرار بلابشريتهما هذا اذا ما نحن اردنا حقاً ان نعرف حقيقة ما يحدث في هذه الظواهر الغامضة! ان العقل السليم لَيعجب لهذا الاصرار على الإعراض عن "طاقةٍ ومعلوماتٍ" بوسع القول بتواجدهما على مقربةٍ من الإنسان تجنيبنا الكثير من المشاق خوضاً في متاهات البحث عن الابرة لا حيث سقطت منا في الظلام ولكن حيثُ هنالك ضوء وإن كان هذا بعيداً كل البعد عن ابرتنا المطلوبة!

الوجود بين مطرقة القدَر وسندان الكتاب

ان تدبر القرآن العظيم استقصاءً وبحثاً عن خفايا علاقة الله بخلْقه كفيلٌ بكشف النقاب عن حقائق مَفادها ان هنالك سابقَ توثيق إلهي من قبل ان يخلق الله الوجود، بكل ما فيه ومَن فيه، لكل ما سيحدث فيه من وقائع وأحداث من بعد شروع الله بخلْقه وان هنالك حاضرَ توثيق إلهي لكل ما يحدث في الوجود وان هذا التوثيق هو الذي سيؤمن توفر ارشيف الآخرة، ذلك السجل الذي سيُطلَع عليه بنو آدم فرداً فرداً على قدْر تعلق الأمر بما جنَته يدا كل واحد منهم في الحياة الدنيا. فهذا القرآن حافلٌ بعدد كبير جداً من الآيات الكريمة التي تفيد بأن التوثيق الالهي، السابق للخلْق والمرافق لهم، حقيقةٌ واقعة لا جدال فيها وان هذا التوثيق قائم بالفعل الآن قيامَه من قبل. ولكن لماذا هذا التوثيق المُلازم للاحداث، صغيرها وكبيرها، ولماذا سبق وان تم توثيق هذه الاحداث من قبل ان يتسنى لها ان تحدث؟ لقد سبق التوثيقُ الإلهي لاحداث الوجود الخلقَ الإلهي للوجود كما يسبق التوثيق الإلهي المُتحقق بالفعل من بعد ان تم خلْق الوجود الخلقَ الإلهي للوجود يوم القيامة. فاذا كان التوثيق الإلهي للاحداث في هذه الحياة الدنيا ضرورةً لازمة لاستقرار الإنسان في الآخرة، خلوداً في جهنم مع الغالبية العظمى من امم الانس والجن ام خلوداً في الجنة مع القلة الناجية، فهل لنا انٍ نقول الشيء ذاته بخصوص التوثيق الإلهي لأحداث الوجود من قبل ان يخلق الله الوجود بموجوداته كلها جميعاً؟ ان الإنسان مُراقَبٌ من قِبل جهاز توثيق إلهي لا يغفل عنه طرْفة عين وذلك ليتسنى لهذا الإنسان التوجه صوب مصيره فإما نارٍ الآخرة وإما جنتها. ولكن ماذا بشأن التوثيق الإلهي القائم من قبل ان يخلق الله الوجود؟

لماذا قام اللهُ بتوثيق احداث الوجود من قبل ان يتسنى للوجود ان يحظى بنعمة الخلْق الإلهي له بكل مَن فيه وما فيه؟ لِنقُل بأن هذا التوثيق ضروريٌّ

ضرورةَ التوثيق الإلهي لأحداث الوجود من بعد ما خلقه اللهُ. عندها سيتبادر الى ذهننا ان لهذا التوثيق الموغل في القِدَم تأثيراً على ما يحدث في الوجود كما ان للتوثيق الملازم لأحداثه في صيرورتها انطلاقاً من خط شروع الخلْق ووصولاً الى خط نهاية الوجود تأثيراً على هذه الاحداث. ان التوثيق الإلهي لأحداث الوجود من بعد تمام خلْق الوجود بموجوداته قائمٌ على مستويات عِدة؛ فهناك التوثيق الذي يتولى الله القيام به هو ذاته دون وساطةٍ من احد من الخلق وهناك التوثيق الذي يقوم به الملائكة المُكلفون بمراقبة الإنسان ليلَ نهار وهناك التوثيق الذي تُحدِثه المادةُ البايولوجية للكيان الإنساني بتفاعلها التحميلي مع مادته الفوتونية التي نعرفها روحاً له تلازمه ملازَمة النور للشمس. وهذه النسخة المُوثقة لسيرة حياة الإنسان، المرافِقة له مرافَقة روحه لكيانه البايولوجي هي التي ستتكفل بايصال الإنسان سالماً الى عَرَصات يوم القيامة من بعد تلاشي كيانه المادي العَياني ورجوعه الى تراب الارض ومن بعد فناء الارض وكل ما في الوجود الا ما شاء الله بحلول تباشير فجر اليوم الآخر صَعْقاً ومَحْقاً وطياً. فالإنسان ذو كيان بايولوجي لا قدرة له على عبور هذه الحياة الدنيا الى الآخرة مادام الموت قانوناً ساريَ المفعول لامحالة ومادام الصعْق حادثاً متحققاً فور النفخ في الصُور. لذلك فان النظر بهذا المنظار الى سابق التوثيق الإلهي لأحداث الوجود من قبل ان يخلق الله الوجود بما فيه ومَن فيه سوف يلزم عنه وجوب التفكير بأن ما يحدث في هذا الوجود ما كان له ان يحدث لولا هذا التوثيق السابق لأحداث الوجود، وهذا يُلزِمنا بضرورة القول بوجود مستويات عدة لهذا التوثيق السابق لخلْق الوجود بموجوداته. فلابد من ان يكون هناك توثيقٌ إلهي هو النسخة الاصلية prototype matrix التي لا علاقة لها بشيء يتجاوز ما تمثله من كونها النسخة الارشيف (النسخة المركزية). كما لابد وان تكون هناك نسخةٌ تُلازِم كل موجود وبما يكفل له ان يكون كما اراده الله بسابق علمه. ان هذه النسخة من الارشيف الإلهي هي القدَر الذي سيتوجب على الموجود ان ينضبط وفقاً لمفرداتها في رحلته خلْقاً واهتداءً وفناءً بتفاعله مع ما قُدر له ان يتفاعل معه من موجودات

الوجود تفاعلاً يتوجب على هذه الموجودات المعنية، دون غيرها، من مفردات الوجود ان تُشارك فيه لامحالة مادامت هي الأخرى مُلازَمةً من قِبَل قدَرها الذي يُحتم عليها وجوب القيام بذلك. قد يبدو هذا ضرباً من الجنون لا فرق بينه وبين اي من خَبالات المنظومة النظرية للمعرفة الإنسانية ما تشعبت فلسفاتٍ وعلوماً نظرية وروايات خيالٍ علمي! الا ان هذا هو ما بامكاننا الوقوع عليه اذا ما نحن التزمنا جانب الحذرِ في تعامُلنا مع احداث الوجود لئلا تزل بنا القدَم في متاهات الابتعاد عن الظاهرة خَوضاً في ظلمات التنظير والتأويل والتفسير بما تهوى الانفس ويوافق هواها! فالعقل السليم مُطالَب، اذا ما هو أقر بوجود الله كما عرَّف نفسه في قرآنه العظيم، بضرورة الا يزاور عن ظواهر الرؤى والنبوءات المستقبلية تعالياً عليها يُرجعه الى صفوفٍ سبق له وان شقها بخروجه على تقاليد القطيع فراراً قلبياً صادقاً الى الله. وهو، اذ يُطالَب بهذا، ملزَمٌ بوجوب ان يقول بوجود القدَر قائداً لرَكْب احداث الوجود الى ما سبق وان قررته ارادةُ الله من قبل ان يخلق الله الخلْق. وهو، بعدُ، لابد وان يتساءل عن آلية قيام القدَر بتأدية الدور الذي كُلف به وهو يُمسك بدفة سفينة الوجود تسييراً لأحداثه خلْقاً وهدايةً عبر فعاليات، يصعب الإلمام بها، يتكفل تواجدُ موجودات الوجود بإحداثها وفقاً لما سبق لله وأن ضمَّنه من مفردات هي مادة هذا القدر وقوامه. وهذا التساؤل هو الذي سيُلزم العقل بأن يجعل للقدر وجوداً واقعياً في حياة الوجود عوضاً عن سابق وجوده بعيداً عن اي دور واقعي قيادةً لأحداث الوجود كلها جميعاً كما خُلِق للقيام بذلك! لذلك فان استعراض الأمر بهذا الشكل سوف يجعل العقل السليم يُحبذ النظر الى الرؤى والنبوءات المستقبلية على ضوء هذا التواجد للقدر بنُسخه العديدة. إن الإقرار بأن ظاهرة الرؤى والنبوءات المستقبلية حقيقةٌ لاشك فيها، كما تُلزِمنا بذلك الوقائع التجريبية-الاختبارية، سوف يوجب علينا أن نُقِر بأن هذه الظاهرة الغامضة ما كان لها ان تحدث، بتنويعات يتعذر حصرُها على وجه التحديد، لولا سابق وجود القدَر، بنُسخِه العديدة، من قبلُ. وهذا يُرجعنا الى حيث شرعت الاسئلةُ تنهمر على رؤوسنا لنقوم بمحاولةٍ للاحاطة بما تسنى

لنا الوقوع عليه من هذا الموضوع فائق الغرابة. لقد تبين لنا ان لكل موجود من مفردات هذا الوجود نسخَة قدَرٍ إلهي تلازمه ملازَمةً لا قدرة له على الهروب منها مهما حاول. ان الدور الذي تضطلع بتأديته هذه النسخة القدَر في حياة أي من الموجودات شبيهةٌ اذاً بالدور الذي تقوم به النسخة الملازمة للكيان البايولوجي الإنساني تأميناً لما سيتكفل بايصال الإنسان سالماً الى يوم الحساب.

الا ان هذه النسخة من القدر الإلهي والتي قُدِّر لها ان تُصاحب كل موجود في هذا الوجود وبما يتكفل بجعْله قادراً على معرفة ما يتوجب عليه القيام به تحقيقاً للمخطط الإلهي المرسوم من قبل ان يخلق الله الوجود بموجوداته جميعها لا تُغني عن وجود نُسَخٍ أخرى لا تُصاحب الموجود اينما حل أو ارتحل. فهناك نُسَخ من القدَر الإلهي محفوظةٌ في اماكن لا تواجُد هناك لشيء مخلوق آخر معها. كما ان هناك "النسخة الاصلية"، ان جاز لنا التعبير، والتي هي ما يُسميها القرآن العظيم أُم الكتاب (يَمْحُو الله ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ اُم الكتاب) (الرَعْد: 39). لقد سبق وان تبين لنا ان هناك نُسخاً أخرى من سيرة حياة الإنسان غير النُسخة المحفوظة في الروح الإنسانية وان هذه النُسخ يتم تدوينها بصورة مباشرة من قِبل القلم الإلهي أو الملائكة الكاتبين. وان هذه النُسخ يتم حفظها في ارشيف لا تطاله يدُ الفناء الصعْقي الذي قُدر لهذا الوجود ان يلاقيه مصيراً محتوماً لا مهرب له منه. اذاً فالنسخة الفردية من القدر الإلهي الملازمة لإنسان ما تتشابه، الى حد ما، مع النسخة الفردية من السيرة الذاتية لحياة هذا الإنسان بكون كل منهما لصيقة به فلا قدرة له على التخلص من أيهما. ان الإنسان في هذه الحياة الدنيا عاجزٌ عن ان يكون له تواجدٌ متفاعل مع باقي مفردات الوجود لولا سابق ما ضمَّنه الله في نُسخة القدر الإلهي المرافقة له مرافقةَ نسخة أعماله له كما يتم تدوينها أولاً بأول من قِبل جهاز التوثيق الإلهي المحتوى في المادة الضوئية للروح الإنسانية؛ هذه الروح التي لولاها لما كان بمستطاع الكائن الإنساني ان يُبعث حياً من جديد يوم النشور. يبدو مما تقدم ان هذا الوجود والوجود القادم يوم القيامة كليهما قائمان على اساسٍ من سابق التوثيق الإلهي لما يحدث فيهما. وهذا التوثيق

الالهي، بمستوياته المتعددة، واحدٌ مما لا حصر له من الفعاليات الإلهية الخفية التي تجري بكل صمت دون ان يعيها الإنسان؛ هذا الكائن المتكبر الذي خُيل اليه انه قد احاط علماً بكل ما يحدث في هذا الوجود على الاطلاق! ولكن هيهات هيهات لما يتوهمه هذا الإنسان بعقله العاجز عن ان يعي من الحقائق الا ما كان منها وقائعٌ تحدث اماماً من ناظريه شاء ان يرضى بذلك ام ابى والا فهي اوهام وخيالات يحسبها الحق وهي في الحقيقة ليست منه في شيء! ان التوثيق الإلهي حق لاريب فيه وهو قائمٌ بالفعل سواءً كان هذا التوثيق مُدرَكاً من قبل الوعي الإنساني ام غير مُدرَك كما هو واقع الحال! على اي حال لنكتفِ بهذا القدْر من التجوال بعيداً عن النص القرآني المقدس ولنَشرع بتدبر ما جاءنا به قرآن الله العظيم من حقائق تضمنتها آياته البينات وفصلتها واضحةً كل الوضوح جليةً لا لبس فيها. فأولاً وقبل ان نتطرق لأية تفاصيل لِنطُف حوالَي القرآن الكريم تقصياً لما ورد في متْنه الإلهي المقدس من آيات قرآنية كريمة اشار الله من خلالها الى سابق قيامه بخط لوح القدَر بيمينه المقدسة وبوساطةٍ من القلم الالهي؛ هذا القلم الغيبي الذي تشرف بخط صُحُف القدَر والذي هو السبب في استقرار الوجود بموجوداته وبما يؤمن سريان سابق قضاء الله فيه وفيها وصولاً الى يوم يطوي الله السماء كطي السجل للكتب (قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عليهِمُ القتْلُ الى مَضاجِعِهِم) (آل عمران: 154)، (قُلْ لِمَنْ ما فِي السموات وَالأرْضِ قُلْ للهِ كَتَبَ عَلى نَفْسِهِ الرحْمَةَ لَيَجْمَعَنَكُمْ الى يَوْمِ القِيامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ الَّذينَ خَسِرُوا انْفُسَهُمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ) (الأنعام: 12)، (قُلْ لَنْ يُصيبَنا الا ما كَتَبَ اللهُ لَنا هُوَ مَوْلانا وَعَلى اللهِ فَلْيَتَوَكلِ المُؤْمِنونَ) (التوبة: 51). والآن لِنقُم بالطواف حوالَي آيات القرآن العظيم التي تضمنت اشارات لاريب في انها تُشير الى حاضر التوثيق الإلهي لأحداث الوجود: (وَعِنْدَهُ مَفاتِحُ الغَيبِ لا يَعْلَمُها الا هُوَ وَيَعْلَمُ ما فِي البَرِ وَالبَحْرِ وَما تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ الا يَعْلَمُها وَلا حَبةٍ فِي ظُلُماتِ الأرضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يابِسٍ الا فِي كِتابٍ مُبينٍ) (الأنعام: 59)، (وَما من دابة فِي الأرضِ الا على اللهِ رِزْقُها وَيَعْلَمُ مُستَقَرها وَمُستَودَعَها كُلٌ فِي كِتابٍ مُبِينٍ) (هود: 6)،

(وَما مِنْ غائِبَةٍ فِي السماء والأرْضِ الا فِي كتابٍ مُبينٍ) (النمل: 75)، (وَكُل شَيءٍ اَحْصَيْناهُ كتاباً) (النَبأ: 29)، (وَما يَعْزُبُ عَنْ رَبكَ مِنْ مِثْقالِ ذَرةٍ فِي الأرْضِ وَلا فِي السماءِ وَلا اَصْغَرَ مِنْ ذلكَ وَلا اَكْبَرَ الا فِي كتابٍ مُبينٍ) (يونُس: من 61).

ان هذا التوثيق الإلهي يلاحق الإنسان نَفَساً بنَفَسٍ ليلَ نهار وذلك بشهادة الآيات القرآنية الكريمة التالية: (هذا كتابُنا يَنْطقُ عَلَيْكُمْ بالْحَق انا كُنا نَسْتَنْسِخُ ما كُنْتُمْ تَعْمَلونَ) (الجاثية: 29)، (وَكُل شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ. وَكُل صَغيرٍ وَكَبيرٍ مُسْتَطَرٌ) (القمر: 52 - 53)، (وَان عَلَيْكُمْ لَحافِظينَ. كِراماً كاتبين. يَعْلَمُونَ ما تَفْعَلُونَ) (الإنفطار: 10 - 12)، (بَلى ان رَبهُ كانَ بِهِ بَصيراً) (الإنْشقاق: 15)، (انْ كُل نَفْسٍ لَما عَلَيها حافظٌ) (الطارق: 4)، (وَاللهُ يَكْتُبُ ما يُبَيتُونَ) (النساء: من 81)، (ان رُسُلَنا يَكْتُبُونَ ما تَمْكُرُونَ) (يونُس: من 21)، (ثُم اللهُ شَهيدٌ عَلى ما يَفْعَلُونَ) (يونُس: من 46)، (وَكُل إنسان اَلْزَمْناهُ طائِرَهُ فِي عُنُقه وَنُخرجُ لَهُ يومَ القِيامَةِ كِتاباً يَلْقاهُ مَنْشوراً. اِقْرَأ كِتابَكَ كَفى بِنَفسِكَ اليومَ عَليكَ حَسيباً) (الإسراء: 13 - 14).

يتبين لنا بتدبرنا لما جاءتنا به هذه الآيات الكريمة ان التوثيق الإلهي متحقق بتدخل الله المباشر كتابةً إلهية لا بواسطةٍ ولا بشيء، وبتدخل إلهي غير مباشر بقيام الملائكة الكاتبين بتدوين سيرة حياة الإنسان بمفرداتها كلها صغيرها وكبيرها. لنتدبر جيداً ما جاءتنا به الآيتان الكريمتان: (وَكُل إنسان اَلْزَمْناهُ طائِرَهُ فِي عُنُقه وَنُخرجُ لَهُ يومَ القِيامَةِ كِتاباً يَلْقاهُ مَنْشوراً. اِقْرَأ كِتابَكَ كَفى بِنَفسِكَ اليومَ عَليكَ حَسيباً) (الإسراء: 13 - 14). ان هذا التوثيق الإلهي هو الذي سيجده الإنسان كتاباً يقرأه يوم القيامة شاهداً عليه بكل ما جنته يداه وما نطق به لسانه.

اذاً يتبين لنا جلياً ما للتوثيق الإلهي من عظيم تدخل في استقرار هذا الوجود على ما ينبغي ان يكون عليه وصولاً ليوم الطي وما له من دور لا غنى عنه في انبعاث الخلق وجوداً جديداً يوم القيامة. فهل تُرانا نعي هذا ام نؤثر البقاء حيث نحن على الطريق السريع الى الجحيم؟!

ان الوجود تُشكله مطرقةُ القدر الإلهي وهي تهوي على سندان الكتاب فعلاً ورد فعل؛ أو بعبارة اكثر دقة سابق فعلٍ وحاضرَ رد فعل. وهذا هو عين الرحمة المحتواة في الحكمة الإلهية التي تضمنتها ارادة الله العلي القدير. فالوجود عاجزٌ عن ان يسير منضبطاً بقوانين الله لولا تواجد القدر الإلهي مع مفرداته وموجوداته ملازِماً ومصاحباً ومرافقاً لها كلها جميعاً منذ أول لحظة من لحظات وجودها وحتى تلاشيها اندثاراً ثم فناءً بالنفخ في الصُور. ان الشيء، اذ ترافقه نسخةٌ من القدَر الإلهي لصيقةٌ به فلا تفارقه هُنيهة، بمستطاعه ان يتفاعل مع باقي مُكونات الوجود وفقاً لما سبق وان قررته الارادةُ الإلهية قدَراً تحتويه هذه النسخة الملاصقة للشيءِ كظل لا يفارقه لحظةً. وهذا حكمٌ عام في حق كل موجود خلا مَن اختصه الله بامتلاك ارادة يتمكن بواسطتها من تشكيل حياته وبالشكل الذي يؤمنه التفاعلُ المتبادَل ما بين مطرقة القدر الإلهي المتواجد نسخةً مرافقةً له وبين سندان الكتاب الموثق لسيرة حياته لحظةً بلحظة سواءً اختار ان يكون موافقاً لما سبق وان خُط في نسخة القدَر هذه من مصير تحتم عليها ان تحتوي عليه لسابق معرفة الله بأنه المصير الذي سيختاره فيما بعد أو خارجاً على النص اذا ما اختار ان تكون ارادته في هذا الحاضر غير ما كان قد اراد لها ان تكونه وذلك لايقانه ان الله لم يجعل من نسخة القدر المرافقة له قدراً لابد له من الخضوع لسابق حُكمه عليه؛ هذا الحكم الذي كان قد اختاره هو نفسه يوم ان جرى القلم الإلهي على هذهِ النسخة بمداد ارادته هو بالذات كما كان سيُعبر عنها فيما بعد عندما يخلقه اللهُ ويرفد به الوجود ليكون من بين مفرداته. ان ما يجب ان نعرفه بخصوص القدَر الإلهي هو ان نسخته المرافقة للإنسان غير مُلزمة لهذا الإنسان بأن تكون حياته هي عين ما تحتويه من مصير سبق له وان اختاره لحظة ان جرى القلم الإلهي بمدادٍ من سابق اختياره. فالقدر الإلهي المحتوى في أُم الكتاب هو النسخة التي لا مفر منها هروباً الى قدر بديل طالما كانت هي النسخة النهائية التي سبق وان دون فيها الله كل شيء سيحدث بإذنه فيما بعد وبضمن ذلك اي تغيير قد يُقرر إنسان ما القيام به خروجاً على النص الذي سبق وان قرره هذا الإنسان

مصيراً لحياته لحظة ان جرى القلم الإلهي موثقاً لارادته تلك. ان الإنسان اذ ترافقه مطرقةُ القدر الالهي، ممثلةً بنسخته التي تؤمن له حُسن التفاعل المُتبادَل بينه وبين ما قُدر له ان يتفاعل معه من مفردات الوجود، فهو مرافَق ايضاً من بعيد بنور اُم الكتاب نسخةً أصلية للقدر الإلهي تكفل له ان يُعبر، ان شاء، عن إرادته حرةً حتى من قيود سابق ما كان قد قرره من قبل ان يخلقه الله!! وهذا هو التفاعل ما بين مطرقة القدر الالهي، نسخةً ليست بالضرورة القدر المحتوى في أُم الكتاب، وبين ارادة الإنسان، كما يوثقها الكتابُ الملاصق له التصاقَ روحه ببدنه، سنداناً له هو لا لغيره ان يقرر رد الفعل الذي سوف يكون عليه ان يُبديه حيال هَوْي المطرقة عليه! الا ان الحق الذي ينبغي ان يُقال بهذا الخصوص هو ان الغالبية العظمى من بني آدم لا تريد ان تخرج على النص الذي سبق وان قررته لحظة جرْي القلم الإلهي موافقاً لما اختارته مصيراً لها في هذه الحياة الدنيا وبالتالي في الحياة الآخرة! ان معظم البشر لا اختيار لهم في دنياهم غير سابق اختيارهم قبلها! يبدو ان مطرقة القدَر المسلطة على رؤوس معظم البشر ليس لها الا ان تهوي على سندانٍ من صخْر قلوبهم الميتة التي لو كانت فيها حياة لكان لها ان تخرج على النص فتوافق حينها، وحينها فقط، ما سطره الله في أُم الكتاب.

أنباء الغيب رسائلٌ من عالمِ الغيب!

لا يمكن للعقل السليم من الآفات التقليدية للتفكير الإنساني ان يُعرِض عن النبوءات والرؤى المستقبلية بحُجة استحالة الوقوع على ما لم يتحقق وقوعه بعد! فهذه حجةٌ داحضةٌ بشهادة هذا الكم الهائل من اخبار المستقبل الذي بمستطاع واحدنا ان يطلع عليه بتصفحه للوثائق التاريخية التي حفلت بذِكر رؤى ونبوءات جاءت الايام فيما بعد مُصدقةً لما تضمنته من انباءٍ وقَصَص. وهذه النبوءات والرؤى المستقبلية ظواهرٌ لا يكاد يخلو منها زمان أو مكان أو حضارة منذ بداية الخليقة الإنسانية وحتى يومنا هذا. وانت اذا ما حرصتَ على الالمام بكل ما وثقته المصادر التاريخية الموثوقة من هذه النبوءات والرؤى المستقبلية فانك واجدٌ نفسك لامحالة امام كومة هائلة من المجلدات التي لا قدرة للمُطلع عليها على الخروج من بعد قراءته فيها الا وهو موقنٌ كل الايقان بأن المستقبل متواجدٌ في هذا الحاضر تواجدَه في الماضي وان الشك في هذه الحقيقة يتطلب من المرء التنازل عن عقله مادام هذا غير قادرٍ على الإعراض عن الذي وقع عليه من اخبار المستقبل القائم على ارض هذا الحاضر وإن لم يتسن لوقائعه واحداثه ان تقع بعد! لذا فالعقل الإنساني مُطالَب بأن يخرج علينا بتفسير لهذا الخرْق البين للمنظومة المعرفية للتفكير الإنساني؛ هذه المنظومة العاجزة عن تصديق ما تتضمنه النبوءات والرؤى المستقبلية من حقائق تتعارض والأُسس التي شُيدت عليها. فالمنظومة المعرفية الإنسانية قائمةٌ على اساسٍ راسخٍ من الايمان الغيبي بأن الإنسان اسير زمانه ومكانه شأنه في هذا شأن باقي مفرداتِ الوجود العاجزة عن التعالي على الزمان والمكان. لذا فان ما تقول به النبوءات والرؤى المستقبلية من حقائق متعالية على الحاضر الذي يُطوق عقل الإنسان بقيدٍ زماني لا فِكاك له منه لابد وان يُواجَه من قِبَل هذا العقل بكل ما من شأنه ان يصفها بأنها محْض خرافات ومجرد اباطيل. الا ان هذا الوصف لن يُطفئ نور الحقيقة المُتضمنة في

الرسالة التي تُوجهها النبوءات والرؤى المستقبلية الى الإنسان شاء ان يسمع ام شاء ان يتصام عن الحق ويتعامى عن الذي يدعوه اليه. فما هي هذه الرسالة المستقبلية العابرة الينا من المستقبل المتواجد بيننا على الرغم من عدم تحقق وقوع احداثه بعد؟! يبدو ان مفردات هذه الرسالة المستقبلية لا تختلف في شيء عن مفردات اية رسالة من تلك الرسائل الغيبية التي لا تني تلاحق الإنسان بين الحين الآخر. فرسالية هذه الظواهر الغيبية حقيقةٌ لا سبيل لانكارها مادام عقلنا عاجزاً عن ان يأتي بتفسيراتٍ من عندياته بوسعها ان تجعل منه لا يجد في هذه الظواهر ما يعجز عن الوقوع عليه في غيرها من ظواهر الوجود! ولكن ما هي مفردات هذه الرسائل الموجهة من عالَم متواجدٍ على ارض هذا الواقع مع عالِمنا الذي لا نريد ان نُصدق ان هنالك عدداً لا يُحصى من العوالم المتواجدة معه في هذا الوجود؟! ان اهم مفردةٍ من هذه المفردات المنتمية لعالَم الغيب نداءٌ الى الإنسان يدعوه للاهتمام بما هو ليس بواقعي من الامور التي لا تنتمي مطلق الانتماء للواقع الإنساني المُعتاد؛ هذا الواقع الذي يتوهم العقل الإنساني انه كل ما هنالك من واقع وألا وجود اطلاقاً لواقع آخر غيره! فكل ظاهرة من قبيل ما يُسمى بالظواهر الخارقة للعادة ما هي الا رسالة الى الإنسان قادمةٌ من واقع آخر يتواجد مع واقعنا هذا وإن عجزنا عن ان نُدركه بأبصارنا التي لم تُخلق لادراكه. وهذه الرسالة، من جديد، فحواها الوحيد اَن "يا أيها الإنسان لا يَغُرنك الوجود الذي تراه فتظن انه الوجود كل الوجود وتنسى ان هنالك عوالماً في الوجود لا قدرة لعقلك على ان يحيط بها علماً مادام عاجزاً عن التحرر من ربقة هذا الواقع الذي يتوهمه الواقعَ الوحيد الذي لا وجود لواقع آخر سواه في هذا الوجود". فهذه الظواهر الخارقة للمألوف، الذي تسنى للعقل الإنساني صياغة مفرداته على مر العصور وتعاقُب الحضارات، تدعو الإنسان للعودة الى الجذور؛ هذه الجذور التي هي جذورُه هو ايضاً مادام الكيان الإنساني قد نشأ وتطور وارتقى في ظل سيادة واقع آخر على هذا الواقع الذي يتوهمه الإنسان التربة الوحيدة التي ترعرعت جذوره منها! لذا فالنبوءات والرؤى المستقبلية اذ تُلاحق الإنسانية، منذ تباشير

فجرها وحتى هذه اللحظات القدرية الحاسمة من وجودها المشرف على نهايته عما قريب بإذن الله، لا تختلف في شيء عن غيرها من الظواهر الغامضة بهذا الاصرار من جانبها على لفت انظار الإنسان الى الواقع الآخر الذي لا يريد ان يُقِر بحقيقة تواجده الواقعي مع الواقع المُعتاد الذي دأب عقلُه على التعامل معه على انه كل ما هنالك من واقع! والآن اما وقد تبين لنا هذا الذي ترمي اليه النبوءات والرؤى المستقبلية من وراء ملاحقتها للإنسان في كل زمان ومكان فهل لنا ان نكون اكثر تحديداً ليتسنى لنا تشخيص هوية الجهة المسؤولة عن توجيه هذه الرسائل المستقبلية المُحملة بمعلومات تتعلق بأحداث لما يتسنى لها ان تحدث بعد؟ ان القولَ بوجود إلهٍ حكيم خبير كُلي القدرة مُطلق الاحاطة والهيمنة واسع العلم فلا حدود تقف امامَ علمه الازلي هو القولُ الذي يتكفل بجعْلنا نتعرف الى كثيرٍ مما هو ذو صلةٍ بالعالَم الغيبي الذي قدِمت منه النبوءات والرؤى المستقبلية. فحتى نُعلل لتواجدٍ المستقبل معنا، كمعلومات لا كأحداث لما تقع بعد، فلابد لنا من الاقرار بوجود منظومة معلومات غيبية تسع الزمان منذ بداية الخلق على يد الله وحتى نهايته الإلهية المحتومة.

ولكن ما الجديد في القول بوجود منظومة المعلومات الغيبية هذه؟ فلقد سبق لنا وان علمنا بوجود لوح القدَر؛ هذا اللوح المحفوظ الذي خط اللهُ صُحُفه بالقلم الإلهي قبل ان يشرع بخلْق الوجود بموجوداته كلها جميعاً. ان الجديد في الأمر هو تدبر ما كنا نعرفه ولا نكاد نعرفه وذلك حتى يستبين لنا جانبٌ من المراد بهذا اللوح المعلوماتي المحفوظ. فلقد كنا لا نعي من الأمر شيئاً يتجاوز الترديد اللفظي لما عُلمناه بخصوص القدَر وصُحُفه وسابق القضاء الإلهي والعلم الازلي لله. ولم نتساءل يوماً عن السبب في ضرورة تواجد القدَر الإلهي مكتوباً! فلمَ كان على هذا القدَر ان يتم توثيقه وتدوينه وتسجيل مفرداته بكل دقة وتفصيل من قبل ان يتم خلْق الخلْق؟ ولماذا لم يكتفِ الله بعلمه الإلهي المحفوظ داخل الذات اللدُنية؟ ولماذا كان على القدَر ان يكونَ نسخةً مخلوقة من هذا العلم الإلهي المكنون في ذات الله سبحانه وتعالى؟ هذه اسئلة ما كانت لتخطُر لنا على بال طالما لم

يكن هناك من داعٍ للتساؤل عن السبب الكامن من وراء ظهور الرؤى والنبوءات المستقبلية؛ هذه الظواهر فائقة الغرابة وبالغة الغموض والتي جعلت منا عاجزين عن التعامل المعرفي الصائب معها بغير وساطة من الالتجاء لصُحُف القدَر ومنظومة المعلومات الغيبية التي احتوتها هذه الصُحُف الإلهية نسخةً أخرى من العلم الإلهي المكنون في الذات الالهية. الا اننا الآن في حِل من الالتزام بسابق موقفنا اللاأُبالي حيال صُحُف القدَر وما كُتب فيها من علم بكل ما سيكون منذ بداية الخليقة وحتى طي كتاب الوجود قُبيل بزوغ فجر اليوم الآخر. لقد كان يكفي الوجود ان يكون العلمُ بما سيحدث فيه منذ الالف حتى الياء مكنوناً في الذات الإلهية حتى يكون لأحداثه هذه ان تحدث كما تشاء الارادة الالهية، فلماذا اذاً شاء الله ان يخلق نسخةً محملةً بهذا العلم الإلهي لتكون هي القَدَر المكتوب الذي لا مهرب لأحد من الخلق منه الا ما شاء الله؟ ان إقرارنا بوجود القدَر الإلهي مسطوراً في لوحٍ محفوظٍ خارج الذات الإلهية يستدعي منا اقراراً آخر بوجوب القول بأن هذا القدَر المخلوق، كتاباً جامعاً واسعاً ضُمِّن كل ما ينبغي على الوجود ان يحفل به من أحداث منذ لحظات خلْقه الاولى وحتى عودته الى ما كان عليه قبل ان تطاله يدُ الله خلْقاً وهداية، لابد وان تكون له يد في حدوث ما يحدث في هذا الوجود من حوادث ما كان لها ان تحدث لولا سابق وجوده هذا. اذ ما نفع وجود القدر كتاباً قد سُطرت فيه احداث الوجود كلها جميعاً ان لم يكن لهذا الكتاب تأثيرٌ فاعلٌ في الوجود يطال احداثه فلا يغادر منها صغيرة ولا كبيرة الا سيَّرها صوب الوِجهة التي سبق لله وان شاءت ارادتُه الحكيمة الخبيرة ان تكون وِجهتها هي بالذات لا غيرها؟! كان يكفي الوجودَ العلمُ الإلهي بأحداثه حتى تحدث كلها جميعاً كما وسِع علم الله ذلك، الا ان الله شاء ان يكون علمه المسطور في لوح القدر هو المُسيِّر لدفة الوجود مع احتفاظه بحق التدخل الفوري المباشر أنى يشاء مادام هو الأمر الناهي اولاً وأخيراً. اذاً لقد قادنا البحثُ عن السبب في ظهور الرؤى والنبوءات المستقبلية الى ماضٍ سحيق موغل في القِدَم توجب علينا الارتحالُ اليه بحثاً عما سبق وان حدثَ فيه فجعل من المستقبل حاضراً

في كل الزمان معلوماتٍ وليس احداثاً لما تقع بعدُ. ولقد تبين لنا جلياً ان هذا الذي حدث فجعل من المستقبل متواجداً معلوماتياً في الحاضر هو قيام الله بخط لوح القدَر بالقلم الإلهي تضميناً له بكل العلم الإلهي بما سيحدث فيما بعد من أحداث عندما سيشرع الله بخلْق الوجود وما سيعقب ذلك وحتى يوم طي السماء كطي السجل للكتُب. كما وتجلى لنا عرَضاً ما للوح القدَر من مطلق هيمنة على الوجود بكامل موجوداته وبجميع ما يحدث فيه من وقائع وظواهر واحداث ليس لأيها ان يحدث لولا سابق وجوده وماض تواجده معلوماتٍ لا غنى عنها لتسيير دفة الوجود كما سبق للارادة الإلهية وان شاءت لأحداثه ان تحدث وبما يتكفل بتحقيق المُراد الإلهي من خلق الخلْق. ان هذا القدَر المتواجد مع الخلْق هو الذي يؤمن لكل مخلوق دوام السير على الطريق الكفيل بقيامه بتحقيق ما يتوجب عليه القيام به تحقيقاً للخطة الإلهية وذلك على قدْر تعلق الأمر به هو بالذات على وجه التحديد. فهذا التواجد المعلوماتي للقدَر بين ظهراني الخلْق هو السبب في عدم خروج الوجود عن الجادة التي سبق لارادة الله وان اختارتها هي بالذات لا غيرها لتكون مسار الخلْق اليه. ان هذا الذي تبين لنا جلياً بتدبرنا ظواهر الرؤى والنبوءات المستقبلية على عظيم اهميته ينبغي له ان لا يشغلنا، حالياً، عن التعمق في البحث عن حقائق أخرى تخص الواقع الآخر؛ هذا الواقع الذي لولا تواجده بيننا لما تسنى لأحد من بني آدم ان يحظى برؤيا أو نبوءة مستقبلية. لنشرع بتذكر ما هو سائدٌ بيننا من اعتقاد ذي صلة بالامر. فنحن لانزال نعتقد بأن الله طالما كان هو عالم الغيب والشهادة فان احداً آخر غيره لن يكون بوسعه ان يعلم الغيب الا باذنه، الا اننا نخطئ اذ نظن بـ العلم بالغيب باذن الله غير الحق وذلك بأن نتوهم هذا الاذن الإلهي سماحاً للمخلوق بأن يصل بعقله لمعرفة ما غُيب عنه من مفردات عالَم الغيب! ما المقصود اذاً بهذا الاذن الالهي؟ ان هذا الاذن ما هو الا اطّلاعٌ إلهي على جانبٍ من مُغيبات عالَم الغيب. فاذا كان كل الخلْق عاجزين عن معرفة الغيب سواءً بإعمالهم العقل منهم أو بمحاولتهم استراق السمع تجسساً على بعض خفايا هذا العالم الغيبي أو بتطلعهم للاطلاع على ما هو مسطور في

كتاب القدَر فان تمكنهم من الحصول على معلومات غيبية رهنٌ بإذن إلهي اِن تسنى لواحدهم الحصول عليه فهو وسيلته الوحيدة للعبور الى بعض من مفردات الغيب استراقاً للسمع أو اطِّلاعاً على نزْرٍ يسيرٍ مما هو مُغيبٌ عن الخلْق في صُحُف القدَر. اذاً فعلى قدْر تعلق الأمر بنا معشر الإنس فاننا عاجزون تماماً عن إعمال عقولنا لنصل بوساطةٍ من هذا العقل لمعرفة ولو ذرة من العلم المُغيب عنا في بواطن عالَم الغيب. فأي حديث عن استحالة تمكن الإنسان من سبْر عالَم الغيب يجب ان لا يُفهم منه ما يفيد بأن هذا العجْز كامنٌ في صُلب العقل الإنساني بالمعنى الذي يعجز معه عن القيام برحلة استكشاف لعوالم المستقبل!

ان الدليل على اننا لم نكن على وعي تام بما يعنيه قولُنا بوجود لوح للقدَر يتضمن التاريخ الكامل لأحداث الوجود منذ اول لحظة من خلْقه وحتى آخرِ لحظة يتجلى واضحاً أيما وضوح في اعتقادنا بأن عجْز العقل الإنساني عن التوصل الذاتي لمعرفة المستقبل هو ما ينبغي لنا ان نفهمه من تفرد الله بمعرفة الغيب! فنحن لم نكن على دراية بما يتوجب علينا الايمانُ به اذا ما نحن قُلنا بأن الغيب حق لا مَراء فيه! وهذا متأت بالضرورة من اِصرارنا على عدم التمعن في ما نؤمن به نطقاً باللسان فحسب! فلو اننا آمنا بوجود الغيب بالقلب منا حق الايمان لكان بمقدورنا ان نعي ما يعنيه هذا الوجود للغيب عالَماً قائماً بذاته واِن عجز العقل منا عن ان يدركه ببصره العاجز عن ان يرى ما لا ينتمي تمام الانتماء لهذا الواقع العَياني. وعندها، وعندها فقط، كان بإمكاننا ان نتبين قبل ان نُطلِق القول جُزافاً بما ليس لنا به علمٌ فندَّعي بأن العجْز الإنساني عن معرفة الغيب ما هو الا عجز العقل الإنساني عن التفكير الابداعي وبما من شأنه ان يتكفل بجعْله قادراً على التوصل بمفرده لمعرفة ما غُيِّب عنه من احداث مستقبلية! ولكان بمقدورنا ان نقول الحق الذي مفاده ان الإنسان لا قدرة له على معرفة الغيب طالما لم يُطلعه الله على انبائه. ان القرآن العظيم واضحٌ بهذا الخصوص وضوحَه بخصوص كل ما تضمنه من معارف اِلهية لا قدرة للعقل الإنساني على التوصل بمفرده الى اية مفردة من مفرداتها الغيبية. فلقد بينت الآيات القرآنية الكريمة، وبما لا يدع

مجالاً للشك، ان الإنسان عاجزٌ عن معرفة الغيب ما لم يُطلعه اللهُ على ما يشاء منه. لنتدبر الآيات الكريمة التالية: (وَعندَهُ مَفاتحُ الغَيب لا يَعْلَمُها الا هُوَ وَيَعْلَمُ ما في البَر وَالبَحْرِ وَما تَسْقُطُ منْ وَرَقَة الا يَعْلَمُها وَلا حَبةً في ظُلُمات الأرض وَلا رَطْبٍ وَلا يابس الا في كتاب مُبي) (الأنعام: 59)، (تلْكَ منْ اَنْباء الْغَيْب نُوحيها الَيْكَ ما كُنْتَ تَعْلَمُها اَنْتَ وَلا قَوْمُكَ منْ قَبْلِ هذا فَاصْبرْ ان الْعاقبَةَ للْمُتقينَ) (هود: 49)، (وَللّه غَيْبُ السموات وَالأرْض وَما اَمْرُ الساعَة الا كَلَمْح الْبَصَر أو هُوَ اَقْرَبُ ان اللّه عَلى كُل شَيْءٍ قَديرٌ) (النحل: 77)، (قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ في السَموات وَالأرض الغَيْبَ الا اللّه وَما يَشْعُرونَ اَيانَ يُبْعَثونَ) (النمل: 65)، (اَعنْدَهُ علْمُ الْغَيْب فَهُوَ يَرَى) (النجم: 35)، (عالمُ الْغَيْب فَلا يُظْهرُ عَلى غَيْبه اَحَداً. الا مَن ارْتَضى منْ رَسُولٍ فَانهُ يَسْلُكُ منْ بَيْن يَدَيْه وَمنْ خَلْفه رَصَداً. ليَعْلَمَ اَنْ قَدْ اَبْلَغُوا رِسالات رَبهمْ وَاَحاطَ بما لَدَيْهمْ وَاَحْصى كُل شَيْءٍ عَدَداً) (الجن: 26 - 28).

يتجلى لنا واضحاً بتدبرنا لهذه الآيات القرآنية الكريمة ان الله قادرٌ على ان يُطلع مَن يشاء من عباده ما يشاء لهم ان يطلعوا عليه من انباء الغيب. وهكذا تستبين سبيلُ الحق واضحةً لا لبس فيها. فلم يرد في القرآن العظيم ما يفيد بأن عجْز الإنسان عن معرفة الغيب نابعٌ من عجزٍ عقلي عن التفكير المستقبلي! الا اننا اصررنا على ان نُقوِّلَ النص الإلهي المقدس ما لم يتضمنه ورُحنا نقول بأن الإنسان عاجزٌ عن معرفة الغيب لا لأنه عاجزٌ عن ان يطلع على الغيب المسطور في صحُف القدَر الالهي، لعجْز عقله عن إبصار ما ليس بواقع ضمن مدى الرؤية الإنسانية، ولكن لأنه لا قدرة له على التفكير العقلي توصلاً للامساك بالمستقبل الذي لما تقع وقائعه بعدُ! وهكذا يتبين لنا اننا لم نكن نُقدِّر القدَر حق قدْره عندما ظننا به انه ليس بموجود في الحاضر اداةً وحيدةً لسَوْقه ودفعه باتجاه المستقبل! ان التقيد الحرفي بالنص القرآني المقدس هو السبيل الوحيد للنجاة من المصير الاسود الذي آل اليه امرُ مَن سبقنا من أقوام لم ترعَ عُهدة الله وكُتبه حق رعايتها اذ وقعت عليها تأويلاً وتقويلاً وتحميلاً وتفسيراً اضاف الباطل وطرح الحق فكان حقيقاً على الله ان يطرح المتجاسرين على كلامه في نار جهنم وبئس المصير. فان

نقول بأن الإنسان عاجزٌ عن معرفة الغيب لأنه لا قدرة له على ان يطلع على الغيب بمفرده شيء وان نقول بأن عجْزه هذا مرده عجزٌ عقلي عن التوصل لصياغة عقلية لما سيحدث من أحداث في المستقبل شيءٌ آخر! ان الإنسان عاجزٌ تمام العجْز عن ان يكون بوسعه التفكير المنطقي وصولاً لاستنتاج حقيقة ما سيحدث بالفعل على ارض الواقع من احداث مستقبلية بالصورة المضبوطة التي ستحدث هذه الاحداث وفقاً لها. الا ان القرآن العظيم لم يتطرق لهذا عندما حكم بعدم قدرة الإنسان على معرفة الغيب! فما عناه القرآن العظيم بهذا الخصوص هو ان الإنسان عاجزٌ عن ان "يطلع الغيب" بمفرده وان الله وحدَه هو مَن بوسعه ان يُطلِع مَن يشاء من عباده ما يشاء لهم ان يطلِعوا عليه من غيبه (وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ اِلا بِما شاءَ). على أي حال فان الإنسان لا يكف عن التعامل غير الصائب مع كل ما يحيط به من شيء فما بالنا اذا كان ما يتعامل معه هو النص الإلهي الذي لا يكف عن مطالبته بوجوب الكف عن السير وراء نفسه وهواها؟! مَخلَص القول هو اننا لم نكن على درايةٍ بما يعنيه تواجدُ الغيب بين الخلْق وان الغيب كما بينه القرآن العظيم لم يكن معروفاً لدينا وان ما كنا نعرفه عن الغيب لم يكن الا نسْجاً من وحي خيالٍ إنساني دأبه الايغال ابتعاداً عن الواقع ونأياً من ثم عن الحقيقة! والا اما كان يجدر بنا ان نلتزم هذا القرآن فلا نحيد عن مستقيم جادته بقولنا بأن الإنسان اذ يعجز عن معرفة الغيب فانه ما عجز الا بسببٍ من عدم تمكنه من التوصل بتفكيره الى صياغة قراءة مستقبلية لأحداث الحاضر؟!! كان ينبغي علينا ان نتدبر عجْز الإنسان عن معرفة الغيب في ضوء الإعجاز القرآني المبين لا في ظلمات العجز الإنساني عن التعامل المؤمن مع النصوص الإلهية المقدسة! والآن ما الذي قاله بعدُ هذا القرآن بخصوص الرؤى والاحداث المستقبلية؟ لنتدبر الآيات القرآنية التالية ولنقُم بدراسة ما حوته من تفاصيل ذات صلة بالرؤيا والاحلام (اِذْ قالَ يوسُفُ لاَبِيه يا اَبَتِ اني رَاَيْتُ اَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشمْسَ وَالْقَمَرَ رَاَيْتُهُمْ لي ساجِدينَ) (يوسُف: 4): (فَلَما دَخَلُوا عَلى يُوسُفَ آوَى اِلَيْهِ اَبَوَيْهِ وَقالَ ادْخُلُوا مِصْرَ اِنْ شاءَ اللّهُ آمِنِين. وَرَفَعَ اَبَوَيْهِ

عَلى الْعَرْش وَخَروا لَهُ سُجداً وَقالَ يا اَبَت هذا تَأويلُ رُؤْيايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَها رَبي حَقاً وَقَدْ اَحْسَنَ بي اذْ اَخْرَجَني مِنَ السِّجْنِ وَجاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْد اَنْ نَزَغَ الشَيْطانُ بَيْني وَبَيْنَ اخْوَتي ان رَبي لَطيفٌ لِما يَشاءُ انهُ هُوَ الْعَليمُ الْحَكيمُ) (يوسف: 99 - 100)، (وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيانِ قالَ اَحَدُهُما اني اَراني اَعْصرُ خَمْراً وَقالَ الآخَرُ اني اَراني اَحْملُ فَوْقَ رَاْسي خُبْزاً تَاْكُلُ الطيْرُ مِنْهُ نَبئْنا بِتَاْويله انا نَراكَ مِنَ الْمُحْسنينَ) (يوسُف: 36): (يا صاحِبَي السِّجْنِ اَما اَحَدُكُما فَيَسْقي رَبهُ خَمْراً وَاَما الآخَرُ فَيُصْلَبَ فَتَاْكُلُ الطيْرُ مِنْ رَاْسه قُضيَ الأمر الَذي فيه تَسْتَفْتيانِ) (يوسُف: 41)، (وَقالَ الْمَلكُ اني اَرى سَبْعَ بَقَرات سِمان يَاْكُلُهُنَ سَبْعٌ عِجافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلات خُضْر وَاُخَرَ يابِسات يا أيها الْمَلأُ اَفْتُوني في رُؤْيايَ انْ كُنْتُمْ للرؤْيا تَعْبُرُونَ) (يوسف: 43): (قالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنينَ دَاَباً فَما حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ في سُنْبُله الا قَليلاً مما تَأْكُلونَ. ثُم يَأْتي مِنْ بَعْد ذلكَ سَبْعٌ شدادٌ يَأْكُلْنَ ما قَدمْتُمْ لَهُن الا قَليلاً مما تُحْصِنُونَ. ثُم يَأْتي مِنْ بَعْدِ ذلكَ عامٌ فيه يُغاثُ النّاسُ وَفيه يَعْصِرُونَ) (يوسُف: 47-49).

ان ما تُبينه هذه الآيات الكريمة من حقائق بالامكان ايجازه بجملة واحدة مفادها ان الإنسان تجتاحُه الرؤيا المستقبلية رغماً عنه وان الوقائع تجيء فيما بعدُ مُصدِّقة لما ورد في رؤياه. ولكن ماذا بشأن الرسائل الإلهية الأخرى غير ذات الصلة بالرؤى والنبوءات المستقبلية؟ هل تجتاح الإنسان هي الأخرى رغماً عنه؟ ام انها تحدث له بتواترٍ يتعاظم وتعاظُم حرْصه على المضي قدُماً على الطريق الإلهي الى الله؟ يبدو ان الوقت قد حان لدراسة ظواهر التزامن لما لها من وثيق صلة برسائل عالم الغيب؛ هذه الانباء القادمة الينا من عالَم آخر يتواجد معنا وانْ عجزت ابصارنا عن ادراكه لفرْط انتماء هذه الرسائل لواقعها الذي لم نُخلَق، بهذه الاجسام، للتعامل المعرفي معه بوساطةٍ من حواسنا الخمس.

فاذا كانت الرؤى والنبوءات المستقبلية ما هي الا ظواهرٌ عابرة الى هذا الواقع من واقع آخر متواجدٍ معه محملة بكم من المعلومات التي تخص احداثاً لما تقع بعد، فانها، والحال هذه، لا تختلف كثيراً عن "ظواهر التزامن" مادامت

هذه، هي الاخرى، ظواهراً عابرةً الى واقعنا المُعتاد هذا من واقع آخر يتواجد معه على الدوام وهي محملةٌ برسائل تتفاوت مضموناً باختلاف الشخص الذي تحدث هذه الظواهر الخارقة للعادة بوجوده. ان الرؤى والنبوءات المستقبلية وظواهر التزامن يُوحد بينها كلها جميعاً انها ظواهرٌ محملةٌ بمعلومات بالامكان استخلاص معنى من جراء حدوثها. كما ان ظواهر الرؤيا تُشابه ظواهر التزامن بتكون كل منها من مفردات يمازجها غموضٌ وتُغلفها رمزيةٌ ليس بمستطاع اي كان استخلاص المُراد من وراء حدوثها بفض شفرة رموزها وإزالة النقاب عن هذا الغموض الملازم لها لامحالة مادامت ظواهراً ثنائية الانتماء لواقعين لا تشابُه بينهما على الاطلاق. فظواهر الرؤيا هي في الغالب الاعم ظواهرٌ مُجفرة coded phenomena وذلك بسبب من اضطرارها للعبور الى وعي العقل الإنساني عبر بوابة الذاكرة مروراً بمصفاة ومرشَحة منظومة أمن وتحليل المعلومات الواردة؛ هذه المنظومة التي لا تسمح بعبور معظم ما يرد اليها من معلومات الا من بعد صبغها بصبغة ليس لها ان تُسبب اي ازعاج للنظام العقلي القائم على اساسٍ من الاطمئنان الى المحيط. ولنا في النص القرآني لرؤيا صاحب سجن يوسُف خير مثال على عمل هذه المنظومة: (وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ اَحَدُهُمَا اني اَراني اَعْصِرُ خَمْراً وَقالَ الآخَرُ اني اَراني اَحْمِلُ فَوْقَ رَاْسِي خُبْزاً تَاْكُلُ الطيْرُ مِنْهُ نَبِئْنا بِتَاْويلِه انا نَراكَ مِنَ المُحْسِنينَ) (يوسُف: 36): (يا صاحِبَي السِّجْنِ اَما اَحَدُكُما فَيُسْقي رَبهُ خَمْراً وَاَما الآخَرُ فَيُصْلَبَ فَتَاْكُلُ الطيْرُ مِنْ رَاْسِهِ قُضيَ الأمر الذي فِيهِ تَسْتَفْتِيانِ) (يوسُف: 41). فتأويل يوسُف لرؤيا صاحب سجْنه كشف النقاب عن الحقيقة التي لم تكن المنظومة الخاصة بأمن وتحليل المعلومات الواردة لتسمح بعبورها الى هذا الواقع الا من بعد ترميزها تجفيراً يُذهب بما كانت ستؤدي اليه من شديد إزعاج للوعي برؤية صاحبه مصلوباً والطير تأكل من لحم رأسه! لذا فلقد قامت منظومة الامن والحماية بتأويلٍ للنص المعلوماتي الوارد من واقع آخر وبما يُذهِب بهذا الإنباء المزعج الذي جاءت به. وكان هذا التأويل اعادةَ صياغةٍ لمفردة من مفردات الرؤيا من قبل السماح لها بالظهور

على شاشة الوعي، حيث تم إحلال صورة بديلة محل صورة الصلب والطير هي صورة الطير التي تأكل من الخبز الذي يحمله على رأسه! كما ان التجفير يكون في احيان أخرى مقصوداً من قِبَل الذكاء الإلهي لحكمة لا يُجليها لوقتها الا الله. ولنا في رؤيا يُوسف وما آلت اليه الامور من بعد رؤياه وحتى ان حققها له الله خير مثال على هذا التجفير الإلهي المقصود لغاية ليس يعلمها الا الله اللطيف لما يشاء. الآيات الكريمة: (إذْ قالَ يوسُفُ لأبيه يا أبَت اني رَأيْتُ أحَدَ عشَرَ كَوْكَباً وَالشمْسَ وَالقَمَرَ رَأيْتُهُمْ لي ساجِدينَ) (يوسُف: 4): (فَلَما دَخَلُوا عَلى يُوسُفَ آوَى اليْه أبَوَيْه وَقالَ ادْخُلُوا مصْرَ انْ شاءَ الله آمنين. وَرَفَعَ أبَوَيْه عَلى العَرْش وَخَروا لَهُ سُجداً وَقالَ يا أبَت هذا تَأويلُ رُؤْيايَ منْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَها رَبي حَقاً وَقَدْ أحْسَنَ بي اذْ أخْرَجَني منَ السجْنِ وَجاءَ بكُمْ منَ البَدْو منْ بَعْد أنْ نَزَغَ الشيْطانُ بَيْني وَبَيْنَ اخْوَتي ان رَبي لَطيفٌ لما يَشاءُ انهُ هُوَ العَليمُ الحَكيمُ) (يوسف: 99 - 100). كما ان رؤيا الملك كانت رؤيا على درجة عالية من التجفير الإلهي المقصود كما تشهد لها بذلك فحواها الملغزة غاية الإلغاز: (وَقالَ المَلكُ اني أرى سَبْعَ بَقَرات سمانٍ يَأكُلُهُن سَبْعٌ عجافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلات خُضْرٍ وَأخَرَ يابسات يا أيها المَلأ أفْتُوني في رُؤْيايَ انْ كُنْتُمْ للرؤْيا تَعْبُرُونَ) (يوسف: 43). لقد عجز المحيطون بالملك عن فك إلغاز رؤياه بدعوى انهم ليسوا بتأويل الاحلام بعالمين (قالُوا أضْغاثُ أحْلام وَما نَحْنُ بتَأويلِ الأحْلام بعالمينَ) (يوسُف: 44). حتى جاءهم الحق بتأويل يوسُف لرؤيا الملك (قالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سنينَ دَأباً فَما حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ في سُنْبُله الا قَليلاً مما تَأكُلُونَ. ثُم يَأتي منْ بَعْد ذلكَ سَبْعٌ شدادٌ يَأكُلْنَ ما قَدمْتُمْ لَهُن الا قَليلاً مما تُحْصنُونَ. ثُم يَأتي منْ بَعْد ذلكَ عامٌ فيه يُغاثُ الناسُ وَفيه يَعْصرُونَ) (يوسُف: 47-49). ان يوسُف الصديق كان الله قد علمه من تأويل الاحاديث ما جعل منه قادراً على فك تجفير الرؤى المستقبلية وذلك بشهادة الآيات القرآنية الكريمة (رَب قَدْ آتَيْتَني منَ المُلْك وَعَلمْتَني منْ تَأويل الأحاديث فاطر السموات وَالأرْض أنْتَ وَليي في الدنيا وَالآخرَة تَوَفني مُسْلماً وَألْحقْني بالصالحينَ) (يوسُف: 101). ولكن ما معنى فض التجفير هذا؟ لقد حبا الله يوسُفَ المقدرة على إعادة

الرؤيا المجفرة لسابق اصلها الذي ظهرت به اول مرة قبل ان تُبادر اليها مِصفاة ومِرشَحة منظومة الامن والحماية بالإخفاء والإبعاد تحت رُكام من مفردات بديلة كما حدث لصاحب سجْنه وقبل ان يقوم الله بتجفيرها لغاية لّا يعلمُها الا هو كما حدث لرؤيا الملك! فلقد كان بمقدور يوسُف ان يرى الرؤيا قبل التجفير اطلاعاً بإذن الله على صُحُف القدر؛ هذه الصُحُف السرية التي منها عبرت الرؤيا قبل ان يُصار الى تجفيرها. الا ان هناك من الرؤى ما تكون واضحةً كل الوضوح دون تجفير على الاطلاق وكما هو الحال مع الصاحب الآخر لسجْن يوسُف والذي رأى عين ما كان سيحدث له من بعدُ (قالَ اَحَدُهُما اِني اَراني اَعْصِرُ خَمْراً) (يوسف: 36). ولنا في رؤيا الفتح لرسول اللّه صلى الله تعالى عليه وسلم خير مثال قرآني على الرؤيا الجلية (لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرؤيا بِالْحَق لَتَدْخُلُن الْمَسْجِدَ الْحَرامَ اِنْ شاءَ اللهُ آمنينَ مُحَلقينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصرينَ لا تَخافُونَ فَعَلِمَ ما لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذلِكَ فَتْحاً قَريباً) (الفتح: 27).

الاستقامةُ كما أُمِرْنا دعوةٌ للانتصار الحضاري على الغرب
(فَاسْتَقِمْ كَما أُمِرْتَ وَمَنْ تابَ مَعَكَ وَلا تَطْغَوْا اِنهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)

يبدو اننا، وعلى الرغم من اقتراب الغرب من تحقيق انتصاره الحضاري الساحق علينا، لانزال عاجزين عن ادراك حقيقة ما يحدث حولنا في عالم تم تهميش دورنا في التفاعل مع مفرداته الى حد الاقتصار على السير وراء حضارة غربية لا نية لنا للعمل على الابتعاد عنها وان كان في ذلك خلاصنا من كل البؤس الذي جره علينا سيرنا اللاأُبالي هذا. فما الذي عادَ به علينا انسياقُنا وراء حضارة لا قدرة لنا على قيادتها وتوجيهها صوب خلاصها وخلاصنا؟! لقد خُلِقنا عرباً في أرض تحتم علينا جراء نشأتنا ومعيشتنا عليها ان نتعرض لنور الحقيقة التي ارسل بها الله الواحد الأحد نبيه محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم رحمةً للعالمين؛ إنساً وجِناً عرباً وأعاجم سواء مَن عاش منهم في القرن الميلادي السابع أو كان من شهود بداية الألف الميلادي الثالث. فما الذي عادَ به علينا تعرضنا لهذا النور المحمدي المُشع رحمةً وعلماً؟ وهل كان حظ هذا النور منا حُسنُ استقبالٍ له وقَبولٌ بما يوجبه علينا اتباعُنا لهَديه؟ ام كان نصيبَه منا جحودٌ وإعراضٌ وقولٌ بلا عمل ولسانٌ شجاع وقلب جبان؟! لقد خُلِقنا عرباً في بيئة كان يتوجب علينا ان نفيد منها لنعمل على إنارة طريق الخلاص أمام البشر كلهم جميعاً وذلك من بعد تحقق استنارتنا نحن بنور الايمان الذي تشربت به كل مفردة من مفردات هذه البيئة التي سبق لها وان تشرفت بمعيشة خير خلق الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيها. فهل استنرنا نحن لننير الدرب للآخرين؟ وهل دخل الايمان في قلوبنا حتى نطالب الآخرين بأن يكونوا مؤمنين والا "فهي الحرب يا رجال"؟! ام تُرانا "أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبنا" وذلك على الرغم من

كثرة أقوالنا وقلة أعمالنا؟! ان مسؤولية إنارة طريق الهُدى للآخرين ممن لم يحظوا بهذه النعمة الكبرى؛ نعمة العروبة لساناً وعقلاً وبيئةً تقع على عاتق كل مَن خُلِق عربياً وعاش مُتعرضاً لنور الحق في هذه البيئة العربية المؤمنة. وهي ليست واجباً منوطاً بمَن تعلم حِرفةِ الدعوة الى الله فحسب! فمسؤولية الدعوة الى الله منوطة بكل عربي أنعم الله عليه اذ خلقه في هذه الارض المشعة بنور الايمان. الا ان واقع الحال يُنبؤنا بخلاف ذلك. فكم منا تقاعس عن هذا الواجب مظنة توفر مَن هم أهل لذلك من أرباب القيل والقال ممَن برعوا في الخطابة وأجادوا فن تبليغ الآخرين ما يريدونه؟ وكم منا تشاغل عن مسؤوليته تجاه مَن لم يُخلقوا عرباً على هذه الارض المؤمنة بحجة عدم توفر الموهبة الخطابية أو الوقت الكافي أو المال اللازم؟ فلكأن الدعوة الى الله أضحت فرض كفاية وهي التي جعلها الله دائماً أبداً فرض عين يتعين على كل إنسان القيام بما تتطلبه منه ما استطاع لذلك سبيلاً! فهل نسينا اننا خُلقنا خير أمة اُخرجت للناس وذلك شريطة قيامنا بما يوجبه علينا كوننُا خيرُ امة فلا نكون الا كما أرادنا الله "تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله"؟! ام ظننا ان تفرغ البعض منا للقيام بدورٍ كُلفنا به كلنا جميعاً بمقدوره ان يعفينا من ذلك مادام هذا البعض قد كفانا بتفرغه ذلك؟! الا خاب من استعمل عقله للتهرب من واجبه وقدره. لقد تخلينا عن دورنا الذي قُدر لنا واحتججنا بحجة داحضة مفادها ان الأمر يتطلب تفرغاً ودرايةً ويستلزم تخصصاً وكفاية. فلو كانت لحُجتنا قوة لما أصبح حالنا ما نحن عليه الآن من ابتعادِ عن الله بالقلب وانشغال بسواه بالقلب ولما أصبحنا نُقاد كالغنم بدل ان نقود الأُمم! لقد اوكلنا الى البعض منا ما أوكله الله الينا فما رعينا الوكالة هذه حق رعايتها، فهل كنا لنرجو ان يرعاها مَن أوكلناها اليه حق رعايتها؟! فلو اننا رعيناها حق رعايتها لما كان العالمُ العالمَ الآن ولما أضحى مقوداً مَن خُلِق ليقود! اَفنسأل بعدُ عن الدواء ونحن الداء وكنا الدواء؟! "عجباً لقوم يُقادون الى الجنة بالسلاسل" هذا ما قاله سيدنا واستاذنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يصف إعراض قومه عن دعوته لهم الى

الله وما ينتظرهم من جزاءٍ وفاق ايمانهم لو انهم آمنوا. افلا نعجب لحالنا اليوم وقد دُعينا لنقود العالم الى الله ومغفرة بإذنه فلم نرضَ الا بأن يقودنا هذا العالم الى النار وعذابها الاليم؟ فلو اننا لم نوكل واجبنا الى بعضٍ منا وقمنا كلنا بما اوكِل الينا لكان العالمُ غير العالم اليوم ولما كان الغربُ سيد الارض ومَن عليها بلا منازع! اَفنعجب لحالنا ونحن أُسّ البلاء ونشكو من البؤس ونحن سبب الشقاء؟! لقد توهمنا بأن هذا البعض بمقدوره ان يحمل عنا الامانة التي اوكلت الينا وبالغنا في غينا بأن أوهمنا انفسنا بأن غيرنا هو المسؤول عن التقصير في التبليغ والدعوة الى الله وتذرعنا بحُجج من منطقٍ شتى رضينا معها بأن نقعد مع الخوالف فلا نغادر حياتنا الدنية جهاداً في سبيل الله بدعوة العالمين الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة وبأن نجادلهم بالتي هي أحسن! فهل هناك مَن نلومه غير انفسنا لو كنا مُنصفين؟! ان أحداً غيرنا لم يقُم بمنعنا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة وان نجادل الآخرين بالتي هي أحسن. فلمَ نُلقي باللوم على مَن لا قدرة له على تقييد حريتنا بأن نكون كما أرادنا الله؟ فليس لنا الا ان نلوم أنفسنا اليوم ويوم القيامة ولاتَ حين ندم! ان تقاعُسنا عن القيام بواجبنا القيادي تجاه العالم، أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر، ما هو الا مرآة لعدم قيامنا بواجبنا التعبدي لله كما أوجبه علينا الله. فلو اننا حقاً استنرنا بنور رسالته المحمدية المجيدة لكان حالُنا خير حال ولما قعد بنا نفاقنا عن الخروج في سبيل الله دُعاةً اليه بالحكمة والموعظة الحسنة ولأصبحنا رحمةً قبساً من تلك الرحمة التي أُرسل بها سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم! ولكننا آثرنا العاجل على الآجل واخترنا عيشةً ضنكاً على سعادة الدارين وأحللنا أنفسنا وأهلينا دار البَوار. فهنيئاً لنا جهنم وبِئس القَرار اذا ما نحن واظبنا على فرارنا من الله بدلاً من التوجه اليه قلباً لا لساناً! ان العالم اذ يشكو اليوم من ظلم الناس للناس فهو انما يشكونا الى الله لقعودنا عن قيادته بتقاعسنا عن الاستقامة كما أُمرنا وبركوننا الى الهوى. فهل نخافُ اللهَ حق مخافته فنهرع اليه بقلبٍ صادقٍ في إنابته مُجِد في سعيه للخلاص من غفلته؟! لقد تخلينا عن

واجبنا القيادي تجاه العالم يوم ان تخلينا راضين عن واجبنا تجاه انفسنا بأخذها بالحزم والقوة على ما تكره وإكراهها على ما لا تهوى ومحاربتها جهاداً أعظماً ليس يَعدله جهاد. ولقد تشاغلنا عن هذا الجهاد الحقيقي بجهادات زائفة خُيِّل الينا معها انها الحق الذي ليس وراءه الا الباطل، فأخذنا بدعوة الغير الى التمسك بعين ما فرطنا به من قبل والى العمل بما عجزنا عن الاخذ به على محمل الجد. كل هذا ونحن واثقون من اننا على السبيل المستقيم، وكيف لا ونحن نملك ايماناً لم يغادر اللسان منا الى القلب؟! ولم تكن للنتائج المُتحققة جراء جهاداتنا هذه الا لتؤكد على ايغالنا في الابتعاد عن الطريقة المثلى في الدعوة الى الله. وإلا فأين جموع العالمين الذين قمنا بهدايتهم من ظلمات البُعد عن الله الى نور الاقتراب منه؟! ان العالم يكاد ان يفلت من بين أيدينا لأننا لم نعرف وسيلة للامساك به الا المخالفة عن الوسيلة الوحيدة التي كانت ستكفل لنا حُسن قيادته من بعد نجاحنا في الامساك بأنفسنا عن الانجراف وراء ما تهوى! فلو اننا لم نُتح للنفس الفرصة لتقودنا الى حتفنا وذلك بتزيينها لنا سوء عملنا لنراه حَسناً لما مكناها منا ولما كان لها ان تنجح في ان تُوهمنا بقيادة زائفة للعالم أسكرتنا عن رؤية ما آل اليه مآلنا من خروج على الحق خارج الزمان! فلقد بلغ من شدة تمسكنا بهذا الوهم الزائف اننا وبعد ان أخرجتنا هذه النفس الماكرة خارج زماننا هذا، بجعلها لنا نتنازل طائعين عن حقنا الازلي بقيادته من الظلمات الى النور، رضينا بأن ندع الآخرين يتولون مهام قيادتنا الى حتفنا! فانجرافنا كالخراف وراء الغرب، حتى ونحن خارج زماننا هذا بخروجنا على دورنا الذي له خُلقنا، لم يكن ليقع لولا سابق انجرافنا وراء انفسنا بعيداً عن الاستقامة التي بها اُمِرنا فلم نُطِع! فهل نحن حقاً نجاهد الغرب الملحد الكافر بخروجنا على هذا الزمان؟! وهل نحن قادرون حقاً على حُسن التعامل الجهادي مع هذا الغرب وقد رميناه بالكفر والضلالة وانهينا المسألة هكذا وبكل يسر وبساطة؟! فهل جئنا لننقذ العالم ونكون له رحمةً مُستقاة من تلك الرحمة المحمدية الخالدة ام جئنا لندينه ونتخلى بذلك عن دورنا في قيادته؟! ان خروجنا على زماننا هو في حقيقة

الأمر اطاعة لمن خُلق ليطيعنا لو لم نتنازل نحن وبكامل ارادتنا عن واجبنا القيادي تجاهه! فقعودنا عن الجهاد الحقيقي وانشغالنا بجهادات زائفة لم يعودا علينا الا بحقد الغرب علينا وكراهيته لنا حتى ونحن لم نقم في الواقع الا باطاعته وذلك بتخلينا عن قيادته! فنحن نسير وراء الغرب بخروجنا على الزمان ورفضنا له وابتعادنا عن التعامل معه كما أمرنا الله مجاهدين في سبيل الدعوة اليه بالحكمة والموعظة الحسنة أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر. ان رفضَنا للزمان هو في حقيقته تنازلٍ عن دورنا في قيادته. وهذا ما يجب ان نعيه جيداً ونحن ننظر الى الزمان فنراه وقد انقلب علينا، وكيف لا ونحن الذين انقلبنا عليه بخروجنا مختارين خارجه؟! ان فهماً صائباً للدين هو السبيل الوحيد لاعادة علاقتنا بالله الى ما يجب ان تكون عليه حقاً؛ علاقة العبد المطيع بالسيد المُطاع أبداً وليس كما نريدها نحن بعقولنا القاصرة عن رؤية الحق ونفوسنا الناظرة ابداً الى الباطل لفرط انشغالها بهواها استعلاءً وتكبراً! اَفتُعلم الله ربنا بديننا وهو الذي هدانا للايمان ان كنا مؤمنين؟! فالاستقامة كما اُمرنا هي سبيلنا الوحيد لاستعادة دورنا القيادي الذي تنازلنا عن اسلامنا يوم ان تنازلنا عنه للغرب طائعين مستسلمين! علينا اذاً ان نعي ان خروجنا على الزمان هو اطاعةٌ للغرب وسير في ركابه حتى ونحن يُخيل الينا ان ليس بيننا وبينه الا العداوة والبغضاء فحسب! ان الهجوم على الغرب، رفضاً له وفراراً منه، هو في حقيقته هجوم على مَن لم يكن له حول ولا قوة في نشأته بعيداً عن البيئة التي توهمنا اننا أبناؤها البررة! فما ذنب الغرب ان كان الله قد خلقه ضالاً بنشأته بعيداً عن نور الايمان؟! وما فضلنا نحن عليه اذا كان الله هو مَن خلقنا عرباً على هذه الارض المؤمنة؟! ان الغرب دَينٌ في أعناقنا وذلك طالما خُلقنا لنقوده من ضلاله الى عين الهدى الذي اُمرنا ان ننقاد له فعصينا ورميناه وراء ظهورنا فاتخذناه ظهرياً ونحن نحسب اننا نُحسن صُنعاً! ان شن الحرب على الغرب لا تكون بإنهاء وجوده اُناساً وحضارة بل بهدايته من ظلمات الابتعاد عن الله الى نور القرب منه. لقد خُلقنا لنقود الغرب الى الله فكيف نتجاسر على قَدَرنا هذا بتقاعسنا عن القيام بدورنا وما يتطلبه

هذا منا؟! وكيف نتجرأ على الله برفضنا لهذا الدور القيادي وذلك بانصياعنا للغرب وسيرنا وراءه خارجين على الزمان خارجين بذلك على القانون الإلهي؟! ان رفضَنا للغرب، هكذا وبلا أية نية للعمل على التفاهم معه وفق ما يُمليه على الجميع دورُنا في قيادته وحقه علينا في ان نقوده، كفيلٌ بجرنا وجره الى هاوية لا نجاة منها الا الى جهنم وبئس القرار. ان الدليل الاعظم على اننا لم نستقم كما أُمرنا هو هذا الحقد الدفين على الغرب. فلو اننا حقاً استقمنا كما اُمرنا لبادرنا الى الغرب مُنقذين لا منتقمين. فان كان هو من ابتدأ العدوان علينا بشنه حروبه الصليبية علينا فهل كنا لنرجو من ضالٍ كافرٍ الا ما هو تعبير عن كفره وضلاله؟! وان كان هو ضالاً كافراً فعلى مَن تقع مسؤولية هدايته من الكفر الى الايمان؟! لقد جاهدناه في حطين العظيمة وانتصرنا عليه بانتصارنا للحق على الباطل يوم ان كان هو المعتدي ولكن هل هي حقاً حطين الجديدة حربنا هذه عليه؛ رفضاً قاطعاً له وحقداً أسوداً عليه وارهاباً يطال مَن اُمرنا لنستقيم حتى يكون بمقدورنا ان ننقذه من ظلمات الدنيا ونيران الآخرة؟! هل هي حقاً حطين الجديدة حربنا هذه عليه خروجاً على الزمان سيراً وراء مَن خُلقنا لنقوده؟! اننا نحكم على تارك الصلاة بأنه قد هدم دينه لأنه فرط في فرض عين يتوجب عليه القيام به دون اية اعذار ينتحلها كيما لا يقوم بتأديته. فلمَ ننسى اننا لا نُكفر مَن تنازل طائعاً عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة؟! فالارشاد الى الله فرض كما هي الصلاة، والدعوة الى الله فريضةٍ كما هو الجهاد. فلماذا ننسى كل هذا ونقنع بدور هامشي في حياة خلقنا الله لنكون اسيادها بالحق لا ان نكون عبيداً لسواه بالباطل؟! فهل كان تنازلنا يوم ان فرطنا بدورنا القيادي هذا الا عن الله ربنا العظيم؟! فلو اننا لم ننشغل عن الله بأنفسنا لما تركنا الغرب يتخبط في دياجير الظلام ويجرنا معه الى النار! فلو اننا استقمنا كما اُمرنا لقدمنا للغرب النموذج الذي كان حرياً بجعله ينساق وراءنا بدل انسياقنا وراءه! فالغرب يعاقبنا على غفلتنا عنه وتقاعُسنا عن القيام بقيادته بهذا الذي نراه من ظلمه لنا. ولكن مَن كان البادىء والبادىء أظلم؟! اَلم نبتدىء

نحن بخروجنا على الزمان ورفضنا لدورنا القيادي في هداية الغرب من الكفر الى الايمان؟! فلماذا نعجب لهذا الرد الغربي على ظلمنا له ولأنفسنا؟! فلو لم نظلمه بتقاعسنا عن القيام بواجبنا القيادي تجاهه فهل كان ليظلمنا؟! ولكن كيف لنا ان لا نظلمه ونحن قد ظلمنا أنفسنا باتخاذنا العجل ولم نتُب الى بارئنا فنقتل أنفسنا؟! فلو اننا أحببنا الله حق الحب فهل كنا لنرضى ان لا يكون تعبيرنا عن حبنا هذا تحبيب الله الى خلقه كلهم وان كانوا من أهل الغرب الضال الملحد الكافر؟! ان المحب الحقيقي عاجزٌ عن الانشغال بغير المحبوب. فهل انشغلنا بالله انشغال أهل الهوى ببعضهم؟! وان كان الغربُ حاله معنا هو حال الكافر مع المؤمن فهل حالنا نحن معه هو حال المؤمن مع الكافر؟! ان المؤمن الحقيقي محبٌ لله. وحبه لله سوف لن يفتأ يجعل منه يجاهد في سبيل الدعوة الى محبوبه بالحكمة والموعظة الحسنة والنموذج القويم. فلماذا لا نحب الله وذلك بأن نعود الى العالم قادةً له من الظلمات الى النور؟! وكيف لنا ان نعود من خارج الزمان اذا كان خروجنا عليه قد حتمه علينا تقاعُسنا عن الاستقامة كما أُمرنا؟! ان حطين الجديدة هي الحرب على انفسنا قبل ان تكون حرباً على الغرب الكافر، وهي جهاد أعظم لأنفسنا قبل ان تكون ارهاباً يطال مَن أوجب الله علينا قيادتهم من الكفر الى الايمان. فهل نتدبر القول أم نقول كما قال مَن اغفل الله قلبه عن ذكره بأن "الغربُ غربٌ والشرقُ شرقٌ ولن يلتقيا"!! ان الحل الاوحد لنجاة البشرية جمعاء هو بأن نعود للامساك بدورنا لنقود العالم الى الله وذلك من بعد الاستقامة كما أُمرنا لا كما تأمرنا به هذه النفسُ المتكبرة التي لو نصحت لنا حقاً لما اخرجتنا خارج الزمان بعيداً عن القيام بدورنا الذي له خُلِقنا! ان حطين الجديدة تُحتمها عقائديةُ المواجهة الحضارية مع الغرب؛ هذه المواجهة التي ستُحسم لصالحه حتماً اذا ما نحن لم نَفِق من غفلتنا عن هذا الزمان فندرك، حينها وحينها فقط، ان الانتصار في مجابهة حضارية كهذه التي كُتبت علينا لن يتم تحقيقه الا بانتصارنا لله على انفسنا أولاً وقبل كل شيء! فاننا اليوم وعلى ما نحن عليه، من انتصارٍ للنفس فينا على الحق وتنازل عن دورنا القيادي في انقاذ

العالم من عذاب الله، عاجزون كل العجز عن تحقيق النموذج الحضاري الكفيل بجعل الغرب يهرع الينا لنقوده الى الخلاص في هذه الحياة الدنيا وفي الآخرة. فكيف نتوهم اننا قادرون على تحقيق هذا الانتصار ونحن لما نزل نخوض في جهادات جانبية لم نُؤمر بها الا من قِبل النفس الماكرة المتكبرة؟! وهل من دليل أقوى من حالنا اليوم؟! فنحن نتكافر ونرمي بعضنا البعض بالفسوق والضلال حتى أصبح دأب الجميع تكفير الجميع! فالى أي ايمان نريد ان نقود هذا العالم الضال "الذي الهه المادة"؟! هل نقوده الى الايمان وفقاً لهذا المنهج أو ذاك من هذه المناهج المتكافرة التي ينقض بعضها بعضاً؟! فلو اننا كنا حقاً أصحاب النموذج الحضاري الكفيل بمناجزة نموذج الغرب وتحقيق الغَلَبة عليه اَما كنا اولاً وقبل أي شيء لننجح في الاجتماع على "قلب رجل واحد"؟! ولكن أنى لنا هذا ونحن أهل جدال وايمان باللسان لا بالقلب؟! أفنطمع ان يؤمن لنا الغرب وقد اَريناه كل ما هو كفيل بجعله يَعي تفوق حضارته على هذا الخَبال الذي نحن عليه؟! ولمَ يترك حضارته هذه التي جعلته سيد الارض بلا منافس؟! اَيتركها ليشاركنا هَواننا على بعضنا وولوغنا في دم بعضنا البعض؟! ان الغرب كافرٌ ضالٌ وهذا أمر لاشك فيه، ولكن الشرق منافقٌ فاسقٌ وهذا أمر لاشك فيه أيضاً! فأي الامرين أعظم الكفر ام الفسوق الذي وصفه الله بأنه "بئس الاسم"؟! وهل توعد الله الغرب بغير جهنم في الآخرة: جهنم التي أنزل الله المنافقين في الدرَك الاسفل من نارها؟! فاذا كان الغرب قد ضل عن الله فأصبح كافراً فهذا هو كل ذنبه ولكننا هجرنا الزمان وتخلينا عن مسؤوليتنا أمام الله تجاه العالم، فأي الفريقين أحق بمَقت الله؟! مَن ضل عنه ام مَن هجره؟ لقد هجرَنا الله يوم ان هجرناه فغلب علينا مَن خُلقنا لنقودهم اليه! فيا لنا من اشقياء دنيا وآخرة اذا ما نحن لم نَعُد الى الله بعودتنا الى الاستقامة كما اُمرنا لنقود العالم من بعد انتصارنا للحق على انفسنا انتصاراً يجعل منا نموذجاً حضارياً لا يجد الغرب من سبيل حياله الا الاخذ به عن يد وهو صاغر! والسبيل للانتصار بإذن الله في حطين الجديدة هذه رهنٌ بنجاحنا في العمل على الضد مما نُشأنا عليه من

لاأُبالية مقيتة بالآخر لندرك ان كلاً منا مسؤولٌ كامل المسؤولية عن كلنا وذلك حتى لا نعود الى التنازل عن دورنا في الدعوة الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر. فالارشاد مسؤولية الفرد قبل ان تكون مسؤولية الجماعة، كما ان الصلاة مسؤولية الفرد قبل ان تكون مسؤولية الجماعة. فكل منا بمستطاعه، لو انه استقام كما أُمر، ان يكون نموذجاً حضارياً كفيلاً بإحداث تغيير جذري في محيطه كفيلٍ بجعل مَن يحيط به يعي تفوقه بالحق فينقاد الى الحق وليس اليه! والاستقامة كما أُمرنا لا تستدعي منا ان نُعلل لتقاعسنا عن العمل على تحقيقها بأن الآخرين هم السبب في قعودنا عن القيام بما تتطلبه منا! فالله سبحانه وتعالى وجه خطابه للفرد فينا وحمله هو ذاته مسؤولية الدعوة الى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة امراً بالمعروف ونهياً عن المنكر ولم يقرن امر قيامنا بما أوجبه علينا بمشاركة الآخرين لنا أو بضرورة توفر ظروف تُعين وتساعد نكون في حِل من هذا الواجب اذا ما تعذرت ولم تتوفر! فالأمر الإلهي بالارشاد هو أمر دون قيد أو شرط وهو أمر واجب التنفيذ من قِبل الكل فرداً كانوا ام جماعة. فلِمَ الاعتذار والاحتجاج ماداما ليسا نافعيَن غداً يوم العرض الاكبر يوم تأتي كل نفس، بمعزل عن الآخرين وبمنأى عن الجماعة، تجادلُ عن نفسها؟! ان تحقيق النموذج الحضاري الكفيل بجعل الآخر ينساق الى الحق لا يتطلب غير ان يكون الفرد منا مستقيماً كما أُمر. لذا فلا عذر لنا اِن نحن تقاعَسنا عن تحقيق هذا النموذج بحجة فرديتنا وواحديتنا! ولنتذكر ان الله لن يغفر لنا تنازُلَنا للآخرين عن دورنا الذي خُلِقنا لنقوم نحن به لا الآخرون. فهل نظن حقاً ان قيام البعض منا بمهام الدعوة الى سبيل الله خِطابةً وكِتابة كفيلٌ بأن يكفينا فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي فرضها الله علينا كلنا جميعاً دون استثناء؟! ولماذا يطالبنا هذا البعض بأن نوفر له دوراً بتنازلنا عن دورنا؟! فلكلٍ دور طالما كان الجميع مطالَبين بالارشاد. فهل ارضى بالتخلي عن دَوري الذي سوف اُحاسَب، اِن انا فرطتُ فيه مثقال ذرة، أشد الحساب وذلك حتى لا يفقد آخرون أدواراً لهم انتحلوها دون وجه حق يوم ان استولوا على دور

الجميع في ارشاد الجميع؟! ان للجميع أدواراً خُلِقوا ليؤدوها وذلك من دون افتئات على ادوار الآخرين. الا اننا، ولفرط انشغالنا عن الله بأنفسنا، رضينا بأن نتنازل عن دَورنا الارشادي لآخرين كان بوسعهم الاكتفاء بدورهم الذي عليه يُسائلهم الله لا على دورنا نحن! ان هذه الدعوة لاستعادة دورنا في القيام لله ارشاداً للآخرين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا تتضمن سلب حق أحد أو تهميش دور أحد. فلكل دوره الذي خُلِق ليؤديه. لذا فليس لأحد ان يحزن مظنة ان قيام الجميع بالارشاد سوف يحرمه من عمل له لا يجيد غيره! فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يتطلب واحدهما ضرورة اجادة فنون الخطابة والالقاء والكتابة. فكل ما يتطلبه الأمر هو مجرد الاستقامة كما أُمرنا. فاذا وفر واحدنا ما تتطلبه هذه الاستقامة النموذجية فسوف يكون اداة تغيير عجائبي في محيطه بنجاحه في صنع نموذج حضاري كفيل بجعل الآخرين يهرعون الى الله. ولنا في استذكار سِيَر مَن استقام كما أُمر من أجدادنا العِظام خير دليل على ان الارشاد الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة لا يتطلب غير ايمان قلبي حقيقي قائم على حب الله والعمل على تحبيب الله للخلق وتحبيب الخلق لله. وهكذا نرى ان الانتصار لله في حطين الجديدة على الغرب ليس بالأمر العسير كما انه ليس بالأمر اليسير أيضاً! فالاستقامة كما أُمرنا تُلزمنا بوجوب الكف عن تسييس الدين لغايةٍ في أنفسنا خبيثةٍ لا علاقة لها الا برغبة آثمة في التسلط والتوصل عن طريق المتاجرة الرخيصة بمفردات لم تُنزل الا لتكون خالصةً لوجه الله لا لوجه النفس القبيح البشع! فلا استقامةَ كما أُمرنا الا بتخلينا قلباً وعقلاً عن كل رغبة في قيادة الناس الى غير الله بمفرداتٍ انزلها الله لتقود اليه لا الى سواه. فالقائد الحق الى الله لا يقود الناس الى سواه؛ فهو لا يقودهم الى نفسه أو الى أي من تلك الأوهام التي أصبحت آلهة هذا العصر! فهل حققنا الاستقامة كما أُمرنا بقيادتنا الجموع الى غير الله؟! فلو صح زعم مَن قال بأنه يقود الناس الى الله فلمَ اذاً يتقاتل هؤلاء القادة فيما بينهم على الناس حتى يكون واحدهم هو الأكثر أتباعاً ووجاهة؟! كما ان الاستقامة كما أُمرنا تدعونا للكف عن تأجيل الارشاد

وتعطيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك حتى تقوم الدولة بالعمل وفقاً لما جاء به القرآن العظيم؛ هذا العمل الذي يفهمه المتذرعون بهذه الذريعة على انه قيامهم هم انفسهم بتسيير شؤونها وادارة امورها وقيادة جموعها وهذا مَربط الفرس بكل تأكيد! فالصراع هو من اجل الوصول الى السلطة والتمتع بحكم الآخرين ليس الا! ولي ان اسأل هؤلاء: هل يستدعي تحقيقُنا الاستقامة كما أُمرنا ان يقوم غيرُنا بما لا يتوجب على غيرنا القيام به؟! فامر تحقيقنا الاستقامة كما أُمرنا منوط بنا نحن. فواحدنا مؤهل ليكون مؤمناً صادق الايمان عملاً وقولاً قلباً ولساناً دون ان يستدعي ذلك ان يكون للآخرين دور في تحقيقه هذا الأمر ووصوله لهذا المقام العلي. فلمَ لا يتوجه اذاً هؤلاء المتذرعون الى الناس فيطالبوهم بالعمل بما جاء به القرآن العظيم؟ أم تُراهم يعلمون علم اليقين بأن الناس لن يستقيم منهم كما أُمر الا مَن تعهد نفسه بالجهاد الاعظم محاربةً ونهياً لها عن الهوى "وقليل ما هُم"؟! ان الارشاد، أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر، مسؤوليةُ الفرد اولاً وأخيراً ولا حاجة هناك لرمي اللوم على الآخرين تسويفاً لتقاعُسنا عن تحملها كما أراد الله. لقد وجه الله خطابه في القرآن العظيم للفرد منا حتى وهو يخاطب الجماعة. فلنتدبر القرآن العظيم ولنحاول ان نعثر على ما يتوهمه مَن يظن بهذا الكتاب الكريم انه لم ينظر للفرد إلا بعين الجماعة وانه أوجب على الفرد بأن ليس عليه من أمر الآخرين، ارشاداً لهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ما لم تقم بذلك الجماعة! لقد وجه الله خطابه في القرآن العظيم للإنسان فرداً قبل ان يكون عضواً في الجماعة وأوجب عليه مسؤوليات عليه ان يتحملها فرداً قبل ان يكون عضواً في الجماعة. فلا ينبغي اذاً التسويغ لتقاعُس الفرد منا بقعود الجماعة ولا حجة لنا في عدم الاستقامة كما أُمرنا وذلك بأن نقول "ولمَ لم تحققها الجماعة"؟! ان استقامة الفرد كما أُمِر هي السبيل الوحيد لصنع جماعة مؤمنة "كالبُنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً". فالجماعة النموذج هي مجموع اولئك الافراد الذين نجح كل منهم في تحقيقه الاستقامة كما أُمر فأصبح عضواً حياً في جماعة حية هي التي يحبها الله لأنها أحبته أفراداً وجماعة. وهذا

هو الطريق الوحيد الى حطين الجديدة التي لن ننتصر فيها على الغرب انتصارنا الذي وعدنا الله الا بهكذا جماعة!